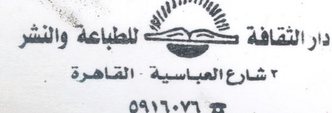


أشـراف
الأستاذ الدكتور
سعيد إسماعيل على
أستاذ ورئيس قسم أصول التربية
كلية التربية - جامعة عين شمس

المكتبة العربية للدراسات التربوية

الفكر التربوى عند الشيعة الإمامية

دكتور
علاء الدين أمير محمد مهدى القزوينى



دار الثقافة للطباعة والنشر
٢ شارع العباسية - القاهرة
☎ ٥٩١٦٠٧٦







الفكر التربوى
عند
الشيعة الإمامية

دكتور
علاء الدين أمير محمد مهدى القزوينى



دار الثقافة للطباعة والنشر
٣ شارع العباسية - القاهرة
☎ ٥٩١٦٠٧٦

الإهداء

الى الكوكبـــه • • • • •

التى آمنت برسالتها فجاهدت وصمدت فمنهم من قضى نحبـه شـهيدا ومنهم من ينتظر قائـدا ربى انصرهم بنصرك المبين •

الى والـدى • • • • •

ربى ارحمهمـا كما ربيـانى صـغيرا واليك يا ولدى يا محمد الحسين •

أيها الملاك الطـاهر الوافد الى رضـوان ربك قبل أن ترتوى من الحياة • • • •

والى جميع المسـتضعفين والمضـطهدين والشـهداء أقـدم هــذا الجهــد • • • • •

شكر وتقدير

انى وان كنت لم أترك جهدا أستطيعه الا وأخضعته لهذا البحث ، ليخرج بهذه الصورة ، الا أن وراء هذا الجهد ، الذى عاشه الباحث طيلة سنتين ، توجيها نيرا وارشادا سليما ، ووراء هذا كله ، أستاذى الكريم ، الأستاذ الدكتور سعيد اسماعيل على ، الذى لم يبخل بوقت ولا بمتابعة على الباحث والبحث ، فقد انطبعت توجيهاته الفنية ، وتشجيعه الصادق المتواصل على جميع مراحل البحث ، مما جعل الباحث يحتفظ له بذكرى الامتنان والتقدير ، فجزاه الله خيرا لخدمة العلم ، اذ لولاه لما ظهر هذا البحث .

كما يتوجه الباحث بالشكر والتقدير للاستاذ الدكتور مصلح سيد بيومى ، عميد كلية أصول الدين والدعوة فى جامعة الأزهر ـ المنوفية ـ على قبوله الاشراف على هذا البحث ، ومراجعته له ، مما أغناه بملاحظاته وتوجيهاته .

كما أنوه بالشكر العميق والامتنان البالغ الى العم السيد أمير على القزوينى ، بما أتاحه لى من مصادر علمية ، حيث فتح لى أبواب مكتبته العامرة ، فجزاه الله خيرا لنصرة العلم .

وأتقدم خالص شكرى للأساتذة والأخوة أعضاء قسم أصول التربية ـ جامعة عين شمس .

وأخيرا أتوجه بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منى هذا العمل المتواضع ، راجيا منه التسديد والتوفيق لما فيه رضاه ، فهو ولى المؤمنين ، فعليه نتوكل وبه نستعين والحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وأصحابه المخلصين .

تقــــديم

دكتور سعيد اسماعيل على

أستاذ أصول التربية ـ كلية التربية ـ جامعة عين شمس

انت حر ٠٠ اذن أنت موجود ٠٠

تلك هى المقولة الانسانية الأساسـية فيما نرى ، ذلك ان مقـولة « ديكارت » (أنا أفكر اذن أنا موجود) تقتضى قبل ذلك أن يكون الانســان حرا حتى يستطيع التفكير ٠

وعندما نقول أن شرط الوجود الانسانى هو (الحرية) انمـا نؤكد بذلك ما أشار اليه القرآن الكريم من أن اللــه عز وجل قد عرض (الأمانة) على السماوات والأرض والجبال لكنها خشيت من تحمل مسئوليتها ، بينما قبل الانسان ذلك ٠ فقد أكد بعض المفسرين أن المراد بالأمانة فى هــذا الموقف هو « حرية الارادة الانسانية » ٠

واذا أردنا أن نمسك قطاعا واحدا من الحياة الانسانية مثل (البحث العلمى) فسوف يستحيل أن نتصور امكان احراز تقدم ما فى مجـاله ما لم يتوفر له ذلك الشرط وهو « الحرية الأكاديمية » ٠٠ الصورة العلمية للحرية٠

ومن ها كانت قوة الأمم والشعوب يمكن أن تقاس بمدى ما يتوفر لأبنائها من (حرية) ٠٠

ومن هنا فان تقدم البحث العلمى ، يمكن أن يقاس بمدى ما يتوفر لطلابه من (حرية) ٠

كانت هـذه قناعتى ـ وما تزال ـ عندما جاء الى الأخ الكريم « علاء الدين أمير محمد مهـدى القزوينى » مبـديا رغبـة فى أن يبحث عن الفكر التربوى عند الشيعة الامامية متسائلا فى حذر واضح : هل يمكن أن يتم هـذا فى مصر ؟

لم أفكر طويلا ، بل كانت اجابتى فورية : ان مجال البحث العلمى

معى هنا مفتوح بلا حدود .. فقط الالتزام بقواعد المنهج العلمى وأصوله وشـــروطه ..

وتقـدم « علاء » يعرض مشروع بحثه هـذا للحصـول على درجة دكتوراه الفلسفة فى التربية الى سمنار قسم أصول التربية والذى كنت أشرف برئاســته ، وعندما انتهى من عرضه فوجئت بعاصـفة عاتية من الاستنكار والمعارضة ـ وإن لم تكن والحق يقال صادرة عن الأغلبيـة ـ الى درجة اسـتخدام العبـارات والاتهامات الحادة والصـوت العالى مما لا يعرفه النقاش العلمى الموضوعى ، بل ووصل الأمر الى اتهامى بأننى افتح بذلك باب الفتنة فى الدين !! سبحان اللـه !!

كم كان الأمر عجيبا حقا !!

لـماذا نخلط بين قابلية موضوع البحث للدراسـة ، وبين الايمان به ؟ هل كل من يدرس المـاركسية يحبهـا ويؤمن بها ؟ وهل عندما تدرس أى ظاهرة اجتماعية لا بد أن نحبها ونؤمن بها ؟ ان طلاب البحث فى القانون يدرسون « الاجرام » وطلاب الاجتماع يدرسون « الانحراف » فهل يجب على هؤلاء وهؤلاء أن يتركوا هـذين المجالين ؟

أقول هـذا مع الاعتذار الشديد . فالقياس مع الفارق ، ولا تشابه طبعا بين حالتنا وهـذه الحالات ، وانما فقط أقول - اذا كان مجال البحث فى مثل هــذا مبـاح ومشروع ومطلوب ، فما بالنا لو كان المجال يتعلق بفرقة هامة من الفرق الاســلامية نحمل لها الاحترام والتقـدير وان لم نشاركها الايمان بمعتقداتها ؟

ان الولايات المتحدة الأمريكية لديها عشرات المراكز العلمية والأقسام والمعاهد لدراسة (الإسلام) ولا يستطيع أحد أن يدعى أنها بذلك تدافع عن الاسلام وتشجعه ، فهل نقصر نحن فى مصر المسلمة عن ذلك بحجة أننا من أهـل (السنة) ؟

فليكن بيننا الخلاف فى الرأى والتباين فى الفكر . ولكن لا ينبغى أن يحملنا هـذا الى رفع السلاح لحسم هذا الرأى أو ذاك . ان الفكر لا ينبغى أن يواجـه الا بالفـكر ، والرأى لا يدحضـــه الا رأى آخر . بل ان (المنع) و(التحـــريم) يزيد من قنـــاعة أصــــحاب الـرأى برأيهم ويولد لديهم اتجاهات عدوانية .

البحث العلمي اذن هو ارض المعركة التي ينبغي ان نتفق عليها ٠ ومن لا يعجبه هـذا الرأى أو ذاك فليتكلم بالأدلة والبراهين دون أن يسب أو يحرض أو يتهم ٠٠ !

والقيت بكل ثقلي وراء هذا ٠٠ بل لقد كان هـذا ديدني دائما حتى لقد استظل بي يلجئون من مذاهب وملل متعددة ، كان لدى طلابه ماركسيون ومن الاخوان المسلمين ، ومن غير هؤلاء وهؤلاء ، الشرط الأســاسى الذى وضعته لهم ٠٠ هو الالتزام بالمنهجية العلمية ، اما محتوى الموضــوع ومنحاه الفكرى فلا ضغط على أحـد ولا الزام عليهم !!

ولقد حرصت أشد الحرص على ان أشرك معى فى الاشراف عالم ديني فاضل سني ، فكان أن وقع الاختيار على الأستاذ الدكتور مصلح سيد بيومي عميد كلية أصول الدين بالمنوفية ، فكان خير معين وأفضل رفيق ٠

وعندما حانت ســاعة مناقشــة الرســالة نظرت أمامي وحولى فى القاعة ٠٠ فشممت الرائحــة التي تزكم الأنوف !! الســيوف المســتلة ، السهام المصوبة ومواقع الحجارة على أتم استعداد !! فرصة أحراز بطولة كاذبة لا اكثر ولا أقل ٠٠

انني أمسك الآن قلمي بكل شدة وعنف حتى لا يجمح ويســير على نهج الآخرين ونتراشق بالتهم ٠٠ نلبس زى العلم ونخفى تحتــه ما هو عكسه ٠٠ نستسلم للتحريض بكل سهولة ويسر ٠٠ نتصور اننا نقف على خشبة مسرح اسـتعراضى يحتاج الى انتزاع تصـفيق الجماهير بغض النظر عن أصول البحث العلمي ومنهجه ٠

لقد كان فى نيتى أن أدير هــذه المقدمة حول دحض تلك القائمة من النقد التى وجهت لعلاء وكان معظمها مضادا للتاريخ والفلسفة ٠٠ ولكن شعورى الذى يكاد يصل الى حد اليقين بحجم الظلم فى الموقف كله جعلنى أوجه اهتمامى الى المسار الذى سارت اليه الرسالة بغض النظر عن صياح من هنا أو هناك ٠٠ الى أن وفقنا اللــه وخرجت الرسالة وأنا راض تماما عن « علميتها » فى هــذه الصورة المشرفة التى أفخر بها وأعتز ٠

تقـرير عن الرسالة

اشترك فى مناقشة هـذه الرسـالة الأستاذ الدكتور/محمد عاطف العراقى وقـد قـرر :

« .. وأنا أقول أن رسالتك من الرسائل الرائعة التى استفدت منها استفادة لا حد لها وأضافت الى معلومات لم أكن أعرفها ، وان الباحثين فى الفكر التربوى عند الشيعة ليس بامكانهم أن يتخطوا هـذه الرسـالة لا من قريب ولا من بعيد ، فهى تعد علامة على الطريق ، وأنا أهنئك بهـذا المجهود تهنئة لا حدود لها » .

الأسـتاذ الدكتور/محمد عاطف العراقى
أستاذ ورئيس قسم الفلسفة
كلية الآداب ـ جامعة القـاهرة

المكتبة العربية للدراسات التربوية

صدر من هذه السلسلة :

اولا : مجموعة التربية الاسلامية :

- مدخل الى التربية الاسلامية (تحت الطبع)
  د. سعيد اسماعيل على
- النبات والفلاحة والرى عند العرب (دار نشر الثقافة)
  د. سعيد اسماعيل على
- الفكر التربوى فى الأندلس (دار الفكر العربى)
  د. عبد البديع عبد العزيز الخولى
- الفكر التربوى عند الشيعة الامامية
  د. علاء الدين أمير محمد مهدى القزوينى (دار نشر الثقافة)

ثانيا : مجموعة اجتماعيات التربية :

- دراسات فى اجتماعيات التربية (دار نشر الثقافة)
  د. سعيد اسماعيل على
  د. زينب حسن حسن
- التعليم وقيم التنمية (مكتبة سماح ـ طنطا ـ مصر)
  د. عصام الدين على هلال

ثالثا : مجموعة أعلام الفكر التربوى العربى الاسلامى :

- فلسفة التربية عند ابن سينا (دار نشر الثقافة)
  د. عبد الرحمن النقيب

رابعا : مجموعة الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس :

- صدر منه حتى الآن عشر مجلدات(*) (دار نشر الثقافة)
  المحرر : د. سعيد اسماعيل على

خامسا : مجموعة التعليم فى مصر :

- تاريخ التربية والتعليم فى مصر (عالم الكتب)
  د. سعيد اسماعيل على

(*) بدأ الكتاب السنوى ظهوره عام ١٩٧٣ أى قبل ظهور هذه السلسلة فلما خرج مشروعها الى النور فضلنا ادراجه ضمنها .

الفهـــــرس

الموضــــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الفصل الأول

الاطار العام للدراسة

المقدمة :

نشأة التشيع :

أهمية بحث الجانب التربوى عند الشيعة •

التركيب العقائدى للتربية عند الشيعة •

مشكلة البحث •

أهمية البحث •

حدود البحث •

منهج البحث •

القول بالاجتهاد كمنهج للتفكير والبحث عند الشيعة •

الدراسات السابقة •

خطة البحث •

مقـــدمة :

الارث الثقـافى ، هو أثمن ما خلفه الانسان للانســان ، فبالثقـافة يستكمل الانسان وجوده الحق ، لأنها تمـده بالمعانى التى تجعل لوجوده معنى انسانيا يميزه عن سائر المخلوقات ٠

وليست الحضــارة المـادية ، مهمـا عظمت ســوى حسنة صغيرة من حسنات الثقافة الانسانية اذا قيست بالجوانب المعنوية لهـذه الثقافة ، ولهـذا فدراسة التاريخ ليست تحقيقـا فى صحــة الحـوادث وربطـا بين متفرقاتها ، وجمعـا لشتاتها فقط ٠ بل هى تسعى للتعـرف على انسانية الانسان والغوص فى أعماقها واكتشاف ما تنطوى عليه هــذه الانسانية من سمو واستعداد للتضحية وايثار للبساطة والحق والخير والجمال ٠

ولقـد أثبتت الأمة العربية خـلال السنوات القليلة المـاضية أنهـا ما تزال منطوية على فيوض الطاقة التى تحتاج للمجال الحيوى ، وتسعى الى التعبير عن ذاتها تعبيرا ايجابيا صحيحا ٠

لقـد بدأت سير الرجال العرب والمسلمين تنطلق عبر هــذه الفيوض وتنتصب شواهد على هــذه الحقيقة منذ أواسط العقـد الرابع من قرننـا هـذا ، ومع ذلك ففى المكتبة العربية والاسلامية مئات من الرجال لم يرفع عنهم بعد غبار النسيان ، وفى عبقرياتهم كل لون وكل اختصــاص ، ممن اشتركوا فى رفع بنـاء الحضارة العربية الاسلامية ٠ هؤلاء كلهم ينتظرون أن يأتى دورهم ليخرجوا الى الوعى العـربى بالدراســة العلمية والبحث الموضوعى الذى يجب أن يتوفر لكل محقق وباحث ٠

لقـد بدأ النـاس هنا يعيدون النظر فى ماضيهم ٠ بدأوا يرون فى هذا المـاضى بعضا مما يعين على عملية الانطـلاق من جـديد ٠ وبالرغم ممـا أصبحت تزخر به المكتبة الاسلامية من نتاج قيم جعلهـا تضاهى المكتبات الفكرية للمبادىء الأخرى ، فان الكثير الوفير من التراث الاسلامى الفكرى لا زال يدعونا لتقديمه بالأسلوب الحـديث وبالمنهج الحـديث ٠

والتربية عند الشيعة الامامية واحـدة من شرائح التراث الاسـلامى التى لم أعثر فيها على عـدد كاف من الدراسات التحليلية وبدرجة مرضية تكشف عن موقعها فى هـذا التراث ودورها فى حياة الناس أفرادا وجماعات، مع ما قاموا به من نشر الثقافة الدينية والعلوم الاسلامية ، فقد تمكنوا من تخريج عـدد من حملة العلم والحديث ، والمعارف المختلفة ، حسب دراستهم فى تلك المـدارس الاسـلامية وقابليتهم العقلية ٠ فالحـرية والعبودية ، والغنى والفقر ، والعدل والظلم ، والعلم والجهل ، والحرب والسلم ، والنضـال المستمر فى سبيل عالم أفضل لانسـان أفضل ــ حسب تصور الشيعة الامامية ــ هو مدار التربية عندهم ، ولهذا كانت مدارسهم أحـد المصادر التى تفيض على المجتمع الاسلامى بالدراسات والكتابات المختلفة التى غطت مسـاحة كبيرة من الاهتمـامات الفـكرية لجمهـور المفـكرين الاسلاميين(١) ٠

نشـأة التشـيع :

الشيعة لغـة واصطلاحا :

ان لفظ الشيعة كما ورد فى اللغة العربية والقرآن الكريم ، فسر تارة بالاتباع والأنصار ، وأخرى بالمشايعة ــ وهى المتابعة والمطاوعة ــ وان هـذا الاسم قـد غلب على كل من يتولى عليا وأهل بيته عليهم السـلام ، حتى صار اسما خاصا فاذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم(٢) ٠ ففى قاموس المحيط : «وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره ، والفرقة على حدة ، ويقع على الواحـد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ، وقـد غلب هـذا الاسـم على كل من يتولى عليا وأهلبيته حتى صار اسما لهم خاصة »(٣) ٠ وفى المنجـد : « شيعة الرجل : أتباعه وأنصاره ٠٠٠ وقـد غلب هـذا الاسـم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار لهم اسما خاصا ٠ والواحـد شيعى ٠ (شايعه) تابعه ووالاه على أمر »(٤) ٠

---

(١) أنظر الفصل السابع من هـذا البحث ٠

(٢) محمـد حسـين الزين : **الشيعة فى التاريخ** ــ ط ٢ ــ بيروت ــ دار الآثار ١٩٧٩ ــ ص ٢٧ ٠

(٣) مجد الدين الفيروز آباذى : **القاموس المحيط** ــ ج ٣ ــ ص ٤٧ ٠

(٤) لويس معلوف : **المنجـد** ــ ص ٤٢٣ ٠

وجاء فى لسان العرب : « ... والشيعة اتباع الرجل وانصاره ... ويقال شايعه كما يقال والاه من الولى ... وأصل الشيعة الفرقة من الناس ... وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليا وأهل بيته ... حتى صار لهم اسما خاصا ، فاذا قيل : فلان من الشيعة عرف أنه منهم .. وأصل ذلك من المشايعة ، وهى المتابعة والمطاوعة . قال الأزهرى : والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبى (ص) ويوالونهم ... »(٥) . وجاء اسم الشيعة فى الكتاب العزيز فى سورة القصص(٦) « فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه » قال الزمخشرى فى كشافه عند تفسيرها « اى ممن شايعه على دينه من بنى اسرائيل » وفى سورة الصافات(٧) : « وان من شيعته لابراهيم » قال الزمخشرى أيضا فى كشافه ـ أى ممن شايعه على أصول الدين أو شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة الكذابين(٨) .

البذرة الأولى للتشيع :

يختلف الباحثون فى تحديد الوقت الذى نشأ فيه التشيع ، فيذهب البعض الى أن التشيع هو أول مذهب عرف فى الاسلام ، ولقب به أربعة من كبار الصحابة هم : أبو ذر ، وسلمان ، والمقداد بن الاسود ، وعمار بن ياسر . ويميل الى هذا الاتجاه « أحمد أمين » حيث يقول : « وكانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبى (ص) أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه »(٩) . ولهذا يرى « جب وكرامرز » أن رجالات حزب الشيعة البارزين كانوا فى أول الأمر عربا خلصا(١٠) .

---

(٥) ابن منظور : **لسان العرب** ـ ج ٤ ـ ص ٢٣٧٧ .

(٦) القصص : آية ١٥ .

(٧) الصافات : آية ٨٣ .

(٨) محمد حسين الزين : **الشيعة فى التاريخ** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨ .

(٩) أحمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ ط ٩ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ج ٣ ـ ص ٢٠٩ .

(١٠) Gibb and Kramers : **"Shorter Encyclopaedia of Islam."** (Leiden, 1953) P. 536.

« وذلك أن حركة التشيع نشأت على تربة عربية خالصة »(١١) . بالاضافة « الى أن أصول النظرية الامامية بما تتضمنه من النظر الى الدولة نظرة دينية لا دنيوية »(١٢) ، « وقد أوجدها ـ أى حركة التشيع ـ ثوار دينيون رأوا فى على أنه أحق دون غيره بالخلافه ... »(١٣) . ولهذا « كان لعلى شيعة منذ اللحظات الأولى بعد وفاة الرسول »(١٤) . وقد « تشيع يومئذ لعلى جميع بنى هاشم وبنى المطلب ، وانضم اليهم الزبير بن العوام وثلاثة عشر رجلا أو اثنا عشر من المهاجرين والأنصار ... على أن أتباع على كانوا يعرفون بالعلوية فى حياته وبعد مماته مع الدلالة باسم الشيعة أيضا .. »(١٥) . وقد ذهب الى هذا الرأى أيضا الدكتور شوقى ضيف(١٦) . مع أن الذين تشيعوا لعلى فى هذه الفترة أكثر مما ذكر . يقول ابن حجر العسقلانى : « وثبت عن الثورى فيما أخرجه الخطيب بسنده الصحيح اليه ، قال : من قدم عليا على عثمان فقد أزرى على اثنى عشر ألفا مات رسول الله (ص) وهو عنهم راض ... وسبب خفاء أسمائهم أن أكثرهم أعراب ، وأكثرهم حضروا حجة الوداع »(١٧) .

ويذهب بعض آخر الى أن الشيعة لم تظهر الا فى عهد على ، بل لم تظهر بمعناها الفنى الا بعد هذا الوقت بكثير ، بل ذهب آخرون الى أن ظاهرة التشيع ملازمة للقول بالنص ـ وأن القول بالنص والوصية ظهر فى عهد هشام بن الحكم ، وهو العصر الذى عاش فيه الامام الصادق ، فاذن بدء نشوء الشيعة لا يخرج عن أحد هذه الأزمنة التى حددها بعض الباحثين . ولهذا يرى أصحاب هذا الاتجاه كما يذكره « ابن المرتضى » فى كتابه « المنية والأمل » فى قوله : « أما الرافضة فحدث مذهبهم بعد مضى الصدر الأول ولم يسمع عن أحد من الصحابة من يذكر أن النص فى على متوافر ، فان زعموا أن عمارا وأبا ذر والمقداد بن الأسود كانوا سلفهم

(١١ ، ١٢) آدم متز : **الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى** ـ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٧ ـ جـ ١ ـ ص ٣٧ .

(١٣) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة فى الاسلام** ـ ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون ـ القاهرة ـ دار الكاتب المصرى ـ ١٩٤٦ ـ ص ١٧٠ .

(١٤) أحمد شلبى : **التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية** ـ ط ٥ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ـ جـ ٢ ـ ص ١٤٤ .

لقولهم بامامة على ، كذبهم كون هؤلاء لم يظهروا البراءة من الشيخين ، ولا السب لهما ، ألا ترى أن عمارا كان عاملا لعمر بن الخطاب ، وسلمان الفارسى فى المدائن(١٨) · « فالمقياس فى هذا الاتجاه هو كون الشيعة ظهروا حينما أعلنوا البراءة من الخلفاء ، وهو مقياس لا دليل عليه ، يحتاج الى سند يعضده · ولهذا يقول "Gustave" « لقد سبب موت النبى خلافا ونزاعا فيما يتعلق بالخلافة ويصر قسم من المؤمنين أن عليا كان هو الوريث الشرعى الوحيد · أما الأغلبية فقد رفضوا هذا الرأى »(١٩) ·

وهناك اتجاه آخر كما يقول الدكتور أحمد صبحى : « ومن الباحثين من يجعل نقطة البداية فى التشيع زمن النبى نفسه ، يقول محمد الهادى كاشف الغطاء : ان أول من وضع بذرة التشيع فى حقل الاسلام ـ هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية يعنى أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الاسلام جنبا الى جنب وسواء بسواء · ولم يزل غارسها يتعهدها بالسقى والعناية حتى نمت وازدهرت فى حياته ثم أثمرت بعد وفاته ··· » · وفى ذلك يقول الحسنى : « والواقع أن التشيع بما هو فرقة فى مقابل جماعة المسلمين لم يكن قبل وفاة الرسول ، ولكن المبدأ الذى يرتكز عليه التشيع ، وهو نص النبى على استخلاف على (ع) من بعده ، كان بعد ولادة الاسلام وقبل أن يهاجر الرسول من مكة الى المدينة بأكثر من ثمانية أعوام تقريبا · وذلك حينما أوحى اليه : « وأنذر عشيرتك الاقربين » · فكان هذا الموقف البذرة

---

(١٥) أحمد الحوفى : **أدب السياسة فى العصر الأموى** ـ ط ٥ ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٧٩ ـ ص ٢٩ ·

(١٦) شوقى ضيف : **التطور والتجديد فى الشعر الأموى** ـ ط ٥ ـ القاهرة دار المعارف ـ ١٩٧٣ ـ ص ٩١ ·

(١٧) ابن حجر العسقلانى : **الاصابة فى تمييز الصحابة** ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٧١ ـ جـ ١ ـ ص ٣ ·

(١٨) عبد الحكيم بلبع : **أدب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجرى** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٦٩ ـ ص ٣٠ ، ٣١ ·

(١٩) Gustave Evon Grunebaum, "**Medival Islam.**" (Chicago., The universitly of Chicago press, 1953. P. 186.

(٢٠) أحمد محمود صبحى : **نظرية الأمانة لدى الشيعة الاثنى عشرية** ـ القاهرة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٩ ـ ص ٢٩ ·

الأولى للتشيع ۰۰۰ »(۲۱) ۰ ولهـذا يقول النوبختى : « فأول الفـرق : الشيعة ، وهم فرقة على بن أبى طالب عليه السلام المسمون بشيعة على ۰۰ فى زمان النبى (ص) وبعده معروفون بانقطاعهم اليه والقول بامامته منهم : المقداد بن الأسود ، وسلمان الفارسى ، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفارى ، وعمار بن ياسر ، ومن وافق مودته مودة على (ع) وهم أول من سمى باسم التشـيع من هـذه الأمـة ۰۰۰ »(۲۲) ۰ « واذا نفس صـاحب الشريعـة الاسلامية يكرر ذكر شيعة على وبنيه بأنهم هم الآمنون يوم القيامة ، وهم الفائزون والراضون المرضيون ، ولا شك أن كل معتقد بنبوته يصدقه فيما يقول ، وأنـه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ـ فـاذا لم يصر كل أصحاب النبى شيعة لعلى فالطبع والضرورة تلفت تلك الكلمات نظر جماعة منهم وأن يكونوا ممن ينطبق عليه ذلك الوصف بحقيقة معناه لا بضرب من التوسع والتأويل ۰۰ ومن الغنى عن البيان أنه لو كان مراد صاحب الرسالة من شيعة على ومن يحبه أولا يبغضه بحيث ينطبق على أكثر المسلمين ۰۰۰ لم يستقم التعبير بلفظ ، شيعة ، فان صرف محبة شخص لآخر ، أو عـدم بغضه لا يكفى فى كونه شيعة له ، بل لا بد هناك من خصوصية زائدة وهى الاقتداء والمتابعة له ، بل ومع الالتزام أيضا ۰۰۰ »(۲۳) ۰ اذن « الشيعة لغة : الصحب والاتباع ، وفى عرف الفقهاء والمتكلمين أنصار على وبنيـه المتحمسون للدفاع عنهم والعمل على اسناد الخلافة اليهم ۰۰۰ »(۲٤) ۰

يظهر مما تقدم أن الشيعة هم الأتباع والأنصـار ، وأن هـذا اللفظ ظهر فى عهد رسول الله (ص) ۰ ويؤيد ذلك ما جاء فى تفسـير الطبرى عن محمد بن على : « أولئك هم خير البرية » فقال النبى (ص) : « أنت يا على

---

(۲۱) هاشم معروف الحسنى : **الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة** ـ ط ۱ ـ بيروت ـ دار القلم ـ ۱۹۷۸ ـ ص ۲٤ ، ۲٥ ۰

(۲۲) أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى : **فرق الشيعة** ـ ط ۳ ـ النجف ـ ۱۳۸۹ هـ ـ ۱۹٦۹ م ـ ص ۳٦ ، ۳۷ ۰

(۲۳) محمـد حسـين آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة وأصولها** ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ـ بدون تاريخ ـ ص ٤٥ ۰

(۲٤) أحمـد مجـاهد مصباح : **تاريخ الحضـارة الاسلامية والفكر الاسلامى** ـ ط ۲ ـ دار الطباعة المحمدية بالأزهر ـ ۱۹۷۸ ـ ص ۲۳۹ ، وأيضا فيصل بدير عون : **علم الكلام ومدارسه** ـ مكتبة الحرية الحـديثة عين شمس ـ ۱۹۸۲ ـ ص ۷٤ ۰

وشيعتك »(٢٥) • وفى ميزان الاعتدال للذهبى : أن رسول الله (ص) قال : « أما انك يا ابن أبى طالب وشيعتك فى الجنة »(٢٦) • وفى شواهد التنزيل للحاكم النيسابورى عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » قال النبى (ص) لعلى : « هو أنت وشيعتك ، تأتى أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ••• »(٢٧) • وقد أخرج هذه الأحاديث علماء السنة وحفاظهم بألفاظ مختلفة وبطرق كثيرة(٢٨) •

فالتشيع بمقتضى ذلك كان هو القاعدة الأساسية فى الاسلام وليست ظاهرة طارئة عليه ، يقول آل كاشف الغطاء : « ولا أقول : أن الآخرين من الصحابة وهم الأكثر الذين لم يتسموا بتلك السمة ، قد خالفوا النبى (ص)

---

(٢٥) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : **جامع البيان عن تاويل القرآن** ـ ط ٢ ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ـ ج ٣٠ ـ ص ٢٦٥ •

(٢٦) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى : **ميزان الاعتدال فى نقد الرجال** ـ تحقيق على محمد البجاوى ـ ط ١ ـ دار أحياة الكتب العربية ـ ١٩٦٣ ـ ج ٢ ـ ص ١٨ •

(٢٧) عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم النيسابورى : **شواهد التنزيل لقواعد التفصيل** ـ ط ١ ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمى ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٤ م ـ ج ٢ ـ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ •

(٢٨) أنظر أحمد بن حجر الهيتمى المكى : **الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م ـ ص ١٦١ • وأيضا جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : **الدر المنثور فى التفسير بالمأثور** ـ الكاظمية ـ دار الكتب العراقية ـ بدون تاريخ ج ٦ ـ ص ٣٧٩ • وأيضا أبو المظفر الاسفراييني : **التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين** ـ مكتبة الخانجى بمصر ـ ١٩٥٥ ـ ص ٤٤ ، ٤٥ • وأيضا شيخ سليمان البلخى القندوزى : **ينابيع المودة** ـ ط ٢ ـ صيدا مطبعة العرفان ـ بدون تاريخ ـ ج ١ ـ ص ٦١ • وأيضا أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبرى : **الرياض النضرة فى مناقب العشرة** ـ ط ١ ـ محل السادات محمد أمين الخانجى بالاستانة ومصر ـ بدون تاريخ ـ ج ٢ ـ ص ٢٠٩ • وأيضا سبط بن الجوزى ، يوسف بن فرغلى بن عبد الله البغدادى : **تذكرة الخواص** ـ طهران ـ مكتبة نينوى الحديثة ـ بدون تاريخ ـ ص ١٦ ، ١٨ • وأيضا أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى : **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ ط ٣ ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م ـ ج ٣ ـ ص ٦ •

ولم يأخذوا بارشاداته ، كلا ومعاذ الله أن يظن بهم ذلك وهم خيرة من على وجـه الأرض يومئذ ولكن لعل تلك الكلمات لم يسمعها كلهم ، ومن سمع بعضها لم يلتفت الى المقصود منها ، وصحابة النبى الكرام ، أسمى من أن تحلق الى أوج مقامهم بغاث الأوهام »(٢٩) ٠

وهـذا دليل على أن الشيعة ليس من صفاتهم الطعن والسـب فى الصحابة كما توهمه البعض ـ كما مر ـ بأن التشيع نشأ بسبب ذلك ٠ ولهـذا جرى بعض الباحثين المحدثين على دراسة التشيع بوصفه ظاهرة طارئة فى المجتمع الاسلامى ، والنظر الى القطاع الشيعى فى جسم الأمـة الاسلامية بوصفه قطاعا تكون على مر الزمن ، ونتيجة لأحداث وتطورات اجتماعية أدت الى تكوين فكرى ومذهب خاص بجزء من ذلك الجسم الكبير ثم اتسع الجزء بالتدريج ٠

فالتشيع اذن لا يمكن أن يتجزأ الا اذا فقـد معناه كأطروحة لحمـاية مستقبل الدعوة بعد النبى (ص) وهو مستقبل بحاجة الى المرجعية الفكرية والزعـامة الاجتماعية للتجربة الاسلامية ، ومن هنـا فان بعض الباحثين يحاول التمييز بين نحوين من التشيع : أحدهما التشيع الروحى ، والآخر التشيع السياسى ، ويعتقد أن التشيع الروحى أقـدم عهـدا من التشيع السياسى ، وأن أئمة الشيعة الامامية من أبناء الحسين عليهم السلام قـد اعتزلوا بعد مذبحـة كربلاء السياسة وانصرفوا الى الارشـــاد والعبادة والانقطاع عن الدنيا ، مع أن التشيع لم يكن فى يوم من الأيام منذ ولادته مجرد اتجاه روحى بحت ، وانما ولد التشيع فى أحضان الاسلام بوصفه أطروحة مواصـلة الامام على للقيـادة بعد النبى (ص) فكريا واجتماعيـا على السـواء(٣٠) ٠

« اذن فجذور التشيع كانت موجودة حتى فى حياة النبى ، فلما بويع الامام على بالخلافة برزت الفكرة نضالية وأرست أسسها فى واقعة الجمل ، وفى معركة صـفين ، وتبلورت ذات نظـام فكرى فى أواخر الدولة الأموية

---

(٢٩) آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٦ ٠
(٣٠) السـيد محمـد باقر الصـدر : **بحث حول الولاية** ـ ط ٢ ـ دار التعـارف ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ـ ص ٩٠ ٠

وأوائل الدولة العباسيه واصبح لها مباحثها العقلية والمنطقية ، وأصبح التشيع نظاما اسلاميا وفكرة وعقيدة لها فلسفتها وفقهها »(٣١) ٠

نشأة التشيع والقول بالنص والوصية :

هناك اتجاه من بعض الباحثين يذهب الى أن أصل نشوء التشيع هو عند نشوء القول بالنص والوصية ، وهـذا الاتجاه يعزى الى أن النشأة الأولى كانت فى زمن هشام بن الحكم ٠ يقول الدكتور عمارة : « أما الأمر الذى يميز الشيعة عن غيرهم فهو عقيدة (النص والوصية) واذا كان التأريخ لنشأة « البكرية » أو « الراوندية » لا بد أن يرتبط بادعاء طلائع هذه الفرق، وزعمهم بالنص على أبى بكر ، والعباس بن عبد المطلب ، فكذلك التأريخ لنشأة الشيعة مقترن بالفترة الزمنية التى نشأت فيها عقيدة النص ودعوى الوصية من الرسول الى على بن أبى طالب ٠ ومن هنا كان صوابا ما ذهب اليه المعتزلة عندما قالوا : ان فترة امامة جعفر الصادق ، وهى التى نهض فيها هشام بن الحكم بدور واضع ومهندس بنـائه الفكرى ، هى الفترة التى يؤرخ بها لهـذه النشـأة ، فالقول بالوصية لم يعرف قبل هشـام ابن الحـكم ، وهو الذى ابتدع هـذا القول ، ثم أخذه عنه معاصروه ومن أتوا من بعده »(٣٢) ٠ ويقول أيضا : « الذين قالوا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أوصى بالامامة من بعده لعلى بن أبى طالب ٠٠٠ وأن طريق الامامة والسلطة العليا محصـورة فى « الوصية » ٠٠٠ ولا دخل فى ذلك للارادة الانسانية ولا اختيار فى هذا الأمر للناس ٠٠٠٠ ولقد أنكر المعتزلة هـذا الفكر وحاربوه ، لأنهم رأوا فى القول بالوصـية ما يسلب الحرية الانسـانية والاختيار فعاليتها ومضمونهما فى مسـألة من أهم المسـائل المتعلقة بتنظيم حياة الانسان ، ورأوها وصاية متوهمة تلغى أثر الانسان وقدرته على اختيار السلطة العليا فى المجتمع الذى يعيش فيه »(٣٣) ٠

---

(٣١) روكس بن زائد العزيزى : **الامام على** ـ النجـف ـ مطبعـة النعمان ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ـ ص ١٣٠ ، ١٣١ ٠

(٣٢) محمـد عمـارة : **الاسـلام وفلسفة الحكم** ـ ط ٢ ـ بيروت ـ المؤسسة العربية ـ ١٩٧٩ ـ ص ١٥٨ ، ١٥٩ ٠

(٣٣) محمـد عمـارة : **المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية** ـ ط ١ ـ بيروت ـ المؤسسة العربية ـ ١٩٧٢ ـ ص ١٨٦ ، ١٨٧ ٠

ان المتتبع لآراء المعتزلة فى خصوص هـذه المسألة يرى خلاف ما ذهب اليه الدكتور عمارة · فقد ذهب أكثر المعتزلة ، بل جلهم الى القول بالنص ، وان النبى نص على على بن أبى طالب · ولهـذا « يرى الدكتور نصرى أن فئة قليلة من المعتزلة هى التى كانت ترى رأى أهل السـنة فى القول ان الامامة بالاختيار ويحـدد أفرادها بالاسم وهم واصل بن عطاء وأبو بكر الأصم وهشـام الفوطى والجبائى وابنه أبو هاشم ، وان باقى المعتزلة كانوا على رأى قريب من رأى الشـيعة الامامية ، وهم جميع معتزلة فرع بغـداد ومعتزلة فرع البصرة غير السابقين ـ اذ قالوا لا امامة الا بالنص والتعيين ، ويـرى الدكتـور ألبير نصرى ، أن هـذا كان رأى الأكثريـة منهم »(٣٤) · مع أن الشهرسـتانى ذكر فى الملل والنحـل ـ أن معظم المعتزلة يذهبون الى القول بوجود النص الجلى ، يقول النظـام : « أولا لا امامة الا بالنص والتعيين ظاهرا مكشوفا · وقد نص النبى (ص) على على (رضى) فى مواضع وأظهره اظهارا لم يشتبه على الجماعة »···(٣٥) ووافقه الاسوارى فى جميع ما ذهب اليـه وكذلك أبو جعفر الاسـكافى ، وأصحابه من المعتزلة ، والجعفريان : جعفر بن مبشر ، وجعفر بن حرب ، وكذلك محمد بن شبيب ، وأبو شـمر ، وموسى بن عمران من أصـحاب النظام · وكذلك الخابطية أصحاب أحمد بن خابط والحديثيـة أصـحاب الفضل الحديثى(٣٦) ·

ثم أن القول بالوصية والنص لا يلزمه القول بسلب حرية الانسان واختياره ما دامت الشريعة الاسلامية واضحة وكاملة ، وقد تمت أحكامها فى عصر الرسول (ص) ولهـذا يجب النزول عندها ومتابعتهـا ، فليس

---

(٣٤) أحمـد محمود صبحى : **نظرية الامامة لدى الشيعة** ـ مرجع سـابق ـ ص ـ ٤٤٥ ـ ·

(٣٥) الشهرستانى : **الملل والنحل** ـ تحقيق محمـد سيد كيلانى ـ مطبعة مصطفى البابى بمصر ـ ١٩٦١ ـ ج ١ ـ ص ٥٧ ·

(٣٦) المصـدر السابق : ص ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ · وأيضا زكى نجيب محمـود : **المعقول واللامعقول فى تراثنـا الفـكرى** ـ ط٢ ـ بيروت ـ دار الشروق ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٤٥ · وأيضا محمد على أبو ريان : **تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام** ـ الاسكندرية ـ دار الجامعات المصرية ـ ١٩٧٤ ـ ص ١٧٨ ·

للانسان حق الاختيار فى الأحكام والتكاليف الا اذا قلنا أن الانسان حر مختار فى اختيار الأحكام التى تناسبه ، فعلى هذا ، فلا حاجة لنا بارسال الرسل لأنهم يحدون من حرية الانسان · ولما كانت السلطة العليا هى مجرد أداة لتنفيذ الأحكام الثابتة فى الشريعة والملزمة لكل مكلف ، سواء أكان وجود السلطة بالاختيار أم بالنص ، فلا دخل لحرية الارادة هنا ما دام الحاكم أو الامام هو المنفذ لا غير · ولما كانت الشريعة الاسلامية صالحة لكل العصور ، وأحكامها لا تتغير ولا تتبدل فلا بد وأن يكون القيم عليها عالما بها وحافظا لها من التغيير ، والحافظ لها لا بد وأن يكون منصوبا من قبل الشارع · وعلى هذا يقدم الشيعة العديد من الأدلة والأسانيد والنصوص يقيمون عليها مذهبهم فى قيام التشيع على النص والوصية لا يتسع المجال هنا لذكرها(٣٧) ·

أهمية بحث الجانب التربوى للشيعة :

كان الجهد الأكبر للأئمة من أهل البيت موجها الى تهذيب النفوس وبناء الشخصية السوية عن طريق تربية صالحة رسمها الله سبحانه ، فكانوا مع كل من يواليهم يبذلون قصارى جهدهم فى تعليمه الأحكام الشرعية وتلقينه المعارف المحمدية ، ويعرفونه ما له وما عليه ·

ولا يعتبر الأئمة الرجل تابعا وشيعة لهم الا اذا كان مطيعا لأمر الله مجانبا لهواه أخذا بتعاليمهم وارشاداتهم · ولا يعتبرون حبهم وولاءهم منجاة الا اذا اقترن بالأعمال الصالحة وتحلى الموالى لهم بالصدق والأمانة والورع والتقوى ، بل هم يريدون من أتباعهم أن يكونوا دعاة للحق وأدلاء على الخير والرشاد ، ويرون أن الدعوة بالعمل أبلغ من الدعوة

---

(٣٧) أنظر أمير محمد الموسوى القزوينى : **أصول المعارف** ـ ط ١ ـ صيدا ـ مطبعة العرفان ـ بدون تاريخ · وأيضا عبد الحسين شرف الدين : **المراجعات** ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمى ـ بدون تاريخ · وأيضا : الشيخ مرعى الأمين الانطاكى : **لماذا اخترت مذهب الشيعة** ـ ط ٣ ـ حلب ـ مؤسسة الوفاء ـ بدون تاريخ · وأيضا حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية للفكر السياسى الاسلامى** ـ رسالة دكتوراه ـ غير مطبوعة ـ جامعة القاهرة ـ قسم العلوم السياسية ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ·

باللسان(٣٨) • « كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم ، ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع » كما يقول الامام الصادق(٣٩) •

وعلى هـذا أخـذ أئمة أهل البيت على أنفسهم أن يقوموا بمهمة بناء الشخصية الشيعية ، لكى تتحقق فيه المواصفات التى يريدون أن يتصف بهـا ، والا خرج عن كونه مواليـا وتابعـا لهم • وفى ذلك يقـول الامام محمد الباقر : « ما شيعتنا الا من اتقى الله وأطاعه ، وما كانوا يعرفون الا بالتواضع والتخشع وأداء الأمانة وكثرة ذكر اللـه والصوم والصـلاة والبر بالوالدين وتعهد الجيران من الفقراء وذوى المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس الا من خير وكانوا أمناء عشـائرهم فى الأشـياء »(٤٠) • حتى قال فيهم الذهبى فى ميزان الاعتـدال : •• على أن التشـيع فى التـابعين وتابعيتهم كثـير مع الدين والورع والصدق(٤١) •

هـذه المواصفات التى أشار اليها الامام الباقر ، هى أساس بنـاء الشخصية الانسانية لترتفع بها نحو السـمو ، ويلاحظ فيهـا المؤشرات التربوية الأخلاقية التى يقوم عليها بناء الفرد والمجتمع • وهـذا ما أشـار اليه الامام جعفر الصادق فى وصيته لتلاميذه وشيعته فى قوله لعبد الله ابن جندب : « يا ابن جندب بلغ معاشر شيعتنا وقل لهم : لا تذهبن بكم المذاهب فوالله لا تنال ولايتنا الا بالورع والاجتهاد فى الدنيا ومؤاساة الاخوان فى الله وليس من شيعتنا من يظلم الناس ••• »(٤٢) •

---

(٣٨) الشيخ محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ــ بدون معلومات ــ ص ٩٤

(٣٩) أبو الحسن ورام بن أبى الفوارس الاشترى : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** ــ المعروف بمجموعة ورام ــ ط ٣ ــ المطبعة الحيدرية فى النجف الاشرف ــ ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م ــ جـ١ ــ ص ١١ •

(٤٠) أبو محمـد الحسن بن على بن الحسين بن شعبة الحرانى : **تحف العقول عن آل الرسول** ــ النجف الاشرف ــ المطبعـة الحيـدرية ــ ١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٥ م ــ ص ٢١٦ ــ من علماء القرن الثالث الهجرى •

(٤١) الذهبى : **ميزان الاعتدال** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ٤ •

(٤٢) الحرانى : **تحف العقول** ــ مرجع سابق ــ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ •

قال رجل للحسن بن على بن أبى طالب : « انى من شيعتكم . فقال الحسن بن على : يا عبد الله ان كنت لنا فى أوامرنا وزواجرنا مطيعا فقد صدقت ، وان كنت بخلاف ذلك فلا تزد فى ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها ... وقال رجل للحسين بن على ، يا ابن رسول الله أنا من شيعتكم قال : اتق الله ولا تدعين شيئا يقول الله لك : كذبت وفجرت فى دعواك ان شيعتنا من سلمت قلوبهم من كل غش ودغل ... »(٤٣) .

وعن أبى اسماعيل قال : « قلت لأبى جعفر ـ يعنى الامام محمد الباقر ـ جعلت فداك ان الشيعة عندنا لكثيرة فقال : هه يعطف الغنى على الفقير ويتجاوز المحسن عن المسيىء ويتواسون ، فقلت : لا ، فقال ليس هؤلاء شيعة ، الشيعة من يفعل ذلك » . وعن اسحاق بن عمار قال : دخلت على أبى عبد الله (ع) فنظر الى بوجه قطب بل قال : قاطب ، قلت : ما الذى غيرك لى ، قال : الذى غيرك لاخوانك ، بلغنى يا اسحاق انك أقعدت ببابك بوابا يرد عنك فقراء الشيعة فقلت : جعلت فداك انى خفت الشهرة ، قال : أفلا خفت البلية ، أما علمت أن المؤمنين اذا التقيا فتصافحا أنزل الله عز وجل الرحمة عليهما .. »(٤٤) الى غير ذلك من الوصايا والارشادات التى قام بها أئمة الشيعة لبناء شخصية الفرد والمجتمع . وقد اقتصر الباحث على نبذة منها ، ليتضح مدى اهتمام الشيعة وأئمتهم بالتربية منذ القرن الأول للهجرة وأوائل القرن الثانى .

التركيب العقائدى للتربية عند الشيعة :

ان كل مسيرة واعية لا بد أن يكون لها هدف ، وكل حركة حضارية لا بد أن تكون لها غاية تسعى الى تحقيقها ، وكل مسيرة وحركة هادفة تستمد وقودها وزخم اندفاعها من الهدف الذى تسير نحوه ، وتتحرك الى تحقيقه .

---

(٤٣) ورام : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٤٤) المصدر السابق : ص ١٩١ . وأيضا : أبو جعفر محمد بن على ابن الحسين بن بابويه القمى ـ المعروف بالصدوق : **الخصال** ـ بيروت ـ دار التعارف ـ ١٣٨٩ هـ ـ جـ ١ ـ ص ١٠٣ ـ المتوفى سنة ٣٨١ هـ .

والحقيقة أن الهدف الذى يضمن للتحرك الحضارى للانسان أن يواصل سيره واشعاعه باستمرار ، هو الهدف الذى يقترب منه الانسان باستمرار ويكتشف فيه كلما اقترب منه آفاقا جديدة وامتدادات غير منظورة تزيد الاشعاع اتقادا والحركة نشاطا والتطور ابداعا ٠

وهنا يأتى دور التربية الاسلامية لتتجه الى (اللـه) فتجعله هدفا للمسيرة الانسانية وتطرح صفات اللـه كمعالم أساسية لهـذا الهـدف الكبير ٠ فالعدل والعلم والقدرة والقوة والرحمة والجود وحرية الارادة ، تشكل بمجموعها هـدف المسيرة للجماعة البشرية الصالحة ٠ وكلما اقتربت خطوة نحو هـذا الهدف وحققت شيئا منه انفتحت أمامها آفاق أوسع ، وازدادت عزيمة لمواصلة الطريق ، لأن الانسان المحدود لا يمكن أن يصـل الى اللـه المطلق ، ولكنه كلما توغل فى الطريق اليه اهتـدى الى جـديد وامتد به السبيل سعيا نحو المزيد ٠

ومن هنا نلاحظ أن انسان الدولة الاسلامية الذى انطلق فى مطلع تاريخ هـذه الأمة لكى يصنع التاريخ من جديد لم تنطفىء الشعلة فى نفسه طيلة المـدة التى كان الله تعالى هدفه الحقيقى فيهـا ، بل كان يستمد من العدل المطلق الذى يمثله هـذا الهدف العظيم وقود معركته التى لا تنتهى ، وتحركه لبنـاء مجتمع عادل لا يخمد ضـد ظلم الظالمين وجبروت الطغـاة وتحرير المظلومين ، وهـذا يعنى أن العدل المطلق لا ينفد وأن الهدف المطلق يظل دائما قادرا على التحريك والعطاء(٤٥) ٠

والتركيب العقائدى للتربية الاسلامية عند الشيعة ، يقوم على أساس الايمان باللـه وصـفاته ، ويجعل من اللـه هدفا للمسـيرة وغاية للتحرك الحضـارى الصـالح على الأرض ، ومن ثم فهو يمد الحركة الحضـارية للانسان بوقود لا ينفد ٠

« وتاريخ الاسلام فى تجربته الفريدة أكبر شـاهد على ذلك ، فقد استطاع الاسـلام بما أعاده للانسـان من حرية وكرامة أن يهيىء المنـاخ

---

(٤٥) محمد باقر الصدر : **منابع القدرة فى الدولة الاسلامية** ــ مجلة صوت الأمة ــ العدد الرابع ــ السنة الأولى ــ رجب ــ ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م وزارة الارشاد فى جمهورية ايران الاسلامية ــ ص ٢٠ ٠

المناسب للنمو والابداع لكل انسان بقطع النظر عن عرقه ونسبه ومركزه وحاله ، واستطاع عدد كبير ممن كانوا عبيدا أو أشباه العبيد فى مجتمعات الجاهلية أن يكونوا من قادة البشرية الأكفاء ونوابغها المبدعين فى مختلف مجالات الحياة الفكرية والسياسية والعسكرية وذلك لأن النمو الصالح للفرد فى الدولة الاسلامية لا يحدده أى اعتبار سوى قدرات الفرد وقابلياته الخاصة »(٤٦) ٠

وقد استهدف الاسلام قبل كل شيء ربط الانسان بربه ومعاده ، فمن الناحية الأولى ربط الانسان بالاله الواحد الحق ، الذى تشير اليه الفطرة وأكد وحدانية اللـه وشدد على ذلك لكى يقضى على كل ألوان التأله المصطنع حتى جعل كلمة التوحيد « لا اله الا اللـه » شعاره الرئيسى(٤٧)٠ وعلى هذا الأساس يستطيع الانسان أن يجزم بأن هذه العبودية للـه هى أساس التحرر الانسانى ، لأن العبودية والتجرد لله ، لو صدقت ، فسوف تحرر الانسان من كل حاجة من حاجات الدنيا(٤٨) ٠

ولما كانت النبوة هى الوسيط الوحيد المباشر بين الخلق والخالق فشهادة هذه النبوة بوحدة الذات الالهية وارتباطها بالاله الواحد الحق تعتبر أساسا كافيا لاثبات التوحيد ٠ ومن الناحية الثانية ربط الانسان بالمعاد لكى تكتمل بذلك الصيغة الوحيدة القادرة على علاج التناقض والتى تحقق العدل الالهى فى نفس الوقت(٤٩) ٠

فالايمان بالله سبحانه ، والاقرار بوحدانيته ، والاعتراف باطلاعه على أعمال العباد ، وخوف المؤمن من جزاء اللـه العادل ، هو الحجر

---

(٤٦) المصدر السابق : ص ٢١ ٠

(٤٧) محمد باقر الصدر : **موجز فى أصول الدين** ـ مطابع صوت الخليج ـ بدون تاريخ ـ ص ٧٣ ٠

(٤٨) عبد الغنى عبود : **فى التربية الاسلامية** ـ ط ١ ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ ـ ص ٥٨ ٠

(٤٩) محمد باقر الصدر : **موجز فى أصول الدين** ـ مرجع سابق ـ صـ ٧٣ ٠

الأساسى فى التربية الاسلامية(٥٠) • « فالذى لا يؤمن بالحياة الآخرة ، ينظر الى المجتمع أو النظام الذى يحقق له سعادة الحياة الدنيا ، أما الفرد المسلم المؤمن بالاسلام والملتزم بالعقيدة الاسلامية ويرغب فى الممارسة الاسلامية يحلم بالمجتمع الذى يمكنه من تلك الممارسة ، ومن الدعوة أو التوجيه لتحقيقها للآخرين وبالتالى ايجاد المجتمع الملتزم وليس الفرد الملتزم »(٥١) • ولهذا استطاعت دعوة الاسلام القائمة على التوحيد أن تؤثر فى نفس لانسان وتغير من شكل الحياة(٥٢) •

وأما حينما تتخذ الدنيا طريقا للآخرة • أى أداة ينمى الانسان فى اطار خبراتها وجوده الحقيقى وعلاقته بالله وسعيه المستمر نحو المطلق فى عملية البناء والابداع والتجديد ، فان الدنيا تتحول فى هذه النظرة العظيمة من كونها مسرحا للتنافس والتكالب على المال الى مسرح للبناء الصالح والابداع المستمر • هذا التركيب العقائدى الذى تملكه التربية الاسلامية ممثلا فى تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال وارشادات أئمة أهل البيت وعلمائهم التى تحدد المعالم العامة لأخلاقياته(٥٣) ، حسب النظرة الشيعية •

وتقوم المدلولات التربوية فى التركيب العقائدى للانسان بأدوار عظيمة فى تنمية كل الطاقات الخيرة لدى الانسان وتوظيفها لخدمة الانسان• ان أى بناء حضارى جديد لمجتمعات التخلف هذه اذا كان يستهدف وضع أطر سليمة لتنمية الأمة وتعبئة طاقاتها وتحريك امكاناتها للمعركة ضد التخلف ، فلا بد لهذا البناء عند اختيار الاطار السليم أن يدخل فى الحساب مشاعر الأمة ونفسيتها وتركيبها العقائدى والتاريخى • ولهذا فنحن حين

---

(٥٠) أحمد فؤاد الاهوانى : **التربية فى الاسلام** ـ القاهرة دار المعارف ـ بدون تاريخ ـ ص ١٢ •

(٥١) حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨١ •

(٥٢) أحمد بهجت : **الله فى العقيدة الاسلامية** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ المختار الاسلامى ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ـ ص ١٥٨ •

(٥٣) انظر محمد باقر الصدر : **منابع القدرة فى الدولة الاسلامية** ـ مرجع سابق ص ٢٢ ، ٢٣ •

نريد أن نختار منهجا أو اطارا عاما لبناء الأمة واستئصال جذور التخلف منها • يجب أن نأخذ هـذه الحقيقة أساسا ونفتش فى ضوئها عن مركب حضارى قادر على تحريك الأمة وتعبئـة قواها وطاقاتها للمعـركة ضـد التخلف(٥٤) • ولن تستطيع أى تربية أن تقدم هـذا المركب الحضارى لانسان العالم الاسلامى سوى التربية الاسلامية التى تتخذ من الاسلام أساسا لعملية البناء واطارا لنظامها التربوى والاجتماعى •

اننا نلاحظ أن الاتجاه الموجود فى التربية هو محاولة رسم الخطوط العامة للاسـلام فى ذهنية الانسـان المسلم نحو المفاهيم الواسـعة ، والأهـداف الكبرى للعقيـدة كطريق من طرق تركيز العقيدة فى حيـاته وايضاح المفاهيم فى فكره ، ولكن هناك نقصا فى هـذا الاتجـاه ، وهو فقدانه لعنصر التدريب على ممارسة هـذه المفاهيم فى مجالها التطبيقى ، واغفاله تحـديد الوسـيلة فى الاتجاه نحو الغـاية للتنفيذ ـ بين الطرق المتعددة والمعالم المختلفة ، فالممارسة العملية لكل ما تمثله هـذه المفاهيم ـ فى المجال التربوى ـ سبيلا للحصول على الشخصية القوية التى لا تنحرف ازاء الاغراء ، ولا تضعف أمام التحديات ، وتجابه الحياة بقوة رائدة ، وبروح تؤمن بأن طريق القرب الى اللـه يمر بالاقبـال على خـدمة الناس وبناء الحياة العملية على أسس سليمة ثابتة لا يتوقف عند العزلة الحالمة التى تجتر أشواقها وآمالها فى الجنة(٥٥) •

« ان الايمان باللـه ••• يضع يدنا على معرفة المصدر الأول الذى صدر عنه الكون ••• والايمان باليوم الآخر ••• يحقق المعرفة بمصير الوجود ••• ويضع يدنا على النهاية التى ينتهى اليهـا الكون »(٥٦) • وتطبيق مبادىء العقيدة هو جزء مكمل لظاهرة الانتماء الصحيح ، اذ لا يمكن فصل الاسلام أو المسلم عن الايمان والالتزام والعمل ، لأن أى فصل هو انحراف عن واقع الاسلام • ولهـذا كانت التربية العقيدية « خطوة أخرى

---

(٥٤) المصدر السابق : ص ٢٣ •

(٥٥) محمد حسين فضل الله : **خطوات على طريق الاسلام** ـ ط ٢ ـ بيروت ، دار التعارف ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م ـ ص ٥٥ •

(٥٦) أحمد بهجت : **الله فى العقيدة الاسلامية** ـ مرجع سـابق ـ ص ٨٣ •

خطاها الدين فى تربية الانسان ، كانت أروع الخطوات ، وهى « التوحيد » . لقد مضى يحطم بالتوحيد كل حاجز بين الانسان وبارئه »(٥٧) . وعلى هذا فالمتعلم بشر أهم ما فيه عقيدته الدينية وسلوكه الخلقى ، ومن هنا يجب أن توضع العقيدة والسلوك فى المحل الأول(٥٨) ، فى التربية الاسلامية .

ولكن الايمان كغريزة لا يكفى ضمانا لتحقيق الارتباط بالله سبحانه بصيغته الصالحة ، لأن ذلك يرتبط فى الحقيقة بطريقة اشباع هذه الغريزة واسلوب الاستفادة منها ، كما هى الحال فى كل غريزة أخرى ، فان التصرف السليم فى اشباعها على نحو مواز لسائر الغرائز والميول الأخرى ومنسجم معها هو الذى يحقق المصلحة النهائية للانسان . كما أن السلوك وفقا لغريزة أو ضدها هو الذى ينمى تلك الغريزة ويعمقها أو يضمرها ويخنقها ، فبذور الرحمة والشفقة تموت فى نفس الانسان من خلال سلوك سلبى ، وتنمو فى نفسه من خلال التعاطف العملى المستمر مع البائسين والمظلومين والفقراء ، ومن هنا كان لا بد للايمان بالله والشعور العميق بالتطلع نحو الغيب والانشداد الى المطلق ، من توجيه يحدد طريقة اشباع هذا الشعور ، ومن سلوك عملى يعمقه ويرسخه على نحو يتناسب مع سائر المشاعر الأصلية فى الانسان . وبدون توجيه قد ينقلب هذا الشعور ويمنى بألوان الانحراف ، كما وقع ذلك بالنسبة الى الشعور الدينى غير الموجه فى أكثر مراحل التاريخ . وبدون سلوك موجه ومعمق ، قد يزول هذا الشعور ولا يعود الارتباط حقيقة فاعلة فى حياة الانسان وقادرة على تفجير طاقاته وامكاناته الصالحة(٥٩) .

« والدين الذى طرح شعار (لا اله الا الله) ودمج فيه بين الرفض والاثبات معا هو الموجه والعبادات هى التى تقوم بدور التعميق لذلك

---

(٥٧) سعيد اسماعيل على : **فلسفة التربية الاسلامية** ــ دراسات فى فلسفة التربية ــ القاهرة ــ عالم الكتب ــ ١٩٨١ ــ ص ٨٢ .

(٥٨) حسان محمد حسان : **فلسفة التربية** ــ المصدر السابق ــ ص ٤٧ .

(٥٩) محمد باقر الصدر : **موجز فى أصول الدين** ــ مرجع سابق ــ ص ٨٨ .

الشعور ، لأنها تعبير عملى وتطبيقى لغريزة الايمان ، وبها تنمو هـــذه الغريزة وتترسخ فى حيــاة الانسان ٠

وقد نجحت هـذه العبادات فى المجال التطبيقى فى تربية أجيال من المؤمنين ، على يد النبى (ص) والقادة الأبرار من بعده ، الذين جســدت صلاتهم فى نفوسهم رفض كل قوى الشر وهوانها ٠٠٠ »(٦٠) ٠

« والعبادات تقوم بدور كبير فى هـذه التربية الضرورية ، لأنها ٠٠٠ أعمال يقوم بها الانسان من أجل اللــه سبحانه وتعالى ٠٠٠ فالعمل فى سبيل اللــه ومن أجل اللــه هو العمل من أجل الناس ولخير الناس جميعا ، وتدريب نفسى وروحى مستمر على ذلك ٠٠٠ ولهـذا اهتم الاسلام بالتربية على القصد الموضوعى وربط بين قيمة العمل ودوافعه »(٦١) ٠ « ومن هنا جاءت الشريعة ووزعت العبادات على مختلف حقول الحيــاة وحثت على الممارسة العبادية »(٦٢) ٠

مشـكلة البحث :

تتحدد أبعاد المشكلة وتتبلور معالمها بالسؤال التالى :

اذا كان للشيعة الامامية اتجاههم الفكرى ، الذى يتمثل فى الأركان الخمسة (التوحيد ـ النبوة ـ العدل ـ الامامة ـ المعاد) فالى أى حد نجحوا أيضا فى ابراز معالم تربوية تتفق وهـذا الاتجاه الفكرى ؟ ٠ ويترتب على ذلك طرح تساؤلات فرعية مثل :

١ ـ ما المؤثرات التى لعبت دورا فعــالا على ما ســاقوه من آراء تربوية واجتهادات فلسفية ؟ ٠

٢ ـ ما المعالم العامة للاتجاه المذهبى لدى الشيعة الامامية ؟

٣ ـ ما موقف الشيعة الامامية من بعض قضايا التربية والتعليم ؟

---

(٦٠) المصــدر السابق : ص ٨٨ ، ٨٩ ٠
(٦١) المصــدر السابق : ص ٩١ ، ٩٢ ٠
(٦٢) المصــدر السابق : ص ١٠٠ ٠

٤ ـ الى أى حد استطاعت آراؤهم أن تجد سبلا للتطبيق فى الواقع التعليمى الاســلامى ؟ ٠

٥ ـ الى أى حد أثرت آراء الشيعة الامامية فى الفكر الاســلامى والثقافة الاسلامية ؟ وما موقف مفكرى الاسلام من هــذه الآراء ؟ ٠

اهميــة البحث :

تشكل المساحة الزمنية التى يشغلها المفكرون على خريطة التاريخ مقدار ما يحتلونـه من أهميــة ، وكذلك مدى التأثير على مجرى الأحــداث وحركة التاريخ والدارس لتطور المجتمع الاســلامى يستطيع أن يستنبط تلك الحقيقــة القائلة بأن الشــيعة الامامية قد تواجدوا طوال التــاريخ الاسلامى وفى كثير من المجتمعات ٠ بل أسسوا دولا كبرى أبرزها دولة الفاطميين فى مصر مما يظهر لنا ضرورة دراسة الأسس الفكرية التى قاموا عليها والآراء والجهود التربوية التى صدرت عنهم ٠

حــدود البحث :

يتنـاول هــذا البحث ما يلى :

١ ـ الحد الزمنى :

أما من حيث الزمن فيكون البحث مقتصرا على الفترة ما بين ظهــور الشيعة الامامية حتى أواخر القرن الخامس الهجرى ٠

٢ الحد الموضوعى :

أما من حيث الموضوع فيشمل الآراء الفلسفية والتربوية عند الشيعة الامامية وخاصــة من خلال أقوال وأفعال أئمتهم دون أن نتناول وجهــة النظر الأخــرى التى لا ترى ما يرون ولا تتجــه وجهتهم لأن ذلك يخرج البحث عن نطاقه ، كما أنه يحتاج الى بحث آخر مستقل ، وبطبيعة الحال ، فان ما يراه فريق لا يلزم من لا يسير على نفس طريقه ٠

منهــج البحث :

يتبع فى هــذه الدراسة المنهج التاريخى باعتباره المنهج الذى يرجع اليه في تحليل ظروف العصر ، كما يبرز الاتجاهات السياسية والاجتماعية

والثقافية والخلقية للمجتمع الاسلامى فى ذلك العصر ومدى تأثيرها على الفكر الشيعى الامامى ٠

كما أن دراسة الآراء والأفكار التربوية لدى الشيعة الامامية تحتاج الى تحليل وتصنيف والخروج بتعميمات وذلك عن طريق استقراء واستنباط مما يحتم الاستعانة بالمنهج الفلسفى التحليلى ٠

بالاضافة الى أن الأدلة التى يعرضها الفكر الشيعى من خلال نصوص القرآن الكريم ، اعتمدت على مراجع التفسير لدى أهل السنة فى ضخ المزيد من القناعة فى الأجواء المنطقية لأى حوار أو مناقشة فى هذا المجال ٠ مع الاعتماد على أقوال الصحابة الذين عاصروا ظاهرة التشيع من مصادر سنية معتمدة وذلك أقوى للاقناع فى مقام الاثبات ، لأن الظاهرة التى ينكرها البعض اذا توافرت لديه الأدلة المقنعة لاثباتها من طرقه كانت نصا يجب الأخذ بها والتسليم بمدلولها ٠

وهناك وجهان لاثبات ظاهرة التشيع ، أحدهما يشير الى واقع وجودية الظاهرة التى يكون الباحث بصدد بحثها فى كتب أهل السنة ٠ وهى أدلة على الواقع الحقيقى الذى تعيشه الظاهرة ، والوجه الآخر هو الظاهرة كما هى من خلال مؤلفات أتباعها ٠ وعلى سبيل المثال : أدلة العقائد التى يتمسك بها الشيعة فى كتب أهل السنة ومؤشراتها من خلال مؤلفاتهم ، ثم واقع تلك العقائد فى مؤلفات الشيعة أنفسهم ٠ ان الأدلة الظاهرة فى كتب أهل السنة هى لمحات ومنافذ وأدلة لأصول العقيدة واثباتها واثبات صحة متابعة تلك الأصول ٠

ان تأصيل ودراسة نشأة التشيع فى الاسلام بين كل من الصياغات النصية للسنة النبوية ، وشرح القرآن الكريم وتفسيره ، وروايات التاريخ وما يكتنفها من مشاكل ومهمات يستوجب تسليط الأضواء عليها فى محاولة لتحقيق واثبات هذه الظاهرة ، واثباتها لا بد أن يؤخذ من مصادر سنية لتكون أدل على اثبات هذه الظاهرة من المصادر الشيعية ٠ ولهذا يكون الغرض فى تحديد مهمة الاستيعاب وعملية بناء الاطار الفكرى السليم لمهمة التأصيل قائمة على المنهج العلمى السليم ٠ وبالتالى يكون المنطق العلمى أحد عناصر دراسة هذه الظاهرة من جوانبها المختلفة ٠ ويكون الدافع

هو التوجه السليم لتحقيق مبادىء الالتزام المترابطة لهذا البحث • وهى محاولة البلوغ الى الواقع من أيسر طرقه وأسلمها • وهى لا تتضح عادة الا بعد عرض مختلف وجهات النظر فيها وتقييمها على أساس موضوعى(٦٣) •

ان التنكر لكثير من النصوص التى وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية من بعض الباحثين ، ومحاولة توهينها ، أدى الى ذهاب الكثير من الحقائق ومخالفة الشريعة الاسلامية بعد وفاة النبى (ص) • كما كان للحكام الأمويين والعباسيين بعد ذلك آثار فى طمس معالم التاريخ ، والفكر الاسلامى الصحيح ، وذلك بسبب موقفهم من العلويين والشيعة ، وموقف العلويين والشيعة منهم ـ كذلك احساسهم وتخوفهم من هذا الواقع ، واختلاف المسلمين بعضهم مع بعض وفى جوانب من نصوص الشريعة بالذات ، والتى تتمثل فى السنة النبوية وشرح القرآن وتفسيره وروايات التاريخ هو دليل على ظهور الممارسات الخاطئة حينذاك(٦٤) •

« ان كبار العلماء يتصفون دائما بالاخلاص العقلى ، وهم يتبعون الحقيقة حيثما تقودهم • انهم لا يكفون أبدا عن محاولة استبدال رغباتهم الخاصة بالحقائق ، كما أنهم لا يحاولون اخفاء هذه الحقائق عندما تثير أهم المتاعب • ذلك لأن على الشخص الذى يتلهف على تأمل الحقيقة أن يوطد دعائم السلام فى قرارة نفسه »(٦٥) •

القول بالاجتهاد كمنهج للتفكير والبحث عند الشيعة :

من سمات الفكر الشيعى القول بالاجتهاد ، ففى نطاق الفكر التربوى الاسلامى ، وفى حدود دراستنا التربوية للفكر الشيعى ، لا يمكن التخلى

---

(٦٣) انظر حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية** ـ مرجع سابق ـ وأيضا : شرف الدين : **المراجعات** ـ مرجع سابق ـ وأيضا : القزوينى : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق • وغيرها من المصادر الشيعية التى تثبت ظاهرة التشيع ، حيث استدلوا على ثبوتها من مصادر سنية •

(٦٤) حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية ـ مرجع سابق** ـ ص ٥٨ •

(٦٥) الكسيس كاريل : **الانسان ذلك المجهول** ـ ترجمة شفيق أسعد فريد ـ بيروت ـ مؤسسة المعارف ـ ١٩٧٧ ـ ص ١٦١ •

عن فكرة أهمية المجتهد ومسئوليته فى بناء وتوجيه المجتمع فى سعيه للعمل والمعرفة ٠

ان الحكمة من وجوب الاقتداء بالمجتهد الحى دون الميت ، هى لغرض مطابقة الفتاوى والحلول ظروف العصر والاطار العام الذى يحيط به ، والذى يمكن للمجتهد أن يدركه ويفتى على ضوئه ٠ وبالتالى تحديد فاعلية الرأى الاجتهادى ادراكا للواقع المعاش ، ولهذا فان من خصائص كون المجتهد من الاحياء هى امكانية الرجوع اليه فى أية مسألة من المسائل التى تتعلق بالمكلف وتنظيم سلوكياته الدينية والدنيوية ، والاستفسار منه عن أصولها ومصادرها ، فهو المسئول عن اسناد الاجابة الى النص ، كما أنه المسئول عن واقع البناء الاجتماعى وتربية الأفراد(٦٦) ٠

ان الهدف الذى تتوخاه حركة الاجتهاد وتتأثر به هو تمكين المسلمين من تطبيق النظرية الاسلامية للحياة ، لأن التطبيق لا يمكن أن يتحقق ما لم تحدد حركة الاجتهاد معالم النظرية وتفاصيلها ، ولكى ندرك أبعاد الهدف بوضوح يجب أن نميز بين مجالين لتطبيق النظرية الاسلامية للحياة ٠ أحدهما تطبيق نظرية الاجتهاد فى المجال الفردى وبالقدر الذى يتصل بسلوك الفرد وتصرفاته ، والأخرى تطبيق النظرية فى المجال الاجتماعى واقامة حياة الجماعة البشرية على أساسها بما يتطلبه ذلك من علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية ٠

وحركة الاجتهاد من حيث المبدأ ومن الناحية النظرية تستهدف كلا مجالى التطبيق ، لأنها سواء فى حساب العقيدة ٠ فالمجتهد خلال عملية الاستنباط للحكم الشرعى يتمثل فى ذهنه صورة الفرد المسلم الذى يريد أن يطبق النظرية الاسلامية للحياة على سلوكه ، وفى هذا المجال ، فان المجتهد لا يتمثل صورة المجتمع الذى يحاول أن ينشىء حياته وعلاقاته على أساس الاسلام ٠ لأن التخصيص فى الهدف فى مجاله الفردى الذى مر به

---

(٦٦) حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية** ــ مرجع سابق ــ ص ١٩٤ ، ١٩٥ ٠ وأيضا محمد تقى الحكيم : **الأصول العامة للفقه المقارن** ــ بيروت ــ دار الأندلس ــ ١٩٦٣ ــ ص ٦٤٩ ، ٦٥٠ ٠

الاجتهاد فى عصوره الأولى ـ له ظروفه الموضوعية وملابساته التاريخية ـ فان حركة الاجتهاد عند الشيعة قاست منذ ولدت تقريبا عزلا سياسيا عن المجالات الاجتماعية للفقه الاسلامى نتيجة لارتباط الحكم فى العصور الاسلامية المختلفة وفى أكثر البقاع بحركة الاجتهاد عند السنة ، وهذا العزل السياسى أدى تدريجيا الى تقليص نطاق الهدف وقصره على الهدف الفردى الذى تعمل حركة الاجتهاد عند الشيعة لحسابه(٦٧) ٠

وقد كان من نتائج ترسخ النظرة الفردية قيام اتجاه عام فى الفقه الشيعى يحاول دائما حل مشكلة الفرد المسلم عن طريق تبرير الدافع وتطبيق الشريعة عليه بشكل من الأشكال ٠ فنظام الصيرفة القائم على أساس الربا مثلا بوصفه جزءا من الدافع الاجتماعى فى المعاش يجعل الفقيه يحس بأن الفرد المسلم يعانى مشكلة تحديد موقفه من التعامل مع مصارف الربا ، ويتجه البحث عنده لحل مشكلة الفرد المسلم عن طريق تقديم مشروع للواقع المعاش بدلا من الاحساس بأن نظام الصيرفة الربوى يعتبر مشكلة فى حياة الجماعة ككل(٦٨) ٠

ان الانكماش الموضوعى يزول والامتداد العمودى الذى يعبر عن الدراسة العالية من الدقة التى وصل اليها الفكر العلمى سيتحول فى سيره الى الامتداد الأفقى ليستوعب كل مجالات الحياة ، وسوف يتحول الاتجاه نحو تبرير التعامل مع الواقع الفاسد ، الى اتجاه جهادى نحو تغيير الواقع وتقديم البديل الفكرى الكامل من وجهة نظر الاسلام ، كما يمحى فى مفهوم حركة الاجتهاد أى تصور ضيق للشريعة ويزول من الذهنية الفقهية وتزول كل آثاره وانعكاساته على البحث الفقهى والأصولى ٠ وهذا الهدف الاجتماعى للاجتهاد يستهدف تقديم الاسلام ككل ، ويعتبر رسالته هو توعية الأمة على ضرورة تطبيقه فى كل مجالات الحياة(٦٩) ٠

---

(٦٧)محمد باقر الصدر : **الاجتهاد** ـ دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ، بيروت ـ دار التعارف ـ المجلد الأول ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م ـ جـ ٣ ـ ص ٣٢ ٠

(٦٨) المصدر السابق : ص ٣٣ ٠

(٦٩) المصدر السابق : ص ٣٤ ٠

ان ما يسير المجتهد فى عملية الأداء والعطاء بسخاء هو الاستعداد للأداء والعطاء ، وليس ما يضعه الآخرون من قواعد وأصـول • ولهـذا فالمذهب ينمو بثلاثة عوامل كما ذكرها أبو زهرة :

أولها : أن يكون باب الاجتهاد مفتوحا ، فان ذلك يفتح باب الدراسة لكل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية ، وعلاجها من الشريعـة بما يناسبها من غير تجاوز لحد النصـوص •• واننـا نعتقد أن المذهب الجعفرى ـ أى الشيعى ـ من الناحية الفقهيـة قد فتح فيه هـذا البـاب للدراسـة ، وهو بهـذا صـالح للنمو المسـتمر الذى لا يتخلف ما دام المجتهدون فيه ملتزمين الجادة والطريقة المستقيمة واتباع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة •

ثانيهما : من عوامل النمو صلاحيته لعلاج المشاكل المختلفة بالموروث من الفقـه والبناء عليه ، وهى كثرة الأقوال فى المذهب واتساع الصـدر للاختلاف ما دام كل مجتهد يلتزم المنهاج المسنون ، ويطلب الغـاية التى يتغياها ممن يريد محض الشرع الاسلامى خالصا غير مشـوب بأى شائبة من هوى • وان الأقوال فى المذهب الجعفرى كثيرة ، وقد رويت فيه روايات كثيرة ، وقد وضعوا نظما للتعارض ولم يهـدموا رواية برواية ، بل أن الطوسى شيخ الطائفة فى القرن الخامس الهجـرى يقرر أنه اذا لم يكن الجمع بين خبرين ، وكلا الخبرين روى برواة ثقات يكون فى المذهب قولان ، يجوز العمل بأى واحد منهما ـ وان كثرة الأقوال بلا ريب من شـأنها أن تجعل تطبيق المذهب مرنا •

ثالثهما : تفرق الأقاليم التى انتشر فيها المذهب وتباين عاداتهم ، وتفكيرهم وبيئاتهم الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية ، فان المذهب اذا تعددت الطبائع التى يعالجها استفاد اتسـاعا ونموا ما دام لا يخرج عن الأصل المرسوم والغاية المنشودة ••• وان المذهب الجعفرى قد انتشر فى أقاليم مختلفة الألوان من الصين الى بحر الظلمات حيث أوربا وما حولها ، • • • • فانه •• عالج مشاكل كل هـذا العـدد •

وأضاف أبو زهرة عاملا رابعا من عوامل نمو المذهب الشيعى هو كثرة العلماء الذين يتصدون للبحث والدراسة وعلاج المشاكل المختلفة ، وقد أتى

الله ذلك المذهب من هؤلاء عددا وفيرا ، عكفوا على دراسته وعلاج المشاكل على مقتضاه(٧٠) ٠

هـذا ما قرره أبو زهرة من نمو المذهب الشيعي نتيجة فتحهم لباب الاجتهاد « ومهما يكن من قول بمنع الاجتهاد فمن الحق أن نعلم أن عمل السياسة فيه كان أقوى وأفعل من عمل الدين وبواعث العقيدة أو الشريعة ، وهـذه مسألة لها خطرها في هـذا البحث عن فريضة التفكير في الاسلام »(٧١) ٠ يقول الدكتور سعيد اسماعيل على : « فعوامل التفكك كانت قد بدأت تظهر آثارها في الدولة ، وأساليب الاستبداد والاستغلال بدأت تشيع شيوعا واضحا ، ولأجل أن يبرر الحكام أساليبهم استطاعوا أن يشتروا بعض الفقهاء ليبرروا ما يفعلون ، فذهب هؤلاء الى أن عهد الاجتهاد والرأى قد ولى ، وما على الانسان الا أن يقلب في صفحات ما كتبه السابقون ، بل انهم انتهوا الى نتيجة تخالف قواعد المنهج وروح الاسلام ، اذ كان اعتمادهم على آراء فقهاء سابقين أكثر من اعتمادهم على القرآن والسنة(٧٢) ٠ والظاهر أن السياسة في ذلك العصر كانت تخشى من العلماء ذوى الأصالة في الرأى والاستقامة في السلوك ، وهم لا يهادنون على ظلم ولا يصبرون على مفارقة ، ولهذا أرادت قطع الطريق على تكوين أمثالهم باماتة الحركة الفكرية من أساسها ، وذلك بسدها لا هم منبع من منابعها الأصيلة وهو الاجتهاد(٧٣) ٠

يقـول شرف الدين : « وما الذى ارتج باب الاجتهـاد في وجـوه المسلمين بعد أن كان في القرون الثلاثة مفتوحا على مصراعيه ؟ لولا الخلود الى العجز والاطمئنان الى الكسل والرضا بالحرمان ، والقناعة بالجهل ،

---

(٧٠) محمد أبو زهرة : الامام الصادق ـ **حياته وعصره ، آراؤه وفقهه** ـ القاهرة دار الفكر العربي ـ بدون تاريخ ـ ص٠ص ٥٤١ ـ ٥٤٢ ٠

(٧١) عباس محمود العقاد : **التفكير فريضة اسلامية** ـ ط ٦ ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ بدون تاريخ ـ ص ٩٤ ٠

(٧٢) سعيد اسماعيل على : **فلسفة التربية الاسلامية** ـ دراسات في فلسفة التربية ـ مرجع سابق ـ ص ٨٩ ٠

(٧٣) محمد تقى الحكيم : **الاجتهاد** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ١٤ ٠

ومن الذى يرضى لنفسه أن يكون قائلا بأن الله عز وجل لم يبعث أفضل أنبيائه ورسله بأفضل أديانه وشرائعه ولم ينزل عليه أفضل كتبه وصحفه ، بأفضل حكمه ونواميسه ، ولم يكمل له الدين ، ولم يتم عليه النعمة ٠٠ الا لينتهى الأمر فى ذلك كله الى أئمة تلك المذاهب فيحتكروه لأنفسهم ، ويمنعوا من الوصول الى شىء منه عن طريق غيرهم ، كلا بل كانوا كغيرهم من أعلام العلم ورعاته ، وحاشا دعاة العلم أو يوصدوا بابه أو يصدوا عن سبيله ، وما كانوا ليعتقلوا العقول والافهام ، ولا ليسلموا أنظار الأنام ، ولا ليجعلوا على القلب أكنة ٠٠٠ »(٧٤) ٠

فالشيعة الامامية فتحوا باب الاجتهاد ولم يغلقوه ، بل فتحه لهم أئمتهم ومنعوهم من اغلاقه ، ولهذا يروون عنهم روايات تنهى عن التقليد ، وما دام النهى عن التقليد ثابتا عندهم فان اغلاق باب الاجتهادممنوع(٧٥)٠ « فاذا كان الامام الصادق ينهى عن التقليد فذلك متفق مع روح العصر ٠٠٠ ولذلك ٠٠ ان نسبة النهى عن التقليد الى الامام الصادق لا مرية فيها » كما يقول أبو زهرة(٧٦) ٠

والاجتهاد هو النظر فى الأدلة الشرعية لتحصيل معرفة الأحكام الفرعية التى جاء بها النبى (ص) وهى لا تتبدل ولا تتغير بتغير الزمان والأحوال ، « حلال محمد حلال الى يوم القيامة ، وحرامه حرام الى يوم القيامة » ٠ والأدلة الشرعية عند الشيعة هى الكتاب الكريم والسنة النبوية والاجماع والعقل ٠ وتحصيل رتبة الاجتهاد يحتاج الى كثير من المعارف والعلوم التى لا تتهيأ الا لمن جد واجتهد وفرغ نفسه وبذل وسعه لتحصيلها(٧٧) ٠

اذن فالمجتهد ليس العالم الذى يجهد نفسه فى استنباط الحكم الشرعى ، وانما هو من أجهد نفسه وبذل وسعه فترة زمنية طويلة بالبحث والدراسة والتمحيص ، وحصل على ملكة القدرة على استنباط الحكم وابداء الرأى فى المسائل التى اجتهد فى بحثها ٠

---

(٧٤) عبد الحسين شرف الدين : **المراجعات** ــ مرجع سابق ــ ص ٣٤٠
(٧٥) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ــ مرجع سابق ــ ص ٥٣٠ ٠
(٧٦) المصدر السابق : ص ٢٩١ ٠
(٧٧) محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ــ مرجع سابق ــ ص ١٤ ٠

فطالب الاجتهاد يجب أن تتوفر فيه الشروط اللازمة المتعلقة بمجالات الاستفادة لكى تحصل له القدرة على الاستنباط منها :

أن تكون له خبرة لغوية تؤهله لأن يفهم موارد الكلمات ويؤرخ لها على أساس زمنى ليتمكن من أن يضعها فى مواضعها الطبيعية لها ـ ويفهمها على وفق ما كانوا يفهمون من معانيها فى زمنها ٠

ولا يشترط فيه أن يكون مستحضرا لمعانى جميع ما ورد فى الكتاب أو السنة من الألفاظ اللغوية ٠ قال الشهيد الثانى : « ٠٠٠ وبالتفصيل أن يعلم من اللغة ومعانى الألفاظ العرفية ما يتوقف عليه استنباط الأحكام من الكتاب والسنة ولو بالرجوع الى الكتب المعتمدة ويدخل فى ذلك معرفة النحو والتصريف ومن الكتاب قدر ما يتعلق بالأحكام بأن يكون عالما بمواقعها ويتمكن عند الحاجة من الرجوع اليها ولو فى كتب الاستدلال ، ومن السنة الأحاديث المتعلقة بالأحكام بأن يكون عنده من الأصول المصححة ما يجمعها وما يعرف موقع كل باب بحيث يتمكن من الرجوع اليها وأن يعلم أحوال الرواة فى الجرح والتعديل ٠٠٠ وأن يكون عالما بالمطالب الأصولية من الأحكام ٠٠٠ وهو أهم العلوم للمجتهد ٠٠٠ ولا بد أن يكونذلك بطريق الاستدلال على كل أصل منها لما فيها من الاختلاف ٠٠ وأن يعرف شرائط البرهان لامتناع الاستدلال بدونه ٠٠٠ وأن يكون له ملكة مستقيمة وقوة ادراك يقتدر بها على اقتناص الفروع من الأصل ورد الجزئيات الى قواعدها والترجيح فى موضع التعارض ٠٠٠ »(٧٨) ٠

وقد قسم الشيعة الاجتهاد من حيث الطريقة أو الحجية بالذاتية والجعل الشرعى الى قسمين :

١ ـ **الاجتهاد العقلى** : ويراد به ، ما كانت الطريقة أو الحجية الثابتة لمصادره عقلية محضة غير قابلة لجعل الشارع ، وينتظم فى هذا القسم كل ما أفاد العلم الوجدانى بمدلوله ، كالمستقلات العقلية ، وقواعد

---

(٧٨) جمال الدين أبو منصور الشهيد الثانى : **معالم الدين وملاذ المجتهدين** ـ طهران ـ المكتبة العلمية الاسلامية ـ ١٣٧٨ هـ ـ ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ، وأيضا محمد تقى الحكيم : **الاجتهاد** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٨ ٠

لزوم دفع الضرر المحتمل·وشغل الذمة اليقينى يستدعى فراغا يقينيا·وقبح العقاب بلا بيان وغيرها · ويتوقف الاجتهاد العقلى على خبرة بالقواعد الفلسفية والمنطقية ، خصوصا الأقيسة التى ترتكز عليها تلك القواعد بمختلف أشكالها ، لأن فيها وفى بقية قواعد المنطق ـ كما يقال ـ العصمة عن الخطأ فى الفكر ، بشرط أن يتعرف عليها من منابعها السليمة فى أمثال معاهد النجف الاشرف ، وهى من المعاهد الاسلامية التى عنيت بالدراسات المنطقية والفلسفية ، وادخال الاصلاحات عليها لا مما يؤخذ ويترجم عن الغرب فى العصر الحديث ، لكثرة ما فيها من الخلط فى المفاهيم ، وتحميلها لوازم غريبة ينشأ أكثرها من عدم فهم لقسم من المصطلحات وتحديد مداليلها بكل ما حفلت به من قيود وشروط ·

٢ ـ **الاجتهاد الشرعى** : ويراد به كل ما احتاج الى جعل أو امضاء لطريقته أو حجيته من قبل الشرع ، ويدخل ضمن هذا القسم : الاجماع والقياس والاستصلاح والاستحسان والعرف والاستصحاب وغيرها من مباحث الحجج والأصول العملية مما يكشف عن الحكم الشرعى أو الوظيفة المجعولة من قبل الشارع عند عدم اكتشافه ·

أما الاجتهاد الشرعى ، فهو متوقف على الاحاطة بعدة خبرات ، وهى مختلفة باختلاف تلك الطرق المجعولة أو المضاة من قبل الشارع ، فبالنسبة الى الطرق غير المقطوعة أسانيد أو دلالة أو هما معا لا بد من الحاجة الى عدة خبرات يتصل بعضها بتحقيق النص وصحة نسبته الى قائله : ويتصل بكيفيات الاستفادة من النص فى مجالات التماس الحكم أو الوظيفة منه بعد تصحيح نسبته(٧٩) ·

وصفوة القول ، ان مسئولية المجتهد لا تنحصر فى دراسة النصوص ، واستنباط الحلول لأى حكم شرعى مستجد ، وانما التفاعل مع أى واقع لغرض رسم صورة شاملة له ، والتحرك نحو الاطار النظرى والعملى وبناء منطق معين يطابق النصوص الواردة فى القرآن والسنة وتوجيه ذلك المنطق توجيها عمليا ونظريا لضمان أداء واجب المسئولية دون أى ركون

---

(٧٩) محمد تقى الحكيم : **الأصول العامة للفقه المقارن** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧١ ـ ٥٧٢ ·

أو جمـود لأى واقع أو ظروف معـارضة لأداء واجب الحكم بما أنزل الله سبحانه تخليا عن المسئولية سواء له أو للآخرين ٠ بالاضافة الى أن الاجتهاد فى الشريعة لا يقتصر على العبادات ، وانما يستوجب الرجوع « أفرادا أو جماعات ، حكاما أو محكومين فى نظر الشيعة » الى العلماء المجتهدين فى كل القضايا ، سياسية ، أو اقتصادية ، أو ثقافية ، وغيرها ، لأنهم أدرى بأحكامها فى خطواتها العريضة ، وينبغى ألا تتعارض أية ممارسة دينيـة أو دنيوية مع أحكامهم(٨٠) ٠

الدراسات السابقة :

من سمات المعرفة الانسانية أنهـا معرفة تراكمية لا تقف عند حـد فكل خطوة يخطوها باحث جديد لا تبـدأ من فراغ ، وانما تبـدأ من حيث انتهى اليه جهـد السابقين ، ليضيف اليها جديدا ، وبهـذا يحدث النمـو وتزداد المعرفة الانسانية ٠

والدراسة الحالية لا تزعم أنها سوف تأتى بما لم تأت به الأوائل فقـد سبقتها جهود وان كانت قليلة ، ولكنها تثير الانتباه لدى الباحثين ، وهـذه الجهود تمثلت فى الدراسات السابقة الآتية :

١ ـ **دراسة لتاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهـدى الصادق والطوسى ـ بحث قدم للحصول على درجة دكتوراه فى الفلسفة** اعداد عبد الله فياض ـ الجامعة الأمريكية ـ بيروت ـ ١٩٦٦ ٠

تحـديد المشكلة : حاول هـذا البحث أن يدرس تاريخ التربية عنـد الامامية وأسلافهم من الشيعة فى الفترة الواقعة بين عهـدى الصـادق ت ١٤٨ ـ والطوسى ت ٤٦٠ هـ وتعتبر هـذه الدراسة الأولى من نوعهـا للتربية عند الشيعة الامامية بحسب المنهج التاريخى العلمى ـ كما يراه صاحب الدراسة ـ ومن هنا يمكن تحـديد ممشكلة البحث : بأن الامامية قديمون فى التاريخ الاسلامى ، ولهم علماء وأئمة قاموا بنشر العلم والثقافة بين شيعتهم ، وكان لهم طرائقهم ومناهجهم فى ذلك ، وعلى هـذا لا بد

---

(٨٠) حسن عبـاس حسن : **الصياغة المنطقية** ـ مرجـع سـابق ـ ص ١٦٨ ٠

أن خلفوا تراثا تربويا ، بالاضافة الى عـدم وجود من تصدى للبحث عن التربية وقضاياها عندهم • ومن هنا حاول هـذا البحث أن يتناول النظـام التربوى عند الامامية •

منهج البحث : استعانت هـذه الدراسة بالمنهج التاريخى ، وذلك لمـا يقتضيه البحث من حيث الفترة التى تناولتها • وكان من الطبيعى أيضا أن تستعين بالمنهج الفلسفى التحليلى عند تتبعها للآراء والقضايا التربوية لتستنبط منها بعض التعميمات وتطبيقها فى مجال التربية •

خطوات الدراسة : سارت الدراسة وفق الخطوات التالية :

الفصل الأول : خصص هـذا الفصل للبحث عن العوامل المؤثرة فى توجيه التعليم عند الامامية وأسلافهم من الشيعة • أهمها ، اعتقاد الامامية بأن ائمتهم محيطون بالعلوم الالهية ، وأن النبى كلفهم بتبليغ تلك العلوم ، فنتج من ذلك أن ما أخـذ عنهم كان بمثابة ما أخذ عن النبى •

الفصل الثانى : تناول هـذا الفصل أمكنة التعليم عنـد الامامية • وكانت المساجد ، بما فيهـا تلك التى احتوت على ترب الأئمـة ، ومنازل العلماء أهم تلك الأمكنة •

الفصل الثالث : خصص هـــذا الفصـــل للبحث عن كل ما يتعلق بالمعلمين • وأوكل التعليم الأولى للمعلم ، كما تناول معلمى العلوم ، وعلى رأسهم الامام المعصوم والشيخ والمدرس ، كما عالج هـذا الفصل دور كل هؤلاء فى التعليم •

الفصل الرابع : تناول هـذا الفصل حياة الطلبة على اختلاف مراحل دراستهم ومراكزهم الاجتماعية •

الفصل الخامس : خصص هـــذا الفصـــل للبحث فى أســـاليب التعليم ومناهجه •

الفصل السادس : يبحث هـذا الفصل فى تمويل التعليم :

وللرسالة ملحقان : أحدهما عن المشاهد الشريفة عند الامامية ، بينما تناول الثانى نبذا عن حياة الأئمة المعصومين •

نتائج البحث : وقد انتهى الباحث الى بعض النتائج ، أهمها :
أن النظام التربوى عند الامامية فرع من نظام تربوى اسلامى عام ، ولكن له ميزاته التى تميزه عن غيره من فروع التربية الاسلامية الأخرى ٠ فالامامية رغم اعتقادهم أن القرآن الموجود بين أيدينا هو كتاب المسلمين كافة بما فيهم فرقتهم ، وأن السنة تفسر وتكمل القرآن ، يرون أن غيرهم من المسلمين لم ينقلوا المصدرين المذكورين من منابعهما ٠ ونتج عن هذا الاختلاف فى الاعتقاد بين الامامية ، وغيرهم من المسلمين نتائج تربوية وتعليمية ذات شأن ٠ فالرحلة فى طلب العلم ، خاصة فى عصر الأئمة ، اتخذت عند الامامية طابعا يميزها عن الرحلة عند غيرهم من المسلمين فهى عندهم تحقق غرضا دينيا اماميا فى طابعه ، بالاضافة الى الغرض العلمى ٠ فالطالب الامامى يرحل للقاء الامام ليأخذ الحديث من مصدره الذى لا شك فى قوله ٠

علاقة هذه الدراسة بالدراسة الحالية :

لا شك أن الجهد الذى قام به الباحث فى الكشف عن آراء الشيعة فى التربية قد أعان البحث الحالى فى الوقوف على بعض تلك القضايا التربوية ٠ الا ان وجه الاختلاف بين الدراستين ، يكشف على أن الدراسة السابقة اقتصرت على الفترة الواقعة بين عهدى الصادق والطوسى ، مقتصرا على قضايا تربوية وطرق تعليمية تجعل من استقراء الواقع التعليمى هدفا أساسيا ، أما الدراسة الحالية فتعتمد على الفكر التربوى عند الشيعة من حيث فلسفتهم التربوية وآراؤهم فى التربية والتعليم من حين نشأتهم حتى أواخر القرن الخامس الهجرى وبهذا فان دراستنا ذات طابع فكرى فلسفى ٠ كما تناولت الدراسة الحالية لأهم المراكز العلمية عندهم ومدى اثرهم فى الفكر والثقافة الاسلامية ٠ ولهذا فالمحتوى لهذه الدراسة الحالية يختلف عن محتوى الدراسة السابقة ، وان التقيا فى بعض الجوانب الجزئية ٠

٢ ـ دراسة الشيخ الطوسى ، أبو جعفر محمد بن الحسن ـ ٣٨٥ هـ ـ ٤٦٠ هـ ـ بحث تقدم للحصول على درجة الماجستير فى التاريخ الاسلامى من جامعة بغداد ـ ١٩٧٤ ٠ اعداد حسن عيسى الحكيم ٠

تحـديد المشكلة : حاول البحث صياغـة المشـكلة على ضوء الحركة العلمية التى عاشها الشيخ الطوسى ٠ وقد جاءت هـذه المحاولة على صورة تقرير وهى : ان تاريخ الشخصيات العلمية هو فى الواقع جانب مهم من تاريخ الأمة ، ودراسة أحوالهم وأفكارهم تصوير لروح عصرهم وانعكاس للحياة السياسية والفكرية والاجتماعية التى كانت سائدة فى زمانهم ٠ ومن هنا كان اختيار هـذه الدراسة لابراز جانب مهم من تاريخنا الاسـلامى الذى كان للشيخ الطوسى فضل الاسهام به طيلة حياته العلميـة ، فقـد تميز بعقليـة وافرة ، وذهنيـة واسـعة ، وتمثل لمختلف فروع المعـرفة الاسلامية فى زمنه ٠ ولهـذا حاول البحث دراسة هـذه الشـخصية ومدى أثرها على الفكر الاسلامى ٠

أهميته : كان القرن الخامس الهجرى ، عصر انهيار سياسى بالنسبة الى بغـداد ، عاصمة الخلافة العباسية ، ولكنه كان فى الوقت ذاته عصر نضج فكرى، احتضنت فيه هـذه المدينة نخبة صالحة من كبار المفكرين ، وشيوخ المحدثين ، وأماثل العلماء والمتكلمين ، وكان الشيخ الطوسى أحـد الأفذاذ الذين ظهروا فى ذلك القرن غير أن المكتبة العربية لا تزال فى حاجة ماسة الى دراسات مركزة عنهم ، تتمثل بهم ، أصالة تراثنا الفكرى ٠

منهج البحث : استعان البحث بالمنهج التاريخى ٠

خطوات الدراسة : تنتظم هـذه الدراسة فى ستة فصول :

الفصل الأول : تناول هـذا الفصل عصر الشيخ الطوسى ، وهـو عصر مهم فى تاريخ العراق السياسى والفكرى ، تعاقب فيه على الحكم البويهيون والسلاجقة ، فى ظل الخلافة العباسية ، وبحكم ما كان بينهما من تباين بارز فى الثقافة والعقيدة فقد كان الصراع المذهبى سـمة ذلك العصر ، مما خلق فى حياة الأمة ومرافق الدولة آثارا واضحة ٠

الفصل الثانى : تناول هـذا الفصل حياة الشيخ الطوسى العلمية فى بغـداد والنجف ، وانجازاته الفكرية ، فى عهد أستاذيه : الشيخ المفيد والسيد المرتضى وفى عهـد زعامته الدينية ٠

الفصل الثالث : يتناول هـذا الفصل دراسة شيوخه وتلاميذه ، كما

تعرض الى طائفة من الاعلام الذين كانت لهم روابط علمية وفكرية بالشيخ الطوسى ، والتعريف بمدى اسهامهم الفكرى ، كل فى ميدان اختصاصه ٠

الفصل الرابع : خصص هـذا الفصل لدراسة كتاب «التبيان» الذى يعتبر من امهـات كتب التفسـير ، وهو موسـوعة شـاملة لفـروع المعرفة الاسلامية ٠

الفصل الخامس : فى هـذا الفصل دراسة لمصنفات الشيخ الطوسى ، توضح منهجه فيها وأصالته فى الرأى ، وتعدد جوانب ثقافته ٠

الفصل السادس : خصص هـذا الفصل لوفاته ومدفنه ، وذكر خلفه ٠

نتائج البحث : وقـد انتهى الباحث الى بعض النتائج مثل :

١ ــ تميز الشيخ الطوسى عن معاصريه من قادة الفكر ، خصوصـا فى مجالات اختصاصه ، بالاضـافة الى موسـوعيته التى أتاحت له الاسـهام فى أكثر أبواب العلوم والمعارف الاسـلامية المتداولة فى عصـره ٠

٢ ــ اعتراف الخلافة العباسية به رسميا ، وقدم اليه كرسى الكلام ليدرس عليه معارف عصره ، مما جعل مجلسه محط أنظار طلاب العلم من كافة المذاهب الاسلامية ٠

٣ ــ مواصلة نشاطه العلمى بعد مغادرته بغداد ، واتخاذ مدينة النجف الأشرف دار هجرته ، ومواصلة نشاطه العلمى هناك حيث أسس مدرسة علمية اسلامية ، كما يعتبر مجيئه الى النجف نقطة تحول بارزة فى تاريخها العلمى ، مما جعلها محط أنظار العلماء والدارسين ، ولا تزال معالمها حية حتى الوقت الحاضر ٠

٤ ــ تزعم الشيخ الطوسى للحركة العلمية فى زمنه ٠

٥ ــ أحدث الشيخ الطوسى بنشاطه العلمى الواسع ردود فعل مختلفة فى الأوساط المخالفة له فى الرأى والمنهج ، مما كان له نتائج طيبـة فى اغناء الأجواء العلمية ٠ كما ألف فى مختلف العلوم والمعارف ٠

الصلة بينها وبين الدراسة الحالية :

وبما أن هـذه الدراسة تناولت شخصية شيعية ، الا أن موضوعها ومحتواها يختلفان عن محتوى الدراسة الحالية وموضوعها ، ومع ذلك ، فان الدراسة السابقة لها أثرها فى الفكر والثقافة الاسلامية مما لا يستغنى عنها فى بعض الجوانب الفكرية ، مما أفاد الباحث فى ابراز شخصية الطوسى ومدرسته ٠

٣ ـ **دراسة لفلسفة التربية عند اخوان الصفاء** ـ دراسة للحصول على درجة الماجستير ـ اعداد نادية جمال الدين ـ كلية التربية ـ عين شمس ـ ١٩٧٣ ٠

تحـديد المشكلة : حـددت الباحثة المشكلة بالصياغة التالية : ان جماعة اخوان الصفاء التى اتجه البحث الى تحليل فكرهم التربوى والتاريخ له تعتبر فى حـد ذاتها مشكلة بالنسبة للباحث ، فرغم وجود نتاج فكرهم كوثائق ثابتة ومصـادر أصلية بين أيدى الباحثين ، الا أنهم لم يحـددوا زمانهم ولا مكانهم ولا أشخاصهم كما أن المصـادر التاريخية المتعددة لم تحمل الا القليل عنهم ، وكان أن اعتمد بعض الباحثين على هـذه الوثائق والمصادر وحدها فجاءت نتائجهم مختلفة الى حد كبير بل ومتضاربة ٠

منهج البحث : يعالج هذا البحث مشكلاته فى ضوء المنهج التاريخى ٠

خطوات البحث : انقسمت الدراسة الى مقدمة تمهيدية وثلاثة أبواب، ضم كل منها عـددا من الفصول :

البـــاب الأول : اخوان الصفاء فى اطار مجتمعهم ٠

الفصـــل الأول : مجتمع اخوان الصـفاء ٠

الفصـل الثانى : حقيقة اخوان الصـفاء ٠

البـاب الثـانى : الأسس الفلسفية للتربية عند اخوان الصفاء ٠

الفصـل الثالث : اللـه والكون والانسان ٠

الفصـل الرابع : الأخلاق والمعرفة ٠

الفصل الخامس : المجتمع ونواة دولة الخير ٠

البـاب الثـالث : التربية عند اخوان الصفاء ٠

الفصل السادس : التربيـة : ماهيتها ، أهـدافها ، أسسها ٠

الفصـل السابع : المنهج وطـرق التدريس ٠

الفصــل الثامن : المتعلمون والمعلمون ٠

نتائج البحث : وقد انتهت الباحثة الى بعض النتائج مثل :

١ ـ تحديد معالم النسق الفكرى الفسلفى لديهم والذى يبرز فيه أساسا موقفهم من الديانات والفلسفات والآراء المختلفة ، وانتخابهم منها ما يتلائم مع أهدافهم ٠

٢ ـ محاولة التـوفيق بين آرائهم وبين ما أتى به الدين الاسـلامى فى مجـال المعـرفة ٠

٣ ـ ان هـدف التربية عند اخوان الصفاء ارتبط بفكرهم الفلسفى حيث جاء متسقا مع طريقتهم فى المزج والتوفيق بين الدين الاسلامى الذى آمنوا به وبين الفلسفة أو العلوم الوافدة ٠

٤ ـ ان فكر اخوان الصفاء التربوى لا يمكن تسميته « تربية اسلامية » بالصورة المقصودة من التربية الاسلامية الأصيلة بالفعل ، بل أنهم جماعة من الفلاسفة المسـلمين عاشـوا فى القرن الرابع الهجرى ، فخرجوا بتربية ذات أهـداف ومنهج وطريقة ومبادىء متسقة مع فكرهم الفلسفى التوفيقى نتيجة تأثرهم بثقافة عصرهم المتدفقـة بلا حـدود أو قيود ٠ وعلى هـذا فهم لا يمثلون ـ من وجهـة نظر البحث ـ التربية الاسلامية بقدر ما يمثلون نموذجا من نماذج الفكر التربوى لدى جماعة من الفلاسفة المسلمين ٠

٥ ـ كما توصل البحث الى بعض المبادىء التربويـة التى تبين معالم فلسفتهم التربوية ، مثل : طلب العلم فريضة ، تعليم العلم فريضة أيضا ، طلب العلم مستمر حتى سن الخمسين ، أهمية الميول وأثرها

فى اقبال التلاميذ على تعلم علوم دون غيرها ، التعليم عندهم يبدأ من الحواس ٠

علاقته بالدراسة الحالية :

على الرغم من أن هذه الدراسة قد تناولت فلسفة التربية عند جماعة من الشيعة ، الا أن الرؤية بين هـذه الدراسة والدراسة الحالية مختلفة ٠ بالاضافة الى أن الدراسة الحالية اعتمدت على آراء أئمة الشيعة وشيوخهم البارزين فى تاريخ الفكر الشيعى ٠ كما وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسة السابقة من حيث فترة الدراسة ، وأماكن التعليم ـ ومراكزه وأثرها فى الفكر والثقافة الاسلامية ٠

٤ ـ **دراسة العقل عند الشيعة** ـ دراسة للحصول على درجة دكتوراه فى أصول التشريع الاسلامى ـ اعداد رشدى محمد عرسان عليان ـ كلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر ـ ١٩٧١ ٠

تحديد المشكلة : يعتبر العقل أحد مدارك الأحكام الشرعية عند علماء الشيعة بالاضافة الى الكتاب والسنة والاجماع ، وعلى هـذا يمكن تحديد المشكلة بالسؤال التالى : ما أوجه الالتقاء والاختلاف بين المذاهب الاسلامية فى جعلهم العقل أحد الأدلة لمعرفة الحكم الشرعى ٠

منهج البحث : أما منهج البحث فقد كان قائما على أساس المنهج المقارن ، اضافة الى المنهج الفلسفى التحليلى ، لأن الدراسة قائمة على استقراء آراء الأصوليين على اختلاف مدارسهم الفكرية فيه ٠ كما اتبعت المنهج التاريخى ٠

خطوات الدراسة : انقسمت الدراسة الى مدخل وثلاثة مباحث ٠

المبحث الأول : فى أدلة الأحكام عند أهل السنة والجماعة منذ عهد الرسول (ص) حتى عصر أئمة الاجتهاد ٠

المبحث الثانى : فىأدلة الأحكام الشرعية عند الشيعة الامامية فى عصرى النص والاجتهاد ٠

المبحث الثالث : فى التعريف بالعقل من حيث هو ، وموقف المذاهب

الاسلامية من مدركاته على سبيل الاجمال ، ثم التعريف بالعقل الذى هو دليل على الأحكام الشرعية عند الامامية ٠

نتائج البحث : وقد انتهى الباحث الى بعض النتائج أهمها :

١ ـ ان جمهور المجتهدين من أهل السنة والامامية اتفقوا على أن أدلة الأحكام الشرعية أربعة ٠ ولا خلاف بينهم فى ماهية الدليل الأول ولا فى حجيته ـ فهو كتاب الله تعالى المنزل على الرسول الأمين (ص) ٠

٢ ـ فى الحسن والقبح والنزاع يقع فى أصلين : **الأول** فى اتصاف الفعل بهما : أى هل للفعل من حيث هو فعل ـ مع قطع النظر عن تعلق خطاب الشارع به ـ جهات حسن أو قبح ، خير أو شر ، فضيلة أو رذيلة أولا ؟ وانما تعلق خطاب الشارع بالفعل ، وان شئت فقل أمره ونهيه معيار حسن الفعل وقبحه ، فما تعلق به أمره ـ تعالى ـ فهو حسن ، وما تعلق به نهيه فهو قبيح ٠ الى الثانى ذهب جمهور الأشاعرة ، والى الأول ذهبت الامامية والمعتزلة والزيدية والماتريدية ـ « وهو الحق » ٠

علاقته بالدراسة الحالية :

نستطيع أن نقول هنا ما سبق أن قلناه عن الدراسة السابقة ، وذلك لاختلاف الدراستين فى المحتوى ٠

خطوات الدراسة :

هـذا وقد سارت الدراسة وفقا للخطوات التالية :

الفصل الأول : الاطار العام للدراسة ٠ وقد تناول : المقدمة ، نشأة التشيع ، أهمية بحث الجانب التربوى عند الشيعة ، التركيب العقائدى للتربية ، مشكلة البحث ، وأهميته ، حدوده ، منهجه ، كما تناول القول بالاجتهاد باعتباره سمة من سمات الفكر الشيعى ، الدراسات السابقة ، وأخيرا خطة البحث ٠

الفصل الثانى : الأصول الاجتماعية والفلسفية :

وقد تناول هـذا الفصل :

أولا ـ الأصول الاجتماعية : وتشمل :

١ ـ الظروف التى صاحبت التشيع وموقف الشيعة من التغيير الاجتماعى .

العصر الأول : عصر الخلفاء الراشدين وموقف الشيعة منه .

العصر الثانى : العصر الأموى .

سياسة الامويين تجاه الشيعة وأثرها فى انتشار التشيع .

العصر الثالث : العصر العباسى .

٢ ـ **فرق خارجة عن التشيع** :

ثانيا ـ الأصول الفلسفية : وتشمل :

الأصل الأول : التوحيد .

وحدة الذات والصفات من منظور الشيعة الامامية .

الأصل الثانى : النبوة .

حاجة الناس الى النبى .

عقيدة الشيعة فى نبوة محمد (ص) .

القول فى عصمة الأنبياء .

الأصل الثالث : العدل .

١ ـ فى حرية الارادة الانسانية أو « القضاء والقدر » وموقف التربية منها .

٢ ـ فى الحسن والقبح أو « الخير والشر » .

الأصل الرابع : الامامة .

الأصل الخامس : المعاد .

الفصل الثالث : فلسفة التربية من منظور الشيعة . ويتضمن :

أولا : الطبيعة الانسانية .

ثانيا : العلم والعلماء .

ثالثا : المعرفة الانسانية .

رابعا : النزعة العقلية فى الفكر التربوى عند الشيعة ·

خامسا : تكافؤ الفرص فى التعليم ·

سادسا : التربيــة الخلقيــة ·

سابعا : الأسرة ودورها فى تربية الطفل ·

ثامنـا : التعليم المهنى ·

الفصل الرابع : مناهج وطرق التعليم · ويشمل :

أولا : مناهج التعليم ·

ثانيا : مراحل التعليم ·

ثالثا : طـرق التعليم ·

رابعا : المعلمون والتلاميـذ ·

الحالة الاجتماعية للمعلمين ·

أخـذ الأجرة على التعليم ·

الفصل الخامس : أهم المراكز العلمية عند الشيعة · ويتضمن :

اولا : المدينة المنـورة ·

ثانيا : العـــراق ·

ثالثا : بنو حمـدان فى حلب والموصل ·

رابعا : قم والرى فى ايران ·

خامسا : الادارسة فى المغرب والاندلس ·

سادسا : الدولة الفاطمية فى مصر ·

الفصل السادس : مؤسسات التعليم عند الشيعة : ويشمل :

١ ـ المـكتب أو الكتاب ·

٢ ـ المســـجد ·

٣ ـ منازل العلماء والأمراء ·

٤ ـ مجالس العلم والعلماء ·

٥ ـ دور العـلم ٠

٦ ـ دور الكتب ٠

٧ ـ المـدارس ٠

الفصل السابع : اثر آراء وجهود الشيعة على الفكر والثقـافة فى العالم الاسلامى والذى يبرر كتابة هـذا الفصـل ، هو النتائج المترتبة على التربية عند الشيعة ولهـذا يشمل هـذا الفصل على العلوم التى أوجدها الشيعة فى الفكر والثقافة الاسلامية ٠

الفصل الثاني

الأصول الاجتماعية والفلسفية

الأصول الاجتماعية والفلسفية :

تستلزم دراسة الفكر التربوى عند الشيعة تحليل ظروف واتجاهات العصر الذى عاشوا فيه ، وهذا يقتضى منا الايماء الى الحياة السياسية والاجتماعية لتكون مرجعا فى الزمان يساعد على تحديد الآراء والأفكار والأشخاص فى سجل التاريخ والأحداث ، لأن الحياة كل لا يتجزأ فى ذهن الانسان ، فهو يعيش متأثرا بالسياسة والمظاهر الاجتماعية ، كما يعيش متأثرا بالتيارات العقلية ، ومن وجهة أخرى فان الحياة العقلية والأدبية لا تنفصل عن الأحوال السياسية ، فكلا الحياتين تؤثر احداهما فى الأخرى ٠

ولما كانت التربية تتأثر بالأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وبتأثير الثقافات المختلفة ، فان من الطبيعى أن تهتم بدراسة هذه الأوضاع والمؤثرات ، لكى تختار من بينها تصورا يحدد مستقبل المجتمع الذى تعمل فيه ٠ ومن هنا يكون دور الفلسفة تحليل هذه الأوضاع ونقدها ، لتكون عملية الاختيار قائمة على أسس علمية ، تستمد أصولها من طبيعة المجتمع الذى ينتمى اليه الفرد ٠ ولذا كانت حاجة التربية الى الفلسفة فى تحديد الاطار العام الذى تعمل فيه ، حيث أن التربية تعالج الفرد داخل هذا الاطار ٠ وعلى هذا لا بد أن يكون عمل التربية قائما على مفاهيم واضحة بشأن كل من الفرد والمجتمع ، وبالقيم التى يسعى اليها المجتمع ، ونوع النظام السياسى والاقتصادى الذى يحقق هذه القيم ويحولها الى سلوك الأفراد(١) ٠

---

(١) سعيد اسماعيل على : **العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزال** دراسات فلسفية ــ تصدير ابراهيم مدكور ــ القاهرة ــ دار الثقافة ــ ١٩٧٩ ــ ص ١٠٢ ٠

أولا ـ الأصـــول الاجتمـاعية :

١ ـ الظروف التى صـاحبت التشيع وموقف الشيعة من التغيير الاجتماعى:

العصر الأول : عصر الخلفاء الراشدين وموقف الشيعة منه ٠

العصر الثانى : العصر الأموى ٠

سياسة الأمويين تجاه الشيعة وأثرها فى انتشار التشيع ٠

العصر الثالث : العصر العباسى ٠

٢ ـ فرق خارجة عن التشيع ٠

١ ـ الظروف التى صاحبت التشيع وموقف الشيعة من التغير الاجتماعى :

العصر الأول : عصر الخلفاء الراشدين وموقف الشيعة منه :

لعل أصعب ما يواجه الباحث المؤرخ هو أن يضع خطا حاسما يفصل بين مرحلتين تاريخيتين لمجتمع ما ، فان تحول المجتمع من حالة الى أخرى بطيء وتدريجى ولذلك فمن العسير تعيين وحدة زمنية والقول بأنها خاتمة عهد وبداية عهد جديد ٠

وهذه هى الصعوبة التى نواجهها هنا حين نبغى وضع تحديد زمانى دقيق للمرحلة التاريخية التى بدأت الأمة المسلمة تشهد فيها الانحراف الصريح عن مبادىء الاسلام ، ولكننا نستطيع أن نشهد هذا التحول واضحا منذ بداية النصف الثانى من عهد عثمان ٠ ومن الطبيعى ، اذن ، أن تكون قد أعدت ومهدت سبيل الظهور لهذا التيار الجديد فى المجتمع أحداث وأشكال جديدة فى التنظيم ـ نشأ ـ هذا التيار ـ من تفاعلها مع ذهنية الفئات التى كانت تحكم المجتمع الاسلامى آنذاك وتقوده ، مما أدت الى مساهمتها فى التعجيل بظهور هذا التيار فى الحياة الاسلامية ٠ ولهذا لا بد من اكتشاف الظروف الاجتماعية والانسانية والسياسية التى مهدت لانتشار تيار التشيع ٠ وموقف هذا التيار من التغير الاجتماعى ٠

أما فى عصر الخليفتين أبى بكر وعمر (رض) فان الامام عليا وشيعته لما رأوا من الخليفتين ما بذلاه من الجهد فى نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجنود وتوسيع الفتوح ولم يستأثرا ولم يستبدا ، أغضى الامام على عما يراه حقا له ، محافظة على الاسلام أن تتصدع وحدته ، وتتفرق كلمته ويعود الناس الى جاهليتهم الأولى ، وبقى شيعته منضوين تحت جناحه ، ولم يكن للشيعة والتشيع يومئذ مجال للظهور والانتشار ، لأن الاسلام كان يجرى على منهاجه القويم(٢) ٠ ولهذا كان اسلوب الامام على وشيعته مع الخليفتين النصح والارشاد والمشورة ، فكانا يرجعان اليه فى القضايا التى تحدث لهما ان لم يجدا لها حلا ، سارعا بالرجوع اليه واستفتائه وأخذ الرأى منه بما يتفق والشريعة الاسلامية ، فلم تكن اذن معارضة

---

(٢) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ص ، ص ٤٧ ـ ٤٨ ٠

من أحد ، ما دام الاسلام يسير بصورته الطبيعية ، فاذا ما حدث أى تغير أو تبديل أو عدم فهم للحكم الشرعى فى بعض القضايا التى تتعلق بأمور الدين ،وقف الامام على حائلا أمام هـذا التغير لئلا يتبدل حكم اللـه ، فترجع المسألة الى القاعدة الأساسية من الاسـلام • ولهـذا كان الامام مخلصا مع الخليفتين ، « ونصح لهما صادقا ، وأشار عليهما كلما احتاجا الى مشورته »(٣) حتى أن الخليفتين أبا بكر وعمر وليا بعض شيعة على على الأمصار ، علما منهما بأن هؤلاء الذين انقطعوا فى ولائهم وحبهم لعلى لا يريدون سوى اصلاح الأمة • ولهـذا سارت الأمور على أحسن ما يكون ، ولم تحدث أى خلافات تشتت وحدة المسلمين • وفى ذلك يقول جولدتسيهر : « ان الحزب المناصر لآل البيت قد شايع فى عهد الخلفاء الثلاثة الأول حقوق البيت النبوى فى الخلافة ، ملتزما الهدوء والسكينة ، ودون أن يدخل مع ذلك فى نزاع مكشوف للدفاع عنها »(٤) •

هذا وقد تغير موقف الشيعة بعد ما ولى عثمان الخلافة ، لأنه سار على سياسة لم يعهدها المسلمون من قبل ولم يألفوها فى عصر من تقـدمه من الخلفاء • اذ لم تكد الأيام تتقدم بخلافته حتى أخذ يغدق الهبات الضخمة على آله وذويه وغيرهم من أعيـان الصحـابة فوق ما كان لهـم من العطـاء المفروض ، فهو فيما يروى ابن سـعد قد وصل الزبير بن العوام بستمائة ألف دينار ووصل طلحة بمائتى ألف دينار ونزل له عن دين كان عنده(٥) • •• ولو كانت هـذه الهبات من أمواله الخاصـة لما أثارت اعتراض أحـد

---

(٣) طه حسين : **الفتنة الكبرى** ـ عثمان ـ ط ٦ ـ القـاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٦ ـ ص ١٥٢ •

(٤) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٤ •

(٥) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسـلام السـياسى والدينى والثقافى والاجتماعى** ط ٢ ـ القاهرة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٤٨ ـ ص ٣٦٥ • وأيضا ابن خلدون : **المقـدمة** ـ مطبعة مصطفى محمد بمصر ـ بدون تاريخ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ • وراجع سعيد اسماعيل على : **نشأة التربية الاسلامية** القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٨ ـ ص ٢٥ • وأيضا محمد عمارة : **الاسلام وفلسفة الحكم** ـ مرجع سابق ـ ص ، ص ١١٨ ـ ١١٩ •

ولكنها كانت من بيت المال الذى يشترك فيه المسلمون جميعا »(٦) وحينئذ وجد الشيعة أن عثمان قد غير ما كان عليه النبى (ص) • وفى هذه الحالة يتحتم عليهم بمقتضى اسلوبهم ، الحفاظ على الشريعة من أن تمسها يد التغيير والتبديل ، ولهذا وجدت المناخات المناسبة لنمو بذرة التشيع ، وقد استمرت هذه البذرة فى النمو كلما وجد المسلمون الظلم والتغيير والتبديل من قبل الحكام والولاه ، وموقف أئمة الشيعة من هؤلاء فى ابداء النصح لهم ووقوفهم بجانب المحرومين والمضطهدين ، ازدادوا تمسكا بهم ، « وقد كان العلويون يعبرون عن ضمير الشعب »(٧) •

لم يرض الامام على عن عثمان ، وعارض سياسته وتصرفاته ، وأكثر من نصحه دون جدوى(٨) • يقول على بن أبى طالب : « ما يريد عثمان أن ينصحه أحد ، اتخذ بطانة أهل غش ليس منهم أحد الا وقد تسبب بطائفة من الأرض يأكل خراجها ويذل أهلها »(٩) •

واستمر الامام على بن أبى طالب فى نصحه لعثمان وارشاده الى طريق الاسلام ومنهجه ، فيقول له : « ••• وان الطريق لواضح وان أعلام الدين لقائمة ، اعلم يا عثمان أن أفضل عباد اللـه عند اللـه امام عادل هدى وهدى فأقام سنة معلومة وأمات بدعة متروكة ، فواللـه ان كلا لبين ، وان السنن لقائمة لها أعلام وان البدع لقائمة لها أعلام وان شر الناس عند اللـه امام جائر ضل وأضل فأمات سنة معلومة وأحيا بدعة متروكة ••• وانى احذرك اللـه وسطواته ونقماته فان عذابه شديد أليم ••• »(١٠) • و « ما زال على عليه السلام من أكبر المساعدين لعثمان الذابين عنه ، وما زال

---

(٦) محمد مهدى شمس الدين : **الظروف التى صاحبت ثورة الحسين** ــ دائرة المعارف الشيعية ــ مرجع سابق ــ جـ ٢ ــ ص ٣٢ •

(٧) على سامى النشار : **نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام** ــ ط ٧ ــ القاهرة دار المعارف ــ ١٩٧٧ ــ جـ ١ ــ ص ٢٣٢ •

(٨) على ابراهيم حسن : **التاريخ الاسلامى العام** ــ القاهرة ــ النهضة المصرية بدون تاريخ ــ ص ٢٥٤ •

(٩) عبده حسن الزيات : **الثورة الشعبية التى سبقت خلافة على** ــ دائرة المعارف الشيعية ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ٨٧ •

(١٠) أبو الحسن على بن أبى الكرم المعروف بابن الاثير : **الكامل فى التاريخ** ــ ط ٣ ــ بيروت ــ دار الكتاب العربى ــ ١٩٨٠ ــ جـ ٣ ــ ص٧٦ •

عثمان يلجأاليه فى وضع الناس عنه ، فيقوم عليه السلام فى دفعهم عنه القيام المحمود ٠ ٠ ٠ »(١١) ٠ وهكذا كان الامام على مرجعا يرجعون اليه في الملمات ، وظل عثمان يتعلل بمختلف الأعذار ، لا يستقر على رأى ٠ وكان أحيانا يذعن لنصائح على ويعزم على اصلاح الأمور ٠ ومما قاله على لعثمان : انمعاوية يقتطع الأمور دونك وأنت تعلمها ، فيقول للناس هذا أمر عثمان فيبلغك ولا تغير على معاوية(١٢) ٠

وهنا ياتى دور الشيعة الاصلاحى لما أحدثه عثمان ، فيصوره الصحابى أبو ذر الغفارى بقوله : « والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، والله ما هى فى كتاب الله ، ولا سنة نبيه ، والله انى لأرى حقا يطفأ ، وباطلا يحيا ، وصادقا مكذبا ، وأثرة بغير تقى ، ومالا مستأثرا به »(١٣) ٠ ولهذا رأى أبو ذر أن يعلن ما بذره رسول الله ، وذلك بالدعوة الى التشيع والتمسك بحق أهل البيت ، الذين هم حصن الاسلام ، وأخذ يدعو الناس الى ذلك(١٤) ٠

بدأت معارضة أبى ذر الاصلاحية أولا بالنظام الاجتماعى ٠ حاول بقدر المستطاع أن يغير من هذا الوضع الذى تفشت فيه الطبقية ، كان يكره أن يغنى الغنى حتى يكتنز المال ، بينما لا يجد الفقير ما ينفق ٠ كما كان يكره أن يتصرف الامام بمال المسلمين فيقصره على الأغنياء بغير حق ، فيزدادوا غنى ، ويزداد الفقير فقرا ، كان يرى أن يصرف هذا المال فى المصالح العامة ، وهو على كل هذه المعارضة لم يكن ثائرا ولا نازعا

---

(١١)حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى والدينى** – مرجع سابق – جـ ١ – ص ٣٧٢ ٠

(١٢) عبده حسن الزيات : **الثورة الشعبية التى سبقت خلافة على** – مرجع سابق جـ ١ – ص ٨٧ ٠

(١٣) محمد جواد مغنية : **معالم الفلسفة الاسلامية** – ط ٢ – بيروت – دار القلم – ١٩٧٣ – ص ٢٣ ٠

(١٤) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب : **تاريخ اليعقوبى** – ط ٤ – النجف – المطبعة الحيدرية – ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م – جـ ٢ – ص ١٥٩ ٠ وانظر حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** – مرجع سابق – جـ ١ – ص ٤٠٣ ٠

يدا من الطاعة ٠٠٠ وانما كانت معارضـته سـلبية تكتفى بالنقد اللاذع والنصح العنيف ٠ كما يقول الدكتور طه حسين(١٥) ٠

فأبو ذر من الذين سـبقوا الى الاسلام ، ومن الذين أحبهم النبى وأثنى عليهم ، نظر ذات يوم فاذا عثمان يغدق بعطاياه بعض الصـحابة بلا حسـاب ، فاعطى مروان بن الحكم مالا كثيرا ، وأعطى أخاه الحارث بن الحكم ثلثمائة ألف درهم ، كما أعطى زيد بن ثابت الانصارى مائة ألف درهم ، فينكر ذلك على عثمان ، ويحذره بآيات من القرآن ، بأن الذين يكنزون هـذه الأموال ، ولا ينفقونها فى صلاح الأمة واصلاحها فلهم عذاب أليم ٠ نهاه عثمان عن ذلك ، فقال أبو ذر : « أينهانى عثمان عن قراءة كتاب اللـه وعيب من ترك أمر اللـه ، لأن أرضى اللـه بسخط عثمان أحب الى من أن أرضى عثمان بسخط اللـه » ٠ فما كان من عثمان الا أن أمر بنفيـه الى الشـام ، وما أن استقر به المقـام هناك حتى أخـذ يظهر للناس ما وصلت اليه الأمة الاسلامية من تفكك وانحراف عن التعاليم الاسلامية ، حيث جعل يقول فى الشام ما كان يقوله فى المدينة ، فانكر على معاوية بناء الخضراء ، وقال : ان كنت انما بنيتها من مال المسلمين فهى الخيانة ، وان كنت انمـا بنيتها من مالك فانما هو السرف ، واجتمع اليـه الناس يسـمعون منه ويؤمنون له ، حتى خاف معاوية على أهل الشام من دعوة أبى ذر هـذه ، فكتب يشكو منه الى عثمان ٠ فأشخصه اليه على أغلظ مركب(١٦) ٠ فلمـا بلغ المدينة مضى فى دعوته الاصلاحية ، فقعد فى مسجد رسول اللـه (ص) يحدث الناس بما صارت اليه الأمة داعيا الى التمسك بأهل البيت والناس يجتمعون اليه(١٧) ٠

وكان أبو ذر يرى أن فكرة الحياة الانسانية هى الفضيلة والانسان هو الفاضل فقط ٠ اذن فعلى الناس أن يشيعوا الفضيلة بينهم ، وأن يوفروا كل جهودهم على تحقيقها وانتهاج سننتها وأساليبها ٠ وأما أولئك الذين يجمعون أكبر جهدهم وهمهم على متارف الحياة الناعمة وأسباب العيش

---

(١٥) طه حسين : الفتنة الكبرى ـ عثمان ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٥.
(١٦) المصدر السـابق : ص ، ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ٠ وأيضـا جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ٠
(١٧) **تاريخ اليعقوبى** : مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٥٩ ٠

الرغيد ، فهؤلاء عنده لا يفضلون عن سائمات وجدت سبيل عيشها ، والانسان فى اعتباره اذا جمع همه على هـذا فانه يتحول حيوانا فقط ميزته أنه أقدر على التحيل بما فيه من العقل · ولكى يكون الانسان انسانا كاملا لا بد له من حياة أخرى مادتها الفضيلة ، والفضيلة فى نظره هى التجرد والعمل · ولهذا فالانسان يسير بالحياة دوما بالروح التى هى فكرة الحياة وغايتها وضميرها وأخلاقيتها · وعلى هـذا كان يوصى ويلح أن نعمل وأن نتجرد أى نـعمل ولا ندخر ، فحض بأقصى ما لديه من أسلوب على عدم الكنز(١٨)·

هذا الموقف الاصلاحى من أبى ذر تجاه الواقع الاجتماعى ، ومحاولة تغييره ، أدى به الى النفى ، لأن السـلطة وعمالها لا يريدون اصـلاحا · « وأظهر عمار بن ياسر رقة لأبى ذر وعطفـا عليه ، فظن عثمان أنه انمـا يلومه على نفيه أبا ذر ، فغضب عليه وأمره أن يذهب هو أيضا الى الربذة منفيا ··· وغضب على وأقبل على عثمان فلامه ، فى نفى أبى ذر ، وطلب اليه أن يكف عن عمار ·· حتى قال عثمان لعلى : ما أنت بأفضل من عمار ، وما أنت أقل استحقاقا للنفى منه ··· »(١٩) ·

واستمر الموقف الاصلاحى يعبىء الجماهير ، وكان يتصـدر الموقف على بن أبى طالب وعمـار بن ياسر وعبد اللـه بن مسـعود وأبو الدرداء وأبو ذر الغفارى ثم محمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفة ومالك الأشتر وغيرهم ممن يكونون الدعامات الشـعبية أو ممن التقت مصـالحهم مع الشعب ، يهاجمون سياسة عثمان ، ولكن الأمر لم يكن سهلا ، فلقد ضرب الفساد فى كثير من الأرجاء واختلطت القيم السامية بالأخلاق الوضعية ، واخترعت القصص لتجريح زعمـاء الشـعب وضـعف من ضـعف من المناضلين(٢٠) · فضرب عثمان عمار بن ياسر حتى غشى عليه ، ثم أخرج

---

(١٨) عبده حسن الزيات : **الثورة الشعبية** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص · ص ٨٦ ، ٨٧ ·

(١٩) طه حسين : **الفتنـة الكبرى** ـ عثمـان ـ مرجع سـابق ـ ص · ص ١٦٤ ـ ١٦٥ ·

(٢٠) عبده حسن الزيات : **الثورة الشعبية** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٩٦ ·

محمولا ، وظل مغشيا عليه سائر النهار ، فلما أفاق توضأ وصلى ، وقال : الحمد للـه ، ليست هـذه أول مرة أوذينا فيها فى اللـه(٢١) ٠

أما موقف مالك الأشتر من التغيير الاجتماعى ، فهو لا يقل عن موقف من سبقه من شيعة على بن أبى طالب ، فقد جاء فى كتاب كتبه الى عثمان : « ٠٠٠ فانه نفسك وعمالك عن الظلم والعدوان وتسيير الصالحين ، ونسمح لك بطاعتنا ٠ وزعمت أنا قد ظلمنا أنفسنا ، وذلك ظنك الذى أرداك فأراك الجور عدلا والباطل حقا ٠ وأما محبتنا فان تنزع وتتوب وتستغفر اللـه من تجنيك على خيـارنا ، وتسـييرك صـلحاءنا واخراجك ايانا من ديارنا ، وتوليتك الأحـداث علينا ٠٠٠ واحبس عنا وليدك وسعيدك ومن يدعوك اليه الهوى من أهل بيتك ان شاء الله ٠ والسلام ٠

يقول الدكتور طه حسين : فأنت ترى أن الاشتر لم يخلع طاعة عثمان ولم ينكر امامته ، وانما اتهمه بالجور والانحراف عن السنة ونبذ القرآن وراء ظهره وتوليه الأحـداث ، ونفى من نفى من المسلمين ٠ قال الرواة : فلما قرأ عثمان هذا الكتاب ٠ قال : اللهم انى تائب ٠٠٠ »(٢٢) ٠

وقد كانت هـذه المواقف الاصلاحية لارجاع السلطة الى ما كانت عليه فى عصر الرسول (ص) والخليفتين تشيع فى المسلمين فينتظرون من عثمان أن يستجيب لها ، لأنها كانت قائمة على ادراك حاجات المجتمع ، وكانت تعبيرا عن عدم رضا المسلمين عن السياسـة التى كانوا يساسـون بها ٠ ولكنهم بدل ذلك كانوا يرون أن عثمان وآله قد نكلوا بهؤلاء ولم يستجيبوا الى شيىء مما دعوا اليه ٠

وقد أثار موقفه هـذا سخط عامة المسلمين ، فهؤلاء المعارضون لهـذه السياسة من أعلام الصحابة وأركان الدعوة ، يمنعهم عثمان ويضطهدهم

---

(٢١) أبو محمد عبد اللـه بن مسلم بن قتيبة الدينورى : **الامامة والسياسة** ط ٣ ـ مطبعة مصطفى البابى بمصر ـ ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م ـ جـ ١ ـ ص ، ص ٣٢ ـ ٣٣ ٠ وأيضا طه حسين : **الفتنة الكبرى ـ عثمان** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٧ ٠

(٢٢) طه حسين : المصدر السابق ـ ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ٠

لدعائهم اياه الى الاصلاح ، فى الوقت الذى يسمع فيه من مروان بن الحكم وأشباهه من بنى أمية وأنصارهم من مسلمة الفتح الذين ليس لهم سابقة فى الاسلام ، وهؤلاء الداعون الى الاصلاح كانوا يعبرون عن ارادة جميع المسلمين الذين أذتهم سياسة عثمان فى كراماتهم وأرزاقهم ، دون الالتفات من عثمان الى أى نصح أو تحذير(٢٣) ٠

والى جانت هـذه المعارضة الصادقة المخلصة ، كانت توجد معارضة أخرى مدفوعة بأسباب مغايرة ، وتستهدف نتائج مغايرة ٠ وقـد رأى زعماء هـذه المعارضة فى فساد الأوضاع العامة وشيوع التذمر والنقـد فرصـة يستغلونها لاستعجال نهاية عثمان التى تمكنهم من الوصول الى مآربهم ، فأخذوا يسـاهمون فى نشر روح التـذمر وتعميقها ٠ وقـد مكن عثمـان بسياسته الادارية لهـذه الطائفة من معارضيه أسـباب القوة والنفوذ ، وذلك حين أطلق لها أن تنمى ثرواتها الى أبعـد مدى ، وحين أطلق لها أن تغادر المدينة الى البلاد المفتوحة حيث راح أفرادها يستكثرون لأنفسـهم من الأموال ، ويستكثرون من الاتباع ويمنون أنفسهم بالوصول الى الخلافة ويمنيهم بذلك أتباعهم وقبائلهم(٢٤) ٠

هـذه الظروف ، وهـذه الأجواء المشحونة بالاضطرابات والتفكك الاجتماعى هيأت الأجواء لانتشار التشيع ، فقد « كان لعلى شيعة فى العراق قبل توليه الخلافة ، وقبل أن يجعل الكوفة عاصمة لخلافته ٠ وعندما استقر فى العراق بعـد حرب الجمل كان ذلك من أقوى الأسباب لانتشار مذهب الشيعة فى هـذا الاقليم وعلى الأخص فى عاصمته الكوفة ٠ ولـذا بذل معـاوية وولاته كثيرا من الجهـد فى سبيل القضـاء عليه وعلى زعيمهم حجر بن عدى »(٢٥) ٠ أما فى مصر فقـد نشأت الشيعة ابتداء فى عهـد

---

(٢٣) محمـد مهـدى شمس الدين : **ظروف ثورة الحسـين** ـ دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٣ ٠

(٢٤) المصدر السابق : ص ٣٣ ، وانظر طـه حسين : **عثمان** ـ مرجع سابق ـ ص ، ص ٧٦ ـ ١٠٩ ٠

(٢٥) على حسنى الخربوطلى : **تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى** رسالة دكتوراه مطبوعة ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ القاهرة ـ دار المعارف ١٩٥٩ ـ ص ١٠٨ ٠

عثمان اذ وجد الدعاة فيها أرضــا خصبة ، وعمت العــراق واتخذته لهــا مستقرا ومقاما(٢٦) ٠

يقول أبو زهرة : « ونما ـ أى المذهب الشيعى » ـ وترعرع فى عهـد « على » رضى الله عنه ، اذ كان كلما اختلط بالناس ازدادوا اعجابا بمواهبه ، وقوة دينه وعلمه ، فاستغل الدعاة ذلك الاعجاب ، وأخذوا ينشرون آراءهم فيه ٠٠ ولــا اشتدت المظالم على أولاد على فى عهد الأمويين ، وكثر نزول الأذى بهم ثارت دفائن المحبة لهم وهم ذرية رســول اللــه (ص) ، ورأى الناس فيهم شهداء الظلم فاتسع نطاق المذهب الشيعى وكثر أنصاره»(٢٧)٠ بالاضافة الى ذلك فقـد « وجد الموالى فى العــراق من النبط والفـرس وغيرهما فى ظل على ما لم يحققه لهم الأمويين ، اذ كان يذهب الى المساواة بينهم وبين العرب فى الحقوق ٠ فكان هـذا كله سببا فى أن تصبح العراق وأن تصبح الكوفة بنوع خاص مركز التشيع لعلى وآله »(٢٨) ٠

وقـد أخذ الامام على ينشر مذهب التشيع ويدعو المسلمين للتمسك به وبأهل بيته ، لأن الرشد فى اتباعهم ، ولهـذا يقول : « ألا ان أبرار عترتى ، وأطايب أرومتى ، أحلم الناس صغارا ، وأعلم الناس كبارا ، ألا وانا أهل بيت من علم الله علمنا ، وبحكم الله حكمنا ، ومن قول صادق سمعنا ٠ وان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، وان لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا ٠ معنا راية الحق ، من تبعها لحق ، ومن تأخر عنها غرق ، الا وان بنا ترد دبرة كل مؤمن ، وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم ، وبنا غنم ، وبنا فتح الله لابكم ٠ وبنــا يختم لابكم »(٢٩) ٠

ان هـذا الأسلوب من الامام على هو الذى نمى التشيع حتى عم أكثر

---

(٢٦) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الاسلامية** ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى بدون تاريخ ـ ص ٣٥ ٠
(٢٧) المصــدر السابق : ص ٣٣ ٠
(٢٨) شوقى ضيف : **التطور والتجديد فى الشعر الأموى** ـ مرجع سابق ـ ص ، ص ٩١ ـ ٩٢ ٠
(٢٩) أبو عثمــان بن بحــر الجــاحظ : **البيــان والتبيين** ـ تحقيق عبد الســلام محمــد هارون ـ ط ٤ ـ مكتبة الخــانجى بمصر ـ ١٩٧٥ ـ جـ ٢ ـ ص ٥٢ ٠

الأقطار الاسلامية بعـد أن كان بذرة بذرها رسول الله (ص) ، وظلت خفية فى قلوب أهل البيت ومن تابعهم فى عهـد الخليفتين أبى بكر وعمر حفـاظا على وحـدة المسلمين ولمـا انحرف المنحرفون ظهرت هـذه البذرة وترعرعت بفضل هؤلاء ٠ يقول آل كاشف الغطاء : « ٠٠٠ فلم يزل التشيع لعلى عليه السلام وأولاده بهـذا وأمثاله ينمو ويسرى فى جميع الأمة الاسلامية ٠٠٠ خفيا وظاهرا ومستورا وبارزا ٠٠٠ فكان بنو أمية كلما ظلموا واسـتبدوا واستأثروا وتقاتلوا كان ذلك كخـدمة منهم لأهل البيت وترويجـا لأمرهم وعطفا للقلوب عليهم ، وكلما شددوا بالضغط على شيعتهم ومواليهم وأعلنوا على منابرهم سب على وكتمان فضائله وتحويرها الى مثالب انعكس الأمر وصار « رد فعل » عليهم ٠٠٠ »(٣٠) ٠

« العصر الثانى : العصر الأموى » :

سياسة الأمويين تجاه الشيعة وأثرها فى إنتشار التشيع :

ان أول عمل قام به الأمويون بعـد أن تولى معاوية الخلافة هو سن سب على بن أبى طالب على المنابر(٣١) ٠ فقـد صدرت أوامره الى المغيرة ابن شعبة بأن يسب عليا على المنابر ، ولا يتورع عن شتمـه وذمه ، وأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية سبع سنين وأشهرا لا يدع ذم على والوقوع فيه ٠ وكان هـدف معـاوية أن يبغض الكوفيين فى على(٣٢) ، ولهـذا بدأ معـاوية معركته مع العلويين وأنصـارهم فقـد أرسل الى عماله فى الآفاق كتابا يحرضهم فيه بالتنكيل بهم وتشريدهم وقتلهم ما لم يظهروا البراءة من الامام على والولاء للامويين ، وكان فيما كتب لعماله فى ذلك : « ان لا يجيزوا أيضالأحـد من شيعة على ، الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادة »

---

(٣٠) آل كاشـف الغطاء : **أصـل الشـيعة** ـ مرجع سـابق ـ ص ، ص ٥٠ ـ ٥١ ٠

(٣١) جعفر بن محمـد بن جرير الطبرى : **تاريخ الطبرى** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ـ دار المعـارف ـ ١٩٦٢ ـ جـ ٥ ـ ص ١٦٨ ٠ وأيضا أحمد بن عبد الله القلقشندى : **مآثر الانافة فى معـالم الخلافة** ـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج ـ مطبعة حكومة الكويت ـ ١٩٦٤ ـ جـ ١ ـ ص ١٤٣ ٠

(٣٢) يوسف خليف : **حياة الشعر فى الكوفة الى نهاية القرن الثانى للهجرة** ـ القاهرة دار الكتاب العربى ـ ١٩٦٨ ـ ص ، ص ٦٢ ـ ٦٥ ٠

وكتب أيضـا : « من اتهمتموه فى موالاة هؤلاء القوم • فنكلوا به وهـدموا داره »(٣٣) •

« جلس معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من على »(٣٤) ، حتى شب أبناؤهم على التنقص منه ، « تنقص ابن لعبد الله بن عروة بن الزبير عليا رحمه اللـه • فقال له أبوه : واللـه ما بنى الناس شيئا قط الا هـدمه الدين ، ولا بنى الدين شيئا فاستطاعت الدنيا هـدمه ، ألم تر الى على كيف يظهر بنو مروان من عيبه وذمه ؟ واللـه لكأنما يأخذون بناصيته رفعـا الى السماء ، وما ترى ما يندبون به موتاهم من التأبين والمديح ؟ واللـه لكأنما يكشفون عن الجيف »(٣٥) • كما تنقص ابن لعامر بن عبد اللـه بن الزبير على بن أبى طالب ، فقال له أبوه : « لا تتنقصـه يا بنى ، فان بنى مروان ما زالوا يشتمونه ستين سنة فلم يزده الله الا رفعـة ، وان الدين لم يبن شيئا فهـدمته الدنيـا ، وان الدنيـا لم تبن شيئا الا عـادت على مـا بنت فهـدمته »(٣٦) •

هذه السياسة من الأمويين تجاه الشيعة ، كانت نتيجتها عكس ما كان يريدونه ، فقـد كانت أوامر معاوية هـذه ، سببا فى تحريك الجذوة الكامنة فى نفوسم ، وكانت هـذه اللعنات التى يصبها الأمويون على على ، زادت الجذوة اشتعـالا ، فان الشيعـة لم يرضهم أن يلعن على على منابرها كل صباح وكل مساء ، فغضب له أحد شيعته المخلصين ، حجر بن عدى الكندى ، وأعلن على المـلأ غضبه وأخـذ يتحـدى سلطان الأمويين ، فيؤخذ حجـر

---

(٣٣) محمـد جواد فضل اللـه : **حجر بن عدى الكندى** ـ بيروت ـ دار التراث الاسلامى ـ ١٩٧٤ ـ ص ٨٠ ••

(٣٤) الجاحظ : **البيان والتبيين** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ١٠٥ •
الأغاق ، وهو بأن يعمـد الى من يعرف عنه الولاء للامام فيأمره بارتقاء المنبر على مسمع من الجمـاهير ليتبرأ ن الامام على ويشتمـه ، مع علمه بان ذلك

(٣٥) المصـدر السابق : ص ١٧٣ ـ ١٧٤ •

(٣٦) أبو محمـد عبد اللـه بن مسـلم بن قتيبة الدينورى : **عيـون الأخبار** ـ القاهرة ـ دار الكتب ـ ١٩٢٨ ـ ج ٢ ص ، ص ١٨ ـ ١٩ • وانظر أيضا : عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد : **نهج البلاغة** ـ مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر ـ بدون تاريخ ـ ج ١ ـ ص ٦ •

وأصحابه ، ويبعث بهم الى معــاوية ، فيأمر بقتلهم ان لم يتبرؤا من على ويلعنوه ، ولكنهم يقولون له : « ان الصبر على حــد السيف لا يسر علينا مما تدعونا اليه »(٣٧) ثم يقــدمون للقتل واحــدا بعــد الآخــر(٣٨) ٠

كانت البراءة من على عند معاوية وولاته ، تعنى البراءة من رسالته ونهجــه العملى فى الايمان والحق ، ويتمثل ذلك عنده باخضــاع المتهمين بالولاء للامام لرقابة قاسية تعــد عليهم أنفــاسهم وتمنعهم من القيام بأى نشاط عملى أو اعلامى يكون فيه اظهار لفضل الامام أو أحــد من أهل بيته ، ولهــذا لم يملك معاوية القــدرة على اقتلاع جذور الولاء المتأصلة فى أعماق المخلصين من أتباع على ، ولكنه يسعى جاهــدا لفرض حصــار مرهق من حولهم ، ليمنع من اتســاع القــاعدة الجماهيرية لهم مبدئيا ٠ وقــد سلك معاوية فى حربه هــذه ، منهجا اعلاميا مضللا ، وألزم به العمال والولاة فى الآفاق ، وهو بأن يعمــد الى من يعرف عنــه الولاء للامام فيأمره بارتقــاء المنبر على مسمع من الجماهير ليتبرأ من الامام على فيشتمه ، مع علمه بأن ذلك لا يعــدو عن كونه أمرا ضروريا لا يمس الواقع بشىء ٠ وبهــذا يحاول أن يؤكــد الحاجز النفسى الذى عمل على تركيزه ليفصــل بين مشاعر العامة ، وبين على بن أبى طالب وأهل بيته ، وليظهر للعامة اتفاق الأمة على البراءة من الامام ورسالته ، وقــد اصطدم معــاوية فى معــركته هــذه بكثير من الرؤساء والقادة الذين واجهوا دعوته لهم بالبراءة من الامام ولعنه ٠٠ بكل قوة وصلابة(٣٩) ٠ مما أدى الى شــدة تمسكهم برسالة على ونشرها بين الناس ٠ وأكثر الشعراء فى نشر فضائل هؤلاء القادة الذين باعوا دنياهم فى سبيل انقاذ الناس من الظلم والجور الذى طغى على الأمة الاسلامية فى ذلك الوقت ٠ فأصبح الشعراء وكأنهم مدرسة سيارة تظهر ما انطوى عليه هؤلاء(٤٠) ٠

أقبل معــاوية على عبد الرحمن العنزى فقــال : ايه يا أخا ربيعــة ، ما قولك فى على ؟ قال : دعنى ولا تسألنى فانه خير لك ، قال : والله لا أدعك

(٣٧) يوسف خليف : **حيــاة الشــعر فى الــكوفة** ــ مرجع سابق ــ ص ، ص ٦٤ ــ ٦٥ ٠

(٣٨) **تاريخ الطبرى** : مرجع سابق ــ جـ ٥ ــ ص ٢٧٦ ٠

(٣٩) محمــد جواد فضــل اللــه : **حجر بن عدى** ــ مرجع سابق ــ ص ، ص ٨٠ ــ ٨١ ٠

(٤٠) **تاريخ الطبرى** : مرجع سابق ــ جـ ٥ ــ ص ، ص ٢٨٢ ــ ٢٨٣ ٠

حتى تخبرنى عنه ، قال : أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيرا ، ومن الآمرين بالحق والقائمين بالقسط ، والعافين عن الناس » ٠ ولما رأى معاوية منه هذا الموقف بعث به الى زياد فدفن حيا بقس الناطق(٤١) ٠

وهذا الموقف من العنزى تتجلى فيه الروح التربوية التى كان يغذيها الامام على فى نفوس أصحابه وشيعته حتى أصبحوا أداة لتغيير الواقع الذى انتهى اليه فى هذا العصر ، مع التضحية والصمود ٠ ولذا نلاحظ كلام العنزى لمعاوية المنطوى على أهم المفاهيم التربوية التى تؤدى الى تغيير السلوك لدى الحكام ، فهو يدعو معاوية وينبهه بأن عليا كان من الذاكرين لله كثيرا ليتعظ بذلك ، ويجعل خشية الله طريقه فى الحياة ، ثم قوله ، ومن الآمرين بالحق ، والتربية تدعو الى الحق واقامة العدل ، وهذا ما قام به الشيعة ، ولاقوا من أجله ألوان العذاب والاضطهاد ، حتى أن زياد بن أبيه أراد أن يصفى حسابه مع العلويين ، فنفى من الشيعة من أهل الكوفة عددا كبيرا يبلغ الخمسين ألفا الى خراسان(٤٢) ومما لا شك فيه أن هذا العدد الضخم من الشيعة كان عاملا قويا فى نشر حركة التشيع فى خراسان(٤٣) ٠

وقد استغل ولاة معاوية هذا الموقف منه بالتنكيل بالشيعة أينما كانوا ، حتى أنهم استعملوا ولاة أشد بغضا لعلى وشيعته ، فأكثروا السب فى على على منابر الكوفة والرى(٤٤) ٠

وتشير عذراء المشاعر الاسلامية العامة بمرارة ولوعة ، حيث كانت أول حدث مأساوى من نوعه تصطدم به ، ولم يقتصر ذلك على اتجاه معين ، بل اتحدت فيه جميع الاتجاهات السياسية والمبدئية المختلفة من

---

(٤١) المصدر السابق : ص ، ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧ ٠

(٤٢) يوسف خليف : **حياة الشعر فى الكوفة** ــ مرجع سابق ــ ص ٦٥ ٠

(٤٣) Wellhausen : **"The Arab Kingdom and its Fall"** Translated from German by Margaret weir M. A. (Calcutta 1972) P. 499.

(٤٤) ابن الاثير : **الكامل فى التاريخ** ــ مرجع سابق ــ ج ٣ ــ ص ٢٠٧ ٠ وأيضا **تاريخ الطبرى** : مرجع سابق ــ ج ٥ ــ ص ١٦٨ ٠

المنطلقات الاسلامية العامة ، باعتبارها مأساة انسانية حزينة ، ارتكبها الحكم بلا مبرر انسانى أو أخلاقى مقبول • وفى ذلك قالت عائشة لمعاوية حيث حج ودخل اليها : يا معاوية أقتلت حجرا وأصحابه ، فأين عزب حلمك عنهم • أما أنى سمعت رسول الله (ص) يقول يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السماوات ، قال : لم يحضرنى رجل رشيد يا أم المؤمنين • وروى أن معاوية كان يقول ما أعد نفسى حليما بعد قتلى حجرا وأصحاب حجر »(٤٥) • « قال ابن سيرين : فبلغنا أنه لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت ويقول : يومى منك يا حجر يوم طويل »(٤٦) •

ويصف لنا الامام الحسين بن على ما قام به معاوية من التنكيل والقتل بالشيعة ، فى كتاب كتبه لمعاوية ردا على كتابه جاء فيه : « •• ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين ، الذين كانوا يستفظعون البدع ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، فقتلتهم ظلما وعدوانا ، من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة ، والعهود المؤكدة ، جراءة على الله واستخفافا بعهده ، أو لست بقاتل عمرو بن الحمق ، الذى أخلقت وأبلت وجهه العبادة فقتلته ••• أو لست المدعى زيادا فى الاسلام ••• ثم سلطته على أهل الاسلام ، يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ويصلبهم على جذوع النخل ، سبحان الله يا معاوية ، لكأنك لست من هذه الأمة ، وليسوا منك أو لست قاتل الحضرمى الذى كتب اليك فيه زياد أنه على دين على كرم الله وجهه ، ودين على هو دين ابن عمه (ص) ••• انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد •• واتق الله يا معاوية ، وأعلم أن لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، وأعلم أن الله ليس بناس لك قتلك بالظنة ، وأخذك بالتهمة »(٤٧) •

---

(٤٥) **تاريخ اليعقوبى** : مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢١٨ ، وأيضا **تاريخ الطبرى** : مرجع سابق ـ ج ٥ ـ ص ٢٥٧ ، وأيضا ابن الاثير : **الكامل** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٢٤٣ •

(٤٦) **تاريخ الطبرى** : المصدر السابق ـ ص ٢٥٧ ، وأيضا ابن الاثير : المصدر السابق ـ ص ٢٤٣ •

(٤٧) ابن قتيبة : **الامامة والسياسة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٨٢ •

والشيعة لم يعلنوا الولاء بقلوبهم للامويين قط ، فرماهم معاوية فى خلافته بزياد بن أبيه ، فقضى على المعارضة أن تظهر ، ولكنه لم يستطع أن يقتلع جذور التشيع من النفوس(٤٨) ٠ وفى ذلك يقول المدائنى : « أن زياد ابن سمية كان يتتبع الشيعة فى الكوفه وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام على ، فقتلهم تحت كل حجر ومدر ، وأخافهم وقطع الأيدى والأرجل وسمل العيون ، وصلبهم على جذوع النخل ، وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق به معروف ٠٠٠ »(٤٩) ٠

فاذا كان هـذا حال معاوية وعماله مع حلمه وطول أناته كما يقولون ، فكيف اذن الحال فى أيام عبد الملك مع شـدته وفتكه ، « فرماهم بالحجاج فاشتد فى القمـع ، وكلمـا اشتد قمعـه اشتد المذهب الشيعى فى نفوس معتنقيه »(٥٠) ٠ فهل يستغرب ما يقـال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرا ولو كانوا مائة وعشرين ألفا ، وهل يستبعد أن يكون فى حبسه عند موته خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة »(٥١) ٠ « منهن ستة عشر ألف مجردة ، وكان يحبس النساء والرجال فى موضع واحـد ، ولم يكن له غير ذلك من العـذاب »(٥٢) ٠ ولا ذنب لهم سوى تمسكهم بأهل البيت ٠

يقول الرحالة : « وقـد اتفق لى قبل الانفصـال عنها ـ أى واسط ـ انى لقيت فيهـا شيخا كان أبوه خادما عند الحجاج (حاسبه اللـه تعـالى) فحـدثنى من أخباره ما تنفطر منه الأفئدة رحمة لأهل البيت وأصحابهم ، لأنه كان يقتل منهم جزافا على التهمة الى أن بلغ عـدد الذين قتلهم صبرا مائة ألف وعشرين ألفا ، وكان فى السجن عندما أهلكه الله أكثر من خمسين

---

(٤٨) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الاسلامية** ـ مرجع سـابق ـ ص ٣٦ ٠

(٤٩) أحمد أمين : **فجر الاسلام** ـ ط ١٢ ـ القاهرة ـ دار الشباب للطباعة ـ ١٩٧٨ ـ ص ٢٧٥ ٠

(٥٠) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الاسلامية** ـ مرجع سـابق ـ ص ٣٦ ٠

(٥١) جرجى زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامى** ـ دار الهلال ـ ١٩٥٨ جـ ٤ ـ ص ٩٥ ، وأيضا المسعودى : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ ٠

(٥٢) المسعودى : المصدر السابق ـ ص ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦ ٠

ألفا يرسفون فى سلاسل الحـديد ، ولا ذنب لهم الا حبهم لأهل البيت »(٥٣) حتى يروى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب اليه من أن يقال له شيعة على »(٥٤) ٠

ومن الذين قتلهم الحجاج صبرا سعيد بن جبير التابعى ، الذى جمع بين الحديث والفقه والزهـد والعبادة والورع(٥٥) ٠ بعث به الى الحجاج ، فقال له الحجاج : « ما اسمك ؟ قال : سعيد بن جبير ، قال : بل أنت شقى ابن كسير ، قال : بل كانت أمى أعلم باسمى منك ، قال : شقيت أمك وشقيت أنت ، قال : الغيب يعلمه غيرك ، قال لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى ، قال : لو علمت أن ذلك بيدك لأتخذتك الهـا ، قال : فما قولك فى محمد ؟ قال : نبى الرحمة وامام الهـدى ، قال : فما قولك فى على أهو فى الجنة أو فى النار ؟ قال : لو دخلتها وعرفت من فيها عرفت أهلها ، قال فما قولك فى الخلفـاء ؟ قـال : لست عليهم بوكيل ، قـال : فأيهم أعجب اليك ؟ قـال : أرضـاهم لخالقى ، قال : فأيهم أرضى للخالق ، قال : علم ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم ، قال : أحب أن تصدقنى ، قال : ان لم أجبك لن أكذبك ٠٠»(٥٦)٠

وتتجلى المواعظ التربوية فى هـذه المواقف البطولية ، من هؤلاء القادة الذين آمنوا برسالتهم ، حتى ولو أدى بهم الى الموت ، فكانت نفوسهم تأبى أن ترى الظلم من هؤلاء دون أن يقدموا التضحيات ، حيث يرون أصحابهم وشيعتهم صرعى بين أيدى هؤلاء ، فهـذا التابعى الشيعى حينمـا قـال له الحجاج : « ما تقول فى ؟ قال : ظهر منك جور فى حكم اللـه وجـرأة على معـاصى اللـه وقتل لأولياء اللـه ، قال : والله لأقطعنك عضوا عضوا » ، ولم يبال سعيد بتهديدات الحجاج ، لأنه مؤمن برسالة يجب عليه أن يؤديها

---

(٥٣) جميل نخلة المدور : **حضارة الاسلام فى دار السلام** ـ القاهرة المطبعة الاميرية ـ ببولاق ـ ١٩٣٥ ـ ص ١٦ ٠

(٥٤) أحمد أمين : **فجر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص،ص ٢٧٤ـ٢٧٥ ٠

(٥٥) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ ط ١ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٤٨ ـ جـ ٢ ـ ص ١١٧ ٠

(٥٦) المصدر السابق : ص ١١٤ ٠ وأيضا **تاريخ الطبرى** : مرجع سابق ـ جـ ٦ ـ ص ، ص ٤٩٠ ـ ٤٩١ ٠

ولو زهقت روحه ، فليس هو أولى ممن سبقوه الى الشهادة من شيعة على بسيف الحجاج ، فليكن هو واحدا منهم ، ولهذا يجيبه بصراحة فيقول له : « اذا تفسد على دنياى وأفسد عليك آخرتك ، قال : فما تقول فى هذه الأموال التى نجمعها لأمير المؤمنين ، قال : ان كنت جمعتها لتشترى بها نفسه يوم القيامة فقد أحسنت اليه ، والا فقد أوقرت ظهره وثقلت حسابه ، فقال : الويل لك ، قال : الويل لمن أخرج من الجنة وأدخل النار »(٥٧) ٠

وهكذا قتله الحجاج شر قتلة بعد أن قال له : اختر يا سعيد أى قتلة أقتلك ، قال : اختر لنفسك ياحجاج ، فوالله لا تقتلنى قتلة الا قتلك الله مثلها فى الآخرة ٠٠٠ وكان قتله فى شعبان سنة خمس وتسعين للهجرة ، بواسط ، ومات الحجاج بعده فى شهر رمضان من السنة المذكورة ، ولم يسلطه الله عز وجل بعده على قتل أحد الى أن مات ٠٠٠ وهكذا ما دعا به سعيد بن جبير فقال : اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى »(٥٨) وقال أحمد بن حنبل : « قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد الا وهو مفتقر الى علمه »(٥٩) ٠ وكان الحجاج « اذا نام يراه فى منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول : يا عدو الله ، لم قتلتنى ؟ فيقول : مالى ولسعيد ابن جبير ، مالى ولسعيد بن جبير »(٦٠) ٠ « ٠٠ كلما عزمت على النوم أخذ بحلقى »(٦١) ، « ٠٠٠ فاختلط عقل الحجاج لوقته ، وبقى قليلا ثم مات ٠٠٠ »(٦٢) ٠

---

(٥٧) أبو الحسين ورام : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٣٧ ، وأيضا ابن قتيبة : **الامامة والسياسة** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ، ص ٥٢ ـ ٥٣ ٠

(٥٨) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ، ص ١١٤ ـ ١١٥ ، وأيضا **المسعودى** : مروج الذهب ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ١٧٣ ٠

(٥٩) ابن خلكان : المصدر السابق ـ ص ١١٦ ٠

(٦٠) **تاريخ الطبرى** : مرجع سابق ـ ج ٦ ـ ص ٤٩١ ـ وأيضا المسعودى : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ١٧٣ ـ وأيضا ابن خلكان : المصدر السابق ـ ج ٢ ـ ص ١١٦ ٠

(٦١) المسعودى : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ١٧٣ ٠

(٦٢) القلقشندى : **مآثر الأناقة فى معالم الخلافة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٣٧ ٠

وهكذا تتابع القتل والتشريد بشيعة على ، وسار بنو أمية بعد معاوية على خطته ، وسار العلويون على خطة على فى الدفاع عن حق المسلمين ، فقضى العلويون معظم أيامهم خائفين شاردين ، ومات أكثرهم قتلا مع أنهم أهل تقوى ودين وحق • كما يقول جرجي زيدان وغيره(٦٣) • وأرادوا بذلك تحقير أمر على وشيعته وتأييدا لسلطانهم(٦٤) • » وكان مسلك الأمويين دائما عنوانا للمخازى والفضائح فى نظر الأتقياء ، لأنهم كانوا يضعون نصب أعينهم المصلحة الدنيوية للحكومة الاسلامية ويجعلونها فى المحل الأول ، بينما رأى الأتقياء تغليب المصلحة الدينية ، لأنهم كانوا لا يرون الحكومة الا أن تكون حكومة « تيوقراطية » كما يقول جولد تسيهر »(٦٥) •

أما موقف الشيعة من يزيد بن معاوية فيقول الخربوطلى : « لم تعجب صفات يزيد الشخصية الشيعة ، فقد كان معظمهم يتصفون بالزهد والتقوى ، ورأوا أن الخلافة تسير من سىء الى أسوأ...ورأت الشيعة أن كفاحهم ليزيد هو جهاد دينى ، وأن موقفهم منه هو نفس موقف الرسول من الكفار حينما قام بالدعوة الى الاسلام »(٦٦) • ولهذا كتب الامام الحسين الى شيعته : « أما بعد فانى أدعوكم الى احياء معالم الحق واماتة البدع ، فان تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد والسلام »(٦٧) •

وكانت الصياغة المنطقية لثورة الحسين على يزيد تقتضى أن تقوم أولا بالاصلاح التغييرى لمجتمع انحرف عن الخط القويم ، وترك معايير الاسلام وأخلاقياته ، ومن ثم تأتى مرحلة الثورة • وهذه الصياغة ظهرت فى خطبته ، حيث يقول : « أما بعد ، فقد نزل من الأمر بنا ما ترون ، وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت ، وأدبر معروفها ، ولم يبق منها الا صبابة الاناء ،

---

(٦٣) جرجى زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٦٤ •

(٦٤) المصدر السابق : ص ٩١ •

(٦٥) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٦ •

(٦٦ ، ٦٧) على حسنى الخربوطلى : **تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى** ـ مرجع سابق ص ١١٢ ـ ١١٥ •

(٦٨) **تاريخ الطبرى** : مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ •

وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ، ألا ترون الى الحق لا يعمل بـه ، والى الباطل لا يتناهى عنه ، ليرغب المؤمن فى لقاء اللـه فانى لا أرى الموت الا سعادة ، والحياة مع الظالمين الا برما »(٦٨) ، وهـذا يكشف عن طبيعة السلوك الذى اختطه الحسين لنفسه ولمن معه من الشيعة ، ولهـذا أقبل عليهم بقوله : « أيها الناس ان رسـول اللـه (ص) قال : من رأى سلطانا جائرا مستحـلا لحرم اللـه ناكثا لعهـد اللـه مخالفـا لسنة رسول اللـه (ص) يعمل فى عباد اللـه بالاثم والعدوان ، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقا على اللـه أن يدخله مدخله ٠ الا وان هؤلاء قـد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفىء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غير ٠٠٠ »(٦٩) ٠

ولكن استشهاد الحسين كان له مغـزى مثالى كبير ، وتأثير عميق فى نفوس الشيعة فيما بعـد(٧٠) ٠ ولهـذا استمر الشيعة بالعمل والدعـوة الى مذهب أهـل البيت والأخـذ بثأر الحسين(٧١) ٠ « فقـد كانت دمـاء الحسـين أكثر أثـرا من دمـاء على فى نمـو روح الشيعـة وازديـاد أنصارها ٠٠٠ »(٧٢) ٠ و « ٠٠ كان هذا الحادث البشع المنكر مذكيا للتشيع الى أقصى حد ، وكان عاملا على وحدة الشيعة وحماستهم لنصرة مذهبهم ، وسببا فى ثوراتهم الجارفة ٠٠٠ »(٧٣) ٠

وظل الشيعة بعـد ذلك يقودون الحركة التحررية الشعبية ممثلين الجماهير الاسلامية فى نقمتها وثورتها المكبوتة ، وكانت هـذه الجماهير

---

(٦٩) المصـدر السابق : ص ٤٠٣ ٠ وأيضا ابن الأثير : **الكامل فى التاريخ** ــ مرجع سابق ــ جـ ٣ ــ ص ٢٨٠ ، وأيضا جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة** ــ مرجع سابق ــ ص ٧٣ ٠

(٧٠) Wellhausen: **The Arab Kingdom and its Fall**, op. cit., P. 147.

(٧١) **تاريخ الطبرى** : مرجع سابق ــ جـ ٥ ــ ص ٢٥٢ ٠

(٧٢) على حسنى الخربوطلى : **تاريخ العـراق** ــ مرجع سـابق ــ ص ١٢٣ ٠

(٧٣) أحمد محمد الحوفى : **أدب السياسة** ــ مرجع سابق ــ ص ٣٥ ٠ وأنظر حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** ــ مرجع سـابق ــ جـ ١ ــ ص ٤١٨ ٠

تعضــد بشتى ضروب التعضيد كل حركة شيعية ، وكان يســاندها كبار الفقهاء من مختلف المذاهب الاسلامية ، كما كانوا فى طليعة العاطفين على المعارضة الشيعية المؤيدين لها ، فمثلا نرى أنه عندما لم يجد زيد بن على بن الحسين بدا من اعلان ثورته على الحكم الأموى ، كان أول المؤيدين له الامام أبو حنيفــة ، فأفتى بوجوب الخــروج معه ، وكذلك فعل يوم قامت ثورة شيعية أخرى فى العهــد العباسى بقيادة النفس الزكية ، فعضد أبو حنيفة هــذه الثورة أيضا وحرض على الالتحاق بها وأمدها بالمــال(٧٤) ٠

وكان السبب فى خروج زيد بن على على الحكام الأمويين ما كان يعانيه المسلمون من ظلم الأمويين ، وما لحــق الشيعــة من بطش وقتل وارهــاب وتنكيل بالصلحاء والعلماء منهم ٠ ولهــذا كانت بيعة الناس لزيد بن على كما يصــورها الطبرى ، الدعوة الى كتاب اللــه وسنة رســوله ، وجهــاد الظالمين ، والدفع عن المستضعفين ، واعطاء المحرومين ، وقسمة الفيىء بين المسلمين بالسوية ، ورد المظالم(٧٥) ٠ كل ذلك ، مما جعل زيد أن يخرج على الحاكمين ، لينقــذ هؤلاء من جور الأمويين ٠ وحينما قتل بالمعــركة ودفن ، أخرج من قبره وصلب ، وبعــد ذلك أمر هشــام بن عبد الملك بأن يحرق ، فأحرق ، ونسف رماده فى الفرات(٧٦) ٠

وخلاصة ما تقــدم أن العصر الأموى كان بالنسبة للبيت النبوى عصر آلام نفسية ومع ذلك ، فكان الشيعة يزدادون قوة وصلابة ، وزاد مذهبهم انتشارا كلما قوبل به أبناء على من عنف الخلفاء الأمويين الذين استطاعوا أن يقتلوا كل ثائر عليهم من العلويين حتى اضطر هؤلاء الى جعل دعوتهم سرية ، ونشطوا فى نشرها برغم ذلك نشاطا كان له أكبر الأثر فى تقويض الدولة الأموية وازالتها(٧٧) ٠ وهكذا زالت دولة بنى أمية وبدأت دولة بنى

(٧٤) حسن الأمين : **عوامل تكوين المعارضة الشيعية** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨ ٠

(٧٥) **تاريخ الطبرى** : مرجع سابق ـ جـ ٨ ـ ص ٢٩٧ ٠

(٧٦) أبو الحسن الأشعرى على بن اسماعيل : **مقالات الاســلاميين واختلاف المصلين** ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ ط ٢ ـ القاهرة النهضة المصرية ١٩٦٩ ـ جـ ١ ـ ص ١٥٣ ٠

(٧٧) عبــده فراج : **معالم الفكر الفلسفى فى العصور الوسطى** ـ ط ١ ـ القــاهرة ـ الانجلو المصرية ـ ١٩٦٩ ـ ص ٥٠ ٠

العباس ليرى الشيعة عهدا جديدا من الاضطهاد والتنكيل · ولهذا يقول أبو زهرة : « وان الشيعة كانوا منذ الحكم الأموى فى اضطهاد وأذى ، وأئمة آل البيت يحصى عليهم كل شىء ، ومن دعا الى الحق منهم اعتورته السيوف ، وما كان يسوغ أن يسكتوا عن مظالم الأمويين »(٧٨) ·

ونتيجة هذه الظروف التى توالت على الشيعة فى عصر الأمويين ، استقرت أراؤهم الفكرية والعقائدية ، حتى نضجت فى عصر الامام الصادق ، وهو العصر الذى شهد صراعا بين الأمويين وسقوطهم ، وبين العباسيين وقيام دولتهم ، فكانت فترة جديدة بالنسبة الى الشيعة ، لم يسلموا فيها من الاضطهاد ·

العصر الثالث ـ « العصر العباسى » :

أدرك أئمة الشيعة الحكم الأموى فى أقسى مظاهره وأعنف أشكاله ، ومنهم الامام الصادق ، الذى عاش فى أواخر تلك الفترة قبل أن تسقط الدولة الأموية على أيدى الثوار العباسيين بنى عمومته ، فكان الصادق يسمع بين الحين والآخر بما يجرى على شيعة أبائه من قتل وحبس وتشريد ، وبما يحل ببنى عمه وأهل بيته من القتل والصلب ، لا لشىء الا لأنهم دعاة حق يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وبما حل بالأمة كلها وهى تئن من ظلم الولاة وجورهم ، فآثر القيام بالثورة وقادها بنفسه على بنى أمية ، ولكن ثورته لم تكن بقوة السلاح كغيرها من الانتفاضات التى كانت تحدث على أيدى أهل البيت ، بل كانت ثورة الصادق على المعاصى والمنكرات واشاعة حسن الصحبة والجوار والتعاون والصبر على المكاره والعمل لخير الناس أجمعين · أراد الامام أن يحدث ثورة انقلابية ، يكون أساسها العلم والفكر ، لتغيير الواقع الاجتماعى وازالة الانحراف والطغيان ، كما أراد من أصحابه وشيعته أن يكونوا دعاة صامتين يدعون الناس الى هذه الخصال بأعمالهم قبل أقوالهم ، وكان يقول لهم : مروا بالمعروف وأنهوا عن المنكر ، فان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يقرب أجلا ولم يبعد أرزاقا ، ويعقب على

---

(٧٨) المصدر السابق : ص ٢٤١ ·

ذلك بقوله : ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر(٧٩)٠

فى تلك الساعة التى عاشها الصادق ، وهو يهيىء الأجواء الفكرية للثورة على الظلم ، طولب أن يبايع الى بعض أبناء عمه فأبى ، فاتهم بالحقد والحسد ، ولكنه لم يترك الساحة ، بل شمر عن ساعد الجد ، بعد أن رأى أن السلاح فى ذلك الوقت لا يحل مشكلة اجتماعية ولا يرفع ظلامة مظلوم ، فاندفع الى نشر المعارف والعلوم ، فوزع طلابه بعد أن درس نفسياتهم واتجاهاتهم وقابلياتهم ، فصرف قوما الى الفلسفة وآخرين الى المناظرة والمحاجة ، وقوما الى الفقه وآخرين الى الكيمياء ، وهذا الى الطب ، وذلك الى رغبته من طلب العلم والى ما يهوى وبهذا أراد أن يحدث الانقلاب والثورة لا بحد السيف ، ولكن بالعلم والمعرفة فقد كان يرى أن لا ثورة مع الجهل ولا خنوع مع العلم ، انه يرتأى أن تتثقف الأمة فتطالب بحقوقها حيث لا يقضى على الظلم والظالمين الا العلم ، لذا وجه الناس توجيها علميا(٨٠) ٠

بهذا أراد الصادق محاربة ظلم بنى أمية وبنى العباس ، حتى كان بين يديه أربعة آلاف طالب كل يقول درست على جعفر ٠ وبهؤلاء عزم الصادق على أن يقضى على المتزعمين ويدك سلطانهم ليعيد الحق الى نصابه والانسان الى حقوقه يتمتع بها كيف شاء وأنى يريد(٨١) ٠ « ولكن المنصور ما كان يستريح لالتفاف الناس حول الصادق فى كل مكان ٠ فى المدينة حيث يقيم وفى العراق حيث يلم ليعلم الناس أو ليحاور الزنادقة والملحدين وأصحاب الآراء الذين يخالفونه فى أمور الدين »(٨٢) ٠ لكل هذا الصدق والصفاء فى التعامل مع الحياة والناس والأشياء ٠ التف الناس على اختلاف آرائهم حول الامام الصادق ، وكما كان الأمويون يراقبون الناس من حوله

---

(٧٩) هاشم معروف الحسنى : **سيرة الأئمة الاثنى عشر** ـ بيروت ـ دار التعارف للمطبوعات ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م ـ ج ٢ ـ ص ٢٤١ ٠

(٨٠) السيد محمد باقر الصدر : **جعفر الصادق** ـ دائرة المعارف الشيعية مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٧٩ ٠

(٨١) المصدر السابق : ص ٧٩ ٠

(٨٢) عبد الرحمن الشرقاوى : **شخصيات اسلامية ـ أئمة الفقه التسعة** ـ بيروت دار اقرأ ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ـ ص ٤٧ ٠

بنزع . أخذ الخليفة العباسى المنصور يراقب الامام جعفر متوجسا من جيشان العواطف نحوه ، واعجاب الناس به(٨٣) .

هذا الموقف من الامام الصادق ، والتفاف الناس حوله ، جعل المنصور يتعقب آل أبى طالب وشيعتهم ، فزج بهم السجون ، ومنهم من قتلهم على الظنة والتهمة ، وفى ذلك يقول ابن الأثير : « ثم ان المنصور أودعهم بقصر ابن هبيرة شرقى الكوفة . وأحضر المنصور محمد بن ابراهيم ابن الحسن ـ وكان أحسن الناس صورة ـ فقال له : أنت الديباج الأصغر ؟ قال : نعم : قال : لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحدا ثم أمر به فبنى عليه اسطوانة وهو حى فمات فيها .. »(٨٤) .

وكان بنو على تحت ترقب الخوف من بنى العباس لتطلبهم فى كل وقت ، وقصدهم اياهم دائما بشتى أنواع العذاب والعقاب ، فكانوا ما بين طريد شريد وبين خائف يترقب أن ينزل به عقاب بنى العباس ، ومع هذا الظلم ، فان لشيعتهم الكثيرة المنتشرة فى أقطارهم ، من الولاء لهم والاقبال عليهم ما لا مزيد عليه(٨٥) . وان ما لقيه العلويون من الاضطهاد فى عهد خلفاء بنى العباس الأولين ، لم يلقوا مثله من قبل(٨٦) .

فاذا كان بنو على يتصورون ظلم بنى أمية لهم ، لأنهم أعداء على منذ أيام معاوية ، بل أعداء بنى هاشم منذ أيام أبى سفيان ، فانهم لم يكونوا يتصورون أن يأتيهم الظلم من قبل بنى العباس أبناء عمومتهم وذوى قرباهم . ومن هنا كانت اللوعة والمرارة التى فاضت بها نفوسهم ،وقد جرت بها لسان النفس الزكية فى عبارته أنه « ظلم ذوى القربى »(٨٧) . فكانوا يقسون أشد القسوة بهم وتقتيلهم وتحريقهم ، فقد ذكر أن

---

(٨٣) المصدر السابق : ص ٤٦ .

(٨٤) ابن الأثير : **الكامل فى التاريخ** ـ مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص . ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ .

(٨٥) تقى الدين أحمد بن على المقريزى : **الخطط** ـ طبعة بولاق ـ ١٢٧٠ هـ ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠ .

(٨٦) يوسف خليف : **حياة الشعر فى الكوفة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٧ .

(٨٧) المصدر السابق : ١٠٧ .

المنصور أمر فحمل اليه من فى المدينة من علويين مقيدين بالسلاسل فحبسهم فى سجن مظلم لا يتبين فيه ليل ولا نهار ، فاذا مات واحد منهم فى السجن ترك معهم ، ثم أمر بهدم السجن عليهم(٨٨) ٠

وقد تعقب المنصور كل من يتهم فى ميله الى العلويين ، فقضى على أبى مسلم الخراسانى الذى كان يتمتع على عهد السفاح ببعض الاحترام ، ولكن صانع الملوك حامت حوله الشبهات ، لما كان يضمره من ميل للعلويين ، فاتجهت اليه فى عهد المنصور تلك التهمة المقوتة ، وهى تهمة الزندقة ، فقتل بها(٨٩) ٠ « ٠٠ وانما نكب ٠٠ أبو جعفر المنصور ٠٠ أبا مسلم ما كان من ميله مع أهل البيت وامداده اياهم بالرأى ٠٠٠ »(٩٠) ٠ وكان السبب فى هذا الاضطهاد لما يتصف به كبار أهل البيت من حسن السيرة وطهارة النفس وما يلقونه من احترام وتقدير ، كل ذلك كان يثير الحسد فى نفوس العباسيين ، ويحملهم على اضطهاد العلويين بين حين وآخر(٩١) ٠ ولما تقلد الرشيد الخلافة نكل بكل من يميل مع العلويين(٩٢) « ففتك الرشيد بالبرامكة الذين كانوا عماد دولته وصنعوا له الشهرة التى استأثر بها لمجرد الاشتباه فى تآمرهم مع العلويين »(٩٣) ٠ « وهكذا عفى الدهر هذه الأسرة التى كان لها أكبر الأثر فى تقدم الحضارة الاسلامية فى العلوم والآداب وفى الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها ـ كذلك ذهب الفضل بى سهل وزير المأمون ضحية ميله الى العلويين »(٩٤) ٠

---

(٨٨)أحمد محمد الحوفى : **أدب السياسة فى العصر الأموى** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٤ ٠

(٨٩) السيد أمير على : **روح الاسلام ـ ترجمة أمين محمود الشريف** ـ المطبعة النموذجية بالجماميز ـ ١٩٦٣ ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ٠

(٩٠) جميل نخلة المدور : **حضارة الاسلام فى دار السلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠ ٠

(٩١) السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٩ ٠

(٩٢) المصدر السابق : ص ١٩٩ ، وأيضا أحمد شلبى : **التاريخ الاسلامى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٨٩ ٠

(٩٣) السيد أمير على : المصدر السابق ـ ص ١٩٩ ٠

(٩٤) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٧٣ ٠

وقد أصبح الرشيد يخاف العلويين أشد الخوف ، ويوقع بهم أشد أنواع العقاب ، كما كان يوقع هذا العقاب بكل من أتهم بالميل اليهم ، وقد وجد سعاة السوء سبيلا للايقاع بآل البيت عند الرشيد ، وكان الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق ضحية هؤلاء السعاة ، فقد وجد حساده والناقمون عليه سبيلا للايقاع به عند الرشيد ، واثارة مخاوفه من اعتقاد الناس بامامته ، حتى أخذوا يحملون اليه خمس أموالهم ، وأنه يعزم الخروج عليه مما أقلق باله ودفعه على التخلص منه(٩٥) . وعندما حج سنة ١٧٩ هـ ، ووصل الى المدينة قبض على موسى بن جعفر الصادق ، وحمله الى بغداد حيث حبس هناك ، ثم قتله الرشيد ، وأدخل عليه جماعة من العدول شهدوا أنه مات حتف أنفه(٩٦) .

وقد فطن المأمون الى مغبة هذه السياسة التى سار عليها الخلفاء العباسيون فى معاملة العلويين وشيعتهم ، فولى عهده على بن موسى الامام الثامن للشيعة ، ولكن المأمون عدل عن ذلك قبل أن يدس السم له نهائيا ، عن فكرة تحويل الخلافة الى العلويين ، بعد أن ثار بنو العباس عليه وبايعوا ابراهيم ابن الخليفة بولاية العهد(٩٧) .

كان على بن موسى الرضا واسع العلم والمعرفة ، صحيح الفكر متزن العقل قيل لأبى نواس : علام تركت مدح ابن موسى والخصال التى تجمعن فيه ؟ فقال : لا أستطيع مدح امام كان جبريل خادما لأبيه ، والله ما تركت ذلك الا اعظاما له ، وليس قدر مثلى أن يقول فى مثله :

قيل لى أنت أحسن الناس طرا	فى فنون من الكلام النبيه
لك من جيد القريض مديح	يثمر الدر فى يدى مجتنيه
فعلا ما تركت مدح ابن موسى	والخصال التى تجمعن فيه
قلت لا أستطيع مدح امام	كان جبريل خادما لأبيه

---

(٩٥) المصدر السابق : ص ١٥٣ ـ ١٥٤ .
(٩٦) المصدر السابق ـ ص ١٥٤ .
(٩٧) على ابراهيم حسن : **التاريخ الاسلامى العام** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٩ ، وأيضا ابن خلكان : **وفيات الاعيان** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ص ٤٣٣ .

ثم أنشـــد :

مطهـرون نقيــات جيــوبهم	يجرى عليهم ثنـاء أينمـا ذكـروا
من لم يكن علويا حين تنســـبه	فما له فى قديم الدهـر مفتخـر
اللـه لمـا برا خلقـا فأتقنـــه	صفاكم واصطفاكم أيهـا البشر
فأنتم المـلأ الأعـلى وعنـــدكم	علم الكتاب وماجاءت به السور(٩٨)

هـذه الخصال التى تجمعت فى أئمة الشيعة نمت روح المحبة لهم من الجماهير ، وازداد التشيع مع مر الأيام ، وكلما ازداد ظلم آل البيت ، ازداد الناس حبا لهم ، فرمى محبوهم وشيعتهم بالزندقة والخروج عن الدين ، كما رمى أكثر الشعراء ومنهم أبو نواس لحبه وتشيعه لأهل البيت ٠ ولهذا مثلا اتهم البغدادى البرامكة بالزندقة والميل الى مذهب المجوس(٩٩)٠ فالذى يميل الى التشيع أو الى العلويين يرمى بالزندقة ، فكيف اذا كان علوى الهوى والمذهب ٠

وحين تولى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢ هـ أنزل نقمته على الشيعة ، وكان شديد البغض لعلى بن أبى طالب (رض) ولأهـل بيته ٠٠ وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشد على بطنه مخـدة تحت ثيابه ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص ويقـول :

قـد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين ٠

يعنى عليا (رض) ٠ والمتوكل يضحك ، ففعل ذلك يوما بحضرة ولده المنتصر ، فقال له : يا أمير المؤمنين ان عليـا ابن عمـك ، فكل أنت لحمه اذا شئت ، ولا تدع مثل هـذا الكلب وأمثاله يطمع فيه ٠٠ وبلغ من بغضه لعلى وأهل بيته أنه فى سنة ست وثلاثين ومائتين أمر بهـدم قبر الحسـين بن على وما حوله من المنازل ومنع الناس من زيارته(١٠٠)

---

(٩٩) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسـلام السياسى** ـ مرجـع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٧٢ ٠

(١٠٠) ابن خلكان : **وفيات الاعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٣٤ ـ ٤٣٥ ، و جـ ٥ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ ، وأيضا القلقشندى : **مآثر الاناقة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ ٠

ومن غريب ما اتفق للمتوكل أنه طلب عليا الزكى ، ويقال : على الهادى وعلى التقى ، الامام العاشر للشيعة الامامية ، فبعث اليه جماعة من الترك ليحضروه ، فهجموا عليه داره ، فوجدوه فى بيت مغلق وعليه مدرعة شعر ، وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن فى الوعد والوعيد ، ليس بينه وبين الأرض بساط الا الرمل والحصا ، فحمل الى المتوكل ، والمتوكل فى مجلس شرابه ، والكأس فى يده ، فلما رآه المتوكل أعظمه وأجلسه الى جانبه ، وناوله الكأس ، فقال : يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى ودمى قط فاعفنى ، فأعفاه ، وقال : انشدنى شعرا فقال : انى لقليل الرواية للشعر ، فقال : لا بد من ذلك ، فأنشده :

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم	غلب الجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم	فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
.. ..	.. ..

قال : فأشفق من حضر على على ، وظن أن بادرة تبدر اليه ، فبكى المتوكل بكاء كثيرا حتى بلت دموعه لحيته ، وبكى من حضره ٠٠٠(١٠١) ٠

من هذا المنطلق الذى سار عليه الأئمة تجاه بنى العباس ، حبب الناس اليهم وازدادوا تمسكا بهم ، مع مالاقوه من عذاب وتنكيل ، ومع ذلك كانوا يعلنون فى كل ما يقتضى اعلانه خدمة للدين ونشر تعاليمه ، مما جلب نفوس العامة اليهم ٠

وهذه الحوادث وأمثالها من أنواع التنكيل بالشيعة قد لازمت العباسيين طول حكمهم ، ولما ظهر سلطان الأتراك فى عهد المتوكل صحبه دعوة التنكيل بالشيعة ، فكل تاريخهم مملوء بكراهيتهم للتشيع والشيعة(١٠٢) ٠ حتى امتدت أيديهم الى أصحاب الفكر الحر منهم الذين كانوا يمثلون الحركة العلمية طوال العصور الاسلامية ، حيث تعرض

---

(١٠١) ابن خلكان : المصدر السابق ـ ص ٤٣٥ ـ و جـ ٥ ـ ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ، وأيضا القلقشندى : مصدر سابق ـ ص ٥٣٢ ـ ٥٣٣ ٠

(١٠٢) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ ط ٤ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٦٦ ـ ص ٤٢ ٠

يعقوب بن اسحاق النحوى مثلا المعروف بابن السكيت ، لأبشع أنواع القتل ، لأنه امتنع من التنقص بالحسن والحسين عليهم السلام ، فمدحهما بما هما أهله ، وتنقص من أبناء المتوكل بعد أن سأله : أيهما أحب اليك ابناى هذان ، أم الحسن والحسين · فأمر المتوكل الأتراك غداسوا بطنه ، فحمل الى داره فمات فيها(١٠٣) ·

كان الشيعة يمثلون الحركة الفكرية والعقلية ، ولهذا أخذوا على أنفسهم محاربة الظلم والطغيان ، تارة بالخروج بحد السيف ، ليتخلصوا مما هم فيه من الاضطهاد ، وتارة أخرى بحد الفكر واللسان ، حتى « امتدت جذور التشيع الى بلاط المأمون فكان وزيره الفضل بن سهل ، وكان قائد جنده طاهر بن الحسين شيعيين »(١٠٤) · ولما اعتلى المتوكل عرش الخلافة ، حاول أن يقضى على كل نفوذ للشيعة ، لأنهم كانوا أهل المناصب العالية الذين قاموا بالحركة العلمية · يقول السيد أمير على : « وكان العقليون هم أصحاب المناصب الرئيسية ، فكان منهم أساتذة المدارس ومديرو المستشفيات والمراصد ··· وكانت فرقة الصفاتية ذات نفوذ بين الطبقات الدنيا فى المجتمع ··· وكان المتوكل رجلا قاسيا ··· فأصدر أمره باقصاء أحرار الفكر عن وظائف الدولة ، واغلاق المدارس والجامعات وتحريم الأدب والعلم والفلسفة ، وطرد أصحاب المذهب العقلى من بغداد ، كما أمر بهدم ضريح الامام على وأبنائه ·· وهنا انتهت أيام المذهب العقلى فى عهد العباسيين ، فلجأ الى القاهرة بعد خروجه من بغداد ، وهذا زاد الأمر سوءا لأنه لو كان هناك بلد يكرهه العباسيون كراهة الموت لكان القاهرة(١٠٥) لأن فيها أبناء على بن أبى طالب ، أنصار أصحاب الفكر الحر.

هذا الظلم الذى أصاب الشيعة ، أدى الثورات الجارفة منهم لتغيير هذا الواقع المؤلم الذى عاشه المسلمون فى هذا العصر ، فقد ظل العلويون يعملون سرا وجهرا ، وظل أتباعهم يزدادون ، والعباسيون

---

(١٠٣) ابن الاثير : **الكامل** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٣٠٠ ، وأيضا ابن خلكان : **وفيات الاعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ص ٤٤١ ـ ٤٤٣ .

(١٠٤) أحمد محمود صبحى : **نظرية الامامة لدى الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٨٦ ·

(١٠٥) السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ·

يرصدونهم جميعا ، فمن حدثته نفسه بالثورة أو الخروج قتل أو زج به فى السجون ٠ وكان بعض الشيعة يصل الى أعلى المناصب فى الدولة ، فما هى الا أن سريرته حتى ينكب فتصادر أملاكه ويلقى فى غياهب السجون أو يقتل ويصلب نكالا لأمثاله(١٠٦) ٠

وقد ذهب كل هذا الاضطهاد الذى أصاب الشيعة أدراج الرياح ، فلم يأت بأية ثمرة فى نمو وانتشار التشيع ، اذ كان يغل من حده دائما ما كانت عليه الادارة الشرقية من الاضطراب ، ويزيده وهنا ، ذلك التوقير العام لأهل البيت ، حتى انتشرت الحركة الشيعية فى مركز الامبراطورية وفى العاصمة نفسها ، وكان علماء الشيعة لا يدخرون وسعا فى توطيد دعائم دعواهم وتحصينها(١٠٧) ٠ ولهذا يقول آدم متز : « وفى ذلك العصر لم يكن قد تم لمذهب الشيعة افتتاح البلاد التى يملكها اليوم ، ولكنه كان سائرا فى أحسن طريق يوصله الى ذلك ، بل كان الاضطهاد مما ساعد هذا المذهب على الانتشار »(١٠٨) ٠

ويصف أبو بكر الخوارزمى ـ وكان شيعيا ـ ما لاقاه الشيعة من بنى العباس من ظلم وقتل وغصب ، وما أصاب أنصار الشيعة من تشريد ومحنة وبلاء بأسلوب تسود ه نغمة الحزن فيقول : « ٠٠٠ ويسلم فيهم من يعرفونه دهريا أو سوفسطائيا ، ولا يتعرضون لمن يدرس كتابا فلسفيا أو مانويا ، ويقتلون من عرفوه شيعيا ، ويسفكون دم من سمى ابنه عليا ٠٠ ويتكلم شعراء الشيعة فى ذكر مناقب الوصى ، بل فى ذكر معجزات النبى ، فيقطع لسانه ، ويمزق ديوانه ، كما فعل بعبد الله بن عمار البرقى ، وكما نبش قبر منصور النمرى ٠٠٠ حتى أن هارون والمتوكل كانا لا يعطيان مالا ، ولا يبذلان نولا ، الا لمن شتم آل أبى طالب ، ونصر مذهب النواصب ٠٠٠ »(١٠٩) ٠

---

(١٠٦) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ص ٢٩ ٠

(١٠٧) جوستاف جرونيباوم : **الحضارة الاسلامية** ـ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ـ مكتبة مصر ـ بدون تاريخ ـ ص ٢٤١ ٠

(١٠٨) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٠٦ ٠

(١٠٩) عز الدين اسماعيل : **فى الشعر العباسى** ـ الرؤية والفن ـ

هـذه المظالم التى أصابت الشيعة اضطرتهم الى الخروج واعـلان الثورات للتخلص من هـذا الظلم ، وما وصلت اليه الحالة الاجتماعية من فقر وفاقه ٠ وقـد كانت هـذه الثورات صادرة عن وعى للواقع ، واحساس بانحطاطه وقسوته ، واحتجاج عليه ، ومحاولة لتطويره وتغييره ، وماثورة أبى السرايا مع محمد بن ابراهيم بن طباطبا العلوى الحسنى على المـأمون الا نموذجا من الآلام التى أصابت العلويين بصورة خاصة والشيعة بصورة عامة مما رأوه من الظلم الاجتماعى الذى أصاب الأمة ، فعاش بعضهم منعما فى القصور ، والبعض الآخر يتضور جوعا ٠

كان محمد بن ابراهيم يمشى فى بعض طرق الكوفة ، اذ نظر الى عجوز تتبع أحمال الرطب ، فتلتقط ما يسقط منها فتجمعه فى كساء عليهـا رث ، فسألها عما تصنع بذلك ، فقالت : انى امرأة لا رجل لى يقوم بمؤنتى ، ولى بنات لايعدن على أنفسهن ، فأنا اتتبع هـذا من الطريق وأتقوته أنا وولدى ٠فبكى بكاء شديدا وقال : أنت وأشـباهك تخرجوننى غـدا حتى يسفك دمى ، ونفذت بصيرته فى الخروج ٠ فلما أعلن أمره خطب الناس ، ودعاهم الى البيعة ، والى الرضا من آل محمد والدعاء الى كتاب اللـه ، وسنة نبيـه (ص) والأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر ، والسـيرة بحـكم الكتاب ، فبايعه جميـع الناس حتى تكابسـوا وازدحمـوا عليه ٠ ومات محمد بن ابراهيم بعد نشوب الثورة بقليل ، فلم تخمد وانما قام عليها من بعده على بن عبيد الله العلوى ٠٠٠ ونقرأ عن هـذه الثورة فنعجب بأخلاق الثائرين الجياع ، وبضبطهم لأنفسهم ٠ لقـد أمسك هؤلاء الثائرون عن النهب والسـلب بعـد أن هزمـوا عـدوهم بمجرد أن أمرهم قائدهم بأن يمسكوا(١١٠) ٠ وتكرر قيام الرجال من العلويين مرة بعد مرة ، والطلب عليهم من ورائهم ، فلاذوا بالاختفاء ، ولم يكادوا يعـرفون ، حتى تسمى محمد بن اسماعيل ـ بالمكتوم ـ سماه بذلك الشيعة حـذرا من السلطات

القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠ ـ ص ٦٥ ـ وأنظر أحمد أمين : **ظهر الاسلام** مرجع سابق ـ ١٩٧٥ ـ جـ ٤ ـ ص ١٤٤ ٠

(١١٠) محمد مهـدى شمس الدين : **ظروف ثورة الحسين** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٦٠ ٠

عليه(١١١) • « ••• وقـد جمع أبو الفرج الأصفهانى فى كتـابه الـكبير « مقاتل الطالبين » الذى يبلغ نحو ثمانمائة وخمسين صفحة ، أسماء من قتـلوا من غير ذكر لتـاريخهم ولم يكن ذلك الا الى عهــده ، وقـد توفى سنة ٣٥٦ »(١١٢) • وكل هؤلاء كانوا من العلويين • وهكذا « كان اضطهاد العلويين هو شغل الحكام الشاغل »(١١٣) •

٢ ـ « فرق خارجة عن التشيع » :

سبق أن عرض الباحث الظروف التى صاحبت التشيع منـذ وفـاة الرسول (ص) حتى أواخر القرن الرابع ، والسياسة التى اتبعها كل من الأمويين والعباسيين فى الحـد من انتشار التشيع ، وكيف باءت خططهم بالفشل ، مع ما قاموا به من أعمال العنف والاضطهاد لكل من ينتسب الى التشيع أو يتعاطف معـه •

ولـما كانت هـذه الخطط لم تنجح فى القضاء على التشيع والشيعة حاولوا الدس عليهم • وذلك عن طريق اضـافة فرق متعـددة ، تنتمى الى أصول غير اسلامية ، أو الى عقائد يهودية أو مسيحية أو مانويه ، وارجاع الشيعـة اليهـم ، لتـكون ركيـزة يرتكز عليهـا هـؤلاء للحـط من كرامـة الشـيعة ومذهبهم •

هـذا بالاضافة الى أن تلك الفرق التى يدعونها لم يظهر لها أثر فى التاريخ ولم يكن ما ينسب اليهم على تقدير صحته سوى آراء وأفكار عابرة لم تتخط دعاتها والعاملين على خلقها واشاعتهـا • ويؤيد ذلك ما جاء فى الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ المفيد : أن الفرق التى تنسب الى الشيعة لم يكن لها وجود فى القرن الرابع الهجرى ، ولا وجود فى هذا القرن الا للامامية القائلين بامامة محمد بن الحسن الامام الثانى عشر ، ومنهم العلماء والفقهاء والمتكلمون والعباد الصالحون والأدباء والشعراء ، وهم وجه الشيعة المعتمد عليهم فى المذهب وسواهم من الفرق المزعومة ليس

---

(١١١) **خطط المقريزى** : مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٠ •

(١١٢) أحمـد أمين : **يوم الاسلام** ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٢ ـ ص ٦٨ •

(١١٣) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٧ •

فى هـذا العصر أحـد منهـم ، وانمـا الموجـود عنهـم بعض الحكايات والأراجيف التى لا تثبت وجودهم(١١٤) ٠

وهذا الكلام من المفيد ، يدل على عدم وجود تلك الفرق فى القرن الرابع الهجرى ، كذلك يشير الى أنه فى شك من أصل وجود هـذه الفرق التى يدعيها المؤلفون فى المذاهب الاسلامية ، مع أن الزمان الذى وجد فيه المفيـد لم يكن بعيدا عن العصر الذى يدعى الكتاب وجودهم فيه ٠ ومن المستبعد أن توجد فرقة يكون لها خصائصها وميزاتها ولا يبقى لها أثر بتلك السرعة وتخفى حتى على الباحثين أمثال الشيخ المفيد ، ولا سيما وأن فرقا من هذا النوع لو وجدت فى التاريخ ستجد من يناصرها ويمهد لها أسباب البقاء والاستمرار ٠ فالحكام كانوا يرحبون بكل ما من شأنه أن يحط ويشتت من أمر الشيعة وتفريقهم عن أئمة أهل البيت ، والتاريخ الذى مر به الشيعة ملىء بالشواهد على ذلك(١١٥) ٠

ولا أغالى اذا قلت ان الباحث فى تاريخ الفرق المنسوبة الى الشيعة وفى الآراء والمعتقـدات التى أضيفت اليهـا ، وللظـروف السياسية التى صاحبت التشـيع ، أن أياد قوية كانت وراء تسيير التـاريخ لصالحهـا ، وتعمل لمحاربة التشيع عن طـريق التشويش عليه وتغيـير معـالمه ، تلك الأفكار ، التى نسبوها الى بعض المتشيعين ، لقـد رأى الحكام الأمويون والعباسيون ، أن فكرة الخلافة عند الشيعة ، تعنى أن جميع الحكومات التى لا تخضع لمبدأ الوصاية لا تتصف بالشرعية ، فحاربوا هـذه الفكرة بشتى الأساليب ، وفى النهاية استطاعوا أن يفرضوا على التاريخ شخصا اسمه عبد اللـه بن سبأ ، قـد انتحل الاسـلام ، وأخفى اليهودية المتغلغلـة فى أعماق نفسـه ، للدس فى تعـاليم الاسـلام والكيد له فأسس فرقة وقادها لقتل عثمان واخترع فكرة الوصاية التى تدين بها الشيعة الامامية ، وأخيرا ادعى الألوهية لعلى (ع) وأصبح الركيزة التى يعتمـد عليها كل من جاء من بعـده من الخارجين عن الاسـلام لأجل تهـديم صرحه(١١٦) ٠

---

(١١٤) هاشم معروف الحسنى : **الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٧ ٠

(١١٥) المصـدر السابق : ص ٨٧ ـ ٨٨ ٠

(١١٦) المصـدر السابق : ص ٨٨ ٠

يقول الدكتور أحمد الحوفى : « على أن فى كتب المذاهب أخبارا شتى عن ابن سبأ لم تسلم من التهويل والتزيد والتكثير ، وربما كان خصوم الشيعة هم الذين روجوا هـذه الأخبار لينتقصوا من أقدارهم منذ قام لهم حزب متميز • فهم يذكرون أن ابن سبأ كان يؤله عليا ، وأن عليا أمر بقتله ، ثم استبدل بالقتل نفيه الى المدائن ، ولو أن هـذا الخبر صحيح لأتخـذه خصوم على سلاحا بتارا للقضـاء عليه ، وفض أتباعه من حوله ، بل لكان أتباع على أول الخارجين عليه المحاربين له »(١١٧) • وعلى هـذا يقول الدكتور طـه حسين : « ويخيل الى أن الذين يكبرون من أمر ابن سبأ الى هـذا الحـد يسرفون على أنفسهم وعلى التـاريخ اسرافـا شـديدا • وأول ما نلاحظـه أننا لا نجـد لابن سبأ ذكرا فى المصـادر المهمـة التى قصت أمر الخلاف على عثمان ، فلم يذكره ابن سعـد حين قص ما كان من خـلافة عثمان وانتفـاض الناس عليه ، ولم يذكره البلاذرى فى أنسـاب الأشراف ، وهو فيما أرى أهم المصـادر لهـذه القصـة وأكثرها تفصيلا • وذكره الطبرى عن سيف بن عمر : وعنه أخذ المؤرخون الذين جاءوا بعده فيما يظهـر »(١١٨) •

يقول الدكتور أحمد شلبى ، بعـد أن ذكر الاستدلال على أسـطورة عبد اللـه بن سبأ للسيد مرتضى العسكرى : « ••• ومع أن هـذا الطريق فى الاستدلال ليس حاسمـا فاننا نورد سـؤالا مهما هو : من الذى أدخل الانحرافات الى المذهب الشيعى الذى نعرف فى أصوله السليمة بعـدا عما نراه فيه من انحرافات وترهات : ولهـذا فانى أقرر هنا أن زعامة ضالة بدأت هـذا الشوط ، وهى عبد اللـه بن سبأ أو شخص ما أطلق عليه هـذا الاسم ، وان مريدين كثيرين أخـذوا عنه هـذا الضلال وساروا فيه أزمنة طويلة وأشواطا واسعـة ، فالاسم لا يهمنا • ولكن يهمنا أن شـخصا قام بالدور الذى نسب الى عبد اللـه بن سبأ ••• »(١١٩) • وفى ذلك يقول

---

(١١٧) أحمد الحوفى : **أدب السياسة** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧ •
(١١٨) طـه حسـين : **الفتنـة الـكبرى** ـ عثمان ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٢ •
(١١٩) أحمـد شلبى : **التاريخ الاسلامى والحضارة الاسـلامية** ـ مرجع سابق ـ ج ٥ ـ ط ٥ ـ ص ١٤٥ ـ ١٤٦ •

الدكتور شــوقى ضيف : « ولعل فى آراء ابن سبأ ما يشير الى أن عناصر أجنبيــة أخــذت تدخل فى التشيع ، حتى ليزعم بعض الباحثين أن غــلاة الشيعة بثوا فى التشيع مع مر الزمن كثيرا من دياناتهم الأولى ، فدخلت فيه عناصر من اليهودية والنصرانية مما عند ابن سبأ ، ودخلت فيه عناصر من الزرادشتية والمانوية الفارسيتين ومن البوذية الهندية »(١٢٠) ٠

أما أبو زهرة فيقول : « وقــد تساءل بعض العلماء الأوربيين عن اصل الشيعة ، وفيها مبادىء لا شك أن بعضها دخيل فى الاسلام ، فقــد ذهب الأستاذ « ولهوسن » الى أن العقيدة الشيعية نبعت من اليهودية أكثر مما نبعت من الفارسية ، مستدلا بأن مؤسسها عبد الله بن سبأ وهو يهودى ٠٠ ثم يقــول : والحق الذى لا مرية فيه أن الشيعــة كانت مع تقديسهــا لآل البيت ـ كان بعضها مسترادا للكثير من الديانات القديمة الآسيوية ـ ففيها من المذاهب الهندية مبــدأ التناسخ الذى يقول أن روح الانسان تنتقل الى انسان غيره ، فقــد طبق بعضهم ذلك المذهب على أئمتهم ، وقالوا ان روح الامام تنتقل الى من يليه ٠٠٠ وهكذا ترى الشيعة كان فيها خليط من أهواء وملل ونحل قديمــة دخلت على المسلمين لافســاد الاســلام ، أو تحت تأثير التربية والألف ، فدخلوا فى الاسلام ولم يستطيعوا نزع القديم ٠٠»(١٢١). وفى ذلك يقول الألوسى : « ٠٠ فاعلم أن أسلاف الشيعة وأصول الضلالات كانوا عــدة طبقات ، الطبقة الأولى : هم الذين اســتفادوا هــذا المــذهب بلا واسطة ، من رئيس المضــلين ابليس اللعين وهؤلاء كانوا منــافقين ٠٠ ومقتداهم عبد الله بن سبأ اليهودى الصنعانى ٠٠ »(١٢٢) ٠

وهناك آراء وأقوال أخرى اكتفى الباحث بعرض نبــذة منها لنرى مدى التحامل على الشيعة ، فقــد تحامل عليهم فى القديم ، ولم يسلموا فى العصر الحــديث ، عصر العــلم والعرفــان والبحث والتمحيص ، ونبــذ

---

(١٢٠) شــوقى ضــيف : **التطور والتجــديد فى الشعر الأموى** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٣ ٠

(١٢١) محمد أبو زهرة : **أبو حنيفة** ـ حياته وعصره آراؤه وفقهه ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ ـ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ٠

(١٢٢) محمود شكرى الألوسى : **مختصر التحفة الاثنى عشرية** ـ استانبول ـ مكتبة ايشيق ـ ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م ـ ص ٥٤ ٠

المخلفات والمعتقدات السابقة ، ورفض التقليد ، والبحث عن الحقيقة لتلتئم وحدة المسلمين بعد أن مزقها هذا التفرق القائم على الهوى والتخمين ٠ والباحث هنا يحاول بيان عدم صحة ما ذهب اليه هولاء الباحثون وغيرهم من وجود فرقة تدعى بالسبئية ٠

يقول آل كاشف الغطاء : « أما عبد الله بن سبأ الذى يلصقونه بالشيعة أو يلصقون الشيعة به ، فهذه كتب الشيعة بأجمعها تعلن بلعنه والبراءة منه ، وأخف كلمة تقولها كتب الشيعة فى حقه ويكتفون بها عن ترجمة حاله عند ذكره فى العين هكذا : « عبد الله بن سبأ ألعن من أن يذكر »(١٢٣) ٠ ويقول أبو زهرة : « والشيعة الحاضرون وأكثر المعتدلين ينكرون أن يكون عبد الله بن سبأ منهم لأنه ليس مسلما فى نظرهم فضلا عن أن يكون شيعيا ، ونحن نوافقهم كل الموافقة »(١٢٤) ٠ ولهذا يقول الدكتور طه حسين : « وأقل ما يدل عليه اعراض المؤرخين عن السبئية وعن ابن السوداء فى حرب صفين ، أن أمر السبئية وصاحبهم ابن السوداء انما كان متكلفا منحولا ، قد اخترع باخرة حين كان الجدال بين الشيعة وغيرهم من الفرق الاسلامية ٠ أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا فى أصول هذا المذهب عنصرا يهوديا امعانا فى الكيد والنيل منهم ٠ ولو قد كان أمر ابن السوداء مستندا الى أساس من الحق والتاريخ الصحيح لكان من الطبيعى أن يظهر أثره وكيده فى هذه الحرب المعقدة المعضلة بصفين »(١٢٥) ثم يعقب على ذلك بقوله : أما أنا فلا أعلل الأمرين الا بعلة واحدة ، وهى أن ابن السوداء لم يكن الا وهما ٠٠ »(١٢٦) ٠

ويقول السيد أمير على : « ويقسم الشهرستانى الشيعة الى خمس فرق : زيدية ، واسماعيلية ، واثنى عشرية أو امامية ، وكيسانية ،

---

(١٢٣) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٠ ٠

(١٢٤) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٨ ٠

(١٢٥) طه حسين : **الفتنة الكبرى** ـ على وبنوه ـ ط ٩ ـ القاهرة دار المعارف ـ ١٩٧٨ ـ ص ٩٠ ٠ وأنظر أحمد محمود صبحى : **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩ ٠

(١٢٦) طه حسين : المصدر السابق ـ ص ٩١ ٠

وغالية ، أو غلاة • على أن الحقيقة لما سيتضح من كلام الشهرستانى فيما بعد ـ أن بعض هذه الفرق ، وبخاصة الفروع التى تفرعت عليها ، لا صلة لها بالشيعة الأصلية ••• »(١٢٧) • فاضافتها الى الشيعة على فرض وجودها يحتاج الى دليل لا الى تكهن وتخمين •

أما الدكتور أحمد صبحى فيقول : « ••• ولكن السابق لأوانه أن يكون لابن سبأ هذا الأثر الفكرى العميق فيحدث هذا الانشقاق العقائدى بين طائفة كبيرة من المسلمين ، ومن هنا فان الدكتور « برنارد لويس » يشكك فى وجوده فكريا ، أى من ناحية أثره فى التطور العقدى للاسلام اذ يقول : « ولكن التحقيق الحديث قد أظهر أن هذا استباق للحوادث ، وأنه صورة مثل بها فى الماضى وتخيلها محدثو القرن الثانى للهجرة من أحوالهم وأفكارهم السائدة حينئذ ، وقد أظهر « فلها وزن وفريد ليندر » بعد دراسة المصادر دراسة نقدية بأن المؤامرة والدعوة المنسوبتين الى ابن سبأ من اختلاق المتأخرين ، وبين « كايتانى » أن مؤامرة مثل هذه بهذا التفكير وهذا التنظيم لا يمكن أن يتصورها العالم العربى المعروف عام ٣٥ هـ بنظامه القبلى القائم على سلطان الأبوة ، وانها تعكس أحوال العصر العباسى الأول بجلاء ••• »(١٢٨) •

بالاضافة الى ذلك ، كيف استطاع ابن سبأ أن يغير الأمة المسلمة عن تفكيرها وعقيدتها بهذه الصورة الخيالية ، حتى استطاع أن يؤلب المسلمين على عثمان من جميع الأقطار الاسلامية فى فترة قصيرة ، لم تحصل حتى لرسول اللـه (ص) المصطفى من اللـه ، حيث عاش فى مكة يدعو قريشا ثلاثة عشر عاما الى عبادة اللـه مع ما أوتى من قوة فكرية وسياسية أن يغير من عقائدهم الا أفرادا قليلة مما يدل على أن هذه الشخصية التى أعطيت هذه المكانة التى لا تستحقها انما كانت مفتعلة لتشويه عقيدة الشيعة •

---

(١٢٧) السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠٨ •

(١٢٨) أحمد محمود صبحى : **نظرية الامامة لدى الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٧ •

والذى يؤيد أن عبد اللــه بن سبأ شخصية لا واقع لها ، أن المصــدر الوحيد الذى تنتهى اليه قصته هو ابن جرير الطبرى المؤرخ الشهير ، وكل من جاء بعــده اعتمــد عليه فى هــذه الأســطورة وأرسلها ارسال المسلمات التاريخية التى لا تقبل التشكيك والتأويل على حــد زعمهم ٠ ولهــذا يقول الشيخ محمود أبو ريه : « ٠٠ وقد ظهر كتاب نفيس اسمه « عبد الله بن سبأ » من تأليف العالم العراقى الكبير الأستاذ مرتضى العسكرى أثبت فيه بأدلة قوية مقنعــة أن هــذا الاسم لا حقيقة له ، لأن المصــدر الأول الذى اعتمــد عليه كل المؤرخين من الطبرى الى الآن فى اثبات وجوده هو سيف بن عمــر التميمى المتوفى سنة ١٧٠ هـ ، وقــد طعن أئمة السنة جميعا فى روايته ، وقال فيه الحاكم : اتهم بالزندقــة وهو فى الرواية ســاقط ٠٠ »(١٢٩) ٠ ولهــذا يقول الدكتور الحوفى : « ولا شك أن هــذه اســطورة لكنها مثيرة ، فليس فى كتاب من كتب التــاريخ الأولى شىء من هــذا ، وليس فى أقــوال أنصــار على أو خصومه اشارة الى هــذا الحــدث ، ولو أنه كان صحيحا لأشــاد به أنصــار على ، دلالة على صفاء ايمانه ، ولو أنه كان شبه صحيح لأتخــذه خصوم على معاول لهــدم حزبه »(١٣٠) ٠

« ومن أغرب ما يروى من أمر عبد اللــه بن سبأ هــذا أنه هو الذى لقن أبا ذر نقــد معاوية فيما كان يقول من أن المــال هو مال اللــه ، وعلمه أن الصواب أن يقول أنه مال المسلمين ٠٠٠ فالذين يزعمون أن ابن سبأ قــد اتصــل بأبى ذر فألقى اليه بعض مقاله يظلمون أنفسهم ويظلمون أبا ذر ، ويرقــون بــابن الســـوداء هـــذا الى مكانـــة مــا كان يطمـــع فى أن يرقى اليها »(١٣١) ٠

والأغرب من ذلك ما يراه الدكتور حسن ابراهيم حسن ، حيث أدلى بالرأى الذى يراه وهو : « أن ابن سبأ هــو أول من وضــع عقــائد مذهب

---

(١٢٩) محمــود أبو رية : **أضواء على السنة المحمدية** ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠ ـ ص ١٥١ وانظر أيضا : السيد مرتضى العسكرى : **عبد الله بن سبأ** ـ ط ٤ ـ بيروت ـ مطبعة دار الكتب ـ ١٩٧٣ ـ جزءان ٠

(١٣٠) أحمد الحوفى : **أدب السياسة** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٥ ٠

(١٣١) طــه حســين : **الفتنــة الكبرى** ـ عثمان ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ٠

الشيعة الغالية فى الاسلام ، وأن أعمال أبى ذر لا تنطوى على محاولة ما لتحويل الخلافة الى على ، وانما أدت الى توطيد دعائم هذا المذهب الذى غرس بذوره ابن سبأ »(١٣٢) .

وهذه الصياغة من الدكتور حسن ابراهيم غير سليمة من الناحية المنطقية والرأى غير صحيح . لأن مذهب الشيعة الغالية لا يفهم منه خصوص تحويل الخلافة الى على بن أبى طالب ، وذلك يشترك فيه كل الشيعة ، وانما المراد من الغالية ــ كما سيأتى ــ المأخوذة من الغلو ، وهو تأليه على ، فابن سبأ على رأى الدكتور حسن ، أول من بذر تأليه على ، وكان دور أبى ذر توطيد هذه العقيدة فى نفوس الشيعة ، التى تخرجه عن الاسلام ــ وقد فات الدكتور قول رسول الله لأبى ذر : « ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء بعد النبيين أمرءا أصدق لهجة من أبى ذر »(١٣٣) « والغلاة هم الشيعة ــ كما يقول عبده فراج ــ الذين اعتنقوا أفكارا لا تتفق مع العقيدة الاسلامية وأقدمهم فرقة السبئية أتباع عبد الله بن سبأ »(١٣٤) .

والذى يظهر من ذلك أن خصوم الشيعة أيام الأمويين قد بالغوا فى أمر عبد الله بن سبأ هذا ، ليشككوا فى بعض ما نسب من الأحداث الى عثمان وولاته من جهة ، وليشنعوا على على وشيعته من جهة أخرى ، فيحاولوا رد بعض عقائد الشيعة الى يهودى أسلم كيدا للمسلمين ، وما أكثر ما شنع خصوم الشيعة على الشيعة (١٣٥) .

أما الغلاه الذين نسبوهم الى الشيعة ، فيقول فيهم محمد جواد مغنية : « أما الغلاة فليسوا من الشيعة ولا من السنة ، لأن من أعطى صفة من صفات الالوهية لأى مخلوق كان ، أو أعطى غير النبى جميع صفات النبى

---

(١٣٢) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ــ ط ٢ ــ القاهرة ــ النهضة المصرية ــ ١٩٥٨ ــ ص ٦ ــ ٧ .

(١٣٣) أبو المظفر الاسفراييني : **التبصير فى الدين** ــ مرجع سابق ــ ص ١٦١ .

(١٣٤) عبده فراج : **معالم الفكر الفلسفى** ــ مرجع سابق ــ ص ٦٧ .

(١٣٥) طه حسين : **الفتنة الكبرى ــ عثمان** ــ مرجع سابق ــ ص ١٣٤ .

فهو خارج عن الاسلام باتفاق الجميع ، وما نجده فى بعض الكتب من نسبة الغلاة الى مذهب التشيع فهو جهل ، أو دس بقصد التشنيع على الشيعة لغاية سياسية »(١٣٦) ٠

ويذهب الشهرستانى الى القول فى الشيعة الامامية الى أن : « هؤلاء هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية ، وحكموا فيهم بأحكام الالهية ٠ وربما شبهوا واحدا من الأئمة بالاله ، وربما شبهوا الاله بالخلق ٠ وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ، ومذهب التناسخية ، ومذاهب اليهود والنصارى ، اذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق ، فسرت هذه الشبهات فى أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام الالهية فى حق بعض الأئمة ٠ وكان التشبيه بالأصل والوضع فى الشيعة ، وانما عادت الى بعض أهل السنة بعد ذلك ، وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا أن ذلك أقرب الى المعقول ، وأبعد من التشبيه والحلول »(١٣٧) ٠

ومن هنا نلاحظ أن الشهرستانى نفسه قد اعترف بأن أهل السنة منهم من يقول بالتشبيه والحلول وغيرهما مما قالت به الشيعة ـ حسب دعواه ـ وهذا الزام منه بأن أهل السنة يذهبون الى ذلك ٠ أما دعواه أن الشيعة يذهبون الى ذلك فدعوى تحتاج الى دليل من مصادر شيعية ، ولما أهمل ذكر ذلك كان قوله بلا سند فيخرج عن الاعتبار ٠ وفى ذلك يقول جوستاف : « نعم ان المعتدلين ـ من الشيعة ـ تبرأوا من تبعة هذا الغلو ، بنفس القوة التى كانوا ينبذون بها أى مبادىء تشم منها رائحة حلول الله فى الامام ٠٠٠ »(١٣٨) ٠

وقد نفى آل كاشف الغطاء ما نسب الى الشيعة من الحلول وغيره بقوله : « ومن ذلك ما يزعمونه من أن النصرانية ظهرت فى التشيع فى قول

---

(١٣٦) محمد جواد مغنية : **معالم الفلسفة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٦ ٠

(١٣٧) الشهرستانى : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق سابق جـ ١ ـ ص ١٧٣ ٠

(١٣٨) جوستاف جرونيباوم : **حضارة الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤١ ٠

بعضهم : ان نسبة الامام الى اللـه كنسبة المسيح الى اللـه ، وهـذا قول مرسل بغير سنـداد ، ولم يعين قائله من الشيعة ؟ فان كان المراد ما يسمونه غلاة الشيعـة كالخطابية ، والغرابية ٠٠٠ وأشباهم من الفرق الهـالكة المنقرضـة التى نسبتها الى الشيعـة من الظلم الفاحش ، وما هى الا من الملاحـدة والقرامطـة ونظارهم ، فان الشيعـة الامامية وأئمتهم يبرأون من تلك الفرق براءة التحريم ، على أن تلك الفرق لا تقول بمقالة النصارى ، بل خلاصة قولتهم ، بل ضلالتهم أن الامـام هو اللـه سبحانه وتعـالى ظهورا واتحـادا أو حلولا أو نحو ذلك مما ينقل عن بعض المتصوفة ٠٠٠ وقصـارى القـول أنه أن أريد بالشيعـة تلك الفـرق البائدة ، والمذاهب الملحـدة التى لا أحسب أن على رقعة الأرض منهم اليوم نافخ ضرمه ، فنحن لا نضايق فى ذلك ولكن نسبتهم الى الشيعـة ظلم فاحش ، وخطأ واضح ، وسـوء فى التعبير ، وان أريد بالشيعـة الطائفـة المعـروفة اليوم بهـذا الاسم ، والتى تعـد بالملايين من المسلمين فهـذه كتبهم ومؤلفاتهم وعلماؤهم من حاضر وغابر ، فأين فى شىء منها أثر هـذا القول الباطل »(١٣٩) ٠

أما فرقة الزيدية ، فالملاحظ أن الامام زيد بن على بن الحسين لم يأت بفرقة ولا مذهب يخالف ما عليه أبوه وأخوه ، ولهـذا جعل الاسـفراييني أن فرق الزيدية ثلاث وهم الجارودية والسليمانية ، والابترية ، والجارودية هم أتباع أبى الجارود وليس أتباع زيد ، وهكـذا بقية الفرق ، فنسبة هـذه الفرق الى زيد بن على غير صحيح ، ولهـذا بين الاسـفراييني مذهب هؤلاء الثلاث الذين ينتسبون الى زيد بن على ، وأن الاختلاف ما بين هـذه الفرق شـديد وصل الى حـد تكفير بعضهم بعضا(١٤٠) ٠ بالاضافة الى ذلك ، أن بعض الباحثين يرى أنه لم تكن هناك فرقة حتى ذلك التاريخ الذى قتل فيه زيد بن على تسمى بالزيدية بالمعنى الذى وجد بعـد ذلك(١٤١) ٠

---

(١٣٩) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **التثبت قبل الحكم** ـ دعوة التقريب من خلال رسالة الاسلام ٠ جمع محمـد محمد المدنى ـ القاهرة ـ دار التحرير ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م ـ ص ٧٤ ـ ٧٨ ٠

(١٤٠) انظر الاسفراييني : **التبصير فى الدين** ـ مرجع سـابق ـ ص ٣٢ ـ ٣٣ ٠

(١٤١) محمـد عمارة : **الاسلام وفلسفة الحكم** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٧٠ ـ ٦٧١ ٠

أما فرقة الغرابية التى أضافوها الى فرق الشيعة ، فالشيعة لا تعرف هذه الفرقة ، وليس لها أثر فى كتبهم • أما عقيدة هذه الفرقة كما هو موجود فى مصادر غير شيعية ، أن شخصا ادعى أن النبوة كانت لعلى ، وقد أخطأ الوحى فى نزوله على محمد (ص) ، لأن عليا كان يشبهه كما يشبه الغراب الغراب • وقد جاء عن بعض أهل السنة أعظم من ذلك فى الخليفتين أبى بكر وعمر ، ومع ذلك فلم يعدوا أصحاب تلك المقالات فرقا من فرق السنة ، ولم يحكموا بتجريحهم(١٤٢) •

ومن هنا يظهر عدم موافقة ما توصل اليه الباحث فيما ذهب اليه الدكتور سعيد اسماعيل على فى قوله : « ولا بد للباحث فى دراسة أفكار غلاة الشيعة أن يأخذه العجب للسبب الذى دعا الى الاعتقاد بألوهية على مع أن أحدا لم يقل بألوهية محمد (ص) ، ولكننا اذا ضممنا هذا الرأى الى آراء أخرى تسير فى نفس الاتجاه ثم تنبهنا الى أن أكثر شيعة على كانوا فى العراق وفارس حيث شاعت تعاليم مانى ومزدك وابن ديصان ، فلربما أدرك السر الذى يكمن وراء هذا ••• »(١٤٣) •

ان أكثر الباحثين من المسلمين وغيرهم فى هذه النظرية ، اعتمدوا فى دراسة آراء وأفكار غلاة الشيعة من مصادر غير شيعية ، لم تكن خالية من التحيز والتعصب الظاهر ، مع أن مؤلفى الشيعة ومفكريهم ينفون وجود مثل هذه الفرقة فى كتبهم • بالاضافة الى أن الباحثين لو اعتمدوا على الوقائع التى رافقت تاريخ المسلمين قبل الفتح العربى لبلاد الفرس ، لوجدوا أن الفرس أثناء الفتح العربى الاسلامى كانوا يدينون بمذهب السنة وليس للشيعة فيها عين ولا أثر وانما دخل التشيع الى بلاد فارس نتيجة الاضطهاد الذى أصاب الشيعة فى العصر الأموى والعباسى ،

---

(١٤٢) هاشم الحسنى : **الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٤ • وانظر جلال الدين السيوطى : **تاريخ الخلفاء** ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ مطبعة المدنى ـ ١٩٦٤ ـ ص ١١٧ • وأيضا المحب الطبرى : **الرياض النضرة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١١٢ •

(١٤٣) سعيد اسماعيل على : **نشأة التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٨ •

مع أن القائلين بالغلو ينسبون ذلك الى ابن سبأ اليهودى الصنعانى الذى كان فى عصر عثمان ، وهو بعيد عن بلاد فارس • ولهذا يقول جولد تسيهر : « الخطأ القائل بأن التشيع فى منشئه ومراحل نموه يمثل الأثر التعديلى الذى أحدثته أفكار الأمم الايرانية فى الاسلام ، بعد أن اعتنقته أو خضعت لسلطانه عن طريق الفتح والدعاية • وهذا الوهم الشائع مبنى على سوء فهم للحوادث التاريخية •• فالحركة العلوية نشأت فى أرض عربية بحتة »(١٤٤) •

وصفوة القول : ان أكثر الفرق حسب الاحصاء الموجود فى كتب الفرق والتراجم ، لا وجود لها الا اسمها ، وعلى غرض وجودها لا يسوغ اعطاؤها وصف الاسلام ، فضلا عن التشيع الذى لا يشذ فى أصوله وفروعه عن القرآن ونصوص الرسول (ص) لأن التشيع لا يعنى مجرد الحب والولاء لعلى وبنيه ، بل لا بد مع ذلك من الايمان بالكتاب والنبوة ، وبكل ما جاء به النبى من أصول وفروع ، فالمنكر لنبوة محمد (ص) أو لبعض ما فرضه اللــه فى كتابه من ضروريات الدين وحتى المشكك بشىء من ذلك خارج عن الاسلام والتشيع فضلا عمن يدعى الألوهية لأحد من الناس أو الحلول فى اللــه ، أو يعطى صفات الخالق وخصائصه لبعض مخلوقاته(١٤٥) •

ان أية شائبة تشوب ذهن الانسان فى أصول العقيدة ، قد تدفعه الى أن يبنى اطارات فكرية خاطئة أو غير سليمة ، لذلك ينبغى على الفرد أن يستمع الى النقد والتوجيه ، وأن لا يركن الى التعصب ، لأنه يدفع الانسان الى الابقاء على الشوائب التى علقت فى ذهنه وممارستها فكريا وعمليا • وعلى هذا توجد عناصر فى العقيدة الدينية يؤدى استعمالها الى تطوير معالم التحرك الحضارى وعناصره ومقدماته ووسائله ، كما توجد مظاهر أخرى متوفرة فى عناصر وممارسات يؤدى عدم استعمالها الى الجمود والتأخر ، ومن هنا لا بد من مراعاة شروط الحركة ومتطلباتها على

---

(١٤٤) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ •

(١٤٥) هاشم معروف الحسنى : **الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٣ •

ضــوء الحقائق ، لتقوم العقيدة الدينية بدورها السليم فى بناء المجتمع وفى عملية تسيير الحياة بما يضمن سعادة الانسان الشرعية(١٤٦) ٠

والاعتماد على معيار ثابت لمعرفة عقيدة فرقة من الفرق أو جماعة من الجماعات لا بد أن يكون على ضوء الالتزام بماعند الفرقة أو الجمــاعة فى مؤلفاتهم وكتبهم ٠ وعلى هــذا يقول القــاسمى : « أرى من واجب كل من يؤرخ فى مذهب قوم ، وكل من يناقش فرقــة ما فى مذهبهــا ـ أن ينقــل آراءها عن كتب علمائها الثقات ، ويقوم بالعزو الى مآخـذها ومصــادرها ، لتكون النفس فى طمأنينة مما يريبها ان لم يعن بهـذا الواجب ٠٠ »(١٤٧) خصوصا فيما يتعلق بقضايا العقيدة التى يتوقف على صحتهــا أو عـدم صحتها الايمان وعـدمه ٠ « وبالجملة فلا بد من السند فى قبول ما يعــزى ويروى الى تلك الفرقة ، فاما عن أسـفارها أو عن امام ثقــة أثر عنها ، وأما من رمى فرقة برأى بدعوى أنه قيل عنها ذلك أو يقــال ، فمما لا يقام له وزن فى الصحـــة والاعتمــاد ٠٠٠ وهــذه القاعـدة يجب أن تؤخـــذ دســتورا وأمــرا عــاما فى كل ما يؤثر وينقل ٠٠ »(١٤٨) ٠ لبناء الفكــر الصحيح عن تلك الفرقــة ٠ ويستعرض الباحث المعالم الأساسية لفكــر الشيعــة العقائدى والتى بالامكان توفيرها عن طريق التربية الاسلامية ٠

---

(١٤٦) حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقيــة** ـ مرجع ســابق ـ ص ٦١ ـ ٦٢ ٠

(١٤٧) الشيخ جمــال الدين القــاسمى الدمشقى : **تاريخ الجهمية والمعتزلة** ـ ط ١ ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ص ٣٠ .

(١٤٨) المصــدر السابق : ص ٣٠ ٠

ثانيا : الأصول الفلسفية

وتشــمل :

الأصــل الأول : التوحيــد :

وحــدة الذات والصفات من منظور الشيعة الامامية ·

الأصــل الثانى : النبــوة :

حاجة الناس الى النبى ·
عقيــدة الشيعة فى نبوة محمد (ص) ·
القــول فى عصمة الأنبيــاء ·

الأصــل الثالث : العــدل :

أولا : فى حرية الارادة الانسانية أو (القضاء والقــدر) وموقف التربية منهــا ·

ثانيا : فى الحسن والقبح أو (الخير والشر) ·

الأصــل الرابع : الامامــة :

الأصــل الخامس : المعــاد :

الأصل الأول : « التوحيد » :

الاسلام دين التوحيد ، والتوحيد هو الأساس الذى ينطلق منه الانسان المسلم فى بناء عقيدته فى عمق ذاته ، وبدون ذلك لا يكون مسلما ، ولا يشع فى روحه ضوء الايمان ، ولو آمن بجميع الأصول والفروع ، لا يختلف فى مفهومه عما يقول به جميع المسلمين ٠

أما التوحيد عند الشيعة ، فقد وصفه آل كاشف الغطاء فى قوله : « ويجب على العاقل بحكم عقله عند الامامية تحصيل العلم والمعرفة بصانعه والاعتقاد بوحدانيته فى الالوهية ، وعدم شريك له فى الربوبية ، واليقين بأنه هو المستقل بالخلق والرزق والموت والحياة والاعدام ، بل لا مؤثر فى الوجود عندهم الا الله ، فمن اعتقد أن شيئا من الرزق أو الخلق أو الموت أو الحياة لغير الله فهو كافر مشرك خارج عن ربقة الاسلام ، وكذا يجب عندهم اخلاص الطاعة والعبادة لله ، فمن عبد شيئا دونه أو ليقر به زلفى الى الله فهو كافر عندهم أيضا ، ولا يجوز العبادة الا لله وحده لا شريك له ٠٠٠ »(١٤٩) ٠ ولهذا يقول العلامة الحلى : « وقول الامامية فى التوحيد ٠٠٠ ان الله تعالى واحد لا قديم سواه ، واله غيره ، ولا يشبه الأشياء ولا يجوز عليه ما يصح عليها من التحرك والسكون ، وأنه لم يزل حيا قادرا عالما مدركا لا يحتاج الى أشياء يعلم بها ، ويقدر ويحيى وأنه لما خلق الخلق أمرهم ونهاهم ولم يكن امرا ولا ناهيا قبل خلقه لهم٠٠»(١٥٠).

وقد استدل الشيعة على وحدانية الله سبحانه ، بأن أكثر العقلاء اتفقوا على أنه سبحانه واحد ، والدليل على ذلك النقل والعقل ٠ أما العقل فلوجوب وجوده تعالى ، فانه يدل على وحدته ، لأنه لو كان هناك واجب

---

(١٤٩) آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٦١ ـ ٦٢ ٠

(١٥٠) محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ـ المطبعة الحيدرية فى النجف ـ ١٩٧٩ ـ جـ ١ ـ ص ١٩٩ ٠

وجود آخر لتشاركا فى مفهوم كون كل واحد منهما واجب الوجود ٠ فاما أن يتميزا أو لا ، والثانى يستلزم المطلوب وهو انتفاء الشركة ، والأول يستلزم التركيب وهو باطل والا لكان كل واحد منهما ممكنا ، وقد فرض أنه واجب الوجود وهذا خلاف الفرض(١٥١) ٠ وفى ذلك يقول الصدوق : الحمد لله الذى توحد بالوحدانية وتفرد بالالهية وفطر العباد على معرفته وكل الألسن عن صفته ، وحجب الأبصار عن رؤيته »(١٥٢) « ٠٠ عرف بغير رؤية ووصف بغير صورة ونعت بغير جسم ٠٠٠ » كما يقول الكينى(١٥٣) ٠

وقد سلك الشيعة فى فلسفة التوحيد نهج أئمة أهل البيت ، فهو المنهج الأصيل عندهم الذى اتحدت فيه كلمةأهل البيت ، ودافعوا عنه(١٥٤). ولهذا يستدلون على التوحيد بأقوال أئمتهم ، ويستنبطون معنى التوحيد من هذه الأقوال ، كقول الامام على فى أول خطبته ، حيث بين التوحيد الخالص فى ترجمة الفكرة الغامضة ، بتعابير مقتضبة ، ذات الرؤية الواضحة ، رغم اشتمالها على المحتوى الفلسفى الواسع ، حيث يقول : « أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال توحيده الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه ٠٠٠ »(١٥٥) ٠

وجاء فى توحيد الصدوق ، المتوفى سنة ٣٨١ هـ ، أن رجلا سأل الامام فى البصرة عن حقيقة التوحيد فقال : آن القول بالوحدانية يصح على أربعة

---

(١٥١) جمال الدين الحسن بن يوسف بن على بن المطهر العلامة الحلى : **كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد** ـ ط ١ ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمى ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩م ـ ص ٣١٦ ٠

(١٥٢) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١ ٠

(١٥٣) أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكلينى : **أصول الكافى** ـ ايران ـ مطبعة حيدرى ـ بدون تاريخ ـ ج ١ ـ ص ١ ٠ المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ٠

(١٥٤) محمد جواد فضل الله : **الامام الرضا تاريخ ودراسة** ـ بيروت ـ دار الزهراء ـ ١٩٧٣ ـ ص ٢٢٢ ٠

(١٥٥) كمال الدين ميثم بن على بن ميثم البحرانى : **شرح نهج البلاغة** ـ طهران ـ مؤسسة النصر ـ ١٣٧٨ هـ ـ ج ١ ـ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ٠ والمتوفى سنة ٦٧٩ هـ ٠

أوجـه : اثنـان منهـا لا تجـوز عليه سبحانه ، واثنـان ثابتان له • فأما ما لا يجوز منها عليه ، فقول القائل : واحـد يلاحظ العدد ، لأن مالا ثانى له لا يدخل فى باب الاعداد ، ولذا كفر من قال : ان الله ثالث ثلاثة • وكذا اطلاق الواحـد عليه يلاحظ أنه واحـد من الناس ، ويراد بذلك النوع من الجنس ، وهـذا لا يجوز عليه سبحانه ، لأنه تشبيه وجل ربنـا عن ذلك وتعالى علوا كبيرا • وأما اللذان يجوزان عليه سبحانه ، فهما الواحد بمعنى نفى الشبيه له ، وبمعنى أنه لا ينقسم فى وجود ولا عقل ولا وهم ، كذلك ربنـا عـز وجـل(١٥٦) •

وجاء عن الحسين بن على : « ••• ليس كمثله شىء وهو السـميع البصير ••• استخلص الوحدانية والجبروت ••• »(١٥٧) وقال على بن الحسين « الحمد لله الأول بلا أول كان قبله والآخر بلا آخر يكون بعده » • فالشيعة تعتقد أن الله سبحانه واجب الوجود لذاته • ومعنى هذا أنه تعالى لا يزال موجودا بلا عـلة لوجوده ، وانه الموجـود الأول بلا ابتداء ، ودائم الوجود بلا انتهاء ، وأنه المبـدأ الأول لكل الموجودات ، ولو أمكن عـدم وجوده لحظة لم يكن واجب الوجود وهو خلاف الفرض • ولهـذا قال أيضا : « وفتح لنـا من أبواب العلم بربوبيته ، ودلنـا عليه من الاخـلاص فى توحيده ••• » دعا سبحانه العباد الى الايمان به والاخلاص له فى العبادة وحـده بلا ند وشريك ، وما من شك أن الايمان ثمرة العلم وفرع عنه ، لذا أرشدنا سبحانه الى الطريق الموصل الى هـذا العلم وهو امعان النظر فى الموجودات الكونية وطبائعها وتماسكها ووحـدة نظامها حيث لا تفسير معقول لذلك الا بقوة عليمة(١٥٨) • هـذه هى عقيدة الشيعة فى التوحيـد كما أخذوها عن أئمة أهل البيت •

---

(١٥٦) هاشم معروف الحسنى : **الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٢ • وأيضا الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سـابق ـ جـ ١ ـ ص ٢ •

(١٥٧) الحرانى : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٣ـ١٧٤ •

(١٥٨) محمد جواد مغنية : **فى ظلال الصحيفة السجادية** ـ ط ٢ ـ بيروت ـ دار التعارف ـ ١٩٧٩ ـ ص ١٣ ـ ٢٤ •

« وحـدة الذات والصفات من منظور الشيعة الامامية »

« وحـدة الـذات الالهيـة » :

ويقصد بوحـدة الذات الالهية ، بساطتها ، واستحالة كونها مركبة بأى نحو من أنحاء التركيب • سواء كان عقليا ، كتركيب الذات من جنس وفصل • أو خارجيا كتركيبها من المـادة والصورة(١٥٩) • ويعتقد الشيعة بوحـدة الذات الالهية وأنها غير مركبة لا عقلا ولا خارجا ، واستدلوا على استحالة تركب الذات بأى نحو من أنحاء التركيب بأمور :

الأول : ان المركب ، مفتقر فى وجوده الى كل جزء من أجزائه ، بحيث لو تخلف جزء واحـد فقط عن الانضمام الى باقى الأجزاء لمـا وجـدت ذات المركب ، أى أن كل جزء من أجزاء المركب مفتقر فى وجوده للأجزاء الأخرى ، ليتحقق وجود المركب ، والفقر والحاجة نقص يتنزه عنه واجب الوجود ، لأنه الغنى المطلق • ولهـذا اشار على بن أبى طالب : « •• ومن قرنه فقـد ثناه ، ومن ثناه فقـد جزأه ، ومن جزأه فقـد جهله •• »(١٦٠) • وفى ذلك يقول العلامة الحلى : « •• ان وجوب الوجود يقتضى نفى التركيب أيضا والدليل على ذلك أن كل مركب فانه مفتقر الى أجزائه لتأخره وتعليله بها ، وكل جزء من المركب فانه مغاير له ، وكل مفتقـر الى الغـير ممكن فلو كان الواجب تعالى مركبا كان ممكنا هـذا خلق ، فوجوب الوجود يقتضى نفى التركيب واعـلم أن التركيب قـد يكون عقليـا وهو التركيب من الجنس والفصل وقـد يكون خارجيا كتركب الجسم من المـادة والصورة وتركيب المقادير وغيرها والجميع منتف عن الواجب تعـالى لاشتراك المركبات فى افتقارها الى الأجزاء فلا جنس له ولا فصـل له ولا غيرهمـا من الأجـزاء الحسية والعقلية »(١٦١) •

الثانى : ان الذات الالهية ، لو كانت مركبة من أجزاء لاحتاجت فى

---

(١٥٩) محمد جعفر شمس الدين : **دراسات فى العقيدة الاسلامية** ــ بيروت ــ دار التعارف ــ ١٩٧٩ ــ ص ١٤١ •

(١٦٠) البحـرانى : **شرح نهج البلاغـة** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ١٠٧ •

(١٦١) العلامة الحلى : **كشف المراد** ــ مرجع سابق ــ ص ٣١٧ • وأيضا عبد الله شبر : **حق اليقين فى معرفة أصول الدين** ــ ط ٢ ــ النجف ــ المطبعة الحيدرية ــ ١٣٧٥ هـ ــ ١٩٥٦ م ــ جـ ١ ص ٢٢ ــ ٢٣ •

تركيبهـا والتأليف بينهـا الى مركب ومؤلف ، وبالتـالى لاحتـاج الوجود التركيبى المزعوم للذات الالهية الى موجـد ، وهو خلاف فرض الله واجب الوجود لذاته بذاته(١٦٢) ٠

الثالث : ان الذات الالهية ، لو كانت مركبة من أجـزاء لم يخل أمـر هـذه الأجزاء عن احـدى ثلاث حالات :

الأولى : أن تكون جميع هـذه الأجزاء واجبة الوجود ٠ ومعنى هـذا أن كل جزء مباين مع الأجزاء الأخرى ٠ ولازم أن تكون الذات الالهية مركبة من المتباينات وهو مستحيل ، لأنـه لا يمكن أن نفرض أى تلازم وارتباط بين هـذه الأجزاء ، الا اذا فرضنا أن التلازم بين هـذه الأجزاء ، اما أن يكون ناشئا من كون بعضها معلولا للبعض الآخر ، أو كلها معلولة لعلة خارجة ٠ وكلا الفرضين ينافى كون الذات الالهية واجبة الوجود بذاتها ٠

الثانية : أن يكون جميع هـذه الأجزاء ممكنة الوجود ٠ ومعنى هـذا أن الذات الالهية ممكنة الوجود ، لأن المركب من الممكنات لا بد وأن يكون ممكنا ، وهـذا خلاف فرض الله واجب الوجود بذاته ٠

الثالثة : أن يكون بعض هـذه الأجـزاء واجب الوجـود والبعض الآخر ممكن الوجود ٠ ومعنى هـذا ، أن الالهية مركبة من أمرين متباينين ، واجب وممكن ، وهو مستحيل ، لأن الممكن من هـذه الأجزاء ، لا بد وأن يكون حادثا ٠ ولازم هـذا ، أن تكون الذات الالهية محلا للحوادث ، وما كان محلا للحوادث لا بد وأن يكون حادثا ، وهـذا خلاف فرض الله قديما ٠

وعلى ضوء هـذه الأدلة الثلاثة ، يتضح أن الذات الالهية يستحيل فيها التركيب ، بل هى واحـدة وبسيطة من جميع الجهات(١٦٣) ٠

من هـذا العرض لوحـدة الذات الالهية ، يظهر أن الصفات الذاتية عند الشيعية ، ـ ويطلق عليها صفات الكمال ـ كالعلم والقـدرة والاختيار

---

(١٦٢) انظـر محمـد جعفـر شمس الدين : **دراسـات فى العقيدة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤١ ٠

(١٦٣) المصـدر السابق : ص ١٤١ ـ ١٤٢ ٠

والحياة والارادة والكراهية والسمع والبصر والسرمدية ونحوها ، هى عين ذاته تعالى وجودا وعينا وفعلا وتأثيرا ، بمعنى أن ذاته تعالى بذاته يترتب عليه آثار جميع الكمالات(١٦٤) . وليس المراد أنه سميع بجارحة السمع ، أو بصير بآلة البصر . اذ لو كان كذلك لكان تعالى ذا جزء ، ولكان محلا للحوادث ولكان ممكنا ، وكل ذلك منتف عنه سبحانه ، بل المراد أنه تعالى عالم بجميع المسموعات والمبصرات بدون آلة(١٦٥) . ولهذا يقول الامام على بن أبى طالب : « ان الله ليس بشبح فيرى ، ولا بجسم فيرى .. كلم موسى تكليما بلا جوارح وأدوات ... »(١٦٦) .

يقول القزوينى : « صفات الله الذاتية هى عين ذاته وتمام حقيقته بلا تعدد ولا اثنينية ولا مغايرة جهة لجهة كالحياة والقدرة والعلم .. فهذه الصفات كلها عين الذات وتمام الحقيقة استحقها لنفسه لا لمعنى آخر ، ودليلنا على ذلك أنه لو كان عالما بعلم وقادرا بقدرة وحيا بحياة وباقيا ببقاء لزم اما أن تكون هذه الصفات معان قديمة معه فى الأزل أو أنها حادثة ، فان كانت قديمة معه فى الأزل لزم تعدد القدماء من جهة ومشاركة هذه المعانى له فى أخص صفاته ومماثلتها له من جهة أخرى وهو يستلزم بطلان التوحيد .. وان كانت هذه الصفات حادثة لزم أن يكون قبل حدوثها غير مستحق لأن يوصف بها ، وقد ثبت بالضرورة أنه تعالى لم يزل عالما قادرا حيا باقيا ، ولأنها لو كانت حادثة لاحتاجت الى محدث يحدثها ولا يجوز أن يكون المحدث غير الله ، لأنه الفاعل الأول والقديم الذى لم يزل ، فكيف يصح فى العقول أن يفعل الحياة لنفسه من لا حياة له أو يحدث القدرة من لا قدرة له .... ومن كل هذا ونحوه نستشرف على القطع بأن هذه الصفات ... هى عين ذاته وتمام حقيقته »(١٦٧) فقدرة الله سبحانه من حيث الوجود حياته ، وحياته قدرته ، فهو سبحانه قادر من حيث هو حى ، وحى من حيث هو قادر ، لا اثنينية فى صفاته ووجودها .

---

(١٦٤) عبد الله شبر : **حق اليقين** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٤٦ .

(١٦٥) المصدر السابق : ص ٣٩ .

(١٦٦) هاشم الحسنى : **الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٣ .

(١٦٧) أمير محمد القزوينى : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤ .

هـذه الصفات وان كانت مختلفة فى معانيها ومفاهيمها ، ولكنها واحـدة فى حقائقها ووجوداتها ، لأنه لو كانت مختلفة فى الوجود ، وهى بحسب الفرض قـديمة وواجبة كالذات ، للزم تعـدد واجب الوجود ، ولا نثلمت الوحـدة الحقيقية ، وهـذا ما ينافى عقيدة التوحيد(١٦٨) ٠

وينقل الحرانى ، « المتوفى فى القرن الثالث الهجرى » كلام الامام على فى ذلك : « ان أول عبادة اللـه معرفته ، وأصل معرفته توحيده ، ونظام توحيده نفى الصفـات عنه ، لشهـادة العقـول أن كل صفـة وموصـوف مخلوق ، وشـهادة كل مخلوق أن له خالقا ليس بصفـة ولا موصوف ٠٠٠ ومن قال : حتى فقـد غياه ، ومن غياه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد وصفه ٠٠٠ لا دين الا بمعرفة ولا معرفة الا بتصـديق ولا تصديق الا بتجريد التوحيد ، ولا توحيد الا بالاخـلاص ، ولا اخـلاص مع التشبيـه ولا نفى مع اثبات الصفات ، ولا تجـريد الا باسـتقصاء النفى كله ٠٠٠ » الى آخـر كلامـه فى التوحيـد(١٦٩) ٠

هـذه هي عقيدة الشيعة فى صفات اللـه الذاتية ، وأنها عين الذات ، ذهنا وخارجا ، وهناك صفات أخـرى تسمى ، بصفات الأفعال ، وهى : كل صفـة تقتضى وجود غير الموصوف فهى صفـة الفعل ، كقولنا مـالك وجواد وفاعل وراحم ورزاق ومتكلم وصادق وغير ذلك من صفات الأفعال ، فان مالك مثلا يقتضى وجود المملوك ، لأنـه لا يقال ملك المعـدوم ٠٠٠ بمعنى أن الله لا يتصف بها الا بعـد وجود الفعل ، فلا يطلق عليه خالق قبل خلقه للأشياء ، ولا محى قبل احيائها(١٧٠) ٠ وفى ذلك يقول أبو زهـرة : « أثبت الامامية للـه ما أثبته القـرآن الكريم له سبحانه ، وقـد قسموا ما أثبته القرآن الى قسمين : أحـدهما ، صفات ذاتية له سبحانـه ٠٠٠ والثانى ، صفات أفعال ، وهى الصفـات التى تقررت لوجود أفعـال له سبحانه ، ككونـه خالقـا(١٧١) ٠

---

(١٦٨) محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩ ٠
(١٦٩) الحرانى : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣ـ٤٤ـ٤٥ .
(١٧٠) أمير محمـد القـزوينى : **أصـول المعارف** ـ مرجع سـابق ـ ص ١٤ ٠
(١٧١) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٠ .

هـذا موجز لمـا يعتقـده الشيعـة فى ذات اللـه وصفاته ، والذى يظهر منهم أنهم استنتجوا ذلك من أقوال أئمتهم ، وأخـذوا عنهم معنى التوحيد والصفات ، كما استدلوا على ذلك بما جاء عنهم ٠

أما مسألة التشبيه والتجسيم والجهـة ، وما يترتب عليها من القول بالحلول ، فالشيعة تعتقـد : « أن اللـه سبحانه ليس بجسم ، ولا بجوهر ، ولا عرض ، ولا فى جهـة ، أو زمان ، أو مكان ، ولا يتحـد بغيره ولا يحـل في شيء ، اذ لو كان جسما لكان حادثا ، ولافتقـر الى حيز ٠ ولو كان فى مكان أو زمان أو جهـة للزم قـدم المكان والزمان والجهة ، مع أنـه لا قديم سـواه ٠ هـذا بالاضافة الى أنه يكون مفتقـرا الى الغير ٠ ولو كان جوهرا لكان وجوده غير ماهيته مع أن وجوده عين المـاهية ٠ ولو كان عرضا لكان قائما بغيره ، ومحتاجا الى سـواه ولو اتحـد بغيره لصار الاثنان واحدا ٠ ولو حل فى شيء لكان فى حاجـة الى المحـل الذى حل فيـه ، وكل محتاج حادث وممكن »(١٧٢) ٠ ولهـذا يقول الكلينى : « ٠٠ عرف بغير رؤية ، ووصف بغير صـورة ، ونعت بغير جسم »(١٧٣) ٠ وجاء عن الامام على : « كذب العـادلون بك اذ شبهـوك بأصنامهم ، ونحلوك حليـة المخلوقين بأوهامهم ٠٠٠ »(١٧٤) ٠

الأصل الثانى : « النبـوة » :

« حاجـة الناس الى النبى » :

يقول البحرانى : « ٠٠ فلما كان المقصـود الأول من بعثة الأنبيـاء والرسـل بالكتب الالهية والنواميس الشرعية ، انما هو جـذب الخلق الى الواحـد الحق ومعالجـة نفوسهم من داء الجهل وعشق هـذه الدار والتفاتها الى حظائر القـدس ومنازل الأبرار وحمايتهـا أن ترد موارد الهـلاك اذ كانت من ذلك على خطـر ٠٠٠ ثم ما يلزم ذلك المقصـود من تدبير أحوال

---

(١٧٢) محمـد جـواد مغنيـة : **معالم الفلسفة الإسلامية** ــ مرجع سابق ــ ص ١٠٣ ــ ١٠٤ ٠

(١٧٣) الكلينى **الكافى** ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ١٠٠ ٠

(١٧٤) هاشم الحسنى : **الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة** ــ مرجع سابق ــ ص ١٤٧ ٠

المعاش البدنى وساير أسباب البقاء للنوع الانسانى ٠٠ »(١٧٥) ٠ « واذا وجب فى الحكمة اقامـة من يقوم بالتعليم مقامـه من جهتـه ـ سبحانه ـ كان ضروريا وجود من يكون فى عـالم النفس نبيـا معلمـا مؤيدا ، واماما مفضـلا مقـدما ٠ فيعلم الكافة مصـالحها ، ويهديها ويقيها ممـا يوبقهـا ويؤذيها ، ويسـد فاقتها ، ويختم بالحسن عاقبتها »(١٧٦) ٠

فالبشر لمـا كانوا مختلفين فى القـدرات والقابليات والاسـتعدادات في سرعة قبول ما يلقى اليهم من العلم ، وكان التعليم واجبا فى الحكمـة ، وامتنع الأمر فى وصول البشر الى المتعالى سبحانه ، ليتولى هو بذاتـه هـدايتهم وتعليمهم ، لذلك وجب اقـامة من يخلفـه فى تعليمهم ، ويقوم مقامـه فى هـدايتهم ٠ فالمرشـح للنبوة لا بد وأن يكون على غاية لا يفوته فيض عالم القـدس ، وهو كلام اللـه المسمى وحيا ، فيكون به مخاطبا من جهـة اللـه سبحانه ، ومعلمـا ، وعلى هـذا يجب أن يكون مهيئـا لقبول ما يلقى اليه بأدنى اشارة وتعريض بحيث لا يحتاج معـه الى اعـادة قول عليه ٠ وهـذا بخـلاف من يحتاج الى عناء ورياضـة ومشقـة ، وترتيب الكلام معـه ، وتعليمـه(١٧٧) ٠

ولمـا كان الانسان مخلوقا غريب الأطوار ، معقـد التركيب فى تكوينه وفى طبيعته وفى نفسيته وفى عقله ، وقـد اجتمعت فيه نوازع الفسـاد من جهـة وبواعث الخير والصـلاح من جهـة أخرى ٠ فمن جهة جبل على العواطف والغرائز من حب النفس والهوى والأثرة واطاعـة الشهوات ، كما فطـر على حب التغلب والاسـتيلاء على الغير ، والتكالب على الحيـاة الدنيا ٠ ومن جهـة ثانية ، خلق اللـه سبحانه فيه عقـلا هاديا يرشـده الى الصلاح ، ومواطن الخير ، وضميرا وازعا يردعـه عن المنكرات والظلم والشرور ويؤنبه على فعل ما هو قبيح ومذموم ٠ ولا يزال الخصام الداخلى

---

(١٧٥) البحرانى : **شرح نهج البلاغة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص٢ ٠

(١٧٦) حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى : **الأقوال الذهبية فى الطب النفسانى** ـ تحقيق عبد اللطيف العبد ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٧٥ ـ والكرمانى يلقب بحجة العراقين وكبير دعاة الشيعة في العراق ـ توفى سنة ٤١١ هـ ـ انظر قول المحقق ـ ص٦ ٠

(١٧٧) المصـدر السابق : ص ٦ ٠

فى النفس الانسانية مستعرا بين هـذه الغرائز والعقل(١٧٨) ٠ اذن لا بد من قانون يرجـع اليه الجميع فى حفظ نظامهم وتنظيم غرائزهم ورعـاية حقوقهم فى المعاملات والجنايات وغيرها من مرافق الحياة ، ويقطع به دابر الشغب ويزيل الفتن بين الأفراد والجماعات ، ويحكم بينهم بالعـدل ، وهذا القانون لا بد وأن يكون سماويا ، لأنه ان لم يكن سماويا لم يمكن رجـوع الجميع اليه لاختلاف طباعهم وتباين أحوالهم وتضـارب نزعاتهم ، فيقع التنافس بينهم ، ويختل بذلك نظامهم ، وهـذا القانون هو الشرع ٠ فلا بد اذن للشرع من يسنه ويقرر ضوابطـه ، ولا بد من أن يمتاز ذلك الشخص على سـواه من بين نوعـه لانتفـاء الأولوية ويلزم أن يتميز من قبل اللـه سبحانه بخارقة ينقاد اليه النوع البشرى وتصـديقه بحيث يتم النظـام ويستقـر حفظ الانسان ، ويكون حجـة من قبله تعالى يبين لهم ذلك القانون وذلك الحجـة هو النبى(١٧٩) ٠

والنبوه بوصفها ظاهرة ربانية فى حياة الانســان هى القانون الذى وضـع صيغة الحل هـذه بتحويل مصالح الجماعة وكل المصالح الكبرى التى تتجاوز الخط القصير لحياة الانســان الى مصــالح للفرد على خطـه الطويل ، وذلك عن طريق اشعاره بالامتداد بعد الموت والانتقال الى ساحة العـدل والجزاء التى يحشر الناس فيها ليروا أعمـالهم ٠٠ وصيغـة الحل هـذه تتألف من نظرية وممارسـة تربوية معينة للانسان على أســاسها ، والنظرية هى المعاد يوم القيامة ، والممـارسة التربوية على هـذه النظـرية عملية قيادية ، ولا يمكن الا أن تكون ربانية لأنها عملية تعتمـد على اليوم الآخـر أى على الغيب فـلا توجـد الا بوحى السماء وهى النبوة(١٨٠) ٠ ولهـذا فالنبوة عند الشيعـة تمثل رسالة ثورية وعملا تغييريا للجمـاعة الانسانية ، لكى تقوم بدورها الصـالح بأن يتسلم شخص النبى الرسول الخـلافة العـامة ليحقق للثورة أهدافهـا فى القضـاء على الجاهليـة

---

(١٧٨) محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠ ٠

(١٧٩) أمير محمـد القزوينى : **أصول المعـارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ ٠

(١٨٠) محمـد باقر الصـدر : **موجـز فى أصول الدين** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٥٧ ٠

والاستغلال(١٨١) ٠

وهـذه التربيـة لا يمكن أن تبدأ من داخل الجماعـة التى انحـرفت مسيرتهـا وتمزقت وحـدتها ، بل لا بد من تربية تتلقاها ، ولا بد من هدى ينفـذ الى قلوبها من خارج الظروف النفسية التى تعيشـهـا ٠ وهنا يأتى دور الوحى والنبـوة ، ليكونوا منـذرين ومبشرين ، فـالوحى وحـــده هـو القـادر على أن يؤمن التربية الثورية التغيـيرية والخلقية والنفسية الصالحة ، التى تنشىء ثائرين لا يريدون فى الأرض علوا ولا فســـادا ، وتجعل من المستضعفين والمحرومين أئمة لكى يتحملوا أعباء الخلافة بحـق ويكونوا هم الوارثين(١٨٢) ٠

والنبى الرســول هو حامل الرســالة من السماء ، والانسان المبنى ربانيا ، ومن هنا دعا الأنبيــاء الى جهادين : أحدهما الجهاد الأكبر من أجل أن يكون المستضعفون أئمة ويتغلبون على شهواتهم ويبنون أنفسهم بنــاء ثوريا صالحا ، والآخر الجهاد الأصغر من أجل ازالة المستغلين والظالمين عن مواقعهم ٠ وهاتان العمليتان تسيران جنبا الى جنب فى ثورة الأنبياء ، فالبنى ينتقل بأصحابه دائما من الجهاد الأكبر الى الجهـاد الأصغر ومن الجهاد الأصغر الى الأكبر ، بل أنهم يمارسون الجهادين فى وقت واحـد ، حتى فى ساحات الجهاد وفى أحرج لحظات القتال(١٨٣) ٠

والنبى يتمثل دوره فى أمور ثلاثة :

أولا ـ استيعاب الرسالة السماوية والحفاظ عليها ٠

ثانيا ـ الاشراف على ممارسة الانسان لدوره فى الخلافة ومسئولية اعطاء التوجيه بالقـدر الذى يصل بالرسالة وأحكامها ومفاهيمها الى مستوى التطبيق ٠

ثالثا ـ التدخل لمقاومة الانحراف واتخـاذ كل التدابير الممكنة من أجـل سـلامة المسـيرة ٠

---

(١٨١) محمـد باقر الصـدر : **خلافة الانسان وشهادة الأنبيـاء** ـ قم ـ ايران ـ مطبعة الخيام ـ ١٣٩٩ هـ ـ ص ٤١ ٠
(١٨٢) المصـدر السـابق : ص ٣٩ ٠
(١٨٣) المصـدر السـابق : ص ٤٠ ٠

ويعتقد الشيعة أن هـذه الأدوار يشترك فيها مع النبى (ص) الامام والمجتهد « المرجع الدينى » • فالنبى أو الامام أو المجتهد ، هو مرجع فكرى وتشريعى من الناحية الايديولوجية ، يشرف على سير الجماعة ، وانسجامه أيديولوجيا مع الرسالة الربانية التى يحملها ، ومسئول عن التدخل لتعديل المسيرة أو اعادتها الى طريقها الصحيح اذا واجه انحرافا فى مجال التطبيق فالنبى هو حامل الرسالة من السماء باختيار الله تعالى له للوحى ، والامام هو المستودع للرسالة ربانيا ، والمرجع هو الانسان الذى اكتسب من خلال جهد بشرى ومعاناة طويلة الأمد استيعابا حيا وشاملا ومتحركا للاسلام ومصادره وورعا معمقا يروض نفسه عليه حتى يصبح قوة تتحكم فى كل وجوده وسلوكه ووعيا اسلاميا رشيدا على الواقع وما تزخر به من ظروف وملابسات ليكون شهيدا عليه(١٨٤) •

هـذه نبـذة مما يعتقده الشيعة فى حاجة الناس الى النبى باعتباره موجها ومعلما للناس •

« عقيدة الشيعة فى نبوة محمـد (ص) » :

يقول العلامة الحلى : « •• فى نبوة محمـد صلى الله عليه وآله : اعلم أن هـذا أصل عظيم فى الدين وبه يقع الفرق بين المسلم والكافر ، فيجب الاعتناء به واقامة البرهـان عليه ••• »(١٨٥) • ولهـذا يعتقد الشيعة أن النبى محمد (ص) الذى جاء برسالة الاسلام تميز عن جميع الأنبياء الذين سبقوه ، وذلك بتقـديم رسالته بوصفها آخر أطروحة ربانية ، وبهـذا أعلن أن نبوته هى النبوة الخاتمة • وفكرة النبوة الخاتمة كما يرى السيد محمد باقر الصدر ، لها مدلولان أحدهما : سلبى وهو المدلول الذى يلغى ظهور نبوة أخرى على المسرح ، والآخـر ، ايجابى وهو المدلول الذى يؤكـد استمرار النبوة الخاتمة وامتدادها مع العصور • فالمدلول السلبى للنبوة الخاتمة قـد انطبق على الواقع تماما خلال الأربعـة عشر قرنا التى تلت ظهور الاسلام وسيظل منطبقا على الواقع مهما امتد الزمن ، غير أن عـدم ظهور نبوة أخرى على مسرح التاريخ ليس لأن النبوة تخلت

---

(١٨٤) المصدر السابق : ص ٢٢ ـ ٢٣ •

(١٨٥) محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٣٦٥ •

عن دورها كأساس من أسس الحضارة الانسانية ، بل لأن النبوة الخاتمة جاءت بالرسـالة الوريثة لكل ما يعبر عنـه تاريخ النبوات من رسـالات والمشتملـة على كل ما فى تلك النبوات والرسـالات من قيم ثابتـة دون ما لا بسها من قيم مرحلية ، وبهـذا كانت هى الرسـالة المهيمنة القـادرة على الاستمرار مع الزمن وكل ما يحمل من عوامل التطور والتجديد(١٨٦) ٠

كما أن الشيعة تعتقـد أن النبى (ص) لا بد أن يكون جامعا للفضائل من الصـدق والعدالة والسخاء والشجـاعة ، والورع والأمانة والوفاء ، والزهـد والعفـة والصبر على الأمور الدينية ، وأن يكون ذا أنفة وانتقام وحمية وذكاء وعلم ومعرفة وتنبيه للأمور بأيسر دليل ، وادراك لغوامض الأمور بأدنى اشـارة وتعريض ، وأن يكون قـادرا على وجوه الكلام فى الافهام والاستفهام التى بها تتم السياسـة الالهية ليكون معلمـا وهاديا الى الخير(١٨٧) ٠

ويعتقـد الشيعـة بعصمة الأنبياء ، ومنهم رسول الله (ص) بل هو سيدهم ، وأنهم منزهون عن ارتكاب الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها ، وفى ذلك يقول التسترى : « ذهبت الامامية كافة الى أن الأنبياء معصومون عن الصغائر والكبائر منزهون عن المعاصى قبل النبوة وبعـدها على سبيل العمـد والنسيـان وعن كل رذيلـة ومنقصـــة ، ومـا يدل على الخسـة والضعـة ٠٠ »(١٨٨) ٠ و « أن يكون متصفـا بأكمل الصفـات الخلقيـة والعقلية وأفضلها ـ حتى لا يدانيه بشر سـواء فيها ـ ، لأنه لولا ذلك لمـا صح أن تكون له الرئاسة العـامة على جميع الخلق ولا قوة ادارة العـالم كله »(١٨٩) ٠ وبهـذه الصفات تطمئن اليه القلوب وتركن اليه النفوس ، بل يستحق هـذا المقام الالهى العظيم(١٩٠) ٠ ٠ ومن هنا يرى الباحث أن

---

(١٨٦) محمـد باقر الصـدر : **موجز فى أصـول الـدين** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٧٦ ٠

(١٨٧) الكرمانى : **الأقوال الذهبية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٣ ٠

(١٨٨) نور الله الحسينى المرعشى التسترى : **احقاق الحق وازهاق الباطل** ـ طهران ـ المطبعة الاسلامية ـ ١٣٧٧ هـ ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٨ ٠

(١٨٩) محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٦ ٠

(١٩٠) المصـدر السابق : ص ٣٦ ٠

يعرض فكرة العصمة ومعناها ومدلولاتها من وجهة نظر الشيعة ، لأنها من القضايا التى يتوقف عليها صحة التشريع وعـدمه ٠

القول فى عصمة الأنبيـاء :

قلنا ان الشيعة تعتقد بأن النبى لا بد أن يكون معصوما من جميع الذنوب صغائرها وكبائرها قبل البعثة وبعدها ٠ والعصمة عند الشيعة : « ٠٠٠ عبارة عن قوة العقل من حيث لا يغلب مع كونه قادرا على المعاصى كلها كجائز الخطأ ، وليس معنى العصمة أن الله يجبره على ترك العصمة ، بل يفعل به ألطافا يترك معها المعصية باختياره مع قدرته عليها »(١٩١) ٠

واستدل الشيعة على وجوب عصمة النبى بأمور :

الأول : ان العلة التى أحوجتنا الى وجود النبى (ص) فى الأرض ، هى عـدم عصمة الخلق لأنهم لو كانوا معصـــومين لم يحتاجـــوا الى الأنبياء (ع) فلو كان الأنبياء غير معصومين لكانوا محتـاجين الى غيرهم لوجود علة الحاجة فيهم ، فيكون الكلام فى غيرهم كالكلام فيهم فيؤدى الى وجود أنبياء لا نهاية لهم أو وجوب الانتهاء الى معصوم ، ووجود أنبيـاء لا نهاية لهم باطل ، فثبت وجوب عصمتهم(١٩٢) ٠ ولهـذا يقول الخاجة نصير الدين الطوسى : « وامتنـاع التسلسل يوجب عصمته ٠٠ »(١٩٣) لأنه لو كان يخطىء لاحتاج الى من يسدده ويمنعه عن خطئه وينبهه على نسيانه ، فاما أن يكون معصوما فيثبت المطلوب أو غير معصوم فيتسلسل(١٩٤) ٠

الثانى : لو لم يكن النبى معصوما لجاز عليه فعل المعصية ، وحينئذ فاما أن يجب علينا طاعته واتبـاعه فى فعل المعصية ، فقـد وجب فعـل المعصية الواجب تركها ، وحينئذ يجتمع الضدان ، وان لم يجب اتباعه فيها وقـد جعله الله حجة علينا يجب اتباعه فتنتفى فائدة ارساله وتكون بعثته

---

(١٩١) حسن عبـاس حسن : **الصياغـة المنطقية** ــ مرجع سابق ــ ص ٣٧١ ٠

(١٩٢) أمير محمـد القزوينى : **أصـول المعـارف** ــ مرجع سابق ــ ص ٧٥ ٠

(١٩٣) العلامة الحلى : **كشف المراد** ــ مرجع سابق ــ ص ٣٩٠ ٠

(١٩٤) عبد اللـه شبر : **حق اليقين** ــ مرجع سابق ــ ص ١٢٣ ٠

عبثـا باطـلا تعـالى اللـه عن ذلك ، فوجب أن يكون معصـوما(١٩٥) ٠
« ٠٠ ولأنه حافظ للشرع ولوجوب الانكار عليه لو أقدم على المعصية فيضاد أمر الطاعة ويفوت الغرض من نصبه »(١٩٦) ٠ ولهذا يقول المظفر : « انه لو جاز أن يفعل النبى المعصية ، أو يخطأ وينسى ، وصدر منه شيء من هـذا القبيل ، فاما أن يجب اتباعه فى فعله الصـادر منه عصيانا أو خطأ أو لا يجب ، فان وجب اتباعه فقـد جوزنا فعل المعاصى برخصة من الله تعالى ، بل أوجبنا ذلك ، وهـذا باطل بضرورة الدين والعقل ، وان لم يجب اتباعه فذلك ينافى النبوة التى لا بد أن تقترن بوجوب الطاعة أبدا »(١٩٧) ٠

الثالث : ان النبى (ص) لو لم يكن معصوما لم يحصل لنـا الوثوق بقوله ، اذ من الجائز أن يكذب عمدا أو نسيانا ، ولا يجـوز على اللـه أن يرسل الى الخلق أنبياء كذابين ، لأنه قبيح يستحيل على الله ذلك ٠ فوجب أن يكون معصوما(١٩٨) وفى ذلك يقول العلامة الحلى : « ٠٠ فلو جـاز الخطأ عليه لم يبق وثوق بما تعبدنا الله تعالى به وما كلفناه وذلك يناقض الغرض من التكليف وهو الانقياد الى مراد الله تعالى ٠٠ »(١٩٩) ٠

الرابع : انه لو جاز أن يعصى لوجب ايذاؤه والتبرى منـه لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لكن اللـه تعالى نص على تحريم ايذاء النبى فقال : « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيـا والآخرة »(٢٠٠) ٠

الخامس : انه لو جاز عليه العصيان لزم سقوط محله وانحطاط درجته عند الناس ، وأن تكون شهادته مردودة لقوله تعالى : «ان جاءكم فاسق بنبأ

---

(١٩٥) القزوينى : **أصول المعارف** ــ مرجع سابق ــ ص ٧٥ ٠
(١٩٦) العلامة الحلى : **كشف المراد** ــ مرجع سابق ــ ص ٣٩٠ ٠
(١٩٧) محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ــ مرجع سابق ــ ص ٣٦ ٠
(١٩٨) أمير محمـد القزوينى : **أصـول المعـارف** ــ مرجع سابق ــ ص ٧٥ ٠
(١٩٩) العلامة الحلى : **كشف المـراد** ــ مرجع سابق ــ ص ٣٩١ ٠
(٢٠٠) سورة الأحزاب : آية ٥٧ ٠ وأيضا عبد الله شبر : **حق الدين** مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ١٢٢ ٠

فتبينوا »(٢٠١) ٠ فكيف تقبل عموم شهادته فى الوحى وأحكام الله تعالى ٠ ويلزم أن يكون أدنى حالا من عدول الأمة(٢٠٢) ٠ « ولأن وقوع المعصية من مثلهم أعظم من وقوعها من غيرهم ، والحجة عليهم الزم ، ويقول الله تعالى : « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فوجب عصمتهم »(٢٠٣) ٠ ولهذا يقول الخاجة نصير الدين الطوسى : « ويجب فى النبى العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض ولوجوب متابعته وضدها والانكار عليه »(٢٠٤) ٠

ويدل على عصمة النبى (ص) قوله تعالى : « ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله »(٢٠٥) ٠ فان وجوب المحبة مطلقا يستلزم وجوب الطاعة مطلقا وكل من وجبت طاعته مطلقا كان معصوما(٢٠٦) ٠

وقد نفى أحمد أمين فكرة العصمة واعتبرها « بعيدة عن روح الاسلام وتعاليمه كما أنها بعيدة عن الطبائع البشرية التى ركبت فيها الشهوات ، وركب فيها الخير والشر ، ومزجت فيها الميول المتعاكسة وفضيلة الانسان الراقى ليس فى أنه معصوم ، بل فى أنه قادر على الخير والشر ، وينجذب اليهما ، وهو فى أكثر الأحيان ينجذب الى الخير ويدفع الشر ٠ أما الطبيعة المعصومة فطبيعة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لا طبيعة الانسان الذى فقد شهوته لفقد حيويته »(٢٠٧) ٠

والظاهر أن أحمد أمين فهم من العصمة أنها طبيعة مخلوقة فى النبى أو الامام أو الملائكة ، وهذا ما لا يذهب اليه أحد من الشيعة ، وانما العصمة ملكة تمنع صاحبها عن فعل القبائح مع

---

(٢٠١) سورة الحجرات : آية ٦ ٠
(٢٠٢) عبد الله شبر : **مصدر سابق** ــ ص ١٢٢ ــ ١٢٣ ٠
(٢٠٣) القزوينى : **أصول المعارف** ــ مرجع سابق ــ ص ٧٦ ٠
(٢٠٤) العلامة الحلى : **كشف المراد** ــ مرجع سابق ــ ص ٣٧٥ ــ ٣٧٦ ٠
(٢٠٥) سورة آل عمران : آية ٣١ ٠
(٢٠٦) القزوينى : **أصول المعارف** ــ مرجع سابق ــ ص ٧٦ ٠
(٢٠٧) أحمد أمين : **ضحى الاسلام** ــ مرجع سابق ــ ج ٣ ــ طبعة ١٩٧٨ ــ ص ٣٢٩ ــ ٣٣٠ ٠

القدرة عليها حتى يتحقق الثواب والعقاب وبهـذا المعنى يقول الشيعة : « والعصمة لا تنافى القـدرة ، بل المعصوم قادر على فعل المعصية والا لما استحق المدح على ترك المعصية ولا الثواب ولبطل الثواب والعقاب فى حقه فكان خارجا عن التكليف وذلك باطل بالاجماع وبالنقل فى قوله تعـالى : « قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى »(٢٠٨) • ومن هنا فان صياغته المنطقية فى عصمة الملائكة واعتبارها من طبيعتهم ، واستدلاله بالآية غير سليم ، لأن الطبيعـة المعصومة لا تحتاج الى الأمر والنهى حتى يترتب عليه العصيان ، والملائكة يؤمرون وينهون • وثانيا أن المستفـاد من كلامـه هـذا بمفهوم المخالفـة أن النبى يعصى اللـه فى أوامره ونواهيه ، ولا يفعل ما يأمره الله به ، لأن ذلك خاصا بالملائكة • بالاضـافة الى أنه من الثابت أن رسـول الله (ص) أشرف الخلق ، ولما كان الملائكة من مخلوقات اللـه ، فهو أشرف منهم فاذا أعطينا صفـة العصمة للملائكة من حيث المعنى الذى ذهب اليه الشيعة فى العصمة ، فالأولى أن نقول ذلك بالنسبة الى الرسول • « ولأن اللـه قال : « وانك لعلى خلق عظيم »(٢٠٩) • وفسرت عائشـة ذلك بأن خلقـه القـرآن ••• واقتصرت فى خلقـه على ذلك ـ فـدل على أن قـوله وفعله واقراره راجـع الى القرآن ، لأن الخلق محصور فى هـذه الأشياء ، ولأن اللـه جعل القرآن تبيانا لكل شىء »(٢٠١) •

والقرآن الكريم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه ، فالصياغة المنطقية تقتضى أن يكون الرسول كذلك ، ولما كانت وسوسة الشيطـان من الباطل فهى اذن منتفية عن الرسـول ، وبهـذا يبطل قول الغزالى بأن الشيطان لا بد وأن يوسوس للنبى(٢١١) • وقال ابن عقيل فى الارشاد : « انهم عليهم السلام لم يعتصموا فى الأفعال ـ بل فى نفس الأداء ولا يجوز عليهم الكذب فى الأقوال فيمـا يؤدونه عن اللـه تعـالى ـ وهـذا ينكـره علماء الشيعـة فانهم أجمعوا على أن الأنبياء لا يخطئون ولا يعتريهم السهو

---

(٢٠٨) العلامة الحلى : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٢ •

(٢٠٩) سورة القلم : آية/٤ •

(٢١٠) محمـود أبو ريـة : **أضـواء على السـنة المحمدية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣ •

(٢١١) انظر أحمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٣ •

والنسيان ـ وهم يجمعون على أنهم معصومون فى الكبر والصغر حتى فى أمور الدنيا ـ وقد ثبت أن النبى كان يصدق بعض ما يفتريه المنافقون ـ كما وقع فى غزوة تبوك وغيرها ـ ٠ وصدق بعض أزواجه وتردد فى حديث الافك ، وضاق صدره به زمنا حتى نزلت عليه آيات البراءة وكشفت له الغطاء عن الحقيقة »(٢١٤) ٠

من هذا يظهر أن الأنبياء يخطئون وينسون فيما اذا لم يكن أداء عن اللـه سبحانه بل قد تصدر منهم الصغائر ، ومعلوم أن مرتكب الصغيرة تخرجه عن العدالة فتنتفى شهادته ٠ أما قول ابن عقيل : ولا يجوز عليهم الكذب فى الأقوال فيما يؤدونه عن الله تعالى ٠ فان معنى ذلك أنه يجوز عليهم الكذب فى غير ذلك ، وهذا ما يخالف خلق القرآن الذى هو خلق الرسول ٠ والكذب من الباطل مطلقا سواء كان فيما يبلغه عن الله أو غير ذلك ٠ وأما حديث الصدق والتردد فيما يفتريه المنافقون ، وتردده فى حديث الافك ، فهو لا يخلو ، اما أن يكون النبى (ص) عالما بنفاقهم أو أنه يعتقد بايمانهم ، فاذا كان عالما بنفاقهم فلا يجوز له تصديقهم قبل التثبت لقوله تعالى : « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ، وان كان يعتقد ظاهرا بايمانهم فهو نزول عند الحكم الشرعى حيث ان الشارع اعتبر قول المؤمن حجة : وأما تردده وشكه فى حديث الافك فلا يصح أن يصدر عن النبى (ص) قبل أن يتثبت فى الأمر كما سبق من خلقه ، وان خلقه القرآن ٠ ومن هذا يظهر عدم صحة ما قيل فى ذلك ٠

الأصل الثالث : « العدل » :

يعتقد الشيعة بعدل الله المطلق ، ولهذا قالوا : « فى العدل وبه يتم التوحيد بل تتوقف عليه سائر الأصول من النبوة والامامة والمعاد ، وهو وان كان داخلا فى جملة صفاته تعالى ٠٠ لأن معنى قولنا عادل أنه حكيم ليس بظالم ٠٠٠ وقد قال أمير المؤمنين (ع) التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه ٠ وبالجملة فالعدل هو اعتقاد أنه تعالى عادل فى مخلوقاته غير ظالم لهم لا يفعل قبيحا ولا يخل بواجب ولا يجور فى قضائه

---

(٢١٢) محمود أبو رية : **أضواء على السنة المحمدية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥ ـ ١٦ ٠

ولا يحيف فى حكمه وأبتلائه يثيب المطيعين وله أن يعاقب العاصين ولا يكلف الخلق ما لا يطيقون ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقون ولا يقابل مستحق الأجر والثواب بأليم العذاب والعقاب وأنه تعالى لم يجبر عباده على الأفعال سيما القبيحة ويعاقبهم عليها »(٢١٣) ٠

وكلما استطاع الانسان من خلال ممارسته السلوكية أن يتصاعد فى تحقيق تلك المثل ، ويجسد فى حياته بصورة أكبر عدالة الله وعلمه وقدرته ورحمته وجوده ورفضه للظلم والجبروت ، سجل انتصارا فى مقاييس الخلافة الالهية فى الأرض واقترب نحو الله من مسيرته(٢١٤) « ولم يكن من الصدفة أن يوضع العدل أصلا من أصول الدين ويميز عن سائر صفات الله تعالى بذلك ـ حسب اعتقاد الشيعة ـ وانما كان تأكيدا على أهم صفات الله تعالى فى مدلوله العملى ودوره فى توجيه المسيرة الانسانية وذلك لأن العدل فى المسيرة وقيامها على أساس القسط هو الشرط الأساسى نحو كل القيم الخيرة ٠٠٠ وبدون العدل والقسط يفقد المجتمع المناخ الضرورى لتحرك تلك القيم وبروز الامكانات الخيرة »(٢١٥) ٠

ان مسألة العدل الالهى ترتبط ارتباطا وثيقا بمسألة الارادة الانسانية والحسن والقبح أو الخير والشر ٠ ومن هنا يحاول الباحث عرض وجهة نظر الفرق الاسلامية فى هاتين المسألتين وموقف التربية منها ٠

أولا ـ فى حرية الارادة الانسانية ، أو القضاء والقدر وموقف التربية منها :

تجدر الاشارة أولا الى ما جاء فى معنى القضاء والقدر ، ثم بيان ما يمكن تعلقه بأفعال المكلفين على رأى الشيعة ٠

أما القضاء : فقد جاء فى اللغة على معان أربعة ٠ الأول بمعنى الاعلام كقوله تعالى : «وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين» سورة الحجر آية/٦٦ أى اعلمناه بذلك وأخبرناه ، وقوله تعالى : « وقضينا

---

(٢١٣) عبد الله شبر : **حق اليقين** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٧٣ ٠
(٢١٤) محمد باقر الصدر : **خلافة الانسان وشهادة الأنبياء** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨ ٠
(٢١٥) المصدر السابق : ص ١٨ ـ ١٩ ٠

الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين » • سور الاسراء ، آية/٤ أى أعلمناهم وأخبرناهم • الثانى : بمعنى الخلق كقوله تعالى : « وقضاهن سبع سموات » • سورة فصلت آية/١٢ • أى خلقهن سبع سماوات • الثالث : بمعنى الأمر كقوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه » • سورة الاسراء : آية/٢٤ • أى أمر بذلك فى التكليف على خلقه وألزمهم به • الرابع : بمعنى الفصل بالحكم بين الناس كقوله تعالى : « والله يقضى بالحق » سورة المؤمنون : آية/٢٠ • أى يفصل بالحكم بالحق •• ويأتى أيضا بمعنى الفراغ من الأمر والانتهاء منه كقوله تعالى : « قضى الأمر الذى فيه تستفتيان » • سورة يوسف : آية/٤١ • أى فرغ منه»(٢١٦) •

وأما القدر : فقد جاء فى اللغة على معان ثلاثة : الأول : بمعنى الاخبار والكتاب كقوله تعالى : « الا امرأته قدرنا أنها لمن الغابرين » • سورة الحجر : آية/٦٠ • اى أخبرنا وكتبنا ذلك فى اللوح المحفوظ • الثانى : بمعنى وضع الأشياء فى مواضعها بلا زيادة ولا نقيصة كقوله تعالى : « وقدر فيها أقواتها » • سورة فصلت : آية/١٠ • الثالث : بمعنى التوضيح بمقادير الأشياء وتفاصيلها والاعلام باختلاف أحوالها(٢١٧) •

أما ما يتعلق بأفعال الانسان فيمكن القول ان الله تعالى قضى بها عليه على معنى حكم بها عليه والزمه اياها وأوجبها ، وهذا الالزام هو أمره له وليس على سبيل الالجاء والاجبار • كما يمكن أيضا القول ان الله قدر أفعال الانسان على معنى أنه بين مقاديرها وأرضح تفاصيلها واختلاف أحوالها من حسنها وقبحها وفرضها وحلالها وحرامها ومندوبها • وأما أنه قضاها بمعنى خلقها فى الانسان فباطل لا يجوز ، لأنه ان أريد أنه خلقها فيه ، لقال سبحانه : وقضى فى خلقه بالعصيان ولا يقول قضى عليهم ، لأن الخلق انما يكون فى الانسان لا عليه ، مع أنه تعالى قد أبطل هذا القول بقوله : «الذى أحسن كل شىء خلقه» • سورة السجدة : آية/٧ • فهو صريح فى عدم وجود القبيح فى خلقه ، وان كل فعله حسن ، والمعاصى قبائح باتفاق المسلمين فوجب نفيها عنه سبحانه • وان أريد أنه قضى عليه بالمعاصى

---

(٢١٦) أمير محمد القزويني : **أصول المعارف** ــ مرجع سابق،ص ٥١ •
(٢١٧) المصدر السابق : ص ٥١ •

بمعنى أمره بها فقد أبطل هذا القول أيضا قوله تعالى : « ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون»٠سورة الاعراف : آية/٢٨ ٠ فهذا صريح فى عدم ارادة هذا المعنى٠وان أريد أن الله قضى على الانسان بالمعاصى بمعنى أعلمه بها فغير صحيح أيضا لأن الانسان لا يعلم فى المستقبل بأنه يطيع أو يعصى ، ولا يستطيع أن يحيط علما بما يكون فيه على التفصيل ، ولأنه لو خلق الطاعة والمعصية فى عباده لسقط اللوم عن العاصى بمقتضى العدل ، ولم يستحق الطائع ثوابا على عمله بمقتضى العقل(٢١٨) ٠

ويظهر من النصوص أن أول من تكلم بالقضاء والقدر بهذا المعنى الامام على بن أبى طالب ، حينما سأله رجل من أهل العراق عن خروجهم لحرب الشام أبقضاء الله وقدره(٢١٩) ٠ الى أن قال له الامام على : « ٠٠ وتظن أنه كان قضاء حتما وقدرا لازما ، انه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهى والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ولا محمدة للمحسن ٠ ولكان المذنب أولى بالاحسان من المحسن ، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب ٠٠٠ ان الله تبارك وتعالى كلف تخييرا ونهى تحذيرا وأعطى على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ٠٠٠ »(٢٢٠) ٠ ولهذا يقول السيد أمير على : « وأول من تكلم فى حرية الانسان فى أفعاله رسول الله (ص) ثم على بن أبى طالب أو القضاء والقدر فما ٠٠ روى عن الامام على (ض) ٠٠٠ يهدينا الى الرأى الاسلامى الصحيح فى موضوع حرية الارادة الانسانية ٠٠ وفى خطب الامام على ما يؤيد ذلك»(٢٢١) ٠ ويعقب على ذلك بقوله : « ويقدم لنا احتجاج الطوسى مادة جديدة تساعدنا على تكوين رأى صحيح بشأن مسألة الجبر فى الاسلام ، فقد سأل رجل عليا أمير المؤمنين عن القضاء والقدر فقال : الأمر بالطاعة والنهى عن المعصية ، والتمكين من فعل

---

(٢١٨) المصدر السابق : ص ٥١ ـ ٥٢ ٠

(٢١٩) المصدر السابق : ص ٥٣ ٠ وأيضا الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢١٦ ـ ٢١٧ ٠ وأيضا السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ٠

(٢٢٠) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢١٦ـ٢١٧ ٠

(٢٢١ ، ٢٢٢) السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٩٧ الى ٣٠٠ ٠

الحسنة وترك المعصية ... ثم قال فى قوله تعالى : « يهدى من يشاء ويضل من يشاء »ليس معناه أنه أجبرهم على فعل الشر أو الخير لأنه لو أجبرهم على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب ولكن المقصود بالهداية هو التعريف ، أى عرف لهم طريق الهدى ثم ترك لهم اختيار ما يشاءون »(٢٢٢) ولهذا يقول الدكتور عمارة : « أما الامام على بن أبى طالب فان القائلين بالعدل والتوحيد ، سواء منهم المعتزلة أو الذين وقفوا فى الامامة والسياسة مع فرق الشيعة ، يذكرون الكثير من الأقوال والمواقف التى تثبت اشتراكه فى هذا الصراع الفكرى حول الجبر والاختيار ، ووقوفه الى جانب القول بحرية الانسان »(٢٢٣) .

وتعتبر مشكلة حرية الارادة الانسانية من أهم المشكلات الكلامية التى حدثت فى الاسلام فى عصره المبكر ، ويظهر من النصوص أن هذه المشكلة نشأت على أيدى الشيعة فى عصر الامام على ، وتبلورت معالمها على أيديهم ، فهى محض نتاجهم وتفكيرهم ، وذلك قبل التقاء المسلمين بالثقافات الأخرى ،من فارسية ويونانية ، وانما نشأت نتيجة الأوضاع السياسية والاجتماعية التى صحبت الشيعة فى عصر عثمان.وفى ذلك يقول أبو زهرة : « وقد كثر الكلام فى القدر فى عهد الامام على كرم الله وجهه ، وكان هو الذى يرد الشبهات ويكشف الغمة عن ادراك كل من يلتبس عليه الأمر ويتحير »(٢٢٤) . « ولم تأخذ المشكلة شكلا واضحا الا فى زمن « على » الخليفة الرابع ، وكان الجواب عنها وخاصة عند على ومريديه تأكيدا لاختيار الانسان »(٢٢٥) .

ويصور الامام الحسن بن على حرية الارادة فى قوله : « من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر ، ومن حمل ذنوبه على ربه فقد فجر ، ان الله لا يطاع استكراها ولا يعصى لغلبة ، لأنه المليك لما ملكهم والقادر

---

(٢٢٣) محمد عمارة : **المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠ ـ ٤١ .

(٢٢٤) أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ص ١٤١ .

(٢٢٥) محمود حب الله : **موقف الاسلام من المعرفة** ـ الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة ـ بحوث ودراسات اسلامية ـ جمع وتقديم محمد خلف الله ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٦٢ ـ ص ٢٦ .

على ما قدرهم عليه ، فان عملوا بالطاعات لم يحل بينهم وبين ما فعلوا ، وان عملوا بالمعصية فلو شاء حال بينهم وبين ما فعلوا ، فاذا لم يفعلوا فليس هو الذى أجبرهم على ذلك ، فلو أجبر الله الخلق على الطاعات لاسقط عنهم الثواب ، ولو أجبرهم على المعاصى لاسقط عنهم العقاب ، ولو أهملهم لكان عجزا فى القدرة ، ولكن له فيهم المشيئة بالطاعات كانت له المنة عليهم »(٢٢٦) • وبهذا المعنى جاء عن الامام الصادق قوله : « لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين »(٢٢٧) وقال أيضا : لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما »(٢٢٨) • وقد سئل أبو الحسن محمد بن موسى الرضا عن أفعال العباد ، فقيل له هل هى مخلوقة لله تعالى ، فقال عليه السلام : « لو كان خالقا لها ما تبرأ منها ، وقد قال سبحانه : « ان الله برىء من المشركين ، ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم ، وانما تبرأ من شركهم وقبائحهم • وسأل أبو حنيفة أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن أفعال العباد ان هى ، فقال أبو الحسن عليه السلام : ان أفعال العباد لا تخلو من ثلاثة منازل : اما أن تكون من الله خاصة ، أو منه ومن العبد على وجه الاشتراك فيها ، أو من العبد خاصة ، فلو كانت من الله تعالى خاصة لكان أولى بالحمد على حسنها والذم على قبحها ولم يتعلق بغيره حمد ولا لوم فيها ، ولو كانت من الله والعبد لكان الحمد لهما معا ، والذم عليهما جميعا فيها ، واذا بطل هذا ثبت أنهما من الخلق ، فان عاقبهم الله تعالى على جناياتهم فله ذلك ، وان عفا عنهم فهو أهل التقوى وأهل المغفرة »(٢٢٩) • ويعقب أبو زهرة على قول الامام هذا : « هذا كلام واضح فى أن الله تعالى لا تنسب اليه أفعال العباد فيكون العدل فى الثواب والعقاب »(٢٣٠) • وهكذا تبلورت فكرة حرية الانسان على أيدى أئمة الشيعة ، كما نبعت هذه الفكرة من البيت العلوى(٢٣١) • ولهذا

(٢٢٦) على سامى النشار : **نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤١٣ •

(٢٢٧) أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٥ • وأيضا الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٤ •

(٢٢٨) الكلينى : المصدر السابق ـ ص ٢٢٢ •

(٢٢٩) أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٧ •

(٢٣٠) المصدر السابق : ص ٢١٨ •

(٢٣١) على سامى النشار : **نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٣٢ •

« وقف الائمــة من آل البيت للفـريقين ـ الجهميــة والقـدرية والمعتزلة ـ يصححون ويدعون ويرشــدون ، وأوضحهم فى هــذا الصادق »(٢٣٢) ٠ وقـد كان أبوه محمـد الباقر على قيـد الحيـــاة ، يتـولى هو الهـــداية والارشاد »(٢٣٣) ٠

يقول الدكتور عمارة : ويشهد لهـذه الفكرية بالاصالة فى تراثنــا ٠ اتساع القاعدة والأرض التى ضمت العديد من التيارات والمدارس الفكرية والفرق الاسلامية التى قالت بالحرية والاختيار ٠٠٠ من فـرق الشيعــة : تيــار كبير من الشيعة الامامية وغيرها ، يذكر من أعــلامه فى كتب طبقــات المعتزلة كثيرون منهم مثلا : الحسن بن على بن أبى طالب ، والحسين بن على بن أبى طالب ، والحسن بى الحسن ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن.. وأبو هاشــم عبد اللــه بن محمـد بن الحنفيــة والحســن بن محمـد بن الحنفية ٠٠٠ »(٢٣٤) ٠ الى آخر من ذكرهم وهــؤلاء كلهم قالوا بحـرية الانسان وهم من رؤساء التشيــع ، بل ان بعضــهم من أئمــة الشــيعة ، كالحسن والحسين ، وهؤلاء وغيرهم تعرضوا لمسألة حرية الانسان قبل أن يوجد واصل بن عطاء ، وقبل أن يكون هناك اعتزال ٠

هــذا وقـد قسم الشيعة فعل الانسان حسب ما تقتضيه الضرورة الى أقسام ثلاثة : ما يصدر عن الانســان عن اضطرار كحـركة المرتعش والساقط من أعلى السطح ٠ وما يصدر عنه من غير قصـــد كفعــل النائم والساهى والناسى ، وما يصدر عنه عن قصد واختيـــار كالأكل والشرب والصعود والنزول ، وهــذا الأخير هو من فعل الانسان لا من فعل غيره ، لأن كل عاقل لا يشك فى الفرق بين حركاته الاختيارية والاضطرارية ويحكم حكما قطعيا ببداهة فطرته وعقله أن الحركات الاختيارية الصــادرة عنــه هى من فعله وايجاده(٢٣٥) ٠

---

(٢٣٢) أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٥ ٠
(٢٣٣) المصـدر الســابق : ص ٤٧ ٠
(٢٣٤) محمد عمارة : **المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤ ـ ٢٥ ٠
(٢٣٥) أمير محمـد القزوينى : **أصـول المعـارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣ ٠

فى هـذا الجو الذى ظهر فيه القول بحرية الانسان واختياره ، ظهـر اتجاه آخر يذهب أصحابه الى القول بالجبر ، وأن أفعال العباد مخلوقه وليس هناك خالق الا الله · ولهـذا يقول البغدادى : « فمن زعم أن العباد خالقون لاكسابهم فهو قـدرى مشرك بربه لدعواه ان العباد يخلقون مثـل خلق الله من الاعراض التى هى الحركات والسكون ·· »(٢٣٦) ·

ولم يظهر الاتجاه الجبرى الا فى العصر الأموى ، ففى هـذا العصر ظهرت جماعة من الناس فى دمشق قالوا بان الانسان مجبور فى أفعاله ، ليس لديه قوة على الفعل ، أو الترك ، لأنه خاضع فيها لسلطان الله وارادته ، وأن أفعاله كلها صـادرة مباشرة عن اللـه ، وقـد يكون ذلك بتشجيع من الأمويين أو بوحى منهم(٢٣٧) · ويمثل هـذا الاتجاه الجبرى عنـد أهـل السنة الأشعرى فى قوله : « وأقروا أنه لا خالق الا اللـه ، وأن سـيئات العباد يخلقها الله ، وأن أعمال العباد يخلقها اللـه عز وجل ، وأن العبـاد لا يقدرون أن يخلقوا منها شيئا ··· وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ويؤمنون بقضـاء اللـه وقدره خيره وشره ، حلوه ومـره ، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا الا ما شاء اللـه »(٢٣٨) ·

وقـد ذهب من أهل السنة من أكد على : « ان اللـه سبحـانه خالق الأجسام والأعراض خيرها وشرها ، وأنه خالق أكساب العباد ، ولا خالق غير الله ، واعتبروا ذلك من عـدل الله سبحانه »(٢٣٩) · « والاضلال من الله تعالى عند أهل السنة على معنى خلق الضلال فى قلوب أهل الضلال·· من جهة أن هداية الله سبحانه لعباده خلق الاهتداء فى قلوبهم »(٢٤٠) · ومن هنا جوز الأشعرى أن يكلف الله الانسان بما لا يطاق(٢٤١) ·

---

(٢٣٦) عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى : **الفرق بين الفرق** ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ القـاهرة ـ مطبعة المدنى ـ بدون تاريخ ـ ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ·

(٢٣٧) محمود حب الله : **موقف الاسلام من المعرفة والتنظيم الفكرى** ـ مرجع سابق ص ٣٧ ·

(٢٣٨) الأشـعرى : **مقالات الاسلاميين** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٤٦ ·

(٢٣٩) البغدادى : **الفرق بين الفرق** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٣٨ ·

(٢٤٠) المصـدر السـابق : ص ٣٤٠ ·

(٢٤١) الشهرستانى : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص٩٦ ·

يقول الاسفراييني في بيان عقيدة هؤلاء في مسألة الجبر والاختيار : « في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة : ٠٠٠ أن تعلم أن العالم بجميع أركانه وأجسامه وما يشتمل عليه من أنواع النبات والحيوان وجميع الأفعال والأقوال والاعتقادات كلها مخلوق كائن عن أول ، حادث بعد أن لم يكن شيئا ولا عينا »(٢٤٢) ٠ وفي ذلك يرى الطحاوي أن « كل شيء يجري بتقديره ومشيئته ، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد الا ما شاء لهم ٠ فما شاء لهم كان ، وما لم يشأ لم يكن »(٢٤٣) ٠

وقد بني أصحاب هذا الرأي في قولهم بالجبر بان لا ارادة للعبد مع ارادة الرب على أمرين : الأول : ان كمال الاله في التفرد ، ونفي القدرة عيب ونقصان ، والكمال يقتضي أن يكون كل شيء خاضعا لقدرة الله وجاريا على ما تقتضي به حكمته ٠ والثاني : اثابة المحسن ليس لاحسانه وحده ، وانما ذلك من فضل الله عليه ، وتعذيب من يعذبهم الله ليس لذنوبهم وحدها ، وانما ذلك لحكمة يعلمها الله وليس في هذا ظلم ، لأن الظلم انما ينسب لمن يتصرف في غير ملكه ، والله سبحانه يتصرف فيما خلق(٢٤٤) ٠ ولهذا روى في الصحيحين أن رسول الله (ص) قال : « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة »(٢٤٥) ٠

من هذا العرض تبين لنا أن هناك اتجاهين متقابلين أحدهما يذهب الى القول بأن أفعال الانسان مخلوقة وليس له من الحرية والارادة ما تجعله يتأثر بالمؤثرات الخارجية ، ويتفاعل مع المجتمع الذي يعيش فيه ، (ما دام الانسان خاضعا لقوى خفية قاهرة لكل حركاته وسكناته ٠ ولهذا فان التربية ليس لها أثر في تغيير سلوكه وبالتالي تنتفي من

---

(٢٤٢) الاسفراييني : **التبصير في الدين** ـ مرجع سابق ـ ص١٣٥ ٠
(٢٤٣) علي بن علي بن محمد الحنفي : **مختصر شرح العقيدة الطحاوية** ـ دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية ـ بدون تاريخ ـ ص ٣٣ ٠
(٢٤٤) عبد الكريم الخطيب : **القضاء والقدر بين الفلسفة والدين** ـ ط ٢ القاهرة ـ الفكر العربي ـ ١٩٧٩ ـ ص ٢٠٤ ٠
(٢٤٥) علي بن علي الحنفي : **مختصر شرح العقيدة الطحاوية** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٤ ٠

عالم الانسان الأهـداف العـامة للتربية(٢٤٦) ٠ ويمثل هـذا الاتجـاه فرق من أهل السنة والجماعة ٠

أما الاتجاه الآخر الذى يثبت للانسان حرية تجعله يتأثر بمؤثرات البيئة فان التربية تؤدى دورها فى تغيير سـلوك الانسـان ، ومن هنـا يتضح أن التربيـة الصحيحة غير مقصـودة ولا مقدورة فى غياب الحرية الا ما قد يكون بالتخويف من شر المستبدين(٢٤٧) ٠ ويمثل هـذا الاتجاه الشـيعة والمعتزلة ٠

ولمـا كان الانسان هو موضوع اهتمام فلاسفة التربية ، باعتباره موجـودا من الموجـودات المتعـددة ، ويحمـل فى داخله قـدرا كبيرا من الامكانيات والاسـتعدادات بل ومن المتناقضات ، وله أهـداف معينة فى هـذه الحياة لا بد من تحقيقها لكى تتحقق له انسانيته ، ولا تكون الا عن طريق الممارسة والاحتكاك والتفاعل من جانب الانسان لأخيه الانسان ، وعن طريقها تتحقق غايته الأساسية ، وهى تحقيق ذاته وتأكيد حريته ، فالانسان بهـذا لا يستطيع تحقيق وجوده الا بقدر ما يحقق من الامكانيات ، التى لا تتحقق الا بحرية الانسان وقدرته واختياره(٢٤٨) ٠

ومن هنا تظهر أهميـة الحرية بالنسبة للتربيـة ، حيث أن الحـرية أسـاسية فى تحقيق الذات الحقيقية ، أما اذا فقـد الانسـان حريته فان النتائج السيئة فى تربيتـه أكثرمن أن تعد وتحصى ، فالانسـان الفاقد لحريته لا يمكن له القيام بالعملية التربوية على الوجـه الأكمل(٢٤٩) ٠ اذن فالتربية لا يمكن أن تنجح ما لم تقم على أساس استعدادات التلميذ

---

(٢٤٦) عـلاء الدين أمير محمـد مهدى القزوينى : **المعتزلة فلسفتهم وآرؤهم فى التربية والتعليم** ــ رسالة ماجستير غير مطبوعة ــ كلية التربية عين شمس ــ أصول التربية ــ ١٩٨١ ــ ص ٧٧ ٠

(٢٤٧) سـعيد اسماعيل على : **العـلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزال** ــ دراسات فلسفية ــ مرجع سابق ــ ص ١٠٧ ٠

(٢٤٨) سـامى نصر لطف : **الحـرية المسئولة فى الفـكر الفلسفى الاسلامى** ــ مكتبة الحرية الحديثة ــ ١٩٧٧ ــ ص ١٠ ــ ١١ ٠

(٢٤٩) سعيد اسماعيل على : **العلاقة بين الفلسفة والتربية** ــ مرجع سابق ــ ص ١٠٦ ــ ١٠٧ ٠

واهتماماته وأغراضه(٢٥٠) . وعلى هـذا فالتربيـة الصحيحة والمثمـرة لا تجد لها نصـيرا الا من القائلين بالحرية الانسـانية ، وأن الشيعة هم أنصار هـذا القول ، كما سبق . « والتربية ما هى الا وسيلة لتنمية قدرات الانسان وامكانياته واستعداداته الحرة لتتحقق انسانية الانسان »(٢٥١) . وهـذا ما دعا اليه الشيعة فى قولهم بالارادة وحرية الانسان .

فالمربى اذن لا بد أن يكون حر الارادة فى اختياره للمواد الدراسية وطريقة التدريس الملائمة من غير جبر ولا اكراه ، كما أن التلميذ يجب أن يكون حرا فى اختيار المواد التى تلائم قدراته العقلية وميوله النفسـية ليتجه اليها ذاتيـا وبدون قهر من السلطات العليا . وعلى هـذا يكون اتجاه التربيـة اتجاها طبيعيـا وسـليما ومتمشـيا مع الطبيعـة الانسـانية الحرة(٢٥٢) . بمعنى أن الانسان يولد وله القـدرة والقابلية على اختيار أفعاله والاتيان بها(٢٥٣) . لكى يربى تربية حرة تهتم بتنمية شخصيته وقدرته على الاختيار .

ثانيا ـ « الحسن والقبح أو الخير والشر » :

تحدث الشيعة وأسهبوا الحديث عن العقل ، وعدوه أصلا من أصول التشريع « لأنهم ذهبوا الى أن للأشياء حسنا وقبحا يدركها العقل قبل أن يرد أمر الشارع أو نهيه ، وعللوا ذلك بأن اللـه بين فى طائفة من الأحكام منافعها وأضرارها وأن منكرى الشرائع السماوية يحكمون بحسن بعض الأشياء وقبح بعضـها الآخر وان العقل نفسـه يحكم بقبح ما يراه عبثا أو تكليفا بما لا يطاق »(٢٥٤) .

---

(٢٥٠) جورج ـ ف ـ نيلر : **مقدمة الى فلسفة التربية** ـ ترجمـة نظمى لوقا ـ القاهرة ـ الانجلو المصرية ـ ١٩٧٧ ـ ص ٦٥ .

(٢٥١) علاء الدين القزوينى : **المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم فى التربية والتعليم** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٧ .

(٢٥٢) المصـدر السـابق : ص ٧٨ .

(٢٥٣) R. L. Akcher : **Roussau on Education** (London, Arnold, Co., 1928) P. 78.

(٢٥٤) صبحى الصالح : **معالم الشريعة الاسلامية** ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ـ ١٩٧٥ ـ ص ٥٢ .

وقد ذهب الشيعة ومن تابعهم من المعتزلة الى أن من الأفعال ماهو معلوم الحسن والقبح ببداهة العقل كالعلم بحسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار ، فان كل عاقل لا يشك فى ذلك ، وليس اعتقاده بهذا الحكم بأقل من اعتقاده بأن الممكن مفتقر الى السبب ، وأن الأشياء المساوية لشيىء واحد متساوية ، كما أن من الأفعال ما هو معلوم بالاكتساب والتعليم أنه حسن أو قبيح كحسن الصدق الضار وقبح الكذب النافع ، ومنها ما يعجز العقل عن العلم بحسن الفعل أو قبحه كالعبادات(٢٥٥) ٠ فلو « كان الحسن والقبح شرعيين لما حكم بهما من ينكر الشرائع ، والتالى باطل فان البراهمة باسرهم ينكرون الشرائع والأديان كلها ويحكمون بالحسن والقبح مستندين الى ضرورة العقل فى ذلك »(٢٥٦) ٠

وقد يستفاد من ذكر الله تعالى للهداية الى الخير والشر عند بيان تكوين الانسان ، أن ادراك الخير والشر أمر فطرى فى الانسان ويكون جزءا من بنائه ، « ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين » ٠ فمن هذا النص ونصوص أخرى يمكن الاستنتاج بأن الاسلام يعتبر ادراك الخير والشر فطريا عند الانسان ، لكن يجب أن يعلم أنه لا يتسنى للانسان ادراك جميع أوجه الخير والشر بصورة فطرية ، والا فأى ضرورة فى ارسال الأنبياء ، ذلك أن الجانب الفطرى من هذه الادراكات منحصر فى المسلمات الأولية للخير والشر أو الفضائل والرذائل ، ويبقى جانب من هذه الادراكات يحتاج فيها الانسان الى التعليم والاقتباس ٠ وبعبارة أخرى ، ان هناك طائفة من الأفعال تكون ضرورية لسعادة الانسان ، وطائفة أخرى مضرة بسعادته وكماله ، فتسمى الطائفة الأولى خيرا والثانية شرا(٢٥٧) ٠

ويستطيع الانسان أن يصل الى معرفة الخير والشر من طريقين :

---

(٢٥٥) محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢١٤ ـ ٢١٥ ٠ وأيضا العلامة الحلى : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢٨ ٠ وأيضا عبد الله شبر : **حق اليقين** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٧ ٠

(٢٥٦) محمد حسن المظفر : المصدر السابق ـ ص ٢١٧ ٠

(٢٥٧ ، ٢٥٨) محمد تقى فلسفى : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ ترجمه عن الفارسية فاضل الحسينى الميلانى ـ ط ٢ ـ مطبعة الآداب فى النجف الاشرف ـ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م ـ ج ١ ـ ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ٠

الفطرة والتربية ، فهناك طائفة من الأمور الخيرة والشريرة تدركها جميع الأمم والشعوب في العالم ، ولا تحتاج في فهمها الى معلم ، بل انها من الأمور الفطرية عندهم وهناك طائفة من الخيرات والشرور لا يدركها الانسان بفطرته ، بل أن الأنبياء القائمين على تربية البشرية ، هم الذين يبينون حسنها أو قبحها ، وقد أصبحت لها على مر العصور جذور عميقة في نفوس الناس ، هذه الطائفة غير فطرية فهي تحتاج في بيانها الى التربية الخلقية(٢٥٨) ٠

وقد توسع الشيعة في حكم العقل في معرفة الحسن والقبح أو الخير والشر ، ويعتبر « شيخ الطائفة الطوسي هو أول من مهد لفكرة الاستدلال بالعقل على الحكم الشرعي الفرعي ، وذلك بتقسيمه الأفعال الى حسنة وقبيحة ، وجعله طريق معرفة ذلك الشرع أو العقل ، وتمثيله للقبائح الشرعية بشرب الخمر والربا ، وللقبائح العقلية بالقتل والظلم ، ومما يحسن شرعا بالجهاد ومما يحسن عقلا بالاحسان »(٢٥٩) ٠ ونظرة الاسلام هذه الى الخير والشر ـ حسب ما يذهب اليه الشيعة والمعتزلة ـ تلتقي مع أحدث النظريات الأخلاقية التي تجعل الفرد يقيم الأخلاق ويزنها بميزان ذاتية(٢٦٠) ٠

هذا ما ذهب اليه الشيعة في الحسن والقبح أو الخير والشر وتقسيمهما الى عقلي وشرعي ، والشرعي معناه ، أن الفعل بما هو يتصف اما بالحسن ، أو القبح ، ولكن العقل لا يتوصل الى ذلك ، فيكون الشارع كاشفا عن حسنه أو قبحه ٠

أما أهل السنة ، فذهبت فرق منهم الى أن الحسن والقبح أو الخير والشر شرعيان ، أي ليس هناك ما يسمى حسن أو قبيح ، وانما الحسن والقبح راجع الى الشرع ، فما حسنه الشارع فهو حسن ، وما قبحه فهو

---

(٢٥٩) رشدي محمد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة الامامية** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ جامعة الأزهر ـ كلية الشريعة والقانون ـ بغداد مطبعة دار السلام ـ ١٩٧٣ ـ ص ٩٣ ٠

(٢٦٠) عبد الكريم الخطيب : **القضاء والقدر** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٠ ٠

قبيح ، ولهـذا يقول الألوسى : « ان الأفعال كلها سواء ليس شيىء منها فى نفسه يقتضى مدح فاعله وثوابه ولا ذم فاعله وعقـابه ٠٠ »(٢٦١) ٠ « بل كل ما أمر به الشـارع فهو حسن وكل ما نهى عنه فهو قبيح ، حتى لو انعكس الحكم لا نعكس الحال كما فى النسخ من الوجوب الى الحرمة ، فليس للعقل حكم فى حسن الأفعال وقبحها ، وفى كون الفعل سببا للثواب والعقاب ، بل انما الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ، فالأمر والنهى امارة موجبة للحسن والقبح لا غير »(٢٦٢) ٠

وصفوة القول ، ان العقل ، من منظور الشيعة ، وان كانت له وظيفة ادراك الحسن والقبح ، الا أن ادراكه محدد بحـدود خاصـة لا تتعدى الكليات من ناحية ، ولا تعنى كثيرا بمجالات التطبيق والقضايا الجزئية من ناحية أخرى ، ولمـا كان فى الانسان قوى أخرى كالحواس ، والغرائز ، وغيرها ، فهى مسئولة عن ذلك وهـذه القوى عرضة لكثير من الأخطـاء ، كما أن كثيرا من تصرفاتها لا منطقية ، ولهـذا توجد كثير من الأخطاء فى مجالات التطبيق لبعض المدركات العقلية ، فالعدالة مثلا مما تطابق على حسنها العقلاء ، وأقاموا عليها دسـاتيرهم وأنظمتهم وشرائعهم ، ولكن لو حاول الانسان التعرف عليها فى مجالات التطبيق لرأى التفاوت الكبير بينهم ، فالشـيوعية – مثلا – ترى أن العـدالة لا تتحقق الا اذا ألغيت الملكية الفردية الغاء تاما ، واستبدلت بالملكية الجماعية ، بينما يرى دعاة الحرية الاقتصادية فسح المجال للفرد فى أن يمتلك ما يشاء ويعمل مواهبه فى انماء ملكيته دون تدخل من السلطات فى شأنه ، وكل يدعى تحقيق العدل فيما تبناه من تشريعات ، وقـد يكون بعضهم مخلصا فى ذلك(٢٦٣) ٠

هـذه النظرة التجزيئية للانسان ، وتركيز النظر على بعض جوانبه الفردية أو الاجتماعية مع غفلة عن بقية الجوانب ، وقصور عن استيعاب النظرة وشمولها ، كل ذلك مما أوقعه بهـذه التناقضات ولهـذا احتاج

---

(٢٦١) محمود شكرى الالوسى : **مختصر التحفة الاثنى عشرية** – مرجع سابق – ص ٧١ ٠

(٢٦٢) المصـدر السـابق : ص ٧١ ٠

(٢٦٣) محمد تقى الحكيم : **الأصول العامة للفقـه المقارن** – مرجـع سابق – ص ٢٩١ ٠

الانسان الى من يضمن له العدل فى تشريعاته على أن تستوعب مختلف أبعاده المتشابكة ، سواء ما يتصل منها بتحديد علاقة الفرد بربه ، أم بنفسه ، أم بمجتمعه ، أم المجتمعات بعضها ببعض ، ولا يمكن أن يضمن ذلك غير خالق الانسان ، ولما كانت الأحكام وليدة مصالح ومفاسد فى المتعلقات ، وان العقول لو استشرفتها واطلعت على واقعها لاقرتها حتما ، ولكن قصورها عن ادراك ذلك ، هو الذى أوقع بعض أربابها فى كثير من المفارقات · ولهذا ورد عن أئمة أهل البيت ، أن دين اللـه لا يصاب بالعقول ، أى ما ثبت أنه من الدين لا يمكن للعقول أن تدرك فلسفة ذلك ككل ، لقصور امكاناتها عنها فى مجالات الادراك ، ولكن هـذا لا يمنع من أن يدرك العقل شيئا ـ على سبيل الموجبه الجزئية ـ ومن ادراكه يدرك حكم الشارع فيه اذا كان ادراكه على سبيل القطع(٢٦٤) ·

الأصـل الرابع : « الامامـة » :

لا بد للباحث من الاشارة الى معنى الامامة ، وموقف الفرق الاسلامية الكبرى منها فالامام والخليفـة لفظتـان تعبران عن معنى واحـد ، وهو الرياسة العامة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن النبى (ص) وسمى القائم بهـذه المهمات اماما لأن الناس يسيرون وراءه فيما يشرع لهم ويرشدهم اليه · وسمى بالخليفة ، كما كان الشائع فى عصر الراشدين أو ما بعده ، لأنه يخلف الرسول فى ادارة شئون الأمة وقيادتها ·

وكما كان تعيين الخليفة بعد الرسول موضع جدل وخلاف أدى الى انقسام وتمزيق وحدتها ، كذلك حصلت بينهم أنواع أخرى من الجـدل والنزاع ، وتطـور بعـد ذلك الى النزاع فى وجـوب نصب الامام على اللـه سبحانه أو عدمه ، فأنكره جماعة وأثبته آخرون ، والقائلون بوجوبه بين من يقول بوجوبه على اللـه سبحانه عقلا ، وبين من يقول بوجوبه على الأمة بحكم العقل · فالاشـاعرة والمحدثون والجبائيان من المعتزلة يرون وجوب نصب الامام على الأمة ، والباقون من المعتزلة قالوا بوجوب نصبه على الأمة بالنص على ذلك من اللـه عن طريق النبى عليـه الصـلاة

(٢٦٤) المصـدر السابق : ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ ·

والسلام(٢٦٥) ٠

أما الشيعة الامامية فكلهم متفقون على وجوبها من طريق العقل والشرع ، وأن اختيار الامام يعود الى اللـه وحده ٠ لأن وجود الامام لطف من اللـه ، يقربهم من الطاعات ويصدهم عن المعاصى والمنكرات ، واللطف واجب عليه سبحانه بحكم العقل ، وقد عين النبى (ص) لهم الامام من بعده بأمر من ربه، ونص عليه بوصفه واسمه ، كما تؤكده النصوص الاسلامية(٢٦٦) ٠ ووافقهم بهذا القول أكثر المعتزلة(٢٦٧) ٠ » وقد أجازت الأشاعرة أن تكون الامامة بالنص لو أن الرسول قد ذهب الى ذلك أو جوزه »(٢٦٨) ٠ مع أن الغزالى يرى أن « من حق النبى أن يعين خليفته الذى يتولى امامة الأمة من بعده »(٢٦٩) ٠

والامامة عند الشيعة لم تتحقق عن اختيار ورغبة الناس بقبول شخص أو تعيينه لهذا المنصب ، وانما هى خاضعة لارادة اللـه يختار من يشاء من عباده ممن تتوافر فيه شروط الامامة ٠ ولهذا عرفها السيد على أكبر ناصرى بأنها « الرياسة العامة الالهية خلافة عن رسول اللـه (ص) ، فى أمور الدين والدنيا ٠٠ وحفظ حوزة الملة بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة » فالمراد بالامامة هنا تولى السلطة التى كانت للنبى دون استثناء ،

---

(٢٦٥) انظر الشهرستانى : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ص ٥٧ الى ص ٦٠ ٠ وأيضا أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى : **فرق الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧ ٠ وانظر مبحث نشأة التشيع والقول بالنص من الفصل الأول من هذا البحث ٠

(٢٦٦) انظر هاشم الحسنى : **الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٧ ٠ وأيضا أمير محمد الكاظمى القزوينى : **رد على رد السقيفة** ـ مطبعة العرفان ـ صيدا ـ بدون تاريخ ٠

(٢٦٧) الشهرستانى : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٥٧ وما بعدها ٠

(٢٦٨) فيصل بدير عون : **علم الكلام ومدارسه** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٩٢ ٠

(٢٦٩) محمد نبيل نوفل : **أبو حامد الغزالى فلسفته وآراؤه فى التربية والتعليم** ـ رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ تربية عين شمس ـ قسم أصول التربية ـ ١٩٦٧ ـ ص ١٣١ ٠

ولذا تسمى بخلافة النبى ، وتجب طاعة الامام على الأمة كافة كما تجب طاعة النبى كذلك(٢٧٠) ٠

ان هـــذه الامامة لم تكن ظاهرة طارئة ، ولم ترتبط بأيـــة حوادث سياسية أو غيرها ، انها قضية الهية اســتنفذت كل حقائقهـا ووقائعهـا وما تزال ٠ أما الأدلة عليها فمتوفرة فى مؤلفات كل من السنة والشيعــة وأسانيدهم ٠ ولهـذا فالامامة فى المفهوم الشيعى امتداد طبيعى للنبوة ، وان الأدلة التى يعرضها الشيعة لا تقتصر على تسمية أشخاص بأعينهم فى توليهم هـذا المنصب بعد الرسول (ص) فحسب وانما يقدمون الأدلة التى تبين خصائص وشروط من يتولى هـذه المنزلة لتحقيق هدف قيــادة الأمة والحكم بما أنزل الله(٢٧١) ٠ والأدلة التى ساقها الشيعة على تعيين النبى لشخص الامام على بن أبى طالب اعتمدوها من كتب لأهل السنة ، سواء أكانت أدلة من القرآن الكريم كآية الانذار والولاية وآية التطهير والمودة وغيرها ، أم من السنة الصحيحة كحـديث الغـــدير والمنزلة وغـيرها من الأحاديث الناصة على خلافته ٠ كما وأن الشيعة استدلوا على أن الامامة أو الخلافة لا بد وأن تكون بنص من اللـه بأدلة عقلية سـاقوها لصحــة مدعـاهم(٢٧٢) ٠

وقـد عرض الدكتور أحمد صبحى وجهة نظر الشيعة بوجوب صدور استخلاف من النبى فى ضوء وقائع التاريخ بقوله :

الحقيقة الأولى التى يجب التسليم بها أن النبى كان يعلم أن أمتــه ستتعرض اذا لم ينص هو على من يخلفه الى الفتن والاضطراب ، أما أنه كان يعلم ذلك فان كل الفرق الاسلامية قد أوردت هـذا الحديث : « ستفترق

---

(٢٧٠) حسن عبــاس حسن : **الصياغة المنطقية** ــ مرجع ســابق ــ ص ٣٥٥ ــ ٣٥٦ ٠

(٢٧١) المصدر السابق : ص ٣٦٧ ــ ٣٧٠ ٠ وانظر شرف الدين : **المراجعات** ــ مرجع سابق ٠ وأيضا أمير محمــد الـكاظمى القزوينى : **مـع النشاشيبى فى كتابه الاسلام الصحيح** ــ مطابع اليقظة ــ بدون تاريخ ٠

(٢٧٢) انظر شرف الدين : المصــدر الســابق ــ وأيضا القزوينى : المصــدر السابق ٠ وانظــر الانطــاكى : **لمــاذا اخترت مذهب الشيعــة** ــ مرجع سابق ٠

أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ٠٠ ، فهل كان رسول اللـه يعلم أن الدهر يدخر لأمته صـفحة مملوءة بالحوادث والفتن اذ تختلف أمته من بعـده ويتقابل أفرادها وتراق الدماء وتزهق النفوس ثم يسكت النبى عن ذلك دون أن يقدم على مشورة تجنب أمته شر العثار ؟ ولنفرض أن الحديث والتاريخ لم يسجلا لنا حديثاواحدا يقضى فيه النبى بمن يخلفه فى أمر أمته ، فهل يصح أن نصـدقهما بهـذا الاهمـال ونصـدقهما أن النبى ترك أمته فى فوضوية لا حـد لهـا ٠

وهل كان دينه خاصا بعصره ليترك أمته من بعده هملا من غير راع يسوسهم أو طريقة يتبعونها فى أمور دينهم ودنياهم ؟ لقد ورد أن عائشة قالت لعمر فى أواخر أيام خلافته ٠ لا تدع أمة محمد بلا راع ، استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فانى أخشى عليهم الفتنة ، فهل لم يدرك النبى ما أدركته عائشة أن المسلمين يتعرضون للفتنة نتيجة عدم الاسـتخلاف أم ليس بين المسلمين وصحابة الرسول من سـأله هـذا السـؤال الذى سـألته عائشة لعمر ؟

واذا لم يكن محمد نبيا مرسلا نزل دينه للناس كافة فى كل زمان ، واذا لم يكن عالمـا عن وحى فليكن على الأقل سياسيا كسائر الساسة الذين لا يخفى عليهم بعض أمور رعاياهم فلا يتركونهم تحت رحمة هؤلاء واختلاف الآراء ٠ على أنه قد عرف عنه أنه لم يترك المدينة اذا خرج لحرب أوغزوةمن غير أمير يخلفهعليها فكيف نصـدق عنه أنه أهمل أمر أمته بعد الى آخـر الدهر دون قاعدة يرجع اليهـا المسلمون أو خلف بعده ؟ فان قيل أنه وكل الأمر الى اتفاق أمته واختيارهم ، فمعناه أنه أوقع أمته فى منازعات دائمة تفضى الى ازهاق النفوس واضعاف القوى وذهاب الايمان ، اذ كيف يتفق أهل البلد الواحد على حكم واحد فضلا عن أمة كبير ؟(٢٧٣) ٠

هـذا ما قرره الدكتـور أحمد صبحى ٠ أما الأمدى ، فقد قرر رأى الشيعة فى وجوب الامامة بقـوله : ولربما قرروا ذلك بطريق معنوى ، وهو أن النبى عليه السلام اما أن يكون عالمـا باحتياج الخلق الى من يقـوم

---

(٢٧٣) أحمـد محمـود صبحى : **نظـرية الامامة ـ مرجع سابق ـ** ص ١٠٠ ـ ١٠١ ٠

بمهماتهم ، ويحفظ بيضتهم ، ويحمى حوزتهم ، ويقبض على أيدى السفهاء منهم ، ويقيم فيهم الأحكام الشرعية على وفق ما وردت به الأدلة السمعية على ماتقرر . أو لم يكن عالما . لا جائز أن يقال بكونه غير عالم ، اذ هو اساءة ظن بالنبوة وقدح فى سر الرسالة . وكذلك أيضا أن كان عالما ولم ينص ، لا سيما والتنصيص هنا أكد من التنصيص وايجاب التعريف لما يتعلق بباب الاستنجاء والتيمم على ما لا يخفى ...

ولا جائز أن يقال : انه ترك الأمر شورى فيما بين الصحابة ، وفوض الأمر الى اجتهاداتهم وآرائهم ، ليعلم القاصر من الفاضل والمجتهد من العى ، والالجاز للصحابة الا ينصبوا اماما أيضا ، ليعلم الطائع من العاصى ، والمنقاد للأوامر والنواهى من غيره ، بل ولجاز اهمال بعثة الرسل ، وتفويض الأمر الى أرباب العقول ، ليتميز أيضا المجتهد ومن له النظر فى المدارك واستنباط المسالك ممن ليس كذلك ، وذلك مما لا يخفى فساده . كيف وان التعيين بعد ما ثبت القول بوجوب الامامة لازم لا محالة ، ثم كيف يجب على الناس طاعته وهو انما صار اماما باقامتهم له ؟ فاذن لا بد أن يكون التعيين واردا من قبل الشرع وصادرا من جهة السمع ، وهو انما يثبت فى حق من يدعيه ، دون من ينفيه ، هذا معتقد الشيعة وطوائف الامامية كما يقول الأمدى(٢٧٤) .

يقول الدكتور أحمد صبحى : « هذه أدلة متكلمى الشيعة الاثنى عشرية فى نقد مبدأ الاختيار واثبات وجود النص على الامامة ، فما كان موقف أهل السنة ازاءها ؟ ... أما ازاء الدفاع عن مبدأ الاختيار فلم يكن موقفهم متماسكا موحدا ، ويرجع ذلك الى اختلاف آرائهم فى كيفية الاختيار ... كل ذلك لا نجد عند متكلمى أهل السنة موقفا مجمعا عليه ، الأمر الذى يسر على الشيعة نقد دعوى الاختيار من أساسها واثبات تهافتها فضلا عن عدم انطباقها فى الواقع الا حين اختير أبو بكر ، فلقد كان فى واقع التاريخ الاسلامى ما التمس فيه الشيعة نقط الضعف لتركيز هجومهم

---

(٢٧٤) سيف الدين الامدى : **غاية المرام فى علم الكلام** ـ تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ـ القاهرة ـ مطابع الأهرام للتجارية ـ ١٩٧١ ـ ص . ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .

على أسلوب اختيار الخلفاء ٠٠ »(٢٧٥) ٠ ثم يستطرد فى القول : « ولا شك ان أدلة الشيعة جديرة بالاعتبار، ولا شك أيضا أن انتقاداتهم المتتالية لمبدأ الاختيار لها ما يبررها ، ٠٠٠ كل ذلك مما يجعل الأدلة الشيعية وانتقاداتهم لمبدأ الاختيار بعض الاعتبار »(٢٧٦) ٠

الأصل الخامس : « المعاد » :

أجمع المسلمون قاطبة على ضرورة المعاد من دينهم ، وهو يوم الحساب ، ولهذا يجب التصديق والاعتقاد به على الوجه الذى ذكره الأنبياء عليهم السلام ، وهو أمر معلوم الثبوت بالضرورة من دين رسول الله (ص)، وصريح القرآن دل عليه فى كثير من آياته ، وضرورة العقل القاطع يقضى بلزومه ، لأن اللـه تعالى وعد المكلفين بالثواب على الطاعة وتوعدهم بالعقاب على المعصية بعد الموت مع مشاهدتهم للموت ، وليس من المعقول تصور الثواب والعقاب بعد الموت الا بعد عودتهم فوجب التصديق بعودتهم ليحصل الوفاء بوعده ووعيده ، ولأنه تعالى قد كلف العباد بالأوامر والنواهى وفعل الالم ، فيجب ايصال الثواب بالطاعة والعقاب على المعصية والعوض الى المؤلم وهذا لا يكون الا بالعودة ، والا لزم أن يكون ظالما ، وقد ثبت أيضا بضرورة العقل والنقل حكمته وعدله فيجب البعث بمقتضى حكمته وعدله ، وعلى الجملة ان لازم التكليف بالأمر والنهى والالم ترتب الثواب والعقاب والعوض عليها والا لزم العبث أو الظلم ، وهما منتفيان عن اللـه تعالى وتقدس عن الظلم والعبث ، واذا تسجل بطلانهما ثبت وجود العود والبعث ، لأن الثواب والعقاب والعوض انما تصل الى المكلف فى الآخرة لانتفائهما فى الدنيا(٢٧٧) ٠

وقد استدل الشيعة على وجوب البعث بالعقل والسمع : أما العقل فلان العالم المماثل لهذا العالم ممكن الوجود ، لأن هذا العالم ممكن الوجود ، ولا شك أن حكم المثلين واحد ، ولما كان هذا العالم ممكن

---

(٢٧٥) أحمد محمود صبحى : **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص٩٧.

(٢٧٦) المصدر السابق : ص ٠ ص ٩٨ ـ ٩٩ ٠

(٢٧٧) القزوينى : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٣ ٠
وأيضا آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٥ ٠ وأيضا العلامة الحلي : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٣١ ٠

الوجود ، وجب الحكم على الآخـر بالامكان كذلك ، والى هـــذا البرهان أشار الخاجة نصير الدين الطوسى ـ حكم المثلين واحد . وأما السمع فقوله تعالى « أو ليس الذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم »(٢٧٨) . « ووجوب ابقاء الوعد والحكمة يقتضى وجـوب البعث ، والضرورة قاضـية بثبوت الجسـمانى من دين النبى مع امكانه »(٢٧٩) .

هـذه هى الأصول العامة التى آمن بهـا الشـيعة ، كما جاء بهـا الاسلام ، وبينها الرسول (ص) من طريق أئمة أهل البيت ، حتى تجسدت فى سلوكياتهم من حيث التطبيق العملى فى واقع الحياة ، وجاهدوا من أجل نشرها بين الناس تعلما وتعليما ، وهذا ما يتضح فى الفصول التالية .

---

(٢٧٨) العلامة الحلى : المصدر السابق ـ ص ٤٢٤ .
(٢٧٩) المصدر السابق : ص ٤٣١ .

الفصل الثالث

فلسفة التربية من منظور الشيعة

ويتضمن :

أولا : الطبيعية الانسانية .

ثانيا : العلم والعلماء .

ثالثا : المعرفة الانسانية .

رابعا : النزعة العقلية فى الفكر التربوى عند الشيعة .

خامسا : تكافؤ الفرص فى التعليم .

سادسا : التربية الخلقية .

سابعا : الأسرة ودورها فى تربية الطفل .

ثامنا : التعليم المهنى .

مقـــــدمة :

ان دراســة الآراء والمذاهب التربوية تتيح الفرصة لعلماء التربيــة وفلاسفتهم فهم ما كان لهـذه الآراء والمذاهب من الفضل فى نهضة التربية ورقيها ، وما ابتكره الفلاسفة والمفكرون من أنظمة وأساليب كانت السبب فى ارساء علمأصول التربية حتى استقر على ما هو عليه الآن ٠ولهـذا فان المذاهب والآراء التربوية فى أى مجتمع ما هى الا حصيلة الأوضاع والظروف المختلفة المحيطة بها ، والثقافة السائدة فيها(١) ٠

وعلى هـــذا فان الفكر التربوى يختلف من عصر الى آخـر حسب الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التى يمر بها المجتمع ٠ ولمـا كان الشـيعة ـ كما رأينا ـ قد مروا بعصــور مختلفة وبأوضــاع اجتمـاعية وسياسية متباينة ، من حيث الاضطهاد والاستقرار ، أدى ذلك الى انعكاس فلسفتهم عن الكون والحياة والانسان على فكرهم التربوى فى الكتاتيب والمساجد وفى كل مكان تواجدوا فيه ومارسوا خلالها عملية التعليم والتعلم ومن هنا يعرض الباحث الاتجاهات الرئيســية لفكر الشــيعة التربوى ، وما ينطوى عليه من أسس تربوية وقضايا تعلمية ٠ ولهـذا يتناول هـذا الفصل فلسفة التربية من منظور الشيعة ، وموقفهم من العلم والعلماء ٠

أولا ـ الطبيعة الانسانية :

من أولى عمليات التربية البحث عن طبيعة الانسان ، المـادة الخام التى يعالجها فلاسفة التربية ، وعلى ضوئها تتحـدد المعالم الرئيســية للتربية ٠ فنظرة الفيلسوف الى الطبيعة الانسانية تفسح أمامه المجال فى معرفة الطريقة التى يعامل الانسان بها ، ومدى قابليته للتغير بمؤثرات التربية ، وبالتالى يحـدد مجال العمل معه حسب قدرة الانسان وامكانياته

---

(١) اميـل فهمى حنـا : **المـذاهب والآراء التربويـة** ـ دار الـعلم للطباعة ـ ١٩٧٧ ـ ص ٣ ـ ٥ ٠

ومدى تقبله لهـا(٢) ٠ وعلى ضـوء ذلك تتحـدد آراؤهم حول مبـادى التربية وأهـدافها ومناهجها وطرق تعليمهـا لأن استيضاح وجهات النظر المختلفة التى عالجت طبيعة الانسان ، هو حجر الزاوية لكل من يتصـدى لتوجيه أى عمل تربوى ، تمهيـدا لتكوين مفهوم علمى سـليم عن طبيعة الانسان ، يتخذ فيما بعد أساسـا يرجع اليـه لمعرفة جوانب العمليـة التربوية كلها ، وتحديد دورها فى الثقافة التى يعيش فيها الناشئون ، ولهـذا فان فلسفة التربية تتطلب تفكيرا عن طبيعة الانسـان ، لأن فهم الانسان هو مفتاح كل خبرة قد يفكر فيها الانسان كمرآة للعالم(٣) ٠

وفيما يتعلق بطبيعة الانسان ، نلاحظ أن هنـاك اتجاهين مختلفين لدى فلاسفة التربية ، الأول منهما يذهب الى أن الانسان يولد وقد انطبعت معه كل معالم شخصيته ، وان المعارف العامة تحددت منذ ولادته ، وان البيئة والتربية لا تؤثر فيه الا قليلا ٠ وما دامت الطبيعـة الأصـلية غير قابلة للتغير فان وظيفة التربية حسب هـذا المفهوم هى اظهار ما كمن فى داخل الانسان الذى حددت شـخصيته سـلفا ٠ وعلى هـذا يكون التغير لجوهر الانسان وامكانياته ضئيلا ان لم يكن منعدما(٤) ٠

أما الاتجاه الثانى ، فيرى أن الانسان يولد وعقله صفحة بيضـاء ، يقبل كل ما يطرأ عليه من مؤثرات البيئة والتربية ، ما دامت طبيعته غير محددة سلفا ، فهو يقبل كل ما يخط عليه من أفـكار ومعارف ، وبالتـالى تكون الطبيعة الانسانية قابلة للتغير والتشكيل والنمو باستمرار حسب ظروف البيئة والمجتمع التى تحيط به(٥) ٠

واذا كانت الطبيعة الانسانية غير محددة ، فهى اذن تقبل كل ما يرد

---

(٢) محمد نبيل نوفل : **أبو حامد الغزالى** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٩ ٠
(٣) سعيد اسماعيل على : **العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزال** ـ مرجع سابق ص ٨٩ ٠
(٤) محمد نبيل نوغل : **الغزالى** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٩ ٠
(٥) Kenney F. Roche, **Roussau stoic and Romantic,** (London Methuen & Co. Ltd. 1974. P. 24.

عليها وينطبع فيها من خير أو شر(٦) • وتكون مهمة التربية توجيهها نحو الخير ومعنى ذلك أن لديه من الامكانيات والاستعدادات ما يفعل بها الخير والشر(٧) • وما يأتيه من شر انما هو أمر طارىء عليه ، لا أصيل فيه ، وانما المجتمع الذى يعيش فيه هو الذى يؤثر فيه(٨) •

وهذا الاتجاه الأخير هو السائد عند كثير من مفكرى التربية فى العصر الحديث ، وكان من أنصار هذا الاتجاه « جون لوك » ونظرته الأساسية هى أن الطبيعة الانسانية لا تظهر عند الميلاد وانما هى نتيجة تأثير البيئة على مادة خام مرنة للكائن الحى لم تشكل بعد ، وهى التى توجد عند الميلاد ، ولهذا أكد على أن الخبرة والبيئة هى مصادر المعرفة والتعلم(٩) • ومن هنا كانت وجهة نظر لوك أن المولود يملك فقط لوحة بيضاء تطبع عليها المدركات من العالم الخارجى ، ومن ثم فان الأفكار والقيم والمعرفة ، يكون أصلها الخبرة من العالم الخارجى(١٠) وان ما يظهر فى العقل الانسانى من ملكات نتيجة لانعكاسات هذه الخبرة(١١).

هذه النظرة الى الطبيعة الانسانية ، وأن الانسان يولد وعقله صفحة بيضاء قابلة لكل ما ينقش عليها ، واسنادها الى مفكرى التربية فى العصور الحديثة ، وبالأخص الى جون لوك ، لا تخلو من نظر • حيث أن الفكر التربوى الاسلامى عند الشيعة قد صاغ هذه النظرة بأسلوب يقوم على الابداع والابتكار ، لجدتها وطراوتها وصلاحها فى بناء تربية اسلامية أصيلة تعبر عن واقع التربية الاسلامية ، من دون أن تتأثر بأى فكر آخر : فقد جاء عن الامام على بن أبى طالب قوله : « انما قلب الحدث ، كالأرض

---

(٦) بول وودرنج : **نحو فلسفة التربية** ـ ترجمة د• سعد مرسى أحمد ، فكرى حسن ريان ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٦٦ ـ ص ٨٨ •

(٧) على خليل أبو العينين : **فلسفة التربية فى القرآن** ـ رسالة ماجستير مطبوعة دار الفكر العربى ـ ١٩٨٠ ـ ص ٨٦ •

(٨) Kennedy F. Roche, **Rousseau stoic and Romantic,** op. cit., P. 24.

(٩ ، ١٠) سيد ابراهيم الجيار : **دراسات فى تاريخ الفكر التربوى** ـ القاهرة ـ دار غريب ١٩٧٧ ـ ص ١٦٧ •

(١١) منير المرسى سرحان : **فى اجتماعيات التربية** ـ ط ٢ ـ الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٨ ـ ص ٩٤ •

الخالية . ما ألقى فيها من شيىء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك »(١٢) . وقال الامام الصادق : « .. فصار ـ أى الطفل ـ يخرج الى الدنيا غبيا غافلا عما فيه أهله ، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ، ثم لا يزال يتزايد فى المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شيء وحالا بعد حال ، حتى يألف الأشياء ويتمرن ويستمر عليها ، فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها الى التصرف والاضطرار الى المعاش بعقله وحيلته ، والى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية(١٣) . ويعلل الامام الصادق ذلك بقوله : « فانه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع تربية الأولاد ، وما قدر أن يكون للوالدين فى الاشتغال بالولد من المصلحة ، وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافاة بالبر والعطف عليهم عند حاجتهم الى ذلك منهم »(١٤) .

بهذا الأسلوب التربوى بين الامام الصادق وجوها ثلاثة لبيان الحكمة فى مجيء الطفل وعقله فارغا من العلوم والمعارف قابلا لها بحسب الاستعداد الفطرى ، فانه لو كان يولد وله من المعارف لحصل : أولا ، ذهاب حلاوة التربية من الأبوين للأولاد . وثانيا : عدم حصول مصلحة للوالدين فى تربية أولادهم ورعايتهم ، وعدم وجود الترابط والتراحم ما بينهم . وثالثا ، ذهاب مكافأة الولد لوالديه بالبر والاحسان عند عجزهم وكبرهم . ولهذا يرتقى الامام الصادق فى هذه النظرة التربوية التى سبقت وجهات النظر التربوية الحديثة منذ ثلاثة عشر قرنا حيث يقول : « ثم كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم ، لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم فيتفرقون عنهم حيث يولدون ... لو خرج المولود من بطن أمه وهو يعقل أن يرى منها ما لايحل له ولا يحسن به أن يراه»(١٥) .

وهذا المعنى الذى أشار اليه الامام الصادق ، جاء عن شيوخ الشيعة

---

(١٢) محمد باقر المجلسى : **بحار الأنوار** ـ طهران ـ شركة طبع بحار الأنوار ١٣٧٦ هـ ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٣ .

(١٣) **الامام الصادق** : تحقيق محمد الخليلى ـ النجف الاشرف ـ مطبعة النعمان ـ ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م ـ جـ ١ ـ ص ٨١ .

(١٤) المصدر السابق : ص ٨٩ ـ ٩٠ .

(١٥) المصدر السابق : ص ٩٠ ـ ٩١ .

وعلمائهم ، يقول العلامة الحلى : « أعلم أن الله تعالى خلق النفس الانسانية فى مبدأ الفطرة خالية من جميع العلوم بالضرورة ، وقابلة لها ، وذلك مشاهد فى حال الأطفال ، ثم أن الله تعالى خلق للنفس آلات بها يحصل الادراك وهى القوى الحساسة ، فيحسن الطفل فى أول ولادته بحس لمس ما يدركه من الملموسات ويميز بواسطة الادراك البصرى على سبيل التدرج بين أبويه وغيرهما ، وكذلك يتدرج فى العلوم وباقى المحسوسات الى ادراك ما يتعلق بتلك الآلات ، ثم يزداد تفطنه فيدرك بواسطة احساسه بالأمور الجزئية الأمور الكلية من المشاركة والمباينة ويعقل الأمور الكلية الضرورية بواسطة ادراك المحسوسات الجزئية ، ثم اذا استكمل العلوم وتفطن بمواضع الجدال أدرك بواسطة العلوم الضرورية العلوم الكسبية »(١٦)٠

ولهذا يقول العيناثى : « ٠٠ ان مثل أفكار النفوس قبل أن يحصل فيها علم من العلوم واعتقاد من الآراء كمثل رق أبيض نقى لم يكتب فيه شىء »(١٧) ٠ « ٠٠ ولخلوها ـ أى النفس ـ من المعارف التى بها يتعلق كمالها ، صار فقدها العلم بذاتها علة لها أولى ، تحتاج فى ازالتها الى الاستعانة بجسمها استعانة المولود بوالده ٠٠ »(١٨) ٠ وعلى هذا يقول القزوينى : « ٠٠ خلق الله تعالى النفوس البشرية فى مبدأ الفطرة عارية عن العلوم كلها ، ثم تحصل لها العلوم والمعارف باستعمال الحواس ٠٠ ولا تزال تكون فى التغيير من حال الى حال وفى التبديل من نقصان الى كمال بحسب الاستعدادات الخاصة والقابليات المخصوصة ، كما هو المعلوم بالوجدان من حال الأطفال »(١٩) ٠

ومن هنا يظهر أن نظرة الشيعة ـ منذ القرن الأول للهجرة ـ الى الطبيعة الانسانية قائمة على النظرة الشمولية للمعرفة ، وبالتالى فان التربية عندهم ترتكز أساسا على الحواس ، فالطفل يتدرج فى اكتساب

---

(١٦) محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٨٤ ٠

(١٧) السيد محمد العكناشى : **آداب النفس** ـ طهران ـ المكتبة المرتضوية ـ ١٣٨٠ هـ ـ ج ٢ ـ ص ١٤٧ ٠

(١٨) الكرمانى : **الأقوال الذهبية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤١ ٠

(١٩) أمير محمد القزوينى : **أصول المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٣ ٠

معارفه أولا عن طريق حواسه ، وما يحيط به من خبرات خارجية ؛ ثم يستكمل هذه المعرفة عن طريق العقل · وبهذا المعنى أيضا جاء عن هشام بن الحكم فى منتصف القرن الثانى للهجرة حينما قيل له : بم عرفت ربك ؟ قال : بنفسى لأنها أقرب الأشياء الى ، وذلك أنى أجدها أبعاضا مجتمعة وأجزاء مؤتلفة ظاهرة التركيب متباينة الصفة مبنية على ضروب من التخطيط والتصوير زائدة من بعد نقصان ، وناقصة من بعد زيادة · وقد أنشيء لها حواس مختلفة وجوارح متباينة من بصر وسمع وشام وذائق ولامس ، مجبولة على النقص الضعف ·· واستحال فى العقول وجود تأليف لا مؤلف له واثبات صورة لا مصور لها ·· فهذا مما يستعان به على تحصيل المعرفة ·· »(٢٠) ·

وتلتقى هذه النظرة التى نادى بها الشيعة منذ القرن الأول والثانى للهجرة ، مع النظرة الحديثة للطبيعة الانسانية · يقول الابراشي : « فالافكار نتيجة للحواس ، والحواس أمهات الأفكار · وان الغرض من ترتيبها الوصول الى المعرفة والحكم سديد ، وقوة الشعور والادراك والملاحظة ، وهذا المعنى قول « جان جاك روسو » فى كتابه اميل : ان أرجلنا وأيدينا وأعيننا هى المعلم الأول لنا فى الفلسفة »(٢١) · ولهذا يرى جان بياجيه أن النمو فى تفكير الأطفال يبدأ أولا عن طريق الحواس ، فالطفل الرضيع أو الطفل الصغير يعمل ليصل الى نتيجة لكنه لا يستطيع أن يحتفظ فى عقله بتتابع للأداءات أو الأفعال ، ثم يعقب المرحلة الحسية هذه حركة مباشرة طورا للنمو يكون فيه التفكير من خلال التمثيل ، ليس تفكيرا تصوريا بعد ، وهكذا يأخذ الطفل فى نموه العقلى نتيجة ما يكرره من أعمال حسية(٢٢) · ولهذا « تسمح القدرة الجديدة للأطفال على تتبع الأشياء بأعينهم أن يكتشفوا الأشياء أو الموضوعات المحيطة بهم »(٢٣) · وهكذا

---

(٢٠) ورام : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ٢٠٧ ·

(٢١) محمد عطية الابراشى : **التربية الاسلامية وفلاسفتها** ــ ط ٣ ــ مطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر ــ ١٩٧٥ ــ ص ١٩٤ ·

(٢٢) روث م· بيرد : **جان بياجيه وسيكولوجية نمو الأطفال** ــ ترجمة د/فيولا فارس البيلاوى ــ الأنجلو المصرية ــ ١٩٧٧ ــ ص ٢٩ــ٣٠ ·

(٢٣) المصدر السابق : ص ٣٢ ·

ينتقل الطفل من مرحلة الاعداد للعمليات الحسية الى التفكير الاجرائى خلال المرحلة الحسية(٢٤) ٠

وقد أشار الشيعة الى ذلك قبل ظهور هذه النظرة الحديثة بعدة قرون ، ولهذا جاء عن شيوخ الشيعة ـ اضافة الى ما تقدم ـ قولهم : « ٠٠ ان العلم اما ضرورى واما كسبى ، وكلاهما حصل بعد عدمه ، اذ الفطرة البشرية خلقت أولا عارية عن العلوم ، ثم يحصل لها العلم بقسميه ، فلا بد من استعداد سابق اذ القابل لا يخرج المقبول من القوة الى الفعل بذاته والا لم ينفك عنه ، وللقبول درجات مختلفة فى القرب والبعد ، وانما تستعد النفس للقبول على التدرج فتنتقل من أقصى مراتب البعد الى أدناها قليلا قليلا لأجل المعدات التى هى الاحساس بالحواس على اختلافها والتمرن عليها وتكرارها مرة بعد أخرى فيتم الاستعداد لافاضة العلوم البديهية الكلية من التصورات والتصديقات بين كليات تلك المحسوسات »(٢٥) ٠

ومجمل ما ذهب اليه الشيعة فى نظرتهم الى الطبيعة الانسانية ، أنهم آمنوا بأن النفس الانسانية فى مبدأ الفطرة خالية من جميع العلوم وقابلة لها ، وذلك عن طريق الاستعدادات والقابليات المودعة فى الفطرة الانسانية ، وأن الطفل يتدرج بمعارفه عن طريق الخبرة الخارجية بواسطة حواسه ، وذلك عن طريق تكرار استعمال الحواس حتى تحصل له المعارف الأولية الناتجة عن الحس عن طريق البيئة التى يعيش فيها الطفل ثم يتدرج شيئا فشيئا حتى تحصل له المدارك العقلية ٠ وهذا غاية ما توصل اليه فلاسفة التربية فى العصر الحديث ٠ وهى طابع التربية الاسلامية عند الشيعة منذ القرن الأول للهجرة ٠

ثانيا ـ « العلم والعلماء » :

١ ـ موقف الشيعة من العلم والعلماء :

من أروع مبادىء التربية الاسلامية تعظيم العلم والمعرفة ٠ وقد ذكر العلماء مكانة العلم ، ومن تحلى به ، وتوسعوا فى بيانه عن طريق

---

(٢٤) المصدر السابق : ص ٥١ ٠

(٢٥) العلامة الحلى : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٨ ٠

العقل والتنزيل والسنة النبوية · وموقف الشيعة من العلم والعلماء يظهر من موقف أئمتهم وشيوخهم فى كل حقبة من تاريخهم الذى وجدوا فيه ، فقد مرت بالشيعة عصور مختلفة من حيث النشاط العلمى والفكرى فى نشر مذهبهم ، مما أدى بهم الى التوسع فى الاستدلال على مكانة العلم وفضل العلماء ، بالآيات والأحاديث الشريفة ، وأقوال أئمتهم ، بالاضافة الى دليل العقل · والباحث يعرض بعض ما جاء فى ذلك على سبيل المثال ·

أما الكتاب الكريم ، فقد أشار الى ذلك فى مواضع كثيرة منه قوله تعالى فى سورة العلق ، وهى أول ما نزل على النبى (ص) : « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم »(٢٦) · حيث افتتح كلامه سبحانه بذكر نعمة الايجاد واتبعه بذكر نعمة العلم ، فلو كان بعد نعمه الايجاد نعمة أعلى من العلم لكانت أجدر بالذكر · وقد قيل فى وجه التناسب بين الاى المذكورة فى صدر هذه السورة المشتمل بعضها على خلق الانسان من علق ، وبعضها على تعليم ما لم يعلم ، أنه تعالى ذكر أول حال الانسان يعنى كونه علقة وهى بمكان من الضعة ، وآخر حاله وهى صيرورته عالما وذلك كمال الرفعة والجلالة(٢٧) · وقوله تعالى : « الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا » فانه سبحانه جعل العلم علة لخلق العالم العلوى والسفلى طرا وكفى بذلك جلالة وفخرا(٢٨) · الى غير ذلك من الآيات الدالة على عظمة العلم وشرفه ، ويكفى ذلك برهانا أن الله سبحانه أمر نبيه (ص) بزيادة طلب العلم مع ما أعطاه الله من العلم والحكمة ، فقال مخاطبا لنبيه : « وقل رب زدنى علما » ولهذا ثبت الله قلوب المؤمنين الذين أوتوا العلم بالتوحيد والحكمة حتى يزدادوا ايمانا وتطمئن قلوبهم بقوله سبحانه : « وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من

---

(٢٦) العلق : ١ ـ ٥ ·

(٢٧) الشهيد الثانى : **معالم الدين وملاذ المجتهدين** ـ مرجع سابق ـ ص ٥ ـ ٦ ·

(٢٨) سورة طه : ١١٤ · وأيضا عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق فى حديث واحد** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٠ ·

ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان اللــه لهــاد الذين آمنوا الى صراط مســتقيم »(٢٩) ٠

وأما السنة النبوية الدالة على فضل العلم فكثيرة ، منها ما جاء عن الامام على بن أبى طالب قال : قال رسول الله (ص) : العالم بين الجهال كالحى بين الأموات ، وان طالب العــلم ليستغفر له كل شىء حتى حيتــان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه ، فاطلبوا العلم فانه السبب بينــكم وبين الله عز وجل وان طلب العلم فريضة على كل مسلم الا أن الله يحب بغاة العلم »(٣٠) وعنه أيضا قال : قال رسول الله (ص) : « تعلموا العلم فان تعلمه حسنة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام وسالك بطالبه سبيل الجنة ، وهو أنيس فى الوحشة ، وصاحب فى الوحــدة ودليل على السراء والضراء ، وسلاح على الأعداء ، وزين للاخلاء ، يرفع اللــه بــه أقواما يجعلهم فى الخير أئمة يقتدى بهم ، ترمق أعمالهم ، وتقتبس آثارهم ، وترغب الملائكة فى خلتهم ٠٠ لأن العلم حياة القلوب ، ونور الأبصار من العمى ، وقوة الأبدان من الضعف ، ينزل الله حامله منازل الأخيار ويمنحه مجالس الأبرار فى الدنيا والآخرة ، بالعلم يطــاع الله ويعبــد ، وبالعلم توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام والعلم امام العمل ، والعمل تابعه ، يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء »(٣١) ٠

وقــد جاء عن أئمة الشيعة فى فضل العلم ومكانته أقوال كثيرة منها قول الامام على لتلميذه كميل بن زياد : « يا كميل احفظ عنى ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتبــاع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجئوا الى ركن وثيق ، يا كميل العلم خير من المــال ، العلم يحــرسك وأنت تحــرس المــال ، والمــال تنقصــه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العالم دين يدان به تكسبه الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته ، فمنفعة المــال تزول بزواله ، يا كميــل مات خــزان الأموال وهم أحيــاء ،

(٢٩) سورة الحج : آية ٥٤ ٠
(٣٠) الكلينى : **الكافى** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ٣٥ ٠
(٣١) الصدوق : **الخصال** ــ مرجع سابق ــ جـ ٢ ــ ص ٥٢٢ــ٥٢٣ ٠

والعلمـاء باقـون ما بقى الدهـر أعيـانهم مفقودة وأمثـالهم فى القلوب موجودة ٠٠٠ »(٣٢) وقوله (ع) « الجاهل صغير وان كان شيخا والعـالم كبير وان كان حدثا »(٣٣) ٠ وقوله : « لا كنز أنفع من العلم »(٣٤) ٠ وقوله : « لا علم كالتفكير ولا شرف كالعلم »(٣٥) ٠ وقوله : « كفى بالعلم شرفا أنه يدعيه من لا يحسنه ، ويفرح اذا نسب اليه من ليس من أهله ، وكفى بالجهل خمولا أنه يتبرأ منه من هو فيه ، ويغضب اذا نسب اليه »(٣٦) ٠ وفى ذلك يقول أبو الأسود الدؤلى أحد تلاميذ الامام على المتوفى سنة ٦٩ هـ :

والعـلم زين وتشريف لصـاحبه	فاطلب هـديت فنون العلم والأدبا
العلم كنز وذخـر لا نفـاذ لـه	نعم القـرين اذا ما صاحب صحبا
قـد يجمع المـرء مالا ثم يسـلبه	عمـا قليـل فيلقى الـذل والحربا
وحامل العـلم مغبوط به أبـدا	ولا يحـاذر منه الفـوت والسـلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعـه	لا تعـدلن به درا ولا ذهبا(٣٧)

وكان للشيعة احساس خاص بقيمة العلم وفضله وأثره فى حيـاة الناس ، تمشيا مع الدين الاسـلامى ، ولهـذا فقد استشـهدوا بكثير من الشواهد التى وردت عن أئمتهم ٠ منها ما جاء عن الامام على بن الحسين : « لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج ، ان اللـه تبارك وتعـالى أوحى الى دانيـال أن أمقت عبيدى الى الجاهل المسـتخف بحق أهل العلم التـارك للاقتداء بهم ، وأن أحب عبيدى الى التقى الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء ، التابع للحلماء ، القـابل

---

(٣٢) المصدر السابق : جـ ١ ـ ص ١٨٦ ـ ١٨٧ ٠ وأيضا الحـافظ أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى : **تاريخ بغـداد** ـ المدينة ـ المكتبة السلفية بدون تاريخ ـ جـ ٦ ـ ص ٣٧٩ ٠

(٣٣) المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨٣ ٠

(٣٤) المصـدر السـابق : ص ١٦٦ ٠

(٣٥) المصـدر السـابق : ص ١٧٩ ٠

(٣٦) ياقوت الحموى : **معجم الأدباء** ـ الطبعة الأخيرة ـ مطبعـة المـأمون ـ بدون تاريخ ـ جـ ١ ـ ص ٦٥ ٠

(٣٧) عباس القمى : **الكنى والألقاب** ـ النجف ـ المطبعة الحيدرية ـ ١٩٥٦ ـ جـ ١ ـ ص ٨ ـ ٩ ٠

عن الحكماء »(٣٨) وقال الامام محمد الباقر : « الروح عماد الدين والعلم عماد الروح ، والبيــان عماد العلم »(٣٩) · وقوله : « العــالم كمن معه شمعة تضيىء للناس فكل من أبصر شمعته دعا له بخير ، كذلك العــالم مع شمعته تزيل ظلمة الجهل والحيرة ، فكل من أضاءت له فخرج بها من حيرة أو نجــا بهــا من جهل فهو من عتقائه من النــار ··· »(٤٠) · وقال الصادق : « الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك »(٤١) · وقوله : « العلم حياة القلوب ومصابيح الأبصار »(٤٢) ·

بالاضافة الى ذلك فقد استدل الشيعة على فضيلة العلم بالعقل ، ومن ذلك قولهم : ان شرف العلم وتقدمه على جميع المعقولات والموجودات أمر قضت به الضرورة وحكم به العقل والوجدان ، ففى العلم يكون تمــام الكمال ، وفى الجهل يكون غاية النقصان ، لأنه عندما يلاحظ الانســان المعقولات فهى اما موجودة أو معدومة ، ولا شك أن الموجود أشرف ، ثم أن الموجود منه الجماد ومنه النامى ولا ريب أن النامى أشرف من الجماد ، والنامى اما حساس أو غير حساس ، والحساس أشرف ، ثم الحساس منه العاقل وغير العاقل ، كالانسان وسائر الحيوانات ولا شك أن العاقل أشرف ، ثم العاقل ينقسم الى عالم وجاهل ، ولا ريب أن العالم أشرف ، فالعالم حينئذ أشرف المعقولات(٤٣) ·

ومما يزيد من أهمية العلم عند الشيعة ، وجوب الاعتناء به ومدارسته ونشره بين الأمة ،وتعليمه وتعلمه وبذله لمن طلبه · وبهــذا المعنى جاء عن النبى (ص) : « العلم وديعة الله فى أرضه ، والعلماء أمناؤه عليه ، فمن عمل بعلمه أدى أمانته ، ومن لم يعمل بعلمه كتب فى ديوان الخائنين»(٤٤)·

٢ ـ الحث على طلب العــلم :

يظهر لنا مما تقدم موقف الشيعة من العلم ، ومدى اهتمامهم به ، ولم

---

(٣٨) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٣ ·
(٣٩) المصــدر الســابق : جـ ٢ ـ ص ٤ ·
(٤٠) المصــدر السـابق : جـ ١ ـ ص ١٨٣ ·
(٤٢) ورام : **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٣٨ ·
(٤٣) الشهيد الثانى : **معالم الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ٥ ·
(٤٤) المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٦ ·

يقفوا عند ذلك ، بل قاموا بتشجيع طالبيه ، والحث على تعلمه وتعليمه ونشره بين الناس ، ولهذا أوجبوا التفقه فى الدين ، والاختلاف الى حملة العلم والأخذ منهم • وقد صور لنا أئمة الشيعة ذلك المعنى ، قال عبد الله الانصارى للامام جعفر الصادق : ان قوما يرون أن رسول الله (ص) قال : اختلاف امتى رحمة • قال : صدقوا • قلت : ان كان اختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب ؟ قال ليس حيث تذهب وذهبوا ، انما أراد قول الله عز وجل : فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » • فأمرهم أن ينفروا الى رسول الله (ص) ويختلفوا اليه ، فيتعلموا ثم يرجعوا الى قومهم فيعلموهم ، انما أراد اختلافهم من البلدان ، لا اختلافهم فى دين الله ، انما الدين واحد »(٤٥) • ولهذا قال الصادق : « سارعوا فى طلب العلم ، فوالذى نفسى بيده لحديث واحد فى حلال وحرام تأخذه عن صادق خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة »(٤٦) •

ولم يقتصر حث الشيعة على طلب العلم والتفقه فى الدين على فئة خاصة من الناس ، بل شمل جميع المسلمين • يقول الامام على بن أبى طالب: « أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به ، وان طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال • ان المال مقسوم بينكم مضمون لكم ، قد قسمه عادل بينكم وضمنه ، سيفى لكم به ، والعلم مخزون عليكم عند أهله قد أمرتم بطلبه منهم فاطلبوه ، واعلموا أن كثرة المال مفسدة للدين مقساة للقلوب ، وان كثرة العلم والعمل به مصلحة للدين سبب الى الجنة ، والنفقات تنقص المال ، واعلم يزكو على انفاقه »(٤٧) •

قال ابن عبد البر : ان قول على بن أبى طالب : « قيمة كل امرىء ما يحسنه » لم يسبقه اليه أحد • قال : وقالوا :ليس كلمة أحض على طلب العلم منها ••• وقد طار له الناس كل مطير ، ونظمه جماعة من الشعراء اعجابا به ، وكلفا بحسنه فمن ذلك ما يعزى الى الخليل بن أحمد وهو قوله :

---

(٤٥) المصدر السابق : جـ ١ ــ ص ٢٢٨ •
(٤٦) المصدر السابق : ص ٢٢٨ •
(٤٧) المصدر السابق : ص ١٧٥ • وأيضا الكلينى : **الكافى** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ٣٥ •

قيمة المـرء كل ما يحسن المـر ء قضاء من الامام علي(٤٨)

وجاء عن الامام على بن الحسين : « ان طالب العلم اذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض الا سبحت له الأرضين السابعة »(٤٩) . وقال الامام محمد الباقر : « ما من عبد يغدو فى طلب العلم أو يروح الا خاض الرحمة ، وهتفت به الملائكة : مرحبا بزائر الله ، وسلك من الجنة مثل ذلك المسلك » . ومعنى ذلك أن الذى يزور العالم لله ولطالب العلم لوجه الله فكأنه زار الله(٥٠) . وعنه أيضا : « ان الذى تعلم العلم منكم له مثل أجر الذى يعلمه ، وله الفضل عليه ، تعلموا العلم من حملة العلم ، وعلموه اخوانكم كما علمكم العلماء »(٥١) .

وجاء عن الامام الصادق : « لكل شىء زكاة ، وزكاة العلم أن يعلمه أهله »(٥٢) . وقوله : « من حفظ من أحاديثنا أربعين حديثا بعثه الله يوم القيامة عالما فقيها »(٥٣) . وقوله : « العالم والمتعلم فى الأجر سواء »(٥٤) .

ويبدو من هذا أن علماء الشيعة ساروا على طريقة أئمتهم فى حثهم على طلب العلم وتعلمه وتعليمه . يقول الحرانى ـ القرن الثالث الهجرى ـ : فتأملوا معاشر شيعة المؤمنين ما قالته أئمتكم (ع) واندبوا اليه وحضوا عليه وانظروا بعيون قلوبكم واسمعوه بآذانها ، ووعوه بما وهبه الله لكم واحتج به عليكم من العقول السليمة والافهام الصحيحة... واجتهدوا فى طلب ما لم تعلموا ، واعملوا بما تعلمون ليوافق قولكم فعلكم ، فبعلومهم النجاة وبها الحياة ... واجتهدوا فى العمل بما أمروا به .... »(٥٥) .

---

(٤٨) الشيخ جمال الدين القاسمى الدمشقى : **تاريخ الجهمية والمعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .
(٤٩) المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٦٨ .
(٥٠) المصدر السابق : ص ١٧٤ .
(٥١) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٤٢ .
(٥٢) المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٥ .
(٥٣) المصدر السابق : ص ١٥٣ .
(٥٤) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٤٤ .
(٥٥) الحرانى : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٤ ـ ٥ .

تلك مقتطفات يسيرة من أقوال أئمة الشيعة الدالة على طلب العلم ، ومن هذا يبدو أن الشيعة قاموا بنشاط ثقافى وعلمى واسع ، كما نالوا قسطا كبيرا من ينابيع العلم المختلفة ، وقد تهيأ لهم أن يصلوا الى غاية الشوط فى هذا الميدان ، الذى منبعه القرآن الكريم وأحاديث الرسول وأقوال أئمتهم . على أن الآيات والأحاديث وأقوال الأئمة عند الشيعة لم تكتف بالحث على العلم والترغيب فى طلبه وتطبيقه عمليا ، كما يظهر منها ، وانما قدمت هى نفسها أنواعا من الفكر والمعرفة كانت مجالا رحبا للدراسة والبحث ، ومن أجل ذلك قام الشيعة بالدراسات المختلفة فى شتى العلوم الاسلامية ، حتى كانوا السابقين الى وضع بذورها وتأسيسها، وبهذا أثروا الفكر والثقافة الاسلامية(٥٦) .

٣ ـ « العلاقة بين العلم والعمل من منظور الشيعة » :

ان مفهوم العمل كان ولا يزال موضع جدل بين المفكرين ، كما أنه كان فى ذات الوقت يحمل أكثر من معنى بالنسبة للتربية ، وقد يعزى ذلك الى تعدد أنواع العمل وأشكاله وفقا لأسس التصنيف ما بين عمل فكرى أو مادى ، وما ترتب على ذلك من اختلاف فى أنماط السلوك والاتجاهات وأنواع القيم المرتبطة بالعمل فى المجتمعات المختلفة(٥٧) .

وعندما جاء الاسلام أحدث ثورة شاملة فى حياة العرب فى كل جانب من جوانب الحياة ، وكان العمل هو الجوهر الأساسى فى الاسلام، فله شرف كبير ليس له مثيل فى الديانات الأخرى ، فالحياة لا تقوم الا بالعمل وعلى العمل ، ولا قيمة للانسان الا بالعمل ، ولهذا فقد عنى الاسلام عناية عظيمة بتعمق هذا المفهوم فى نفوس معتنقيه ، وعلى هذا فقد وردت آيات كثيرة تشيد بالعمل وتدعو اليه وتبين مدى خطورة العمل فى قيام المجتمع وازدهاره(٥٨) . بالاضافة الى ذلك فان الدين الاسلامى

---

(٥٦) أنظر الفصل السابع من هذا البحث .

(٥٧) مصطفى عبد القادر : **مفهوم العمل وتطبيقاته التربوية فى التعليم الثانوى العام فى المجتمع المصرى المعاصر** ـ رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ كلية التربية ـ عين شمس ـ ١٩٧٩ ـ ص ١ .

(٥٨) المصدر السابق : ص ٢٨٨ .

فكر وعمل ، ولهـــدا جـاء بأسـمى المبـادىء التى تتمشى مع الطبيعـة الانسانية ، ولا تزال تلك المبادىء هى الأساس لا حدث النظريات المعاصرة فى مجال اقتصاديات واجتماعيات العمل(٥٩) ٠ ولهذا يشترط القـرآن أن يكون العمل قرينـا للعلم فى تكوين أخلاق الانســان وبنـاء علاقاته الاجتماعية التى لا تقوم على مجرد الوعظ والارشاد ، وانمـا تحتـاج الى أفعال يمارسها الانســان لتتكون أخلاقه عمليا ، ومن هنـا كانت شروط الاسلام من قبيل ربط الفكر أو العلم بالعمل أو ربط النظر بالتطبيق(٦٠) ٠

ومن هنا تظهر أهمية العلاقة بين العلم والعمل فى العملية التربوية حيث انهـا تكاد تكون دائرية ومستمرة ، ولهـذا يتحتم على المشـتغلين بالتربية أن يجعلوا من العمل « أسـلوبا ومنهجا يربون به ، ومن خلاله مما يوحى بسببية تعزى الى التربية بحيث يصبح العمل هنا مفعولا به ، الا أننا من ناحية أخرى نعترف بأن تغير موقع العمل أيضا ومكانته ، يمكن أن يكون مؤثرا هاما جعلنا نعيد النظر فى معنى التربية والوظائف التى يجب أن ترمى اليها »(٦١) ٠ ولهـذا فان العملية التربوية لا يمكن لها أن تقوم الا فى ظل الالتحام بين الفكر والعمل أو بين النظر والتطبيق(٦٢) ٠

ويظهر من النصوص الواردة عن أئمة الشيعة ، وموقفهم من العلم وتقسيمه الى عقلى ومادى ، انهم لم يهملوا الناحيـة العمليـة وارتباطها بالعلم ، بل هناك علاقة ارتباطية بينهما ، وان كلا منهما مكمل للآخر ، فلا يمكن أن يتصور علم بلا عمل ، كما لا يمكن أن يكون هناك عمل بلا علم ٠ لأن التعليم عندهم كما يبدو ليس هو مجرد حشو أذهان التلاميذ بالعلوم والاكتفاء بذلك ، بل لا بد من أن ينعكس ما يتعلمه على سلوكه ، ولهـذا أراد أئمة الشيعة وشيوخهم من شيعتهم ذلك ٠ يقول الامام محمد الباقر

---

(٥٩) المصـدر السـابق : ص ٤٠ ٠

(٦٠) على خليل أبو العينين : **فلسفة التربيـة فى القـرآن** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٩ ٠

(٦١) سعيد اسماعيل على : **مكانة العمل فى الفكر التربوى** ـ الكتاب السـنوى فى التربيـة وعلم النفس ـ المجلد السادس ـ القاهرة ـ دار الثقافة ـ ١٩٧٩ ـ ص ٢٠ ٠

(٦٢) المصـدر السـابق : ص ٢٢ ٠

لأحد تلاميذه : « ابلغ شيعتنا أنه لا ينال ما عند اللـه الا بالعمل ، وابلغ شيعتنا أن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلا ثم خالفه الى غيره »(٦٣) ٠

وقد اهتم الشيعة كل الاهتمام بالتأكيد على وجوب أن يظهر اثر العلم فى عمل الانسان ، وان ينعكس فى سلوكياتهم ، وبهذا ورد عن الامام موسى بن جعفر عن آبائه عن على بن أبى طالب أنه قال : « الدنيا كلهاجهل الامواضع العلم ، والعلم كله حجة الا ما عمل به ، والعمل كله رياء الا ما كان مخلصا ، والاخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم به »(٦٤) ٠ والذى يظهر من ذلك أن الاخلاص أساس العمل ، والعمل اساس العلم ٠ وفى هذا جاء عن الامام موسى بن جعفر : « أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل الا به ، وأوجب العلم عليك ما أنت مسئول عن العملبه،والزم العلم لك ما دلك على صلاح قلبك وأظهر لك فساده ، وأحمد عاقبته ما زاد فى علمك العاجل فلا تشغلن بعلم ما لا يضرك جهله ولا تغفلن عن علم ما يزيدك فى جهلك تركه »(٦٥) ٠

وقد حلل أئمة الشيعة العلاقة بين العلم والعمل تحليلا انتهى بهم الى القول بأن العلم مقرون بالعمل وموصول به ـ يقول الامام على : « العلم مقرون بالعمل ، فمن علم عمل ، والعلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل عنه »(٦٦) ٠ وقوله لجابر بن عبد اللـه الانصارى : « يا جابر قوام الدنيا بأربعة : عالم مستعمل عامه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ٠٠٠ فاذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ٠٠٠ »(٦٧) ٠

والذى يظهر من أقوال الأئمة عند الشيعة أنهم لم يفصلوا بين العلم والعمل أو بين النظر والتطبيق ، وهذا غاية ما تدعوا اليه التربية فى مجالها التطبيقى ، وعلى هذا دعوا المتعلمين بأن يحولوا العلم الى عمل ٠

---

(٦٣) المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٩ ٠
(٦٤) المصدر السابق : ص ٢٩ ٠
(٦٥) عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق فى حديث واحد** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤ ٠
(٦٦) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٥ ٠
(٦٧) المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٦ ٠

يقول الامام الصـادق : « تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن ينفعكم اللـه بالعلم حتى تعملوا به ، لأن العلماء همتهم الرعاية ، والسـفهاء همتهم الرواية » وقولـه : « العلم الذى لا يعمل بـه كالكنز الذى لا ينفق منه ، أتعب صاحبه نفسه فى جمعه ، ولم يصل الى نفعه »(٦٨) ٠

والعالم عند الشيعة هو العامل والمعلم والدارس للعلم ، مع تمسكه بطاعة اللـه ، وهـذه الطاعة لا تحصل الا عن طريق العلم والعمل به ، ولهـذا أوجبوا عليـه أن يعمل بعلمه ، كما أوجبوا على الجاهل أن يطلب العلم ٠ يقول الامام على : « ما أخذ اللـه ميثاقا من أهل الجهل بطلب بيان العلم حتى أخذ ميثاقا من أهل العلم ببيان العلم للجهال ، لأن العلم قبل الجهل » ٠ وهـذا دليل على سبق العهد على العالم ببذل العلم على أخـذ العهد على الجاهل بالتعلم(٦٩) ٠ وبهـذا قال الامام الصادق : « من تعلم لله عز وجل وعمل لله وعلم للـه دعى فى ملكوت السموات عظيما »(٧٠) ٠

ومجمل ما تقدم ، أن العمل عند الشيعة معلول ، وأن العلم علة له وسبب فى وجوده ، فلا يمكن أن يوجد عمل من الفرد من دون علم ، كما أن العلم عندهم مقرون بالعمل ، والا ارتحل عن صاحبه كما تقـدم ٠ وهـذا دليل على عمق مفهوم العمل وارتباطه بالعلم عند الشيعة ٠

ثالثـا ـ « المعـرفة الانسـانية » :

تدو حول المعرفة الانسانية مناقشات حادة تحتل مكانا رئيسيا فى الفلسفة ، وخاصة الفلسفة الحديثة ٠ فهى نقطة الانطلاق الفلسفى لاقامة فلسفة متماسكة عن الكون والحياة والانسان ، فما لم تتحدد مصادر الفكر البشرى ومقاييسه وقيمه لا يمكن القيام بأية دراسة مهما كان لونها ٠ واحدى تلك المناقشات الضخمة هى المناقشة التى تتناول مصادر المعرفة ومنابعها الأسـاسية بالبحث والـدرس ، وتحـاول أن تسـتكشف الـركائز

---

(٦٨) المصـدر السـابق : ص ٣٧ ٠
(٦٩) المصـدر السـابق : ص ٢٣ ٠
(٧٠) عبد الصـاحب المظفر : **الأخـلاق فى حـديث واحـد** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٣٣ ٠

الأولية للكيان الفكرى الذى تملكه البشرية ، فتجيب على هـذا السؤال : كيف نشأت المعرفة عند الانسان ، وكيف تكونت حياته العقلية بكل ما تزخر به من أفكار ومفاهيم ، وما هو المصدر الذى يمد الانســان بذلك السيل من الفكر والادراك ؟(٧١) • ولهـذا حاول الانسان منذ القديم أن يعرف كيفية العـلم بالأشياء ، وما عـلاقة قوى الادراك بالشىء المـدرك(٧٢) • وعلى هـذا اختلفت آراء الفلاســفة حول طبيعة المعرفة ، فمنهم من آمن بالمدارك الحسية واعتبرها أساس المعرفة ، ومنهم من جعل العقل هو الوســيلة الوحيدة لكل المعـارف ، نجـد فريقا آخـر جمع بين الحـواس والعقل ، واعتبرهما معا طريقا للمعرفة •

وبناء على هـذا الاختلاف فى طبيعة المعرفة ، اختلفت وجهات النظر التى ترتكز عليها فلسفة التربيــة ، وبالتــالى ظهر الاختلاف فى مناهج الدراسة ، فالنظرة الى طبيعة المعرفة تعتبر الأساس فى تشكيل المنهج والطريقة التى يعالج بها التلاميذ(٧٣) •

واذا كانت المعرفة من المباحث الفلسفية النظرية ، فهى كذلك تعتبر من المباحث الفلسفية التطبيقيــة(٧٤) • بمعنى أن الفلســفة اذا كانت هى النشاط الثقافى الذى يعبر فكريا عن أوضاع الثقافة ومشكلاتها ، ويحاول تعديلها وتطويرها ، فان التربية هى المجهود العملى الذى يترجم هـذه الفلسفة ويحولها الى عادات ومهارات وقيم سلوكية لدى الأفراد ، ولهـذا تتضمن الفلسفة فى داخلها على اتجاهات تربوية ، حيث أن التربية تحول الأفكار والمعـارف الانســانية الى واقع تطبيقى عملى يتعلق بســـلوك

---

(٧١) محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ ط ٣ ـ بيروت ـ دار الفكر ـ ١٩٧٠ ـ ص ٥٥ •

(٧٢) توفيق الطويل : **أسس الفلسفة** ـ **القاهرة** ـ النهضة المصرية ـ ١٩٥٨ ـ ص ٢٤٩ •

(٧٣) علاء الدين القزوينى : **المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم فى التربيــة والتعليم** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٤ •

(٧٤) نبيل نوفل : **الغزالى** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٢ •

الأفراد(٧٥) . ولهـذا تتحول الفلسفة من مجرد ألفاظ ممتعة ونظريات جامدة الى قيم تحدد السلوك ، ولما كانت القيم هى أسـاس الفلسفة التى تبحث عنها(٧٦) ، فمهمة التربية هى اظهار هـذه القيم من الواقع النظرى الى الواقع العملى ونقلها الى الآخرين ، وتوضيحها فى مناهج الدراسة لكى يتعلمها التلاميذ(٧٧) .

ومما لا شك فيه أن البحث فى طبيعة المعرفة ومصـادر اكتسابها ونوع المعرفة التى تعالجها ومدى أهميتها ـ لبنات أساسية ـ تسهم فى بناء فلسفة التربيـة ، وعلى هـذا فان النظرة الى المعـرفة على أنهـا غير يقينية ، أو أن الحواس أساس المعرفة أو أن العقل هو مصدر للمعرفة ، ينعكس على الطريقـة التى يعـد بهـا الانسـان ليتـلقى لونـا من ألوان التربية(٧٨) .

«فالمعرفة ليست هى القـوى الذهنية التى تقف من الأشـياء موقف التسجيل والمعاينة ، بل انها تنشأ من مواقف المشاركة الفعلية للانسان فى بيئته »(٧٩) . وعلى هـذا لا بد أن تؤدى النظرية الفلسفية الى تبديل فى العمل التربوى ، والا أصـبحت مصطنعـة ، لأنهـا لا تعكس الواقع العملى للتربيـة(٨٠) .

وبالنسبة للشيعة ، فان دراسة نظرتهم الى المعرفة لها أهميتها ، ذلك أنهم اعتبروا نفس الطفل كصحيفة بيضـاء ، أى أن المعـرفة ليست

---

(٧٥) محمد الهادى عفيفى : **الأصول الثقافية للتربية** ـ القاهرة ـ الأنجلو مصرية ١٩٧٨ ـ ص ٨٧ .

(٧٦) سعيد اسماعيل على : **العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزال** مرجع سابق ـ ص ٩٦ .

(٧٧) علاء الدين القزوينى : **المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم فى التربيـة والتعليم** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٣ .

(٧٨) نادية جمال الدين : **فلسفة التربية عند اخوان الصفاء** ـ رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ تربية عين شمس ـ قسم أصول التربية ـ ١٩٧٣ ـ ص ١٥٨ .

(٧٩) محمد الهادى عفيفى : **الأصول الفلسفية للتربية** ـ القاهرة ـ الأنجلو مصرية ١٩٧٨ ـ ص ٢٤٨ .

(٨٠) سعيد اسماعيل على : **العلاقة بين الفلسفة والتربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٧ .

فطرية فى النفوس ، بل تستمد من العالم الخارجى ، ولهذا وثقوا بالحواس كوسيلة من وسائل المعرفة البشرية ، بالاضافة للعقل ، مع وجود الاستعدادات الفطرية الكامنة لدى الطفل ، وهى ما يطلق عليها بالمعارف الضرورية أو الفطرية ، مع ايمانهم بالمعارف التى تحصل عن طريق الشرع أو الوحى . ومن هنا يتعرض الباحث لمصادر المعرفة عند الشيعة .

مصادر المعرفة :

يرى بعض الفلاسفة أن المصدر الأساسى للمعرفة هو الخبرة الحسية وأن وسيلتها هى الحواس ، وأن معرفة الانسان التى يتلقاها لا تكون الا عن طريق حواسه المختلفة(٨١) . ويمثل هذه المدرسة من الفلاسفة القدماء « الهرقليطيون » . فقد ادعوا أن المعرفة مقصورة على الاحساس ، وأنه ظاهرة قائمة بذاتها متغيرة أبدا ، ليس لها جوهر تتقوم به ولا قوة تصدر عنها . وهذا الادعاء يؤدى الى القول بأن الاحساس هو كل المعرفة ، ومعناه أن المعرفة تقتصر على الظواهر المتغيرة فقط ، ولا يمكن ادراك ما هيات الأشياء(٨٢) .

ولعل المبشر الأول لهذه النزعة من الفلاسفة المحدثين هو « جون لوك » الفيلسوف الانجليزى ، فهو يعتبر المؤسس للمذهب التجريبى، وهو المذهب القائل بأن معرفتنا كلها مستمدة من التجربة ، كما أنكر الأفكار الفطرية ، وجعل الاحساس هو المصدر الأساسى الذى تستند اليه كل أفكارنا ، فالادراك كما يقول « هو الخطوة الأولى والدرجة الأولى نحو المعرفة والمدخل الى جميع خاماتها »(٨٣) وقد بزغ فى عصر فلسفى زاخر

---

(٨١) زكى نجيب محمود : **نظرية المعرفة** ـ مطبعة وزارة الارشاد القومى ـ ١٩٥٦ ـ ص ٥٣ .

(٨٢) يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة اليونانية** ـ القاهرة ـ مطابع الدجوى ـ ١٩٧٦ ـ ص ٧٠ .

(٨٣) برتراند رسل : **تاريخ الفلسفة الغربية** ـ الفلسفة الحديثة ـ ترجمة محمد فتحى الشنيطى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٧ ـ ج ٣ ـ ص ١٧٨ . وأيضا محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٢ .

بمفاهيم « ديكارت » عن الأفكار الفطرية فبدأ فى تفنيد تلك المفاهيم ، ووضع لأجل ذلك دراسة مفصلة للمعرفة الانسانية فى كتابه « مقالة فى التفكير الانسانى » وحاول فى هـذا الكتاب ارجاع جميع التصورات والأفكار الى الحس ، وقد شاعت هـذه النظرية بعد ذلك بين فلاسفة أوربا(٨٤) ٠

ويمكننا أن نوضح فشل النظرية الحسية فى محاولة ارجاع جميع مفاهيم التصور البشرى الى الحس ، على ضوء دراسة عدة من مفاهيم الذهن البشرى كالمفاهيم التالية : العلة والمعلول ، الجوهر والعـرض ، الامكان والوجوب ، الوحـدة والكثرة ، الوجود والعدم ، وما الى ذلك من مفاهيم وتصورات غير خاضعة للحواس ٠ فنحن جميعا نعلم أن الحس انما يقع على ذات العلة وذات المعلول ، فندرك ببصرنا سقوط القلم على الأرض اذا سـحبت من تحته المنضدة التى وضع عليهـا ، وندرك باللمس حرارة المـاء حين يوضع على النار ، وكذلك ندرك تمدد الفلزات فى جو حار ٠ ففى هـذه الأمثلة نحس بظاهرتين متعاقبتين ولا نحس بصـلة خاصة بينهما ، هـذه الصـلة التى تسمى بالعلية ، ونعنى بهـا تأثير احـدى الظاهرتين فى الأخرى ، وحاجة الظاهرة الأخرى اليهـا لأجل أن توجد ، وهـذه الصلة غير خاضعة للتجربة ٠ وعلى ضوء ذلك فالحس هو البنية الأساسية التى يقوم على قاعدتها التصور البشرى ، ولا يعنى ذلك تجريد الذهن عن الفعالية وابتكار تصـورات جديدة على ضوء التصورات المستوردة من الحس(٨٥) وهـذا ما ذهب اليه الشيعة ٠

اذن فالاحساس عند الشيعة « هو الممون الوحيـد للذهن البشرى بالتصورات والمعانى ، والقوة الذهنية هى القوة العاكسـة للاحساسات المختلفة فى الذهن فنحن حين نحس بالشىء نستطيع أن نتصـوره ــ أى أن نأخذ صورة عنه فى ذهننا ــ وأما المعـانى التى لا يمتد اليهـا الحس فلا يمكن للنفس ابتداعها وابتكارها ذاتيا وبصـورة مسـتقلة »(٨٦) ٠ وعلى هـذا الأساس تتكون المعارف الأولية لدى الطفل نتيجة احساسه

---

(٨٤) محمد باقر الصدر : المصدر السابق ــ ص ٦٢ ٠
(٨٥) المصدر السابق : ص ٦٤ ٠
(٨٦) المصدر السابق : ص ٦١ ٠

بالأمور الخارجية التى تحيط به ، وعن طريق الاحساس تتكون فى ذهنه بعض المفاهيم بمثابة معارف أولية ٠

فأسباب المعرفة عند الشيعة لا تنحصر بالتجربة والمشاهدة فقط ، ولا بالعقل أو النقل ، ولا بالوثائق والآثار ، بل تشمل هـذه جميعا ٠ ولو اختصرت أسباب المعرفة بشيىء واحد للزم أيضا أن تكون أشياء الكون عندنا علما واحدا فقط لا علوما متعددة ، مع أن هناك علوما شتى يبحث كل علم منها بموضوع خاص يميزه عن غيره(٨٧) ٠

هـذا مع العلم بأنه لا غنى للتجـربة فى الطبيعيـات عن العقل ، ولا للعقل فى الرياضيات عن التجربة ، فكثيرا ما يطابق الرياضى بين شكلين هندسيين بل لا غنى عن العقل فى جميع الأسباب ٠ واذا دل هذا على شيىء فانما يدل على وجود صلة بين العقل والمـادة بنحو من الانحاء على ما بينهما من التباين والتباعد ، وبالتـالى ، فان الواقع أعم مما تنـاله التجـربة الحسية والتفكير العقلى ، ونقل الثقات ، بل يشملها جميعا(٨٨) ٠ ولهـذا « لا يقف الشيعة كثيرا عند نقد الحواس كمصـدر لافادة العلم ٠٠ ففى حوار هشام بن الحكم من متكلمى الشيعة مع عمرو بن عبيد المعتزلى حول الامامة يشبه هشام الامام بالنسبة للرعية كالقلب بالنسبة للجوارح ٠٠ والمتحاوران يقصدان بالقلب هنا العقل ٠٠ »(٨٩) ٠

ومن هنا يظهر لنا أن المعرفة الحسـية ما هى الا مرتبة من التفكير لدى الشيعة ، حيث يتوصل الانسان من حين ولادته بالمدركات الحسـية الى المعارف العقلية ، وذلك عن طريق استـعمال الحواس ، وتدرجه فى احساسه للأمور الجزئية الى ادراك الأمور الكلية عن طريق تجريد العقل للجزئيات المدركة بالحس ، ليتوصل الى استنتاج المعانى الكلية ، وبالتالى تؤدى عملية التجريد هـذه الى تنمية العقل الانسانى التى تدعو اليـه التربيـة العقلية ٠ بالاضافة الى ذلك ، فقد اعتبر الشيعة أن الحواس

---

(٨٧) محمد جواد مغنية : **معـالم الفلسـفة الاسـلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٠ ص ٨٣ ـ ٨٤ ٠

(٨٨) المصدر السابق : ص ٨٤ ٠

(٨٩) أحمد محمود صبحى : **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص١٤٤

لا بد من صحتها ، لأنها أصل الاعتقادات ، التى تتفرع عنهـا الأحـكام العقلية الكلية ، وصحة الأخيرة متوقفة على صحة المدركات الحسية ٠ وفى ذلك يقول العلامة الحلى : « ٠٠ ثم اذا استكمل العلوم وتفطن بمواضع الجدل أدرك بواسطة العلوم الضرورية العلوم الكسبية ، فقد ظهر من هـذا أن العلوم الكسبية فرع على العلوم الضرورية ، والعلوم الضرورية الكلية فرع على المحسوسات الجزئية ، فالمحسوسات اذن أصل الاعتقادات، ولا يصح الفرع الا بعد صحة أصله »(٩٠) ٠ ومن هنا يأتى دور التربية فى تنمية الحواس ، وعلى هـذا فالتربية عند الشيعة تشمل التربية الحسـية والعقلية معا ٠ اذن « فقيمة المعـرفة تنبع من مقـدار ارتكازها على تلك الأسس ومدى استنباطها منها ، ولذلك كان من الممكن استحصال معارف صحيحة فى كل من الميتافيزيقا والرياضيات والطبيعيات على ضوء تلك الأسس ٠٠٠ وهو أن الحصول على معـارف طبيعيـة بتطبيق الأسس الأولية يتوقف على التجربة التى تهيىء للانسان شروط التطبيق » كما يقول السـيد الصـدر(٩١) ٠

وتنقسم المعارف العقلية عند الشيعة الى طائفتين : احداهما معارف ضرورية أو بديهيـة ٠ والطائفـة الأخـرى معـارف أو معلومات نظـرية أو كسبية(٩٢) ٠

أما المعارف الضرورية : فيراد بها أن النفس تضـطر الى الاذعان بقضية معينة من دون أن تطالب بدليل أو تبرهن على صحتها ، بل تجد من طبيعتها ضرورة الايمان بها ايمانا غنيا عن كل بينة واثبات ٠ كأيمانها ومعرفتها بأن النفى والاثبات لا يصدقان معا فى شيىء واحد ، وأن الكل أكبر من الجزء ، والواحد نصف الاثنين(٩٣) ٠ ولهـذا فالعلم الضرورى أو البديهى « لا يحتاج الى نظر وفكر »(٩٤) ٠

---

(٩٠) محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٨٤ ٠

(٩١) محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥١ ٠

(٩٢) العلامة الحلى : **كشف المراد** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٨ ٠

(٩٣) محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ ٠

(٩٤) السيد محمد الحسينى الشيرازى : **شرح منظومة السبزوارى** ـ قم ـ ايران مطبعة مهر ـ بدون تاريخ ـ ص ١٦ ٠

وما دامت القضايا البديهية لا تحتاج الى دليل واستعمال الفكر . فالناس اذن ، والحال هـذه ، فى ادراكها سواء ، لا فرق فيها بين العـالم والجاهل ، كما أنها ليست محلا للجدل والنقاش بين أهل المعرفة ، ولا يبحث عنها فى العلوم كغاية فى حد ذاتها ، بل كوسائل ومقدمات تتألف منهـا الأدلة والأقيسة المنطقية فليس من مسائل العلم فى شيىء البحث فى أن المـاء يغلى اذا وضع اناؤه على النار ، وأن الشمس تشرق عند الصباح ٠٠ وانما يبحث العلم : لمـاذا سقط الحجر على الأرض ؟ وما هو السبب لارتفاع الشمس ٠٠ وكم تبلغ درجة الحرارة فى المـاء اذا غلى(٩٥) ٠ وعلى هذا يستطيع الانسان أن يدرك بواسطة وجدانه الفطرى ومن دون حاجة الى معلم أو مربى ، أن كل معلول يحتاج الى علة ، ولا يوجد أثر بلا مؤثر ٠٠ ان الوجدان الفطرى الذى يربط بين الأثر والمؤثر أمر طبيعى الى درجة أن الطفل بمجرد أن يصبح قادرا على التكلم يسـأل أمه باسـتمرار عن علل الحوادث المختلفة ، هـذه الأسئلة ليست ذات صلة بالتفكير ولا ناجمة من المحاسـبة العقليـة ٠ يقول الشريف الرضى عند شرحه لبعض روايات الفطرة : « وهذا يدلك على أن فطرة ابن آدم ملهمة معلمة من الله بأن الأثر دال دلالة بديهية على مؤثره بغير ارتياب »(٩٦) ٠

وعلى هـذا فان الأنبياء والمربين يسـلكون بالنسبة الى المعـرفة الضرورية أو ما يطلق عليها بالفطرية ، دور المذكر لا المعلم ، حيث يقومون بازاحة أستار الغفلة عن الضمير الباطنى والفطرة الانسانية ٠ فالأنبيـاء جاءوا ليوصلوا المعرفة الفطرية الاجمالية الى مرحلة الايمان الاسـتدلالى العقلى التفصيلى عن طريق الارشاد الى التفكير والتدبر فى الآيات(٩٧) ٠ ومن هنا فان أهم واجبات الأنبياء هو ايقاظ الجوانب الفطرية عند الانسان٠ يقـول الامام على : « ٠٠ فبعث فيهم رسـله ، وواتر اليهم أنبيـاءه ، ليستأدوهم ميثـاق فطرته ، ويذكروهم منسى نعمته ، ويحتجوا عليهم

---

(٩٥) محمد جواد مغنية : **معالم الفلسفة** ــ مرجع سابق ــ ص ٨٢ ٠
(٩٦) محمد تقى فلسفى : **الطفل بين الوراثة والتربيـة** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ٣٠٦ ٠
(٩٧) المصدر السابق : ص ٣٠٣ ٠

بالتبليغ ، ويثيروا لهم دفائن العقول ۰۰۰ »(۹۸) ويعلق البحرانى على ذلك بقوله : « فانه لما كانت جواهر العقول ونتائج الأفكار ، موجودة فى النفوس بالقوة ، أشبهت الدفائن فحسن استعارة لفظ الدفينة لها ، ولما كانت الأنبياء هم الأصل فى استخراج تلك الجواهر لاعداد النفوس لاظهارها حسن اضافة اثارتها اليهم ليرشدوهم الى تحصيل مقدمات تلك الأدلة والبراهين »(۹۹) ۰ ومن هذا النص يظهر أن الشيعة يعتبرون الأمور الفطرية فى الانسان كمقدمات للأدلة والبراهين العقلية ، وعلى هذا فمهمة التربية عندهم اظهار هذه الأمور لتحصيل هذه الأدلة عن طريقها ۰

ان أولى الأمور الفطرية الضرورية عند الانسان فى نظر الاسلام ، معرفة اللـه سبحانه ، وهى من أوضح البديهيات فى الفطرة الانسانية ، وهذا هو الأساس الرصين للفطرة ، ويظهر ذلك فى الميل الغريزى للتدين ومعرفة اللـه جل وعلا ، ولهذا سئل الامام محمد الباقر : ما الحنيفية ؟ قال : « هى الفطرة التى فطر الناس عليها ۰۰ فطرهم على معرفته »(۱۰۰)۰ وفى ذلك يقول الامام الحسين بن على : « كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل اليك »(۱۰۱) ۰

أما المعارف أو العلوم الكسبية : فيراد منها ، مجموعة من القضايا لا تؤمن النفس بصحتها الا على ضوء معارف ومعلومات سابقة ، فيتوقف صدور الحكم منها فى تلك القضايا على عملية تفكير واستنباط للحقيقة من حقائق أسبق وأوضح(۱۰۲ أى أن المارف الكسبية متفرعة على المعارف الضرورية ، والتى تكون بدورها متفرعة على المعارف الحسية(۱۰۳ ۰

---

(۹۸) البحرانى : **شرح نهج البلاغة** ـ مرجع سابق ـ جـ ۱ ـ ص ۱۹۸ ۰

(۹۹) المصدر السابق : ص ۲۰۲ ۰

(۱۰۰) محمد تقى فلسفى : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ جـ ۱ ـ ص ۳۰۱ ـ ۳۰۲ ۰

(۱۰۱) عبد الله شبر : **حق اليقين** ـ مرجع سابق ـ جـ۱ ـ ص۱۷ ـ ۱۸۰

(۱۰۲ محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ ۰

ولهذا احتاجت الى اعمال فكر وروية ، مثل العالم حادث ، والتسلسل ممتنع ، والحركة سبب الحرارة(١٠٤) · « فان هـذه القضايا حين تعرض على النفس لا تحصل على حكم فى شـأنها الا بعد مراجعـة للمعلومات الأخرى · ولأجل ذلك فالمعارف النظرية مستندة الى المعـارف الأوليـة الضرورية ، فلو سلبت تلك المعارف الأولية من الذهن البشرى ، لم يستطع التوصل الى معرفة نظرية مطلقا ·· وعلى ذلك الأساس تقـوم البنيـات الفوقية للفكر الانسانى التى تسمى بالمعلومات الثانوية »(١٠٥) · اذ أن « النظرية لا بد أن ينتهى دليلها الى البديهية والوجدان »(١٠٦) ·

والعملية التى تستنبط بهـا معـرفة نظرية من معـارف ضرورية بديهية سابقة ، هى العملية التى يطلق عليها اسم الفكر والتفكير · فالتفكير جهد يبذله العقل فى سـبيل اكتسـاب معـارف وعلوم جديدة من معارف سابقة موجودة ومرتكزة فى الذهن · ولهـذا تعتبر المعارف الضرورية العلل الأولى للمعرفة الانسانية(١٠٧) · ومثال ذلك قولنا : العالم متغير ، وهـذه قضية ضرورية ، لأنها خاضعة لحكم الحواس فتغير العالم من ليل الى نهار ومن حر الى برد ، من الأمور المعلومة بالحس وقولنا كل متغير حادث ، فهى قضية بديهية أيضا · فاذا أردنا أن نكتسب علمـا جديدا ، فلا بد من اعمـال الفكر ، وذلك عن طريق القيـاس المؤلف من القضـيتين المتقدمتين ، فيقال : العالم متغير ، وكل متغير حادث · فتكون النتيجة ، العالم حادث · حيث توصل العقل من قضيتين بديهيتين الى قضية كسبية نظرية ، ولهـذا تعتبر المعارف الضرورية سببا وعلة للمعارف النظرية ·

---

(١٠٣) محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ٨٤ ·

(١٠٤) السـيد محمد الحسـينى الشـيرازى : **شرح منظـومة السبزوارى** ــ مرجع سابق ص ١٦ ·

(١٠٥) محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ــ مرجع سابق ــ ص ٦٨ ·

(١٠٦) محمد جواد مغنية : **معـالم الفلسـفة** ــ مرجع سـابق ــ ص ٨١ ·

(١٠٧) محمـد باقر الصـدر : **فلسـفتنا** ــ مرجع سـابق ــ ص · ص ٦٨ ــ ٦٩ ·

ان نظرة الشيعة الى المعرفة الانسـانية وتقسـيمها الى ضرورية ونظرية كسبية ، تؤدى الى القول بأن نقل هـذه المعرفة الى الناشـئة لا يكون الا عن طريق التعليم ٠ كما تؤدى نظرتهم الشاملة الى مصـادر المعرفة ، الى القول بأن التربية عند الشـيعة تتجه اتجاهين رئيسيين : أحدهما تجريبى ، وهو الذى نهض بالدراسات الواقعية ، ولهـذا اشترط الشيعة فى المجالات التجريبيـة ، على مدى دقة المبـادىء الضرورية على مجموعة التجارب التى أمكن الحصول عليها ٠ ولهـذا فلا يمكن اعطـاء نظرية علمية بشكل قاطع الا اذا استوعبت التجربة كل امكانيات المسألة ، وبلغت الى درجة من السعة والدقة بحيث أمكن تطبيق المبادىء الضرورية عليها واقامة اسـتنتاج علمى موحد على أسـاس ذلك التطبيق(١٠٨) ٠ والآخر نظرى وهو الذى سـاعد على فحص وتمحيص العلوم العقليـة ٠ ولهـذا ترتكز النظرية على تطبيق المبادىء الضرورية فى كل المجالات غير التجريبية ، ويجب على العقل أن يقوم بمحاولة تطبيق مبادئه الضرورية على هـذه المجالات كأثبات العلة الأولى للعالم مثلا ، فما دامت المسألة ليست تجريبية فالتطبيق يحصل بعمليـة تفكير واسـتنباط عقلى بحت بصـورة مستقلة عن التجربة(١٠٩) ٠

أما المصدر الثالث للمعرفة عند الشيعة ، فهو الشرع وما جاء بـه الوحى ، أى أن المعـارف الحاصـلة من جهـة الشرع ، كالعلم بالحـلال والحرام ، والواجب والمسنون ، والمكروه ، وسائر أحكام الفقـه ، يجب تعلمها وتعليمها ٠ وهـذه الأحكام تؤخذ عادة من مصادر ، دل على وجوب الأخذ بها الشرع أو العقل ، كما هو مفصل فى كتب الفقه وأصوله ٠ من هـذه المصـادر ، القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وآحاديث أهـل البيت وهم أئمة الشيعة ـ والسـيرة القطعيـة ، وبناء العقلاء ، وحكم العقل ، والاجماع الكاشف عن رأى المعصوم ، والاستصحاب ، والاحتياط ، وغير ذلك من المصادر التى يرجع اليهـا فى معـرفة الأحكام الشرعية(١١٠) ٠

---

(١٠٨) المصدر السابق : ص ١٥٢ ٠

(١٠٩) المصدر السابق : ص ١٥٣ ٠

(١١٠) محمد تقى الحكيم : **الأصول العامة للفقه المقارن** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٩٥ ـ ٥٩٧ ٠

ولما كان المكلف ملزما بالعمل بهـــذه الأحكام وجب عليــه تعلمهــا اما أجتهادا ، أو بالرجوع الى المجتهد وتعلمه منه ٠ « لأن المسلم مكلف بالعمل بجميع الأحكام المنزلة فى الشريعة كما أنزلت »(١١١) ٠ ولهـذا جاء عن الامام على بن موسى الرضا : « ٠٠ ان اللــه عز وجل لم يقبض نبيه (ص) حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فى تبيان كل شيىء ، وبين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج اليه النــاس وما ترك لهم شيئا يحتاج اليه الأمة الا بينه ، فمن زعم أن اللــه عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب اللــه ومن رد كتاب اللــه فهو كافر به »(١١٢) ٠

ومجمل القول : ان الشيعة جعلوا المدارك الحسية هى الأســاس لجميع المعارف وأصل لها ، وذلك لأن المعرفة العقلية الحاصلة لدى الانسان عن طريق البراهين والأقيسة الاستدلالية ترجع اليهــا ، كما أن المعــارف العقلية الضرورية ، هى أســاس للمعرفة الكسبية ، ومتوقفــة عليهــا ٠ بالاضافة الى المعرفة الحاصــلة عن طريق الشرع ٠ ومن هنــا فان مهمة التربية هى التعامل مع هــذه المصادر لأيصــال المعرفة الى الانسان ٠ « واذا كان هناك طريقان للتعلم ، تعلم يبدأ بالمحسوسات حتى يصل الى حصول المعقولات فى عقولنا ٠ وتعلم يعتمد على القول بأنه موهبــة الهية لا تتيسر الا للسعداء ٠٠ »(١١٣ ٠ فان الشيعة يقولون بالطريق الأول طبقا لمذهبهم فى تدرج المعرفة الانسانية فى المحسوسات حتى المعقولات ، وهذا هو التطور الطبيعى للمعرفة ، كما أنهم آمنوا بالمعارف الفطرية البديهية ، وأنها موهبة الهية ، يشترك فيها جميع البشر على السواء ، كما مر ٠

رابعا ـ « النزعة العقلية فى الفكر التربوى عند الشيعة » :

لعل أولى الجوانب التى تؤكد النزعة العقلية فى الفكر العربى عامة والفكر التربوى خاصة ، تلك المكانة الرفيعة التى يحتلها « العقــل » فى

---

(١١١) محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٥ ٠
(١١٢) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٨٤ ٠
(١١٣) ســعيد اسماعيــل على : **النزعة العقلية فى الفكر التربوى العربى** ـ الثقافة العربية ـ تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقــافة والعلوم ـ العدد الخامس ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ ـ ص ٣٩ ٠

مصادر هـذا الفكر الرئيسية ، وما حظى به العلم والعلماء من آيات التقدير ومظاهر الثقة والتبجيل ، ولهـذا جاءت الآيات القرآنيـة تارة تدعـو الى التصديق والطاعة والانقياد ، وجاءت تارة أخرى مصحـوبة بالدعـوة الى التفكر والتعقل والاشادة بالتدبر ، وتقدير العلم والعلماء ، وتقريع الجهال والغافلين ، والسخرية ممن لا يفكر(١١٤) ٠

ومن المعطيات الثورية للحرية الفكرية فى الاسـلام ، الحرب التى شنها على التقليد وجمود الفكر ، والاستسلام العقلى للاسـاطير أو لآراء الآخرين دون وعى وتمحيص ، والهدف الذى يرمى اليه الاسلام من ذلك ، تكوين العقل الاستدلالى أو البرهانى عند الانسان ، فلا بد فى رأى الاسلام لانشاء الفكر الحر أن ينشىء فى الانسان العقل الاستدلالى الذى لا يقبـل فكرة دون بحث ولا يؤمن بعقيـدة ما لم تحصل على برهان ، ليكون هـذا العقل الواعى ضمانا للحرية الفكرية وعاصما للانسان من التفريط بهـا ، بدافع من التقليد أو التعصب أو الركون الى الخرافة وفى الواقع أن هـذا جزء من معركة الاسلام لتحرير المحتوى الداخلى للانسان ٠ فهو كما حـرر الارادة الانسانية من عبودية الشهوات ، كذلك حرر الوعى الانسـانى من عبودية التقليـد ، وبهـذا وذاك أصبح الانسان حـرا فى تفـكيره وحـرا فى ارادته(١١٥) ٠

فالعقل البشرى من الطاقات التى أنعم الله بها على الانسان ، ولهذا استطاع أن يستخدم عقله على نطاق واسع ، فاكتشف أشياء كثيرة استخدمها استخداما واسعا فى المجتمع البشرى ، ولكن تربيته لم تكن متكاملة ٠ ولم يكن له رصيد روحى يوجه هـذه الطاقة وتلك الاكتشـافات الى الخـير ، ولمـا كان الاسلام يهدف الى اسعاد الانسان والى اقامة الحياة فى الأرض على أساس من الحق والعدل والخير ، فقد عمل على اصلاح القلب البشرى ووجه الطاقة العقلية الى التأمل فى حكمة الله سبحانه(١١٦) ٠

---

(١١٤) المصـدر السـابق : ص ٣٢ ـ ٣٣ ٠

(١١٥) محمـد باقر الصدر : **المدرسة الاسلامية** ـ ط ٣ ـ بيروت ـ دار الزهراء للطباعة والنشر ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ـ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ٠

(١١٦) على القاضى : **أضواء على التربية فى الاسلام** ـ القـاهرة ـ دار الطباعة الحديثة ـ ١٩٧٩ ـ ص ٣٣ ٠

والاسلام باعتباره آخر اطروحة سماوية جاءت لخير الانسان ، فهو لذلك يقدر الطاقة العقلية ويديرها ليستخدمها المسلم فى صلاح الناس ، وقد وضع لذلك المنهج الصحيح للنظر العقلى ، فطلب تدبر نواميس الكون ، وتأمل ما فيها من دقة وارتباط ، ولذلك فقد نعى على الانسان التقليد المطلق الذى لا يستخدم العقل ، والاسلام يوجه العقل البشرى الى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية فى المجتمعات ويستخدم طاقاتها الواعية فى تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها(١١٧).

ان التربية العقلية غاية فى حد ذاتها ، ووسيلة لادراك كل شىء ، وتعليله عن طريق التدريب الصحيح على التفكير ، ولذلك كان الاهتمام بالدراسات الأساسية للفلسفة ٠٠ ذات صلة بالنواحى العقلية والمنطقية والانسانية(١١٨) ٠ ولهذا فان الوسيلة المباشرة الى تحسن طرقنا فى التدريب والتعليم تحسنا مطردا ، هى تركيز انتباهنا فى الأمور التى تستلزم التفكير وتنميه وتمتحنه ، فالتفكير هو طريقة التعليم الرشيدة ، أو طريقة التعلم التى تستلزم العقل وتكافئه ، والتفكير هو طريقة الخبرة الرشيدة فى مسلكها الذى تسلكه(١١٩) ٠

فالعقل ينمو على أثر التوجيهات الصحيحة ، ويظهر كماله الباطنى بصورة تدريجية ، ولهذا فالاسلام يعتبر التفكير واستخدام العقل والتدبر فى عوالم الطبيعة أعظم العبادات ٠ وقد وردت بهذا المعنى روايات وآيات كثيرة ٠ وكان الامام على (ع) يوصى ولده الحسن فيقول : « ٠٠ يا بنى لا فقر أشد من الجهل ، ولا عدم أشد من عدم العقل ٠٠٠ ولا عبادة كالتفكر فى صنعة الله عز وجل ، يابنى العقل خليل المرء ٠٠ انه لا بد للعاقل من أن ينظر فى شأنه ٠٠٠ »(١٢٠) وقال أيضا : « لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل

---

(١١٧) المصدر السابق : ص ٧٤ ٠

(١١٨) منير المرسى سرحان : **فى اجتماعيات التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٨ ٠

(١١٩) سعيد اسماعيل على : **العلاقة بين الفلسفة والتربية** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٤ ٠

(١٢٠) محمد تقى فلسفى : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٤ ٠ وأيضا محمد باقر المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٨ ٠

ولا ميراث كالأدب ٠٠ »(١٢١) ٠ وقـــوله : « لا عـلم كالتفـكر ولا شرف كالعـــلم »(١٢٢) ٠

واذا كان التفكير يلعب الدور الأكبر فى الحياة الاجتماعية ، واذا كان نوعه يتحدد بنوع هـذه الحياة ، وبالاطار الفلسفى الذى يوجهها فى هـذه الناحية ، فانـــه يوفر للتربية منـــاخا صحيـــا ملائما لهـــا للنمـــو السليم(١٢٣) ٠ ومن هنا نجـد أن أئمة الشيعة وشيوخهم رفعوا من شأن العقل وقـد سـوه ، قال الامـام على : « العقل ولادة ، والعـلم افـادة ، ومجالسة العلماء زيادة » ٠ وقال : « من صحب جاهلا نقص عقله »(١٢٤) ٠ وجاء عن الامام الصادق قوله : « كثرة النظر فى العلم يفتح العقل »(١٢٥)٠ وقوله : « أفضل طبائع العقل العبادة ، وأوثق الحديث له العلم ، وأجزل حظوظه الحكمة ، وأفضل ذخائره الحسنات »(١٢٦) ٠ وجاء عنه أيضـــا : « دعامة الانسان العقل ، ومن العقل الفطنة والفهم ، والحفظ ، والعلم ، فاذا كان تأييـد عقله من نور كان عالمـــا حافظا ذكيا فطنا فهما ، وبالعقـــل يكمل ، وهو دليله ومبصرة ومفتـــاح أمره ٠٠ »(١٢٧) ٠ « ٠٠٠٠ ودليـــل العقل شيئان : صـــدق القول وصواب الفعل ، والعاقل لا يتحـدث بمـــا ينكره العقل ، ولا يتعرض للتهمة ٠٠٠ ويكون العـــلم دليله فى أعمـــاله ، والحلم رفيقة فى أحواله ، والمعـــرفة تعينه فى مذاهبـــه ، والهـــوى عـــدو العقـــل(١٢٨) ٠ وقوله أيضا : « لم يقســـم بين العبـــاد أقـــل من خمس : اليقين ، والقنـــوع ، والصـــبر ، والشـــكر ، والـــذى يكمـــل به هـــذا

---

(١٢١) محمد باقر المجلسى : **بحار الأنوار** ـ المصـــدر الســـابق ـ ص ٩٥ ٠

(١٢٢) المصـــدر الســـابق : ص ١٧٩ ٠

(١٢٣) سعيد اسماعيل على : **العلاقة بين الفلسفة والتربية** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٤ ٠

(١٢٤) محمـد باقـر المجلسى : **بحـــار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٦٠ ٠

(١٢٥) المصـــدر السابق : ص ١٥٩ ٠

(١٢٦) المصـــدر الســـابق : ص ١٣١ ٠

(١٢٧) المصـــدر الســـابق : ص ٩٠ ٠

(١٢٨) عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق فى حديث واحـد** ـ النجف الأشرف ـ العراق ـ مطبعة النعمان ـ ١٩٧٦ ـ جـ ١ ـ ص ١٢٤ ٠

كله العقـل »(١٢٩) ٠

وتتجلى النزعة العقلية فى الفكر التربوى عند الشيعة فى قول الامام موسى بن جعفر لتلميذه هشام بن الحكم : « ٠٠٠ يا هشام ان الله تبـارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم فى كتابه ٠٠٠ يا هشام ٠٠ ان اللـه جـل وعز أكمل للناس الحجج بالعقول ، وأفضى اليهم بالبيان ، ودلهم على ربوبيته بالأدلة ٠٠٠٠ يا هشام قـد جعل الله جل وعز دليلا على معرفته بأن لهم مدبرا ٠٠ ثم وعظ أهل العقل ، ورغبهم فى الآخرة ٠٠٠ ثم بين أن العقـل مع العلم ٠٠٠ ثم ذم الذين لا يعقلون ٠٠٠ ثم ذكر أولى الألباب بأحسن الذكر ، وحلاهم بأحسن الحلية يا هشام ان الزرع ينبت فى السهل ولا ينبت فى الصفا ، فكذلك الحكمة تعمر فى قلب المتواضع ولا تعمر فى قلب المتكبر الجبار ، لأن اللـه جعل التواضـع آلـة العقل ، وجعـل التكبر من آلـة الجهـــل ٠٠ »(١٣٠) ٠

وتظهر هـذه النزعة واضحة فى قول هشام بن الحكم أحـد شيوخ الشيعة ، فى منتصف القرن الثانى للهجرة ، وذلك بعـد عرضـه للآيات التى تدل على التفكر والتعقل فى كل شىء : « ٠٠٠ وهـذه الآيات دالـة على الأمر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر ، فهـذا مما يستعان به على تحصيل المعرفة فيثمر لك المحبة والعمل بالطاعات ، وان أكثر الناس انما قصرت أفهامهم عنه لاعراضـهم عن التدبر والنظر واشتغالهم بشـهوات الدنيا ، فالتدبر والنظر فى ملكوت الله تعالى هو حقيقة الايمان ، اذ ما من ذرة من أعلى السموات الى تخوم الأرض الا وفيها عجائب دالة على قـدرة الله وحكمته وجلاله وعظمته ٠٠٠ »(١٣١) ٠

وهكذا يحتل العقل فى التربية الاسلامية عند الشيعة مكانة كبرى ، حتى جعلوه أساسا فى معرفة الأحكام الشرعية لا دليل عليها من قبل الشرع ،

---

(١٢٩) المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٨٧ ٠

(١٣٠) الحـرانى : **تحف العقـول** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٢٨٦ الى ص ٢٩٩ ٠

(١٣١) ورام : **تنبيـه الخواطر ونزهـة النواظر** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٠٧ ٠

وقـد حث أئمة الشيعة شيعتهم على التفقه والتفكر ٠ قـال الامـام على لسائل سأله عن معضلة : « سل تفقها ، ولا تسأل تعنتا ، فان الجـاهل المتعلم شبيه بالعالم وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل »(١٣٢) ٠

ومما قدمناه فان الشيعة يعدون من أوائل المعبرين عن النزعة العقلية فى التفكير الاسلامى ، فان « مسألة الدراسة العقلية ٠٠ قـد كانت فى طليعة المسائل التى اشتغل بها الشيعة الاماميون ، ومن أفواه الشيعة الاماميين تلى آساطين الفلسفة الاسلامية كلامهم فى العقل والنفس ٠٠٠ »(١٣٣) ٠ « فالدراسات المنطقية وسائر الدراسات العقلية كانت من شواغل الشيعة الاماميين »(١٣٤) ٠ ولهـذا كان لهم الفضل فى البحوث العقلية والفلسفية والكلامية ، حتى كانوا أبرز من اشتغل بها من المسلمين فى عهـد مبكر من الاسلام ٠ وقـد نشأت هـذه الدراسات العقلية فى دائرة التشيع(١٣٥) ٠

خامسا ـ « تكافؤ الفرص فى التعليم » :

ويقصد بهـذا المبـدأ « اتاحة الفرصـة لكل فرد ليضطلع بدوره فى المجتمع ، ويختار نوع العمل أو المجال الذى يزاوله فيـه بقـدر ما تؤهله قدراته وخبراته ٠ وبذلك يكون هـذا المبـدأ بمثابة تنظيم اجتماعى يهدف للافادة من جميع أفراد المجتمع ومساهمتهم فى بناء الوطن وسعادته»(١٣٦).

ويعتبر هـذا المبـدأ من أهم المبادىء فى التربية الاسلامية ، حيث ان التربية فى الاسلام تأثرت تأثرا كبيرا بمبدأ الحرية والمساواة وتكافؤ الفرص فى التعليم ، وفسح المجال أمام الراغبين فى التعليم من غير تفرقة بين أفـراد المجتمـع بمختلف طبقـاته ، ما دام التعليم واجبـا دينيـا

---

(١٣٢) المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٢ ٠
(١٣٣) عباس محمـود العقاد : **التفكير فريضة اسلامية** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٤٠ ٠
(١٣٤) المصـدر السـابق : ص ٤٠ ٠
(١٣٥) انظر الفصل السابع من هـذا البحث ٠
(١٣٦) سعيد اسماعيل على : **ديمقراطية التربية الاسلامية** ـ القاهرة دار الثقافة ـ ١٩٧٤ ـ ص ٢٤ ٠

على الجميع(١٣٧) ·

ويتضح هـذا المبـدأ لدى الشيعة ضمن موقفهم من العلم والعلماء ، حيث اعتبروا العلم حقا لكل فرد من أفراد المجتمع ، لا فرق فيه بين المتعلمين ، ولهـذا كان من واجب رئيس الدولة أن يهيىء الفرص الكافية لجميع أفراد المجتمع على اختـلاف معتقـداتهم وأديانهم ما داموا متصـفين بالمواطنة الاسلامية · وقـد أشار أئمة الشيعة لهـذا المعنى · فقـد جاء فى رسالة الحقوق للامام على بن الحسين فى النصف الثانى من القرن الأول للهجرة : « وأما حق رعيتك بالعلم ، فان تعلم أن الله قـد جعلك لهم قيما أتاك من العلم وولاك من خزانة الحكمة ··· فان أحسنت فى تعـليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله ، وان كنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقا على الله عـز وجل أن يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محـلك »(١٣٨) · وهـذا المعنى للسلطان أو الحاكم لا ينطبق الا على مفهوم الشيعة للحكومة الاسـلامية ، حيث اعتبروا أن الحكومة بعـد الأئمـة المعصومين ، هى من حـق العلمـاء المجتهدين الجامعين لشرطى العدالة والاجتهـاد · ولهـذا ورد عن أئمـة الشيعة أنهم لا يحبون أن يروا الشـباب الا غـاديا فى حالين امـا عالمـا أو متعلما ، والا كان مفرطا يستحق الاثم(١٣٩) · وهـذا غاية ما يمكن أن يكون فى تهيئة الفرص للجميع · وقـد ورد عن الامام محمد الباقر قوله : « تعلموا العلم من حملة العلم ، وعلموه اخوانكم كما علمكم العلماء»(١٤٠). وبهـذا جاء عن الكلينى أن كل انسان صحيح الخلقـة كامل الالة يجب أن يكون له مؤدب ودليـل وأدب وتعليم ، لأن الجهـالة غير جائزة ، ولهـذا فالتعليم يكون عاما للجميع(١٤١) · بالاضافة الى أن موقف أئمة الشيعة وشيوخهم من العـلم وحثهم على التعليم يوجب عليهم باعتبارهم يمثلون

---

(١٣٧) محمـد عطية الابراشى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ص ٢٦ ـ ٢٧ ·

(١٣٨) الحرانى : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٨ · وأيضا الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٥٦٧ ·

(١٣٩) المجلسى : **بحارالأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٧٠ ·

(١٤٠) المصـدر السـابق : ص ١٧٤ ·

(١٤١) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥ ، ٦ ·

السلطة الشرعية فى نظر الشيعة ، أن يهيئوا الفرص الكافية لتعليم الناس • قال الامام الصادق : « أغد عالما أو متعلما أو أحب أهل العلم ، ولا تكن رابعا فتهلك ببغضهم »(١٤٢) • ولهذا أرادوا للناس جميعا ان يتعلموا •

وقد مارس الشيعة هذا المبدأ عمليا ، حيث قاموا بالعملية التعليمية فى كل مكان ، ولجميع الأفراد ، وأتاحوا الفرصة لكافة المتعلمين ، وكانت مجالسهم مسرحا لطلاب العلم على اختلاف طبقاتهم ، وقد ورد بذلك عنهم الحث على طلب العلم ومجالسة أهله ، والاختلاف اليهم ودرس كتبهم ، حتى تخرج من حلقاتهم كثير من العلماء ورواد الفكر ، على اختلاف اتجاهاتهم(١٤٣) • وفى هذا جاء عن الامام موسى بن جعفر فى قوله لتلميذه هشام بن الحكم : « يا هشام تعلم من العلم ما جهلت ، وعلم الجاهل مما علمت ، وعظم العالم لعلمه ، ودع منازعته ، وصغر الجاهل لجهله ولا تطرده ولكن قربه وعلمه »(١٤٤) • وبهذا أرادوا محاربة الجهل ونشر العلم بين جميع الأفراد • وفى ذلك يقول الامام على بن أبى طالب : « لا يستحى الجاهل اذا لم يعلم أن يتعلم »(١٤٥) • وهكذا أتاحوا الفرصة لكافة المتعلمين •

سادسا ـ « التربية الخلقية من منظور الشيعة » :

تعتبر التربية ذات طبيعة خلقية ، ومن ثم فان البحث فى الأخلاق يرتبط ارتباطا قويا بالتربية ، وذلك أنها تمدنا بتصور فيلسوف التربية للانسان المتكامل الذى يراه ويريده ويتصوره للسلوك الذى ينبغى أن يسلكه الناس • كما وترتبط المباحث الأخلاقية ارتباطا وثيقا بعملية التربية ، فنظرة الفيلسوف الى الأخلاق تفسر لنا سلوك الناس وتعاملهم كما ينبغى أن يكون فى نظره ، وتقسيم عمل الانسان الى خير وشر أو فضيلة ورذيلة ، يستلزم ايضاح الوسيلة المتبعة فى تربية الانسان لكى يعمل

---

(١٤٢) المصدر السابق : ص ٤١ •

(١٤٣) انظر مراكز العلم عند الشيعة من الفصل الخامس من هذا البحث •

(١٤٤) المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٤٩ •

(١٤٥) المصدر السابق : ص ١٧٦ •

الفضيلة ويتجنب الرذيلة · ومن هنا لا بد أن نفهم كف تعمل الحقائق الأخلاقية ، لأن هذه الحقائق تساعدنا على فهم الحياة الخلقية والعمل الخلقى ، وفى تصور سقراط تساعد على « اختيار » الحياة(١٤٦) ، التى ينبغى للانسان أن يسلكها · وعلى هذا فان الفلسفة الخلقية لا يمكن أن تكون مجرد نظر عقلى يستهدف تعريف الفضيلة أو تحديد ماهية الخير ، بل ينبغى أن تتخذ طابع الفلسفة العملية التى تقوم بمهمة العمل على ايقاظ الشعور بالقيم لدى الناس والمساهمة فى تربية الانسان بوجه عام (١٤٧) · ولهذا قال الامام على بن أبى طالب : « السعيد من وعظ بغيره ما اتعظ ، روضوا أنفسكم على الأخلاق الحسنة ، فان العبد المسلم يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم »(١٤٨) ·

« والأخلاق هى دراسة القيم فى مجال السلوك البشرى ·· »(١٤٩)· ولهذا « ··· تتكون من خلال الممارسة والانخراط فى مواقف الحياة حيث يكون التعامل مع الأفراد والجماعات ، وحيث يكون اكتساب القيم والاتجاهات والعادات ذات الأثر الايجابى البناء ، كالتعاون والتساند الاجتماعى وحب الخير وكره الشر »(١٥٠) · وكان أئمة الشيعة يدعون شيعتهم الى ممارسة الأعمال الخلقية وتطبيقها فى سلوكياتهم · قال الامام الصادق : « كونوا دعاة للناس الى الخير بغير ألسنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع »(١٥١) ·

وكما يسعى الانسان فى سبيل احياء مواهبه الفكرية ، وادراك الحقائق العلمية ، ويحرز تقدما جديدا فى كل يوم ، كذلك عليه أن يسعى

---

(١٤٦) James H. Tujts **'Ethics'' in Tewenteeth century Philosophy.** (Dagobert and Drunes (ed.); New York : Philosophy-Library, Inc. 1243 - P. 11.

(١٤٧) زكريا ابراهيم : **المشكلة الخلقية** ــ ط ٣ ــ القاهرة ــ دار مصر للطباعة ــ ١٩٨٠ ــ ص ٥٩ ·

(١٤٨) الصدوق : **الخصال** ــ مرجع سابق ــ ج ٢ ــ ص ٦٢١ ·

(١٤٩) جورج ــ ف ـنيلر : **مقدمة الى فلسفة التربية** ــ ترجمة نظمى لوقا ــ القاهرة ــ الأنجلو المصرية ــ ١٩٧٧ ــ ص ٣٦ ·

(١٥٠) منير المرسى سرحان : **فى اجتماعيات التربية** ــ مرجع سابق ــ ص ٢٨ ·

(١٥١) ورام : **تنبيه الخواطر** ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ١١ ·

فى سبيل تزكية نفسه وتطهيرها بالفضائل الأخلاقية ، وبغض النظر عن الجانب الدينى ، فان الفضائل الخلقية والملكات الطاهرة من الضروريات الحيوية لمجتمع سعيد فاضل قال الامام على : « لو كنا لا نرجو جنة ولا نخشى نارا ولا ثوابا ولا عقابا ، لكان ينبغى لنا أن نطالب بمكارم الأخلاق ، فانها تدل على سبيل النجاح » · ولهذا فان شطرا مهما من سعادة المجتمع مرتبط بالفضائل الخلقية ، كما أن شطرا مهما من شقاء المجتمع وفساده له ارتباط وثيق بالانحطاط الخلقى ، يقول الامام على : « رب عزيز أذله خلقه ، وذليل أعزه خلقه »(١٥٢) · ولهذا كان مقياس الخير والشر عند الشيعة العقل بالاضافة الى كشف الشارع عن كثير من القضايا الحسنة والقبيحة التى لا يمكن للعقل ادراكها · ولأجل ذلك قسموا الحسن والقبح أو الخير والشر الى عقلى وشرعى ·

ولم يقف الاسلام عند حد معالجة الأمور الدنيوية ، بل تعداها بعد أن بين واقع المجتمع وعلاقة أبنائه بعضهم ببعض ، الى دنيا الروح ، فأعطاها صورة صحيحة واضحة ، باستطاعة النفس المؤمنة أن تتبينها من خلال عمق ايمانها ، وتقف على حقيقتها من خلال التعاليم الاسلامية الرشيدة ، فأقر بوجود حياة أخرى لا موت فيها ولا فناء ولا مادة ، حياة حقيقية تبقى فيها النفس البشرية ناجية خالدة(١٥٣) · ولهذا تعد التربية الخلقية المثالية أسمى أغراض التربية الاسلامية ، فقد عنى علماء الاسلام كل العناية لبث الأخلاق الكريمة وغرس الفضائل فى نفوس المتعلمين · وفى ذلك يقول الشهيد الثانى : « ومن أهم ما يجب على العلماء مراعاته تصحيح القصد واخلاص النية وتطهير القلب من دنس الأغراض الدنيوية ، وتكميل النفس فى قوتها العلمية وتزكيتها باجتناب الرذائل واقتناء الفضائل الخلقية وقهر القوتين الشهوية والغضبية »(١٥٤) ·

---

(١٥٢) محمد تقى فلسفى : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٧ ·

(١٥٣) عبد الصاحب الحسينى العاملى : **الأخلاق عند الرسول وأصحابه** ـ بيروت ـ مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ـ ١٩٦٩ ـ ص ٧ ·

(١٥٤) الشهيد الثانى : **معالم الدين وملاذ المجتهدين** ـ مرجع سابق ـ ص ١ ·

« أن القيم الروحية اذن ، ليست شكلا فارغا أو اطـارا من الشعائر والأقوال التى تتردد آليا على الألسن ، بل هى قبل كل شىء سلوك عملى فى الحياة ٠ والحريص حقا على القيم الروحية ليس ذلك الذى يردد ألفاظا أو يؤدى طقوسا ، بل هو ذلك الذى يثبت بسلوكه فى الحيـاة أنه يتخـذ لنفسه هدفا رفيعا ، ويضمن من أجل تحقيقه بكل ما يملك »(١٥٥) ٠ وكان أئمة الشيعة يوضحون هـذه المعانى الخلقية ، وأنها لا بد أن تتحول الى سلوك عملى ٠ فقـد جاء عنهم : « وعلى العاقل أن يحاسب نفسه محاسبة الشريك شريكه عن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعلى العاقل أن يحصى على نفسه مساويها ، ويتكلف باصلاحها ٠٠٠ وعلى العاقل أن يتفقـد محاسن الناس ويحفظها على نفسه ، وعلى العـاقل أن لا يصاحب ولا يجاور الا ذا الفضل فى العلم والدين والأخلاق فيأخـذ عنه ، وعلى العاقل أن يجعل من أهـل التقوى حارسـا على أقواله وأفعـاله اذا أخطأ ٠٠ وعلى العاقل أن لا يكون راغبا الا فى احدى ثلاث : تزود لمعـــاد أو لذة فى غير محرم أو مرمة لمعاشر ٠٠٠ وعلى العاقل أن لايستصغر الذنب فمع الاصرار يكون كبيرا ولا يستكثر العمل بالطاعة ، والا فيدخله العجب فيفسد »(١٥٦) ٠ ولهـذا كانت هـذه القيم الأخلاقية تنعكس فى سلوكيات الشيعة وأئمتهم ٠ قيل لعلى بن الحسين : « أنت من أبر الناس ولا نراك تؤاكل أمك ، قال : أخاف أن تســـير يدى الى ما قـد سبقت عينهـا اليـه فأكون قـد عققتهـا(١٥٧) ٠

وقـد اتخذ الشيعة تبعا لمـا اتخذه الاسلام ، للتوفيق بين الدافع الذاتى والقيم ، أو المصالح الاجتماعية : التعهد بتربية أخلاقية خاصة تعنى بتغذية الانسان روحيا ، وتنمية العواطف الانسانية والمشاعر الخلقية فيه ، فان فى طبيعة الانسان طاقات واستعدادات لميول متنوعة ، بعضها ميول مادية تتفتح شهواتها بصورة طبيعية كشهوات الطعام والشراب والجنس ،

---

(١٥٥) فـؤاد زكريا : **آراء نقـدية فى مشكلات الفـكر والثقافة** ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٥ ـ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ ٠

(١٥٦) عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق فى حديث واحـد** ـ مرجـع سـابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤٨ ـ ١٤٩ ٠

(١٥٧) ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٩٧ ٠

وبعضها ميول معنوية تتفتح وتنمو بالتربية والتعاهد ، ولأجل ذلك كان من الطبيعى للانسان اذا ترك لنفسه أن تسيطر عليه الميول المادية ، لأنها تتفتح بصورة طبيعية ، وتظل الميول المعنوية واستعداداتها الكامنة فى النفس مستترة والدين باعتباره يؤمن بقيادة معصومة مسددة من الله ـ حسب رأى الشيعة ـ فهو يوكل أمر تربية الانسانية وتنمية الميول المعنوية فيها الى هذه القيادة وفروعها ، فتنشأ بسبب ذلك مجموعة من العواطف والمشاعر النبيلة ، ويصبح الانسان محبا للقيم الخلقية والمثل التى يربيه الدين على احترامها ويستبسل فى سبيلها ويزيح عن طريقها ما يقف أمامها من مصالحه ومنافعه(١٥٨) . ولهذا يؤمن الشيعة بأن الفهم المعنوى للحياة والتربية الخلقية للنفس فى رسالة الاسلام هما السببان المجتمعان على معالجة السبب الأعمق للمأساة الانسانية ، ولهذا فالشيعة تعبر دائما عن فهم الحياة على أنها تمهيد لحياة أبدية : بالفهم المعنوى للحياة ، كما عبروا أيضا عن المشاعر والأحاسيس ، التى تغذيها التربية الخلقية : بالاحساس الخلقى بالحياة ، فالفهم المعنوى للحياة والاحساس الخلقى بها ، هما الركيزتان اللتان يقوم على أساسهما المقياس الخلقى عند الشيعة ، والذى وضعه الاسلام للانسانية وهو : رضا الله تعالى ، ورضا الله ، هذا الذى يقيمه الاسلام مقياسا عاما فى الحياة ، هو الذى يقود السفينة البشرية الى ساحل الحق والخير والعدل(١٥٩) . وبهذا جاء عن أئمة الشيعة قولهم : « خمس من لم يكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع ، قيل : ما هن يا بن رسول الله ؟ قال : الدين ، والعقل ، والحياء ، وحسن الخلق ، وحسن الأدب ، وخمس من لم يكن فيه لم يتهنأ العيش : الصحة ، والأمن ، والغنى ، والقناعة ، والأنيس الموافق »(١٦٠) و « حسن الأدب اجراء الأمور على قانون الشرع والعقل فى خدمة الحق ومعاملة الخلق »(١٦١) . ولهذا فمراد الشيعة من الغنى هو عدم الحاجة الى الخلق ، وهو غنى النفس

---

(١٥٨) محمد باقر الصدر : **المدرسة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٣ ، ٩٤ .

(١٥٩) المصدر السابق : ص ٩٤ ـ ٩٥ .

(١٦٠) محمد باقر المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨٣ .

(١٦١) المصدر السابق : ص ٨٣ .

فانه الكمال لا غنى المال(١٦٢) ٠ وقد جاء عن الحسن بن على قوله : « أوصيكم بتقوى الله وادامة التفكر ، فان التفكر أبو كل خير وأمه »(١٦٣)٠

وقد اهتم الشيعة بالتربية الأخلاقية اهتماما كبيرا حتى أوصوا المتعلمين بأن يكون المعلم الذى يقوم بمهمة العملية التعليمية متصفا بالكمالات الأخلاقية ٠ يقول العيناثى : « ومن أسعد السعادات أن يتفق لك يا أخى معلم رشيد عارف بحقائق الأمور مؤمن بيوم الحساب ، عالم بأحكام الدين ، بصير بأمور الآخرة ، خبير بأحوال المعاد ، مرشد لك اليها ، ومن أنحس المناحس أن يكون ضد ذلك ٠ وأعلم أن المعلم والأستاذ أب لنفسك وسبب لنشوئها وعلة لحياتها ، كما أن والدك أعطاك صورة جسدانية فمعلمك أعطاك صورة روحانية ، وذلك أن المعلم يغذى نفسك بالعلوم ، ويزينها بالمعارف ويهديها طريق الآخرة التى هى دار البقاء والدوام والخلود فى النعيم ، واللذة والسرور الأبدى والراحة السرمدية ، كما أن أباك كان سببا لجسدك فى الدار الدنيا ،ومرشدك ومربيك الى طلب المعاش ٠٠ فاسأل يا أخى أن يوفق لك معلما رشيدا هاديا سديدا ، فاذا رزقت فاشكر الله على نعمائه ، واعلم يا أخى أن من سعادتك أيضا أن يتفق لك معلم ذكى ، جيد الطبع حسن الخلق ، صافى الذهن ، محب للعلم ، مبغض للرئاسة ، قنوع متوكل غير شره ، ولا مداهن ولا متعصب ، قد أخذ علمه من العلماء الأخيار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام »(١٦٤) ٠

بالاضافة الى ذلك فان « مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مبدأ عظيم يصلح بمفرده دستورا لجميع نواحى الاصلاح »(١٦٥) ٠ ولهذا اهتم الشيعة بهذا المبدأ واعتبروه ركنا أساسيا فى بناء الشخصية المسلمة ٠ « فهذا المبدأأخلاقى عملى لا يتصل بالبحث النظرى ٠٠ »(١٦٦) وفى ذلك

---

(١٦٢) المصدر السابق : ص ٨٣ ٠
(١٦٣) ورام : **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٨ ٠
(١٦٤) السيد محمد العيناثى : **آداب النفس** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ٠
(١٦٥) سعيد لسماعيل على : **فلسفة التربية الاسلامية** ـ دراسات فى فلسفة التربية ـ مرجع سابق ـ ص ١١١ ٠
(١٦٦) المصدر السابق : ص ١٠٦ ٠

يقول الامام الحسين بن على : « فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فريضة منه ، لعلمه بأنها اذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هينها وصعبها ، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر دعاء الى الاسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم وقسمة الفىء والغنائم ٠٠ ثم أنتم أيتها العصابة ، عصابة بالعلم مشهورة وبالخير مذكورة وبالنصيحة معروفة وبالله فى أنفس الناس مهابة ، يهابكم الشريف ويكرمكم الضعيف..»(١٦٧). ويقول حفيده جعفر الصادق : « انما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم ٠٠ »(١٦٨) ٠ وجاء عنه أيضا فى قوله لقوم من أصحابه : « انه قد حق لى أن أخذ البرىء منكم بالسقيم ، وكيف لا يحق لى ذلك وأنتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه ولا تهجروه ولا تؤذونه حتى يتركه »(١٦٩) ٠ ولهذا قال الامام محمد الباقر : « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خلقان من خلق الله عز وجل ، فمن نصرهما أعزه الله ، ومن خذلهما خذله الله عز وجل »(١٧٠) ٠

« ان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وتنتصف من الأعداء ويستقيم الأمر فأنكروا بقلوبكم واتعظوا بألسنتكم كما يقول الامام محمد الباقر »(١٧١) ٠

سابعا ـ « الأسرة ودورها فى تربية الطفل » :

ان مسألة تربية الطفل تشغل مكانة كبرى من المسائل الاجتماعية فى العصر الحديث ، فهى من أهم أركان السعادة البشرية ، لهذا بحث العلماء كثيرا حول مختلف الجوانب النفسية والتربوية للطفل ، وألفوا الكتب العديدة فى هذا المجال ، ولذلك فان الدول العظمى تنشىء المؤسسات

---

(١٦٧) الحرانى : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٨ ٠
(١٦٨) المصدر السابق : ص ٢٦٦ ٠
(١٦٩) ورام : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٢٠ ٠
(١٧٠) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٢ ٠
(١٧١) ورام : **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١١٩ ـ ١٢٠ ٠

والمنظمات لغرض تنشئه الطفل تنشئة سليمة من حيث الروح والجسد ، فيخضعون الأطفال فى سبيل ذلك الى رقابة عملية وتطبيقية مشددة ، وبصورة موجزة فان الطفل يشغل مجالا مهما من مجالات التفكير الحديث ٠

فالطفل هو اللبنة الأولى فى المجتمع ، ان أحسن وضعها بشكل سليم كان البناء العام للمجتمع مستقيما مهما ارتفع وتعاظم ٠ ولهذا يحتاج الطفل الى هندسة وموازنة بين ميوله وطاقاته ، ويفتقر كذلك الى تربة صالحة ينشأ فيها وتصقل مواهبه ، كما يعوزه تنظيف لموارد الثقافة التى يتلقاها ، والحضارة التى يتطبع عليها ، والتربية التى ينشأ عليها ، لأنه عالم قائم بنفسه ،يحمل كل سمات الحياة بصورة مصغرة ، فى صخبها وأمنها ، فى سعادتها وشقائها ، فى ذكائها وبلادتها فى صفائها وحقدها ، فى تفوقها وتأخرها ، فى ايمانها وجحودها ، فى حربها وسلمها ، وهذا ما أشغل العلماء والباحثين فراحوا يعدون البحوث ويلقون المحاضرات ويؤلفون الكتب ويوردون النظريات فى مسألة « تربية الطفل »(١٧٢) ٠

ويظهر من النصوص الواردة عن أئمة الشيعة ، أنهم اهتموا اهتماما كبيرا بالأسرة ودورها فى تربية الطفل ٠ فقد جاء عن الامام على بن الحسين قوله : « ٠٠٠ وأما حق ولدك ، فأن تعلم أنه منك ومضاف اليك فى عاجل الدنيا بخيره وشره ، وأنك مسئول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه عز وجل ، والمعونة على طاعته ، فاعمل فى أمره من يعلم أنه مثاب على الاحسان اليه ، ومعاقب على الاساءة اليه »(١٧٣) ٠ وجاء عنه أيضا : « وحق الصغير رحمته فى تعليمه ، والعفو عنه والستر عليه والرفق به والمعونة له »(١٧٤) ٠

وانطلاقا من هذا أقام الاسلام نظام الأسرة على أسس سليمة تتفق مع ضرورة الحياة وحاجات الناس وسلوكياتهم ٠ ولهذا يسعى الاسلام

---

(١٧٢) فاضل الحسينى : **مقدمة كتاب الطفل بين الوراثة والتربية** لاحمد تقى فلسفى ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥ ـ ٦ ٠

(١٧٣) رضى الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسى **مكارم الأخلاق** ـ ط ٦ ـ بيروت ـ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م ـ ص ٤٢١ ٠ وأيضا الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٥٦٨ ٠

(١٧٤) الطبرسى : المصدر السابق ـ ص ٤٢٣ ٠

دائما الى جعل الأسرة المسلمة قـدوة حسنة وطيبـة تتوفر فيهـا عناصر القيادة الرشيدة فى تربية أبنائها ٠ قال تعالى حكاية عن عباده الصالحين : « والذين يقولون ربنا هب لنـا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنـا للمتقين اماما » وأهم قاعدة من قواعد التربية الاسلامية أن توجد عملياتهـا التربوية القـدوة الحسنة والمثل الأعلى للخير والصلاح(١٧٥) ٠ وفى ذلك يقول الامام جعفر بن محمـد الصـادق : « وتجب للولـد على والـده ثلاث خصال : اختياره لوالدته ، وتحسين اسمه ، والمبالغة فى تأديبه »(١٧٦) ٠

ومن هنا يعتبر الأب هو المسئول الأول عن تربية أبنائه تربية صالحة ليكونوا قرة عين له فى مستقبله ، وكان أئمة الشيعة يعنون عناية كبيرة فى هـذا المجال ، ويولونها المزيد من الاهتمام ، يقول الامام على بن أبى طالب لولده الحسن : « ٠٠٠ وجدتك بعضى ، بل وجدتك كلى ، حتى كأن شيئا لو اصابك أصابنى ، وكأن الموت لو أتاك أتانى ، فعنانى من أمرك ما يعنينى من أمر نفسى ٠٠ »(١٧٧) ٠ فالولد ليس بعضا من الأب ، بل هو نفسه ، يحكى وجوده وكيانه ، فعليه أن يهتم بشـئونه التربوية ، وأن يعنى فى تهذيبه وكمـاله ليكون فخـرا له ٠ وفى ذلك يقـول الامـام على أيضـا : « ٠٠ ورأيت حيث عنانى من أمرك ما يعنى الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل بين ذى النقية والنية وان أبدأك بتعليم كتاب اللـه ٠٠٠ »(١٧٨) ٠

وقـد رسم أئمة الشيعة المناهج التى ينبغى على الوالدين اتباعهـا فى تربيـة الطفـل ، ولهـذا ينبغى عليهما أن يهيـأ الظروف المناسـبة فى محيط الأسرة ٠ وقـد جاءت الروايات عن الأئمة من أهـل البيت تؤكد على المسئولية الكبرى للوالدين فى تربيـة الأطفال وتسـدى لهما النصـائح

---

(١٧٥) باقر شريف القرشى : **النظام التربوى فى الاسلام** ـ بيروت دار التعـارف ـ ١٩٧٩ ـ ص ٨٣ ٠

(١٧٦) الحرانى : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٩ ٠

(١٧٧) باقر شريف القرشى : **النظام التربوى فى الاسلام** ـ مرجـع سابق ـ ص ٨٩ ٠

(١٧٨) المصدر السابق : ص ٨٩ ٠ وأيضا الحرانى : **تحف العقول** مرجع سابق جـ ١ ـ ص ٤٥ ٠

المفيدة فى هـذا المجال • لقد تحـدث أئمـة الشـيعة عن كل خصلة من الخصال الحميدة والملكات الفاضلة فى حث الأباء على تربيـة أبنـائهم وتزويدهم بهـذه الملكات • فقـد جاء عن الامام الصـادق قولـه : قال رسـول اللـه (ص) : « أحبوا الصـبيان وارحموهم ، واذا وعدتموهم فوفوا لهم ، فانهم لا يرون الا أنكم ترزقونهم » وهـذا نوع من تغـذية الطفل بالوفاء بالعهد ، وفى ذلك يقول الامام أبو الحسن على الهـادى : « اذا وعدتم الصبيان فوفوا لهم ، فانهم يرون أنكم ترزقونهم ، ان اللـه عـز وجل ليس يغضب لشىء كغضبه للنسـاء والصبيان »(١٧٩) • وقـال رسول الله (ص) : « من حق الولد على والده ثلاثة : يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذابلغ »(١٨٠) وقوله (ص) أيضـا : « أكرموا أولادكم واحسنوا أدبهم يغفر لكم »(١٨١) •

ان عبء مسئولية الوالدين فى هـذه المرحلة من مراحل نمو الطفل ثقيل ، ولهـذا فالطفل يكتمل بناؤه فى الأعوام الأولى من حياته ، ولا بد من الاعتناء بجميع جوانبه المـادية والمعنوية ، فالوالد مسئول عما وليه من تربيته وحسن أدبه ، فان عمل على اصلاحه وتوجيهه كان مثابا على ذلك ، وان أغفل ذلك فقد أساء الى أبنائه ، والاساءة الى الأبناء توجب العقاب ، كما جاء عن أئمـة الشـيعة(١٨٢) • وقـد ورد عن النبى (ص) أنه قال : « لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم »(١٨٣)•

ولضمان التربية الاسـلامية للأطفال فى نظر الشـيعة فى الفترة موضوع البحث ، أن يكون هناك تماثل بين أرواحهم وأجسامهم من الناحية

---

(١٧٩) محمد تقى غلسفى : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سـابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٦ ـ ٢٧ • وأيضـا الطبرسى : **مكارم الأخـلاق** مرجع سـابق ـ ص ٢١٩ •

(١٨٠) الطبرسى : المصدر السابق ـ ص ٢٢٠ •

(١٨١) المصـدر السـابق : ص ٢٢٢ •

(١٨٢) المصدر السابق : ص ٤٢١ • وأيضا الصدوق : **الخصـال** مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٥٦٨ •

(١٨٣) باقر شريف القرشى : **النظام التربوى فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٧ • وأيضا الطبرسى : **مكارم الأخـلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ •

الايمانية ولهـذا أوجب أئمة الشيعة تبعا لما جاء به الاسلام على الوالدين من جهة أن يعرفا الطفل خالقه ، ويعلماه الدروس الدينيـة المتقنـة ، كما أمروهم بتدريب الطفل على العبادات وقد ذكر الامام محمد الباقر واجبات الواالدين غى تربية أطفالهم حسب التدرج فى السن فى حديث طويل جاء فيه: « ٠٠٠ اذا بلغ الغـلام لـه ثلاث سـنين يقال له سـبع مرات قل : لا اله الا اللـه ويترك ، ثم يقال له حين يتم له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرين يوما :قل: محمد رسـول اللـه سـبع مرات ويترك حتى يتم له أربع سنين ثميقالله سبع مرات : قل : صلى اللـه على محمد وآله ، ثم يترك حتى يتم له خمس سنين ثم يقال له : اسجد ثم يترك حتى يتم له ست سنين فاذا تم له ست سنين صلى وعلم الركوع والسجود حتى يتم له سبع سنين ، فاذا تمت علم الصوم وضرب عليه وأمر بالصلاة وضرب عليها فاذا علم الوضوء والصلاة غفر اللـه لوالديه »(١٨٤) ٠

وتلتقى هـذه النظرة التى نادى بها أئمة الشيعة فى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثانى للهجرة مع النظرة الحديثة فى تربية الطفل ، وقـد أكدت الدراسات العلمية لسيكولوجية النمو اللغوى ، أن مرحلة تعلم الجمل القصيرة تبدأ من العام الثالث وتكون الجمل فى هـذا السن مفيدة وبسـيطة وتتكون ٥ن ٣ ـ ٤ كلمات أما مرحلة الجمل الكاملة ، فتبدأ فى العام الرابع وتتكون الجمل من ٤ ـ ٦ كلمات ، وتتميز بأنهـا جمل مفيدة تامة الأجزاء(١٨٥) ٠ بالاضافة الى ذلك ، فقـد ورد عن الامام الصـادق أن الطفل اذا بلغ خمس سنين يقال له : « أيهما يمينك وأيهما شـمالك ، فاذا عرفـذلك حول وجهه الى القبلة »(١٨٦) ٠ وهـذا اختبار للطفل على مدى نمو المفاهيم المكانية لديه ٠ وهذا ما يعبر عنه « جان بياجيه » بالمفاهيم

---

(١٨٤) ورام : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** ـ مرجـع سـابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠ ٠ وأيضـا الطبرسى : **مكارم الأخـلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ ٠ وانظـر محمـد تقى فلسفى : **الطفـل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٧٨ ـ ١٧٩ ٠

(١٨٥) حامد عبد السلام زهران : **علم نفس النمو** ـ ط ٤ ـ القاهرة عالم الكتب ـ ١٩٧٧ ـ ص ١٧٩ ٠

(١٨٦) ورام : **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠ ٠

المكانية لدى الطفل فى مرحلة طور الحدس الذى يبـدأ من سن الرابعـة حتى الســابعة(١٨٧) ٠

والذى يظهر من كلام الامام محمد الباقر فى قوله : « وعشرين يوما » ان هناك علاقة بين هـذه الأيام ونمو الطفل فى المجال العقلى ، وهـذا ما نلاحظه فى دراسة « جان بياجيه » وملاحظته للأطفـال ، وتأثير الأيام القليلة على نموه ، وانتقاله من حالة الى أخرى أكثر نضجا(١٨٨) ٠

وقد توسع الشيعة فى تربيــة الطفل حتى شملت « تربية اليتيم » فكثيرا ما يصــادف أن يموت الأباء أو الأمهــات فى أيام الحروب ، أو فى الحالات الاعتيادية ، ويخلفون أطفالا صـغارا ، يجب أن يحافظ عليهم فى المجتمع ، وأن الدول الحديثة وضعت نظما معينة تكفل لهم حقوقهم ٠

والاسلام أيضا قدتضمنتتعاليمهالقانونيةوالخلقية الخاصة به فى حل هـذه المشكلة ٠ فاذا كان الطفل اليتيم قد ورث من أبويه مالا فان القيم عليه ـ وهو الشخص الذى يعين من قبل الحاكم الاسلامى العادل لادارة شئون اليتيم وهو الامام المعصوم عند الشـيعة أو نائبه ، وهو المجتهد العادل ـ يقوم بتهيئة ما يحتاج اليه من طعام ولباس ومسـكن من ماله الخــاص ٠ أما اذا لم يملك اليتيم مالا ، فان بيت المــال هو المسـئول عن مصارفه ، فحياة اليتيم اذن مؤمنة طبقا للنظام المــالى فى الاسلام ٠ ولكن الملاحظة الجديرة بالاهتمام هى : أن الاســلام لا يرى انحصــار سـعادة اليتيم فى توفير وسائل الحياة المـادية من الطعام واللباس والمسكن فقط ٠ بل ان اليتيم انســان قبل كل شيىء ويجب أن تحيى فيه جميع الجـوانب المعنوية والفردية ، وله الحق فى الاستفادة من الحنان والعطف والأدب والتوجيه والتعليم وكل ما يستفيد منه الطفل فى حجر أبويه ، كما يجب الاهتمام بميوله الروحية وغذائه النفسى مضافا الى الرعاية الجسـدية والغـذاء البـدنى(١٨٩) ٠

---

(١٨٧) روث م٠ بيرد : **جان بياجيه** ـ مرجع سابق ـ ص ٨١ ٠
(١٨٨) المصـدر السـابق : ص ٣٤ ٠
(١٨٩) محمد تقى فلسفى : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ٠

ان الروايات الكثيرة التى وردت عن أئمة الشيعة تقر على معاملة اليتيم معاملة بقية الأطفال فى الأسرة ، وأن يقوم الرجال والنساء مقام الوالدين فى رعايته ، لأن الأسرة هى التى تستطيع أن تلبى نداءعواطف الطفل ، ولذلك كان النبى (ص) ومن بعده أهل بيته يوصون الأباء والأمهات وأولياء الأسر بمنطق الدين والايمان بالمحافظة على اليتيم ، وأخذه الى بيوتهم ، واجلاسه على موائدهم ، ومعاملته كأحد أولادهم والسعى فى تأديبه وادخال السرور على قلبه بالعطف والحنان والمحبة ٠ وقد جاء عن الامام على بن أبى طالب قوله : « أدب اليتيم مما تؤدب منه ولدك ، واضربه مما تضرب منه ولدك » وفى وصيته الى أولاده قوله : « الله الله فى الايتام فلا تغبوا أفواههم ، ولا يضيعوا بحضرتكم »(١٩٠) ٠

وجاء فى رسالة الحقوق للامام على بن الحسين قوله : « ٠٠٠ وحق أهل ملتك اضمار السلامة والرحمة لهم ٠٠ وتألفهم واستصلاحهم ٠٠٠ وتحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك ، وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك ٠٠٠ والصغار بمنزلة أولادك ٠٠٠ »(١٩١) ٠ ولا شك أن هذه الالتفاتات الدقيقة من الامام على بن الحسين ، وانزاله الصغار منزل الأولاد ، له من الأثر البالغ فى تربية الصغار ، وخصوصا اذا كان يتيما ، فكما يجب على الأب تعليم ابنه ، كذلك يجب عليه تعليم صغار أهل ملته ٠ ويمكن لنا أن نطلق على هذه العملية ، بالتكافل الاجتماعى فى تربية الطفل ٠ والتى كانت طابع التربية الاسلامية عند الشيعة منذ الصدر الأول من الاسلام ٠ فرحمة الصغير لا تكون الا بتعليمه ، كما يقول الامام على بن الحسين ٠

ثامنا ـ التعليم المهنى :

المهنة معناها ـ كما يقول جون ديوى ـ أى شكل للنشاط المتصل يقدم الخدمات للآخرين ، ويجعل القدرات الشخصية تعمل لانجاز النتائج ٠ ومسألة علاقة المهنة بالتربية تدفع الى بؤرة الاهتمام بشتى

---

(١٩٠) المصدر السابق : ص ٢٦ ٠

(١٩١) الحرانى : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٥ ٠ وأيضا الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢ ـ ٣٣ ٠

المشكلات التى نوقشت بصدد صلة التفكير بالنشاط البدنى ، وصلة النمو الفردى الواعى بالحياة الاجتماعية ، وصلة الثقافة النظرية بالسلوك العملى ذى النتائج المحددة وصلة كسب العيش بالاستمتاع القيم بالفراغ(١٩٢) ٠ فالمهنة لا تعنى شيئا سوى ذلك الاتجاه فى أنشطة الحياة الذى يجعلها ذات مغزى ملموس للشخص ٠ ان المهنة اصطلاح عينى للاستمرار أو الاطراد ، ويتضمن نمو القدرة الفنية من أى نوع ، ونمو القدرة العلمية ونمو المواطنة الفعالة ، كما يتضمن الشواغل الحرفية والتجارية وكذلك طبعا العمل الآلى والمساعى التى غايتها الكسب(١٩٣) ٠

ويرى الدكتور سيد أحمد عثمان ، أن التعليم المهنى لم يدخل تاريخ الفكر التربوى والبحث النفسى فى التعلم الا فى مراحل حديثة ، ولهذا لم يكن غريبا من الزرنوجى عندما لم يتناول اكتساب المهارات الحركية أو التعلم الحركى ، ذلك لأن هذا الجانب من التعلم لم يكن من اهتمام عصره ، ولم يكن ضمن تصور ذلك العصر للتربية عامة(١٩٤) ٠

واذا كان الزرنوجى المتوفى عام ٥٩١ هـ لم يتناول اكتساب المهارات الحركية وأن هذا الجانب من التعلم لم يدخل تاريخ الفكر التربوى الا فى مرحلة متأخرة ، فانا نجد أن الشيعة تناولوا هذا الجانب من التعليم منذ بداية القرن الثانى للهجرة ، حيث اهتموا بالجاب الحركى واكتساب المهارات ، كما اهتموا بالجانب النظرى ٠ ولهذا لم يغفل الشيعة المنهج التعليمى المهنى ، فقد تنوعت العلوم المهنية وبنيت على أسس عامة ومتنوعة بنفس الطريقة التى قامت عليها مناهج التعليم العام ٠ لأن شمول الشريعة الاسلامية واستيعابها لجميع مجالات الحياة ، من الخصائص الثابتة لها ، وذلك عن طريق التأكيد عليها فى مصادرها العامة ، فنحن نستطيع أن نجد فى هذه المصادر نصوصا تؤكد بوضوح على استيعاب

---

(١٩٢) جون ديوى : **الديمقراطية والتربية** ـ ترجمة نظمى لوقا ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٨ ـ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ٠

(١٩٣) المصدر السابق : ص ٢٧٤ ٠

(١٩٤) سيد أحمد عثمان : **التعلم عند برهان الاسلام الزرنوجى** ـ الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٧ ـ ص ٣٩ ٠

الشريعة ، وامتدادها الى جميع الحقول ، التى يعيشها الانسان ، واغتنائها بالحلول لجميع المشاكل التى تعترضه فى شتى المجالات(١٩٥) ٠

ويمكن التعرف على مدى عمق مناهج التعليم عند المسلمين وشمولها للتعليم المهنى والحث على تعلم جميع المهن التى تتعلق بتطور الحياة الفكرية والاجتماعية ما جاء عن أئمة الشيعة فى هذا المجال ٠ ولعل أقدم نص ورد فى التعليم المهنى ما جاء عن الامام جعفر الصادق فى أوائل القرن الثانى للهجرة ، حيث بين فيه جهات معايش العباد التى فيها الاكتساب ، فقال فى تفسير الصناعات :

« ٠٠٠ فكل ما يتعلم العباد أو يعلمون غيرهم من صنوف الصناعات مثل الكتابة والحساب والتجارة والصياغة والسراجة والبناء والحياكة والقصارة والخياطة وصنعة صنوف التصاوير ما لم يكن مثل الروحانى وأنواع صنوف الآلات التى يحتاج اليها العباد التى منها منافعهم وبها قوامهم وفيها بلغة جميع حوائجهم فحلال فعله وتعليمه والعمل به وفيه ولنفسه أو لغيره ، وان كانت تلك الصناعة وتلك الآلة قد يستعان بها على وجوه الفساد ووجوه المعاصى ويكون معونة على الحق والباطل فلا بأس بصناعته وتعليمه نظير الكتابة التى هى على وجه من وجوه الفساد من تقوية معونة ولاة الجور ، وكذلك السكين والسيف والرمح والقوس وغير ذلك من وجوه الآلة التى قد تصرف الى جهات الصلاح وجهات الفساد وتكون آلة ومعونة عليها فلا بأس بتعليمه وتعلمه وأخذ الأجر عليه وفيه العمل ، والعمل به وفيه لمن كان له فيه جهات الصلاح من جميع الخلائق، ومحرم عليهم فيه تصريفه الى جهات الفساد والمضار ، فليس على العالم والمتعلم اثم ولا وزر لما فيه من الرجحان فى منافع جهات صلاحهم وقوامهم به وبقائهم ٠٠٠ »(١٩٦) ٠

من هذا النص ونصوص أخر ، يظهر أن أئمة الشيعة لم يهملوا التعليم المهنى والفنى والصناعى ، وذلك لاعداد الانسان الكامل الذى يشق

---

(١٩٥) محمد باقر الصدر : **المدرسة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٢ ٠

(١٩٦) الحرانى : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ٠

طريقه فى الحياة ويكسب رزقه عن طريق العلم والمعرفة ، فشجعوا على دراسة كل مهنة أو فن أو صناعة مما يحتاجها الانسان ، والتدريب عليها ، لكى يعد اعدادا مهنيا ، ويحيا حياة شريفة مع المحافظة على الناحية الروحية والدينية • ولهذا اذا كانت التربية الاسلامية فى مفهوم الشيعة خلقية غالبا ، الا أنها لم تهمل اعداد الفرد للحياة وكسب العيش والرزق • ويظهر هذا واضحا من أقوال أئمة الشيعة • قال الامام على بن أبى طالب : « العلم ثلاثة : الفقه للأديان ، والطب للأبدان ، والنحو للسان »(١٩٧) • وقال الامام محمد الباقر : « الكمال كل الكمال التفقه فى الدين والصبر على النائبة وتقدير المعيشة »(١٩٨) •

يقول الشيخ باقر شريف القرشى : « ويأمر الاسلام بالخوض والاختصاص بجميع أنواع العلوم والمعارف خصوصا التى تتطور بها الحياة الفكرية والاجتماعية ، بل ان بعضها يكون واجبا يتحتم على المسلمين القيام به ، كعلم الطب والصيدلة وغيرها من سائر العلوم والفنون الصناعية •• وعلى أى حال فان العلم الذى حث الاسلام على طلبه لا يتقيد بنوع خاص ، وانما يشمل جميع أنواع العلوم والفنون ، وقد فتق أغلب أبوابهاأئمة أهل‌البيت عليهم السلام •• »(١٩٩) •

ويخلص الباحث الى أن فلسفة التربية عند الشيعة تنطوى على أهم القضايا التربوية والتعليمية التى تعالج الانسان باعتباره شخصية متكاملة • وعلى هذا جمع الفكر التربوى عند الشيعة بصورة عامة بين تأديب النفس وتنمية العقل والعناية بالجسم • وهذا غاية ما تدعو اليه التربية • بالاضافة الى أن فلسفة التربية التى جاء بها الشيعة منذ الصدر الأول للاسلام صالحة لبناء فكر تربوى اسلامى متميز ، لما تحمل من معان تربوية لها جدتها فى عالم التربية والتعليم • خصوصا اذا لاحظنا أن منبع هذه الآراء هم أهل البيت ، وعلى هذا فهى تعبر عن روح التربية الاسلامية •

---

(١٩٧) المصدر السابق : ص ١٤٤ •

(١٩٨) المصدر السابق : ص ٢١٣ •

(١٩٩) باقر شريف القرشى : **النظام التربوى فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٢ •

الفصل الرابع

مناهج وطرق التعليم

ويشمل :

أولا : مناهج التعليم

ثانيا : مراحل التعليم

ثالثا : طرق التعليم

رابعا : المعلمون والتلاميذ

الحالة الاجتماعية للمعلمين

مقـــــدمة :

لم يقف الشيعة عند حد صياغة الآراء والأفكار والنظريات الفلسفية والتربوية فحسب ، وانما أرادوا لها الذيوع والشـيوع ، وهـذا يقتضى بطبيعة الحال أن يبحثوا عن الطرق والوسـائل التى توصل بهـا هـذه الآراء والأفكار الى أذهان الناس ٠

ولـما كان الرأى الفلسفى والاتجاه التربوى بحاجة الى جهد عملى يحيلها من مجرد معـان وأفكار جامدة الى سـلوك يجسـدها ويبرز قيمها واتجاهاتها ، كان من الطبيعى عندما نكون ازاء جماعة بحجم الشيعة ، كان لها وجودها المؤثر والقوى فى تاريخ الثقافة الاسلامية ، أن نفتش عن مدى الجهد الذى بذلوه فى هـذا الشأن ، خصوصا وأنهم قد مارسوا الحيـاة الفكرية والثقافية والاجتماعية ٠ وعلى هـذا قاموا بوضع المناهج التربوية التى تعتبر من أهم الوسـائل التى تسـاعد المربى فى تحقيق الأهـداف التربوية ، كما بحثوا عن الطرق والأسـاليب التى يوصـلون بهـا هـذه المناهج الى أذهان الناشئة ، حتى ابتكروا طرقا تعليمية لم تكن معروفة ولا متداولة فى الفترة موضـوع البحث ، ولهـذا اسـتطاعوا أن ينفذوا ما رسموه من آراء ونظريات فلسـفية وتربوية ، وهـذا يؤكد أن الشـيعة لم يقفوا عند حد النظريات ، بل الحقوا بها طرق التنفيذ والتطبيق ٠ وعلى هـذا يتناول هـذا الفصل مناهج وطرق التعليم ٠

أولا ـ « مناهج التعليم » :

يعد المنهج من أهم الوسائل التى تساعد المربى فى تحقيق الأهداف التربوية ، ولما كان الهدف الرئيسى للتربية الاسلامية هو التكامل بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، انعكس ذلك على مناهج التعليم حسب مراحله المختلفة وحسب مراحل النمو لدى المتعلمين ٠

والدين الاسلامى لا يخص دعوته لتعلم العلوم الدينية فحسب ، وانما يخص الفرض العين بها ، ويرغب فى تعلم كل علم فيه اسعاد الحياة ، ولا تفترق علوم الدين عن غيرها مما يحتاج اليه النوع فى اسعاد الحياة ويضطر اليه ، الا فى رجحان الدينية على غيرها ، وعينية الوجوب فيها على كل أحد وكفائيته فى غيرها(١) ٠

لقد كانت مناهج التعليم عند الشيعة تستهدف التوسع فى العلوم الهامة المقصودة بالذات ، كالشرعيات والتفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والطبيعيات والآلهيات ، وكذلك العلوم الاجتماعية المختلفة(٢) ٠ وفى ذلك يقول البحرانى : « ٠٠٠ فان كثيرا من الجهال ممن يدعى العلم بفن من الفنون قد ينكر غيره من سائر الفنون ويشنع على معلميه ، فأكثر الناقلين للأحكام الفقهية والمتصدرين للفتاوى والقضاء بين الخلق فى زماننا وما قبله ، فانهم يبالغون فى انكار العلوم العقلية ويفتون بتحريم الخوض فيها وتكفير من يتعلمها وهم غافلون عن أن أحدهم لا يستحق أن يسمى فقيها الا أن يكون له مادة من العلم العقلى المتكفل ببيان صدق الرسول (ص) ، واثبات النبوة الذى لا يقوم شيىء من الأحكام الفقهية

---

(١) محمد الصادقى : **على والحاكمون** ـ بيروت ـ مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م ـ ص ٢٤٣ ٠

(٢) أنظر الفصل السابع من هذا البحث ٠

التى يدعون أنها كل العلم الا بعد ثبوتها »(٣) ٠ ومن هـذا النص يظهر أن المنهج عند الشيعة يشمل العلوم العقلية والنقلية معا ٠

ولكن المناهج التعليمية عند الشيعة تختلف من مرحلة الى أخـرى حسب النمو العقلى لدى الانسـان ، ومن هنا فان مناهج تعليم الصبيان تختلف عن منـاهج تعليم الشـباب والكبار ، وذلك حسب نظرتهم الى القـدرات العقلية لدى المتعلمين ومستوى ذكائهم ٠

أما المرحلة الأولى فيبدو أن المعلمين كانوا يتمتعون بحرية كبيرة فى اختيار مواد الدراسة الأولية ٠ وبالرغم من ذلك يظهر أن مواد معينة كالخط وتعلم القرآن كانت من بين مواد منهج التعليم الأولى الرئيسية ٠ وقـد وردت اشارات الى وجود مادتى الحساب والشعر بين مواد المنهج ٠ قال محمد بن أحمد ، قلت للصـادق (ع) : « ان لنـا جارا يكتب وسـألنى أن أسألك عن عمله ٠ فقال مره اذا دفع اليـه الغلام أن يقول لأهله انى انمـا أعلمه الكتاب والحساب وأتجر عليه بتعليم القرآن كى يطيب له كسبه»(٤)٠ وجاء عن الصادق أيضا : « ٠٠ فكل ما يتعلم العباد أو يعلمون غيرهم من صنوف الصناعات مثل الكتابة والحساب والتجارة ٠٠٠ فلا بأس بتعليمه وتعلمه وأخـذ الأجر عليه ٠٠٠ »(٥) ٠

ويختلف الشيعة عن أهل السنة فى أن القرآن هو أول العلوم التى ينبغى أن يدرسه الصبيان ، بل هو المحور الذى يدور عليه التعليم ، لأنه مرجع المسلمين فى معرفة العبـادات والمعاملات ، ولا سـبيل الى معرفة الحدود الشرعية الصحيحة للديانة الا بمعرفة الأصل الأول من أصـول الدين ، وهو القرآن(٦) ٠ وقـد وردت اشارات كثيرة عن أئمة الشيعة فى

---

(٣) البحرانى : **شرح نهج البلاغة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٠ ص ٣١٧ ـ ٣١٨ ٠

(٤) عبد اللـه فياض : **تاريخ التربية عند الامامية وأسـلافهم من الشيعة** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ بغـداد ـ مطبعة أسعد ـ ١٩٧٢ ـ ص ٠ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ ٠

(٥) الحـرانى : **تحف العقـول** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٠ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ٠

(٦) أحمد فؤاد الأهوانى : **التربية فى الاسلام** ـ مرجع سـابق ـ ص ١٤٤ ٠

تعليم الصبيان القرآن الكريم ، وما يتعلق به من حلال وحرام ، كما حثوا الآباء على تعليم صبيانهم ذلك · دخل الفرزدق مع أبيه على الامام على ، فقال الامام على لأبيه : من هـذا الذى معك ، قال : ابنى وهو شاعر وان شئت أنشدك ، فقال الامام على علمه القرآن فهو خير له من الشـــعر(٧) وجاء فى وصية الامام على لأبنه الحسن : « ··· وأن أبدأك بتعليم كتـاب اللـــه عز وجل وتأويله ، وشرائع الاســـلام وأحكامه ، وحلاله وحرامه لا أجاوز ذلك بك الى غيره »(٨) وجاء عنه أيضا قوله : « ·· علموا صبيانكم الصلاة وخذوهم بها اذا بلغوا ثمان سنين »(٩) ·

ويبدو من ذلك أن مناهج التعليم فى هـذه المرحلة تشمل أيضا كل ما يتعلق بأمور الدين · قـال رجل للصـادق : « ان لى ابنا قـد أحب أن يسألك عن حلال وحرام لا يسألك عما لا يعنيه ، قال : فقال : وهل يسـأل الناس عن شىء أفضل من الحلال والحرام »(١٠) · ولهـذا ذهب الشيعة الى أنه يحسن تعليم الأطفال الوضوء والصلاة ، وقراءة بعض سور القرآن فى سن مبكرة ليرتاضوا عليها(١١) · بل زادوا على ذلك بأن جعل الامام على للطفل الذى ولد فى الاسلام وقـرأ القرآن نصيبا من بيت المـال فى كل سنة مائتى دينار يأخذها(١٢) · وعلى هـذا فتعليم الأطفال عند الشيعة يبـدأ أولا بالعلوم الاسلامية التى تتعلق بآخرته ، ثم بالعلوم الأخـرى التى تتعلق بدنياه · وقـد ورد ذكر الشعر والرسائل بمثابة مواد تعلم بالكتاب فى حديث بين الصادق وحساب المعلم ، كما أوصى ابن طاووس ابنه محمدا قائلا :أوصيك بتعلم الخط على التمام فانه معـونة لك على السلوك الى الله جل جلاله ، ثم بتعلم العربية بمقدار ما يحتاج اليهمثلك

---

(٧) الشـيخ علاء الدين على المتقى الهندى : **كنز العمـال من سنن الأقوال والأفعـال** ــ ط ٢ ــ جيدر أباد ــ مطبعة جمعيـة دائرة المعـارف العثمانية ١٣٦٩ هـ ــ ١٩٥٠ م ــ جـ ٢ ــ ص ١٨٥ ·

(٨) المجلسى : **بحار الأنوار** ــ مرجع سـابق ــ جـ ١ ــ ص ١٩ · وأيضا الحرانى : **تحف العقول** ــ مرجع سابق ــ ص ٤٣ الى ٥٨ ·

(٩) الصدوق : **الخصال** ــ مرجع سابق ــ جـ ٢ ــ ص ٢٢٦ ·

(١٠) المجلسى : **بحار الأنوار** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ٢٢٦ ·

(١١) ورام : **تنبيه الخواطر** ــ مرجع سابق ــ جـ ٢ ــ ص ٢٠ ·

(١٢) المتقى الهندى : **كنز العمال** ــ مرجع سابق ــ جـ ٢ ــ ص٢١٩ ·

من الطالبين للمراضى الالهية ، واحياء السنن النبوية ، ثم تتعلم من القرآن الشريف ما تحتاج اليه لاقامة الصلاة وما يتعلق بمراد الله جل جلاله من تفسير تلك الآيات بعاجل الحال ، واحفظه جميعه بعد ذلك التعظيم والاجلال »(١٣) • وقد جاء عن الامام الصادق فى حثه على تعلم العربية قوله : « ••• تعلموا العربية فانها كلام الله الذى يكلم به خلقه ••• »(١٤) •

أما منهج التعليم عضد الشيعة فى المرحلة الثانية ، فهو يختلف عن مناهج التعليم فى المرحلة الأولى • والعلوم التى كانت تدرس ، أشار اليها الشهيد الأول فى قوله(*) : « •• لا يخفى أن الغرض الوحيد من طلب مثل هذه العلوم الدينية الوصول الى مرحلة العمل للفوز برضى الله تعالى والدار الآخرة ، فالعلوم الدينية غير خفية على من طلبها وارادها ، فمنها علم التوحيد والمعارف الالهية والفقه والحديث والتفسير ، لغاية العمل وتعليم الغير من كل مكلف ، والوقوف على هذه العلوم وفهمها على الحقيقة متوقف على بعض العلوم الأدبية والعبرية والمنطق ••• فلهذا مست الحاجة الى أخذ قدر الحاجة من هذه العلوم مقدمة على تلك وتمهيدا للوصول الى أغوارها ، والوقوف على مقاصدها الحقة ، لأنها هى العمدة ، وهى الهدف الأسمى ، ••• فوجب علينا أولا الأخذ بهذه ونعنى بها النحو والصرف وعلمى الفصاحة والبلاغة ، والمعانى والبيان والتفسير ، واللغة والمنطق قدر الحاجة ، وهو أن لا يدع فنا ونوعا من أنواعها الا ونظر فيه نظر من يطلع فيه على مقاصده وغاياته ، دراسة وفهما صحيحا بدراسة كتاب من الفن أوكتابين مع الاتقان ، ثم بعد ذلك ان ساعده العمر ونهض به التوفيق ، طلب التبحر فيه بالتدريس للغير أو المطالعة بامعان ، أو الكتابة ، وهى للوقوف على الحقيقة والتحصيل الواقعى ••• »(١٥) •

---

(١٣) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٢ •

(١٤) المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢١٢ •

(*) انظر الفصل السابع من هذا البحث •

(١٥) عبد الصاحب الحسنى : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ص ١٧٠ ـ ١٧١ •

ويبذو أن منهج تعليم العلوم عند الشيعة فى الفترة المبكرة من تاريخهم ، لم يكن مقسما الى مواضيع معينة مستقلة ، كالفقه والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية وانما كان الطلبة يدرسون هذه العلوم على أئمتهم أو على شيوخ الشيعة من كتب توارثها الأئمة صاغرا عن كابر ، أو ألفها أولئك الشيوخ فى العلوم الشرعية التى تلقوها مباشرة أو بالواسطة من أئمتهم • وأن طائفة من الكتب التى ألفها الشيوخ واعتمدوها بمثابة أصول يدرسون منها • وكانت تشمل على مواضيع شتى لا تمت للعلوم الشرعية بصلة • أما الأصول التى تبحث فى العلوم الشرعية فكان عددها حتى أواخر عصر الأئمة أربعمائة أصل : قال الشيخ المفيد : « صنف الامامية من عهد أمير المؤمنين على عليه السلام الى عهد أبى محمد الحسن العسكرى صلوات الله عليه أربعمائة كتاب تسمى الأصول وهذا معنى قولهم أصل »(١٦) •

أما تعليم الصناعات مثل الكتابة والحساب والتجارة وغيرها من العلوم المهنية فهى داخلة فى منهج التعليم عند الشيعة • وقد مر الكلام عنها فى مبحث التعليم المهنى • بالاضافة الى العلوم الطبيعية والعلوم العقلية(١٧) • وتبدو الغاية الدنيوية فيها واضحة فى قول الامام الصادق التالى : « من الله عز وجل على الناس برهم وفاجرهم بالكتاب والحساب ، ولولا ذلكلتغالطوا » • ويظهر من ذلك أن الخط والحساب من العلوم الضرورية لتنظيم حياة الناس مع قطع النظر عن تقواهم أو عدمها(١٨) •

وقدأخذ شيوخ الشيعة فى عهد مبكر يؤلفون الكتب التى أصبحت موضع درس لطلبة الشيعة فى مختلف العلوم ، خصوصا الشرعية منها • وقد وردت اشارات يستدل منها على وجود تلك الكتب ، وعلى ضرورة العناية بها ، روى عبيد الله بن زرارة أن الصادق (ع) قال : « احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها » ، وقال أيضا للمفضل بن عمر

---

(١٦) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٣ •

(١٧) انظر الفصل السابع من هذا البحث •

(١٨) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢١ •

« اكتب وبث علمك فى اخوانك ·· فانــه يأتى على النــاس زمان هــرج لا يأنسون فيه الا بكتبهم »(١٩) · ومن أهم الكتب التى كانت موضع درس الشيعة فى العصر المبكر من الاســلام صحف الامام على بن أبى طالب ، فيها أحاديث دونها عن النبى (ص) وكانت تلك الصحف من بين الأصــول التى اعتمدها الأئمة لتدريس شــيعتهم منهــا(٢٠) · « وكانت كتب على جامعة للعلوم الالهية كما يعتقد الامامية ··· »(٢١) ·

أما مناهج البحث العلمى عند علماء الفقــه الشيعى ، فقد اختصت بخواص طبعته بطابعها وانفرد بها ، ولعل أول ما يلفت النظر فى هــذه المناهج ويكون الظــاهرة البارزة للفقــه الشيعى ، عملية استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية ، حيث تتميز عن غيرها بأنها ديناميكية دائبة الحركة لا تتوقف عند حــد ، بفضل فتح باب الاجتهاد واستمراريته داخل اطار العناصر المشتركةلأدلة الأحكام الشرعية ، وهى تبعا لذلك تدرجت وتطورت لتشمل المواقف الســلوكية للمكلفين كافة فى متطلبات الحيــاة وحاجاتها كلها · ومن طبيعة مناهج البحث عند علمــاء الفقــه الشــيعى الا يأخذوا بحجية الخبر الذى لا يكون فى ســنده واحد من أئمتهم · ومن خواص مناهج الفقه الشيعى أنها مقسمة الى أربعة أقسام :

القسم الأول : يضم العبادات : وهى معاملات خاصة يشترط فيهــا نية القربة ، وأول كتب هــذا القسم الطهارة وتنتهى بكتاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر · وتشمل الصــلاة والزكاة والحج والخمس والصــوم وغيرها من العبادات ·

أما القسم الثانى : فهو العقــود ، ويسمى المعاملات أيضــا ، وهى تشريعــات ذات صيغ توجب الالتزام بين طرفين من المكلفين ، وأول كتب هــذا القسم التجارة وتنتهى بكتاب النكاح ·

---

(١٩) المصــدر السابق : ص ٢٤٥ · وأيضــا الكلينى ــ **الكافى** ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ٦٦ ــ ٦٧ ·

(٢٠) عبد الله فياض : المصدر السابق ــ ص ٢٤٣ · وانظر أمــر الصحيفة من الفصلالسابع من هــذا البحث ·

(٢١) عبد اللــه فياض : المصدر السابق ــ ص ٢٤٤ ·

والقسم الثالث : الايقاعات : وهى تشريعات ذات صيغ توجب الالتزام من طرف واحد بعد تحقيق الايجاب دون القبول ، وأول كتب هذا القسم كتاب الطلاق والعتق وينتهى بكتاب النذور ·

والقسم الرابع : الأحكام : وهى تشريعات توجب الالتزام بتحقق موضوعها دون تحقق الايجاب والقبول · وأول كتب هذا القسم كتاب الصيد وينتهى بانتهاء كتب الفقه وهو كتاب الديات ·

ومن طبيعة مناهج البحث العلمى فى أساليب تأليف الفقه الشيعى ، وكنتيجة للتطور الحياتى الذى ضمت أغلب العلوم ، فانها تنحصر بالتخطيط المنهجى التالى :

١ ـ مجاميع الحديث الفقهية ·

٢ ـ مجاميع فقهية استدلالية ·

٣ ـ مجاميع فقهية محضة ·

٤ ـ مجاميع فقهية مقارنة ·

٥ ـ رسائل عملية(٢٢) ·

ويمكن اعتبار هذه المناهج للمرحلة العليا من سلم التعليم عند الشيعة ، وهى مرحلة الاجتهاد ·

ثانيا ـ « مراحل التعليم عند الشيعة » :

اهتم الشيعة بالجوانب المؤدية الى ازدهار التربية والتعليم ، وكان من بينها تحديدهم لسن التعليم ، فقد حددوها بما يتفق والنمو العقلى للطفل ، فقد جاء عن الامام على بن أبى طالب أنه قال : « يرخى الصبى سبعا ، ويؤدب سبعا ، ويستخدم سبعا ، وينتهى طوله فى ثلاث وعشرين ، وعقله فى خمس وثلاثين وما كان بعد ذلك فبالتجارب »(٢٣) · وجاء عن

---

(٢٢) انظر صالح مهدى الهاشم : **الاجتهاد** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٩ ـ ٣٠ ·

(٢٣) الطبرسى : **مكارم الأخلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ ·

الامام جعفر الصادق : « دع ابنك يلعب سبع سنين ، ويؤدب سبعا ، والزمه نفسك سبع سنين ، فان فلح والا فلا خير فيه »(٢٤) ٠

وعلى ضوء هـذه النصوص ، فقد قسم الشيعة مراحل التعليم الى :

المرحلة الأولى : مرحلة الطفولة ـ من سن الميلاد حتى سن السابعة :

تعتبر مرحلة الطفولة من المراحل المهمة فى التربية ٠ حيث ان عملية التربية تستمد منذ لحظة الولادة الأولى لتنتهى بانتهاء حياة الانسان ٠ فان كل انسان مهما كان عمره ، يعـد متعلما ، غير أن ذلك لا يعنى أن دور الطفولة لا يمتاز بكونه المرحلة المهمة فى عملية التربية أكثر من غيره ، وذلك لاعـداد الناشىء للحياة وتكيفه لها(٢٥) ٠ فمنـذ الأسابيع الأولى ، ومن حين الرضاع ، حيث الطفل يعيش فى المهد ، تبدأ مشاعره بالعمل ، فهو يتأثر بالحـدة والغلظة ، أو اللين والحنان ، وتنعكس فى روحه النتائج الطيبة أو السيئة لأفعال الآخرين ٠ وقـد أخـذ الشيعة تعاليمهم عن الرسـول الأعظم فى تربية الأطفال فى هـذه المرحلة ، حيث كان النبى (ص) يؤتى بالصبى الصغير ليدعو له بالبركة أو ليسميه فيأخذه فيضعه فى حجرة تكرمة لأهله ،فربما بال الصبى عليه فيصيح بعض من رآه حين بال ، فيقول (ص) : لا تزرموا بالصبى فيدعه حتى يقضى بوله ، ثم يفرغ من دعائه وتسميته ، فيبلغ ذلك سرور أهله فيه ، ولا يرون أنه يتأذى ببول صبيهم ، فاذا انصرفوا غسل بوله(٢٦) ٠ وذلك لأن الاضطرابات الانفعالية والاجتماعية لها تأثير سيء على نمو الطفل خصوصـا النمو اللغوى ، بينمـا يسـاعد جو الحب والحنان على النمو السوى(٢٧) ٠ ولهـذا جاء عن النبى (ص) ، قولـه :

---

(٢٤) المصدر السابق ـ ص ٢٢٣ ٠ وأيضـا الكلينى : **الـكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٦ ـ ص ٤٧ ٠٠

(٢٥) على محمد الحسين الأديب : **منهج التربية عند الامام على** ـ المطبعة الحيدرية ـ فى النجف الأشرف ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ـ ص ٠٣٥

(٢٦) محمد تقى فلسفى : **الطفـل بين الوراثة والتربية** ـ مرجـع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٠٢ ٠ وأيضا محمد باقر المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٦ ـ ص ١٥٣ ٠

(٢٧) حامـد عبـد السـلام زهـران : **علم نفس النمـو** ـ مرجـع سـابق ـ ص ١٨١ ٠

« أحبوا الصبيان وارحموهم ··· » وجاء عن أئمة الشيعة قولهم : وحق الصغير رحمته فى تعليمه والعفو عنه ·· والرفق به ·· والمبالغة فى تأديبه ·· الى غير ذلك من الوصايا التى كانوا يوصون بها والتى تملأ نفس الطفل شعورا بالعطف والحنان والرحمة ، وهذا غاية ما تدعو اليه التربية · وفى ذلك جاء عن أئمة الشيعة : « أكرموا أولادكم وأحسنوا دأبهم »(٢٨) ·

وتمتاز هذه المرحلة من التعليم عند الشيعة بأهمية اللعب للطفل ، حيث أن اللعب يبعث القوة فى عضلاته ، والمتانة فى عظامه ، كما أنه ينمى فيه القدرة على الابتكار ، ويخرج قابلياته الكامنة الى حيز الفعل ، وهكذا فاللعب يشغل شطرا كبيرا من حياة الأطفال ، ولم يفت أئمة الشيعة أمر التنبيه على هذه النقطة · فهى أساس تكامل جسد الطفل وروحه · فعن الامام الصادق : « الغلام يلعب سبع سنين ·· » وعنه أيضا : « دع ابنك يلعب سبع سنين ويؤدب سبعا ·· » وعنه أيضا : « احمل صبيك حتى يأتى عليه ست سنين ، ثم أدبه فى الكتاب ست سنين ·· »(٢٩) ·

ولقد اهتم أئمة الشيعة بهذا الأمر التربوى وأوصوا المسلمين بارشادات مهمة فى هذا الصدد · ان اللعب مع الأطفال من الأمور المستحبة فى الشريعة الاسلامية ، وقد أورد علماء الحديث نصوصا فى كتبهم تحت عنوان « استحباب التصابى مع الولد وملاعبته » منها قول النبى (ص) : « من كان عنده صبى فليتصاب له » · وقول الامام على : « من كان له ولد صبا » (٣٠) ·

ولم تقتصر هذه المرحلة من مراحل التعليم عند الشيعة على اللعب فقط ، بل تناولت بعض الارشادات التعليمية للأطفال ، ففى هذه المرحلة نصح أئمة الشيعة الآباء أن يعلموا أطفالهم بعض المفردات اللغوية حسب

---

(٢٨) الطبرسى : **مكارم الأخلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ ·
(٢٩) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٦ ـ ص ٤٧ · وأيضا الطبرسى : **مكارم الأخلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ·
(٣٠) محمد تقى فلسفى : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـص ١١٦ ـ ١١٧ ·

التدرج فى السن ـ كما سبق ذكره ـ فبالاضافة الى اعطاء الطفل الحرية الكاملة فى هـذه المرحلة ولكن الى جانبها التوجيه السليم لكى تنمى فيه القدرات العقلية واللغوية مع نموه الجسمى ٠ ولهـذا يقوم الأب بتعليمـه الوضوء وبعض أفعال الصلاة وتوجيهه الى القبلة ٠

وتلتقى هـذه النظرة فى التعليم عند الشيعة أيضا مع النظرة الحديثة فى التربية ٠ فقـد اعتبر « روسو » أن المرحلة الأولى للتعليم هى التى تبدأ من الميلاد الى سن الخامسة ، وفى هـذه المرحلة نصح روسـو بأن يترك الطفل على سجيته وأن تتاح له الحرية التامة لكى تتفتـح مواهبـه كمـا تتفتح الزهرة ، والأب هو المعلم الطبيعى فى هـذه المرحلة ٠ كما أشـار الى أن طريقة التربية فى هـذه المرحلة يجب أن تخالف الطرق الشائعـة فى تربية الطفل مثل التحكم فى حريته(٣١) ٠ كما أن من المبادىء التربوية فى هـذه المرحلة أيضا عـدم محاولة تلقين الطفل مفردات لغوية كثيرة حتى يمكن أن يتمشى نموه اللغوى مع نموه الفكرى(٣٢) ٠ كل ذلك دعا اليه أئمة الشيعة قبل ثلاثة عشر قرنا ٠ كما مر ٠

المرحـلة الثانيـة : مرحـلة الصبـا :

تعتبر مرحلة الصبا ـ التى تبدأ من سن السابعة ـ المرحلة الثانية من مراحل التعليم عند الشيعة ، فقـد عنوا بهـذه المرحلة عناية كبيرة ، وحثوا المسلمين على أن يعلموا أبناءهم أساسيات الثقافة الاسلامية ، من قرآن كريم ، وقراءة وكتـابة وحسـاب وخط ٠ وهـذه المرحلة من التعليم عام للجميع ٠ فقـد جاء عن معاوية بن وهب قال : « سألت أبا عبد اللـه عليـه السلام : فى كم يؤخذ الصبى بالصلاة ؟ فقال : بين سـبع سـنين وست سنين »(٣٣) ٠ وجاء عن الامام محمد الباقر : « ٠٠ فاذا تم له سبع سنين قيل له : اغسل وجهك وكفيك ، فاذا غسلهما قيل له صل »(٣٤) وفى ذلك

---

(٣١) سيد ابراهيم الجيار : **دراسات فى تاريخ الفكر التربوى** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ٠
(٣٢) المصـدر السـابق : ص ١٧٨ ٠
(٣٣) محمـد تقى فلسفى : **الطفل بين الوراثة والتربية** ـ مرجـع سابق ـ ج ٢ ـ ص ١٧٨ ٠
(٣٤) ورام : **تنبيـه الخواطـر** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٠ ٠ وأيضا الطبرسى : **مكارم الأخلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ ٠

يقول الامام على : « ٠٠ علموا صبيانكم الصلاة وخذوهم بها اذا بلغوا ثمان سنين »(٣٥) ٠ والتعليم فى هـذه المرحلة يكون عن طريق الكتاب ٠ ولهذا جاء عن الامام الصادق : « ٠٠ ثم أدبه فى الكتاب ست سنين »(٣٦) ٠

والتعليم فى هـذه المرحلة حق لجميع الناس على السواء ، ولهـذا يجب على أولياء الأمور أن يهيئوا الفرص الكافية لتعليم رعاياهم على اختلاف مللهم ، ما داموا يتصفون بالمواطنة الاسلامية ٠ فقـد جاء فى رسالة الحقوق للامام على بن الحسين فى النصف الثانى من القرن الأول للهجـرة قوله : « ٠٠ وأما حق رعيتك بالعلم ، فان تعلم أن الله قـد جعلك لهم قيما ، أتاك من العلم وفتح لك من خزانة الحكمة ، فان أحسنت فيما ولاك الله من ذلك وقمت به لهم مقـام الخـازن الشفيق الناصح لمولاه فى عبيـده ، الصـابر المحتسب الذى اذا رأى ذا حاجـة أخرج له من الأمـوال التى فى يده كنت راشـــدا وكنت لذلك آمـلا معتقـدا ، والا كنت له خائنـا ولخلقه ظالمـا ولسلبه وعزه متعرضا »(٣٧) ٠

ويظهـر من هـذا النص أن أئمة الشيعة اهتموا بالتربية والتعليم اهتماما كبيرا حيث بين الامام أن التعليم حق لكل فرد من أفراد المجتمع ، كما بين أن الدولة ملزمة بالانفاق على التعليم ٠ فقد بين أن المتعلم اذا كان محتاجا الى النفقة على التعليم وجب عليه أن يبذل له الأموال التى تكون فى يده ، فمتى حقق ذلك كان ولى الأمر راشدا ٠ والا كان الحاكم ظالمـا جائرا مستخفا فى خلق اللـه ٠ ولهـذا جاء عنه أيضا : « ٠٠٠ فان أحسنت فى تعليم النـاس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك اللـــه عز وجل من فضله ، وان أنت منعت الناس من علمك أو خرقت بهم عند طلبهم منك كان حقا على اللـــه عز وجل أن يسلبك العلم وبهـاءه ويســقط من القـلوب محلك »(٣٨) ٠ وبهـذا المعنى جاء عن الامام على بن أبى طالب فى بيـان ما للرعية على الحاكم : « ٠٠ أما بعد : فان لى عليكم حقا ، ولكم على حقا ،

---

(٣٥) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٢٦ ٠
(٣٦) الطبرسى : **مكارم الأخلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٢ ٠
(٣٧) الحرانى : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٨ ٠
(٣٨) الشهيد الثانى : **معالم الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣ ٠

أما حقكم على فالنصيحة فى ذات اللـه ، وتوفير فيئكم عليكم ، وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا »(٣٩) وجاء عنه أيضـا : « من دخل فى الاسلام طائعا وقرأ القرآن ظاهرا فله كل سـنة مائتا دينار فى بيت مال المسلمين ٠٠ »(٤٠) ٠ وقوله : « ٠٠ من ولد فى الاسلام فقرأ القرآن فله فى بيت المـال كل سـنة مائتا دينـار ان أخذها فى الدنيـا والا أخـذها فى الآخرة »(٤١) ٠ وهذا نوع من التعزيز فى عملية التعليم فى هذه المرحلة ٠

واذا كان القابسى قد اعتبر أن التعليم حق لكل صبى وواجب على الدولة(٤٢) ، فان الشـيعة توسعوا فى ذلك حتى اعتبروا التعليم حقـا لكل انسان منذ الصـدر الأول من الاسـلام ٠ ولهـذا جاء عن الامام على ابن الحسين ـ اضافة لمـا تقـدم ـ قوله : « وأما حق أهل ملتك عامة ٠٠٠ وتآلفهم واستصلاحهم ٠٠٠ فعممهم جميعـا بدعوتك »(٤٣) ٠ ولا شك أن استصلاح الرعية بالتربيـة والتعليم من أهم الحقوق التى تقع على عاتق الدولة ، بالاضـافة الى ذلك أن من شروط الامام أو الفقيه عند الشيعة ـ وهو الحاكم ـ أن يقوم بعملية التعليم لكل فرد من أفراد رعيته ، اما مباشرة أو بالواسطة ٠كما يستفاد من النصـوص المتقدمة وغيرها أن التعليم فى هـذه المرحلة ملزم لكل طفل ٠ ومن ذلك قولهم : « ٠٠٠ ويؤدب سـبعا » وأيضـا « احمل صبيك حتى يأتى عليه ست سـنين ، ثم أدبه فى الكتاب ست سنين ٠٠ » الى غير ذلك ٠

المرحـلة الثـالثة : مرحـلة التكليف :

أما المرحلة الثالثة من مراحل التعليم عند الشيعة ، فتبدأ من سن الخامسة عشر ، أى عندما يكون الانسان مكلفا ٠ وفى ذلك يقول الكلينى المتوفى سنة ٣٢٩ هـ « ٠٠ وجعلهم جل ذكره صنفين : صـنفا منهم أهل الصحة والسلامة، وصنفا منهم أهل الضرر والزمانة ، فخص أهل الصحة

---

(٣٩) ابن قتيبـة : **الامـامة والسياسـة** ـ مرجـع سـابق ـ جـ ١ ـ ص ١٥٠ ٠
(٤٠) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٦٠٢ ٠
(٤١) المتقى الهندى : **كنز العمال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٩ ٠
(٤٢) الأهوانى : **التربية فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١١ ٠
(٤٣) الحرانى : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٥ ٠

والسلامة بالأمر والنهى بعدما أكمل لهم آلة التكليف ، ووضع التكليف عن أهل الزمانة والضرر اذ قد خلقهم خلقة غير محتملة للآداب والتعليم ، وجعل عز وجل سبب بقائهم أهل الصحة والسلام ٠٠ بالأدب والتعليم ، فلو كانت الجهالة جائزة لأهل الصحة والسلامة لجاز وضع التكليف عنهم ٠٠٠ »(٤٤) ٠

ويظهر من ذلك أن التعليم عند الشيعة فى هذه المرحلة واجب على كل مكلف قادر على التعليم ٠ وفى ذلك كقول الكلينى أيضا : « ٠٠ فلما لم يجز بقاؤهم الا بالأدب والتعليم وجب أنه لا بد لكل صحيح الخلقة كامل الآلة ، من مؤدب ودليل ومشير وآمر وناه وأدب وتعليم وسؤال ومسألة »(٤٥) ٠ ولهذا ورد عن الامام الصادق قوله : « لوددت أن أصحابى ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا »(٤٦) ٠ وقوله : « أغد عالما أو متعلما أو أحب أهل العلم ولا تكن رابعا فتهلك ببغضهم »(٤٧) ٠ وقال الامام محمد الباقر : ليت السياط على رؤوس أصحابى حتى يتفقهوا فى الحلال والحرام »(٤٨) وقول الامام الصادق : « لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه لادبته » ٠ وفى رواية عن محمد الباقر : « لو أتيت بشاب منشباب الشيعة لا يتفقه فى الدين لأوجعته »(٤٩) ٠

والذى يبدو من ذلك أن التعليم فى هذه المرحلة يشمل كل ما يتعلق بأمور الدين والدنيا ،لأن التفقه هو التعلم ، ولهذا جاء عن الامام الصادق قوله : « لست أحب أن أرى الشاب منكم الا غاديا فى حالين : اما عالما أو متعلما ، غان لم يفعل فرط فان فرط ضيع ، فان ضيع أثم ، وان أثم سكن النار »(٥٠) ٠

ويظهر مما تقدم أن التعليم فى مراحله المختلفة عند الشيعة تعليم

---

(٤٤) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥ ٠
(٤٥) المصدر السابق : ص ٦ ٠
(٤٦) المصدر السابق : ص ٣٦ ٠
(٤٧) المصدر السابق : ص ٤١ ٠
(٤٨) المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ص ٢١٣ ٠
(٤٩) المصدر السابق : ص ٢١٤ ٠
(٥٠) المصدر السابق : ص ١٧٠ ٠

الزامى فهو حق لكل طفل فى مراحله الأولى ، وواجب شرعى على الآباء أن يعلموا أبنـاءهم أما المرحلة الثالثـة فهى تشمل جميع المكلفين ، فما دام الانسان مكلفا كان التعليم واجبا ٠

وقـد يستنتج من الحديث التالى أن الشيعة ذهبوا الى القول بأن تربيـة الأولاد من الأمور الزمة شرعا ٠ روى الكلينى أن الفضل بن شاذان قال : ان الصـادق (ع) قال : « لو أن رجلا ضرب ابنه غير مسرف فى ذلك يريد تأديبه فقتل الابن من ذلك الضرب ورثه الأب ولم تلزمه الكفارة لأن ذلك للأب ، لأنه مأمور بتأديب ولده ٠ لأنه فى ذلك بمنزلة الامام يقيم حدا على رجل فمات فلا دية عليه ولا يسمى الامام قاتلا »(٥١) ٠

ولم يقف التعليم عند الشيعة على هـذه المراحل ، وانما يستمر طول حياة الفرد ، وعلى هـذا فلا يمكن أن يقال بأن هناك سنا تنتهى عنده هذه العملية التربوية ، وقد أخذ الشيعة ذلك عن رسول اللـه (ص) حيث قال : « ٠٠٠ واعلم أن قليل العلم يحتاج الى كثير العمل لأن علم السـاعة يلزم صـاحبه طول عمره »(٥٢) وقال الامام محمد الباقر : فى حديث طويل عن رسـول اللـه (ص) : « ٠٠٠ ولا يسأم من طلب العلم طول عمره »(٥٣) ٠ بالاضافة الى ذلك أنه مكلف وكل مكلف يجب عليه معرفة الأحكام الشرعية ، وتعلمها اما اجتهادا ، أو تقليدا للمجتهد ٠ فالمجتهد هو الذى يبذل وسـعه لاستنباط الحكم الشرعى من الأدلة التفصيلية والمقلد كل من لم يصل الى هـذه المرتبة ، يجب عليـه الرجوع الى المجتهد فى معرفة الحكم الشرعى عن طريق التعليم ، اما مباشرة ، أو بالواسطة ، سواء كان بتعليم الغير ، أو مما كتبه المجتهد ٠ ولهـذا تستمر العملية التعليمية مدى الحياة ٠ وقـد جاء عن أئمة الشـيعة وأمرهم لشـيعتهم قولهم : « تفقهوا فى دين اللـه ولا تكونوا أعرابا ، فانه من لم يتفقه فى دين اللـه لم ينظر اللـه اليـه يوم القيامة ولم يزك له عملا »(٥٤) والمراد بالنظر هنا الرحمة ٠

---

(٥١) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٨ ٠ نقـلا عن الكافى للكلينى ـ جـ ٢ ـ ص ١٤٢ ٠
(٥٢) الكلينى : **الـكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٢ ٠
(٥٣) المصـدر السـابق : جـ ١ ـ ص ١٠٨ ٠
(٥٤) المصـدر السـابق : ص ٢١٤ ٠

المرحلة الرابعة : مرحلة الاجتهاد :

يعتبر الاجتهاد مرحلة عليا من مراحل التعليم عند الشيعة ، والاجتهاد من الواجبات الكفائية عندهم، و الواجب الكفائى هو : أن الأمر يتعلق بكل مكلف فاذا قام بـه البعض ، وحصل الغرض الذى من أجله شرع الواجب الكفائى ، سقط الأمر عن الآخرين ، واذا لم يحصل الغرض كان المكلفون جميعا محاسبين عن ذلك حتى يتحقق الغرض · فاذا أكمل المتعلم مقدماته العلمية التى يتوقف عليها الاجتهاد ، مثل العربية والمنطق والفلسفة والأصول والمعانى والبيان والحديث وعلم الرجال ، وغيرها من العلوم ، ورغب فى مواصلة تحصيله العلمى فى استنباط الأحكام الشرعية ، فانه ـ والحالة هذه ـ يواصل دراسته ، وذلك عن طريق حضور حلقات المجتهدين · وهذه المرحلة لا تقف عند حد ، وانما تستمر طول حياة الانسان ·

كما أن هذه المرحلة تتوقف أيضا على خبرات أخرى ، أهمها مراجعة الكتب الاستدلالية المطولة فى الفقه وأصوله ، ودراستها دراسة متقنة ، اضافة لما يتعلمه من المجتهدون فى حلقات دروسهم ، كى تحصل له ملكة الاستنباط · والملاحظ أن هذه المرحلة يدخلها كثير من رواد العلم ، والراغبين فى تحصيل الاجتهاد ، الا أن الذين يقطعون هذا الشوط الطويل والمعاناة الجادة فى تحصيلهم هذه المرتبة قليل جدا(٥٥) ·

ثالثا ـ طرق التعليم :

عنى المربون المسلمون بطرائق التعليم ، وكانت لهم أنظارهم ومذاهبهم فى ذلك · هذه الطرق والأساليب التى انتهجها المربون فى التعليم ليست منفصلة عن ثقافة العصر ونظمه الاجتماعية ، لأن التعليم نشاط اجتماعى تنعكس عليه كافة الأنشطة الاجتماعية ، وما فيها من قيم ومعايير ونظم ، كما تعكس وجهة نظر الفيلسوف والأهداف التى ترمى اليها فى العملية التعليمية · ولهذا عنى الشيعة بطرق التعليم ، واعتبروها من الأسباب التى يوصلون بها المعارف والعلوم الاسلامية الى المتعلمين · وأهم هذه الطرق هى :

---

(٥٥) انظر مبحث الاجتهاد من الفصل الأول من هذا البحث ·

١ ـ المناظرة وتطبيقها التربوى :

من أظهر طرق التعليم عند الشيعة ، طريقة المناظرة ، وقد كانت هـذه الطريقة من أهم الطرق التربوية فى ذلك العصر ، لما لها من الأثر الكبير فى شحذ الذهن وتقوية الحجة ، والتمرن على سرعة التعبير ، وترتيب الأفكار ، وتجديد نشاطها كما تساعد التلاميذ على تنمية قدراتهم العقلية(٥٦) • ولهـذا أولاها المسلمون عناية كبرى فى طرق تعليمهم • ويبدو أن الشيعة أول من فتق الكلام فى المناظرة وجعلوها طريقا لايصال المعارف والعلوم الى الناشئة ، وتتلمذ عليهم عدد كبير من متكلمى الفرق الاسلامية وتأثروا بمنحاهم فى هـذا الاتجاه • ولهـذا يمكن أن يقال بأن هـذه الطريقة من طرق التعليم من محض انتاجهم(٥٧) •

ويعتبر الشيعة أن من الشروط التى يجب أن تتوفر لدى المناظر سعة الصدر ، والسماح مع الخلق الحسن فى مقام المناظرة ، وافساح المجال لمن يتناظر معه ، كما أن المناظر لا بد أن يبتغى من وراء مناظرته طلب الحق الواقعى ، وأن يكون مستقلا بالعلم ذا قوة واقتدار ومعرفة تامة ودراية صادقة كى يستفيد منه(٥٨) • أى أن يكون معدا اعدادا علميا لهـذه الطريقة ، ولهـذا كان أئمة الشيعة يجيزون لأصحابهم فى المناظرة اذا كانوا مهيئين لها مع العلم وقوة الاحتجاج • ومن هـذا قول الامام الصادق للكابلى حين رأى مؤمن الطاق يناظر المخالفين : « يا أبا خالد ان صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقض ، وأنت اذا قصوت لن تطير »(٥٩) •

ولا ريب أن هـذه الطريقة من أبرز المؤثرات التى تعمل على شحذ القرائح ، ودفع الانسان الى بذل جهد عقلى مضاعف لكى يستنبط أساليب

---

(٥٦) سعيد اسماعيل على : **ديمقراطية التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ • وأيضا عبد الله عبد الدائم : **التربية عبر التاريخ** ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ـ ١٩٧٣ ـ ص ١٧٨ •

(٥٧) انظر مبحث علم الكلام من الفصل السابع من هذا البحث •

(٥٨) عبد الصاحب الحسينى : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ـ ص ٣١٤ •

(٥٩) هاشم معروف الحسنى : **سيرة الأئمة** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٠٨ •

من الاستدلال والنظر جديدة ، ليبنى معتقده ، وهـذا يجعل من المناظره والمجادلة سببا من أسـباب ازدهار الفكر لا خموده(٦٠) ولهـذا يعزو ابن خلدون الركود الفكرى الذى شـاع فى البلاد بعـد ذلك الى رداءة طرق التدريس التى أهملت فيها المناقشة والمذاكرة ، فيقول : « وأيسر طرق هـذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة فى المسائل العلمية فهو الذى يقرب شأنها ويحصل مرامها ... »(٦١) .

ومن شرائط المناظرة عند الشـيعة ، أن يكون المناظر عالما مطلقـا ذا قوة وملكة على ردالفروع الى الأصول ، عارفا بقواعد وأدلة الأحكام ، صـاحب نظـر واجتهاد حتى اذا ظهر الحق على يد خصمه وعرفه تراجع وسلم وانتقل اليه وتبعه وترك ما عنده(٦٢) .

والتطبيق التربوى لهـذه الطريقة ، ما كان يعقده الامام الصادق من مناظرات ، وكان يناظر فيها أهل الفرق المختلفة ، وكان كثير من الناس يحضرون هـذه المناظرات ، حتى صار مقصد طلاب العلم العلوى(٦٣) . استأذن عبد اللـه الديصانى الامام الصادق بالدخول عليه ، فأذن له ، فلما قعـد قال لـه : « يا جعفـر بن محمـد ، دلنى على معبودى ؟ فقـال لـه أبو عبد الله (ع) ما اسـمك ؟ فخرج عنه ولم يخبره باسـمه ، فقـال لـه أصحابه : كيف لم تخبره باسمك ؟ فقال : لو كنت قلت له : عبد اللـه كان يقول : من هـذا الذى أنت له عبد ، فقالوا له : عد اليه وقل له : دلنى على معبودى ولا تسألنى عن اسمى ؟ فقال له أبو عبد اللـه (ع) : اجلس واذا غلام له صغير فى كفه بيضة يلعب بهـا ، فقال له أبو عبـد اللـه : ناولنى يا غـلام البيضـة ، فنـاوله اياها ، فقـال له أبو عبد اللـه : يا ديصانى : هـذا حصن مكنون له جلد غليظ ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد

---

(٦٠) محمد جعفر شمس الدين : **دراسات فى العقيدة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣ .

(٦١)ابن خـلدون : **المقـدمة** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٥٨ . وأيضا عبد الله عبد الدائم : **التربية عبر التاريخ** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٨ .

(٦٢) عبد الصاحب الحسينى : **الأخـلاق عند الرسـول** ـ مرجـع سـابق ص ٣١٢ .

(٦٣) محمـد أبو زهـرة : **الامام الصـادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٦١ ـ ٦٢ .

الرقيق ذهبة مائعة وفضة ذائبة ، فلا الذهبة المائعة تختلط بالفضة الذائبة ، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهبة المائعة ، فهى على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن صلاحها ولا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها ، ولا يدرى للذكر خلقت أم للأنثى ، تنفلق عن مثل ألوان الطواويس أترى لها مدبرا ؟ قال : فأطرق مليا ثم قال : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأنك امام وحجة من الله على خلقه ٠٠ »(٦٤) ٠

ويبدو أن المناظرة عند الشيعة من الطرق التعليمية التى تحتاج الى قوة فكرية ناضجة ، والى تدريب عقلى مستمر ، ولهذا عنى أئمة الشيعة بتدريسها الى شيعتهم وتلاميذهم ، والمناظرة التى وقعت بين هشام ابن الحكم أحد متكلمى الشيعة وبين عمرو بن عبيد ثانى شخصية اعتزالية تدل على مدى استخدام الشيعة للحجج العقلية بالاضافة الى الحواس فى هذه الطريقة ، حتى قيل فى هشام انه ما ناظر أحدا من الفرق المختلفة الا وكان النجاح بجانبه(٦٥) ٠ كما ناظر أصحاب الأديان الأخرى(٦٦) ٠ ولهذا كان يلزم المعتزلة فى مناظراته وحجاجه(٦٧) ٠ كل ذلك من أجل الدفاع عن العقيدة الاسلامية وتعليم الغير حسب اعتقادهم ٠

٢ ـ طريقة الدعاء :

ومن الطرق التى استخدمها الشيعة فى التربية والتعليم الدعاء ، وهذه الطريقة مما انفرد بها الشيعة ٠ يقول المظفر : « وفى الحقيقة أن الأدعية الواردة عن النبى وال بيته عليهم السلام خير منهج للمسلم ، اذا تدبرها تبعث فى نفسه قوة الايمان ، والعقيدة وروح التضحية فى سبيل

---

(٦٤) الكلينى : **الكافي** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥ ٠ وأيضا **أمالي الصادق** : مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص ١٧٠ ـ ١٧١ ٠ وأيضا حسون الدلفى : **فضائل آل الرسول فى المعقول والمنقول** ـ بيروت مؤسسة الاعلمى ـ ١٩٧٣ ـ ص ٦٥ ٠

(٦٥) أحمد محمود صبحى : **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص٣٧٣ .

(٦٦) ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ١٥٤ ٠ وأيضا أحمد كمال زكى : **الحياة الأدبية فى البصرة الى نهاية القرن الثالث الهجرى** ـ القاهرة ـ دار المعارف ١٩٧١ ـ ص ٩٩ ٠

(٦٧) الشهرستانى : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ ج١ ـ ص ١٨٥ . وأيضا المسعودى : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص ١٠٤ ٠

الحق وتعرفه سر العبادة ، ولذة مناجاة اللـــه تعالى والانقطاع اليــه ، وتلقنه ما يجب على الانسان أن يعمله لدينه وما يقربه الى اللــه تعــالى زلفى · ويبعده عن المفاســد والأهواء والبدع الباطلة · وبالاختصــار أن هــذه الأدعية قد أودعت فيها خلاصة المعارف الدينية من الناحية الخلقية والتهذيبية للنفوس ، ومن ناحية العقيد الاسلامية ، بل هى من أهم مصادر الآراء الفلسفية والمباحث العلمية فى الالهيات والأخلاقيات »(٦٨) ·

وأول من استخدم هــذه الطريقة فى التعليم الامام على بن الحسين ، حيث جعل يداوى النفوس المريضة بالصرخات الأخلاقية والآيات السامية وكان فى عصر لم تسمح له السلطة القائمة أن يرتقى المنابر ويرشد الناس ، ولم يتسن له أن يبث ما طمسه بنو أمية من أحكام الدين الاسلامى ، فجعل يوضح ذلك بطريق الدعاء ، فبعث بالصحيفة السجادية ، وهى حاوية على أربعة وخمسين دعاء فى الصلاة والصيام والحج ، وأدعية تذكر العبــاد بما عليهم من واجبات ، اذ تذكرهم بحق الله وحق النفس وحق الجوارح وحق الســلطان ، وحق العــلم ، وحق الرعيــة وحق الأب والابن وحق المستشــير وحق المستشـــار الى غير ذلك من الحقــوق التى تقتضــيها المعاملات(٦٩) ومن هنا تنوعت أشكال الدعاء وألوانه ومضامينه وأساليبه فيما لدى الشيعة من أدعية الأنبيــاء والأئمــة المعصــومين كعلاج نفسى أو روحى أو تربوى(٧٠) ·

فالامام على بن الحسين اضطر أن يتخذ من أســلوب الدعاء ذريعــة لنشر تعاليم القرآن وآداب الاسلام ، وتلقين الناس روحية الدين والزهد ، وما يجب من تهذيب النفوس والأخلاق ، وهــذه طريقة مبتكرة فى التلقين والتعليم لا تحوم حولهــا شــبهة المطاردين لــه ، فلذلك أكثر من الأدعية فجمعت بعضها الصحيفة السجادية وجاءت فى أسلوبها ومراميها فى أعلى أساليب الأدب العربى ، وأصبح طريقة لتعليم الأخلاق الاسلامية ، وكانت

---

(٦٨) محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٤ ·
(٦٩) أحمد محود صبحى : **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص٣٥٠ ·
(٧٠) محمــد حسين فضل الله : **خطــوات على طريق الاســـلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢٣ ·

فى مختلف الموضوعات التربوية ، فهى تعليم للدين والأخلاق فى أسلوب الدعاء ، أو دعاء فى أسلوب تعليم للدين والأخلاق(٧١) ٠ » بل يكاد يكون أسلوب الدعاء عند بعضهم (ع) الأسلوب الوحيد للقيام بأعباء رسالتهم فى شد الأمة بقيمها وتراثها ٠٠ فقد تضمنت فى كل فصل منها توجيهات اجتماعية وأخلاقية واقتصادية وتربوية ونفسية وعقائدية »(٧٢) ٠

يقول محمد جواد مغنية : « وقد توسع أهل البيت (ع) فى المناجات والدعاء وأدخلوا فيه فلسفة العقيدة وصفات الجلال والكمال للذات القدسية ٠٠٠ وأيضا استوعبت أدعية أهل البيت الأخلاق النظرية والعملية الكثير من الحكم الخالدة وتحديد الدين والمتدين الحق ٠٠٠ وأيضا اتخذوا من المناجاة وسيلة للتربية الفاضلة والتوجيه الى العمل من أجل حياة أفضل والتحرر من كل ما يوجب التخلف ويعاني منه الفرد والمجتمع »(٧٣) ٠ وقد أكثر الشيعة من حفظ هذه الأدعية وتعلمها وتعليمها للناشئة على مر العصور ، واستنسخ الناس منها نسخا كثيرة ، كما طبعت فى عصر الطباعة(٧٤) ٠

والتطبيق التربوى للدعاء ما جاء فى دعاء الافتتاح عن أئمة الشيعة يذكر الباحث نصا منه:

« ٠٠٠ اللهم انا نرغب اليك فى دولة كريمة تعز بها الاسلام وأهله ، وتذل بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتك والقادة الى سبيلك ، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة ، اللهم ما عرفتنا من الحق فحملناه وما قصرنا عنه فبلغناه ، اللهم الم به شعثنا ، واشعب به صدعنا ، وارتق به فتقنا وكثر به قلتنا واعزز به ذلتنا واغن به عائلنا واقض به مغرمنا ، واجبر به فقرنا وسد به خلتنا ويسر به عسرنا ٠٠٠

---

(٧١) محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٨١ ٠

(٧٢) انظر مقدمة **الصحيفة العلوية المباركة** لعلى بن أبى طالب ـ ط ٣ ـ بيروت ـ دار التعارف للمطبوعات ـ بدون تاريخ ـ ص ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ٠

(٧٣) محمد جواد مغنية : **فى ظلال الصحيفة السجادية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠ ـ ١١ ٠

(٧٤) محمد باقر الصدر : **على بن الحسين زين العابدين** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٦٦ ـ ٦٧ ٠

وبلغنا به من الدنيا والآخرة آمالنا ... »(٧٥) .

والتطبيق التربوى الثانى للدعاء ما جاء عن الامام على بن الحسين : « .. اللهم صلى على محمد وآله ، وحلنى بحلية الصالحين وألبسنى رتبة المتقين فى بسط العـــدل وكظم الغيظ واطفاء النـائرة وضم أهل الفرقة واصلاح ذات البين وافشاء العارفة وستر العائبة ولين العريكة وخفض الجناح وحسن السيرة ... وطيب المخالفة والسبق الى الفضيلة وايثار التفضـــل وترك التعبير والافضـــال على غير المســتحق والقــول بالحــق وان عــز ، والصـمت عن البــاطل وان نفــع واســتقلال الخير وان كثر من قولى وفعلى .. »(٧٦) .

٣ ـ طريقــة الامــلاء :

وهذه الطريقة فى التدريس كانت مشهورة بين العلماء والمربين حتى سميت بعض الكتب فى ذلك بالامالى . وعندما تطورت الحركة العلمية وبلغت ذروتهـــا واســـتخدم الورق ، أصـبح الامــلاء من أعلى مراتب التعـليم(٧٧) . حيث كان المسـتملى يجلس على مرتفـع ، وينصت لــه الحاضرون من التلاميذ ويبتدىء المدرس درســه بذكر اللـــه والصـــلاة على النبى (ص) . ثم يملى ما يريد تعليمــه ، ويكتب الطلاب خلف المدرس ، وبعد الانتهاء يعرج على الشرح والايضاح والتفسير للفقرات الغامضـــة ، ويدون الطــلاب هـــذه الشروح على هامش الأوراق التى كتب عليهـــا الأصـــول(٧٨) .

وقد استعمل أئمة الشيعة وشيوخهم هــذه الطريقــة فى التعليم . وكان لهم كتب عدة فى الامالى ، وهى عبارة عن محاضرات يمليها الشــيخ على تلاميذه فى مجلس أو فى مجالس ، وفى أيام معينة ، أو فى مواســم

---

(٧٥) الســيد محمــد حسن الطالقــانى : **مفتاح الجنان فى الادعية والزيارات والاذكار ـ النجف الاشرف** ـ مكتبة دار المعارف ـ ١٣٨٩ هـ ـ ص ٢٠٥ .

(٧٦) المصدر السابق : ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

(٧٧) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ص٣١٦ .

(٧٨) أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** ـ ط ٦ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ـ ص ٣٧٤ .

خاصة(٧٩) ٠ فقد أملى الامام الصادق على تلاميذه فى مختلف العلوم ٠ وله كتاب يسمى « أمالى الصادق » يقع فى أربعة أجزاء مطبوع(٨٠) ٠ كما أملى الامام الرضا على تلاميذه أيضا ٠ يقول محمد بن زيد ، جئت الى الرضا أسأله عن التوحيد فأملى على ٠٠٠ »(٨١) ٠

وقد ألف علماء الشيعة طائفة من كتب الامالى ، منها كتاب الامالى للشيخ الصدوق القمى ، وأمالى الشيخ المفيد ويحتوى على اثنتين وأربعين مجلسا تحتوى على مائتى مطلب فى شتى البحوث مع اسنادها الموثوق بصدورها عن النبى (ص) وآل بيته ٠ ومن كتب الحسن بن خالد البرقى « تفسير العسكرى من املاء الامام عليه السلامماية وعشرون مجلدة »(٨٢)٠ كما أملى الشيخ الطوسى دروسه على تلاميذه بانتظام ، وما كتابه الامالى الا محاضرات القاها فى النجف(٨٣) ٠

أما أمالى السيد المرتضى ، فهى عبارة عن مجالس أملاها فى أزمان متعاقبة ، وترجع قيمة ما عرض له الشريف فى هذه المجالس من تأويل الآيات كما اختار أيضا طائفة من الأحاديث التى يختلف العلماء فى تأويلها ، ويبدو التعارض فيما بينها ، وحاول تفسيرها وتأويلها بالمنهج الذى عالج به تأويل أى القرآن ، وقد أملى الشريف هذه المجالس فى داره على تلاميذه ومريديه ، فى أزمنة مختلفة ، لم يصل العلماء الى التاريخ الذى بدأها فيه ، ولكن الثابت فيه أنه فرغ من املائها يوم الخميس الثامن من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة(٨٤) ٠ كما أن ابن الجعابى

---

(٧٩) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسى أبو جعفر محمد بن الحسن** ـ رسالة ماجستير مطبوعة فى التاريخ الاسلامى فى جامعة بغداد ـ الاشرف ـ مطبعة الآداب ـ ١٩٧٥ ـ ص ٤٧٨ ٠

(٨٠) **انظر أمالى الصادق** ـ مرجع سابق ٠

(٨١) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٠ ٠

(٨٢) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ٠ وأيضا اغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ ط ٢ ـ طهران ـ ١٩٦٨ ـ جـ ٢ ـ ص ٣١٣ ٠

(٨٣) محمد بحر العلوم : **موسوعة العقبات المقدسة ـ قسم النجف** ـ مقالة بعنوان « **الدراسة وتاريخها فى النجف** » ـ بيروت ـ مطابع دار الكتب ـ ١٩٦٥ ـ جـ ٢ ـ ص ١٨ ٠

(٨٤) محمد أبو الفيض ابراهيم : **مقدمة كتاب « أمالى المرتضى »**

=

أحـد شيوخ الشيعة فى بغداد ، كان يملى على تلاميذه(٨٥) • قال الخطيب البغدادى : كان ابن الجعابى يملى الأحاديث فتمتلىء السكة التى يملى فيها والطريق••ولم يكن الجعابى يملى الأحاديث كلها بطرقها الا من حفظه»(٨٦) وقعـد الصاحب بن عباد للاملاء ، وحضر كثير من طلاب العلم عنده بحيث كان له ستة مستملين(٨٧) •

٤ ـ طريقـة الوعـظ :

ولطريقة الوعظ أهمية عظيمة فى التربيـة الاسـلامية ، حيث تقـوم بتنشئة المسلم العابد الصالح • فالموعظة من الأساليب التربوية الرائعة ، لأنها تؤدى الى كمال الانسـان وتنمية خلقـه ، ولهـذا ينبغى أن يتمثلها المعلم والمتعلم(٨٨) •

والموعظة المؤثرة هى التى تفتح طريقها الى النفس عن طريق الوجدان وتثير عواطفه لحظة من الوقت ، وتهز مشاعره ، لذلك لا تكتفى الموعظـة وحـدها فى التربيـة اذا لم يكن بجانبها القدوة • ولهـذا تكون الموعظـة من الضرورات اللازمة فى توجيـه الدوافع الفطرية لدى الانسـان(٨٩) • وهـذه الطريقة تقوم على توضيح الأمور النافعة والضـارة للمتعلمين ،

=
للشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى ـ دار احيـاء الـكتب العربية ـ ١٩٥٤ ـ ص ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ •

(٨٥) انظر مراكز العلم عند الشيعة ـ بغداد ـ من الفصل الخامس من هـذا البحث •

(٨٦) الخطيب البغدادى : **تاريخ بغـداد** ـ مرجع سـابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٢٨ •

(٨٧) الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : **بغيـة الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاه** ـ تحقيق محمـد أبو الفضـل ابراهيم ـ مطبعـة عيسى البـابى الحلبى ـ ١٩٦٥ ـ جـ ١ ـ ص ٤٤٩ • وأيضـا آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١٧ •

(٨٨) على خليل أبو العينين : **فلسفة التربية فى القـرآن الكريم** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ •

(٨٩) محمد قطب : **منهج التربية الاسلامية** ـ ط ٤ ـ بيروت ـ دار الشروق ـ ١٩٨٠ جـ ١ ـ ص ١٨٧ •

وتعظهم وترشدهم الى الخير ، وتحثهم على التحلى بمكارم الأخلاق(٩٠) ٠

يقول الكرمانى أحد شيوخ الشيعة : « وان المواعظ أكبر الأسباب فى صلاح النفس وتهيئها ونهوضها ، لتلقى أوامر اللـه تعـالى بالامتثال ، فهى التى تتجمع فى القلوب ، وتحـدث فيهـا رغبة ورهبـة ، فتقبل على الطاعات والاخلاص فى العبادات ٠٠٠ وتبعث النفس على ترك ما تهواه من ذاتها وبذل ما لها للفوت والموت جملة فى رضـاء اللـه ٠٠٠ واذا كان الأمر فى امتناع النفس عن اتباع هواها متعلقا بالمواعظ التى فعلها فيها ، مثل هـذا الفعل ، انبعاثا من ذاتها للقيام بالوقوف عند الأوامر والنواهى ، فقد ظهر مصداق قولنا ، فيما سبق ، نقضا لقول ابن زكريا ، فى تفويض الأمر الى النفس ، فى اصلاح ذاتها ، بمجردها ، وأنـه لا يصـلح الا بما قلنا »(٩١) ٠ حيث ذهب ابن زكريا الى أن اصـلاح النفس يكون بذاتهـا ومن غير مصلح ولهـذا نقض عليه الكرمانى قوله هـذا ، بأن صلاح النفس لا بد له من موعظة تحرك الوجدان النفسى والمشاعر الفطرية نحو الكمال ٠

ان تأكيد الشـيعة على هـذا الاسـلوب ينطلق من واقع الحقيقـة الدينية التى تحاول أن تعمق فى نفس الانسـان مسـئوليته العملية فى الدنيا ، وتربطه بالدار الآخرة من حيث تجسيدها لنتائج المسئولية ، فلم تنطلق القضية من خطة عمليـة لربط العمل بالآخرة ، من حيث سـلامة العمل واستقامته ، بل من خلال تكامل التصور الاسلامى للايمان باللـه وبالدار الآخرة ، مما يجعلنا فى حاجة الى تقوية هـذا الايمان واستعادته فى كل فترة ، ليبقى حيا فى الأعماق(٩٢) ٠ وفى نفس الوقت يثير أسلوب الوعظ أمام الانسان قصة الدنيا والآخرة ، لكى يجعل من الدنيا دار عمل ، بكل ما للعمل من معنى فردى وجماعى ، يعنى حياة الناس بالفكر والعمل ٠ فالأساليب الوعظية تحدث فى نفس الانسان تغيرا كبيرا فى نظرته الى

---

(٩٠) محمد عطية الابراشى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٢ ٠

(٩١) الكرمانى : **الأقوال الذهبية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٠ـ٢٨١ ٠

(٩٢) محمد حسين فضل الله : **خطوات على طريق الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠٩ ٠

العمل من خلال قضية المصير ، لأن طبيعة الموت الذى يعتبر بداية الحياة الأخرى هى التى يواجهها الانسان لتحديد مسئوليته(٩٣) ٠

ومن أمثلة التطبيق التربوى للموعظة ما جاء عن سفيان الثورى ، أنه طلب من الصادق بن الصادق جعفر بن محمد (ع) أن يعظه ، فقال له الصادق : « يا سفيان لا مروءة لكذوب ، ولا أخ لملوك ، ولا راحة لحسود ولا سؤدد لسيء الخلق » فطلب أن يزيده ، فقال له : يا سفيان ثق بالله تكن مؤمنا ، وارض بما قسم لك تكن غنيا ، واحسن مجاورة من جاورته تكن مسلما ، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ، وشاور فى أمرك الذين يخشون الله عز وجل » ٠ فقال سفيان زدنى ، فقال له الصادق : « يا سفيان من أراد عزا بلا عشيرة وغنى بلا مال وهيبة بلا سلطان ، فلينقل من ذل معصية الله الى عز طاعته ٠٠ »(٩٤) ٠

والتطبيق التربوى الثانى للموعظة ، ما وعظ به الامام الصادق تلميذه المفضل قال : « فكر يا مفضل فيما أعطى الانسان علمه وما منع ، فانه أعطى جميع ما فيه صلاح دينه ودنياه ٠ فمما فيه صلاح دينه ، معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة فى الخلق ، ومعرفة الواجب من العدل على الناس كافة ، وبر الوالدين ، وأداء الأمانة ، ومؤاساة أهل الخلة وأشباه ذلك مما قد توجد معرفته والاقرار والاعتراف به فى الطبع والفطرة من كل أمة موافقة أو مخالفة ٠ وكذلك أعطى ما فيه صلاح دنياه ، كالزراعة والغراس واستخراج الأرضين ٠٠٠ ومعرفة العقاقير التى يستشفى بها من ضروب الاسقام ٠٠٠ والتصرف فى الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب ٠٠ »(٩٥) ٠

ويبدو من هذه المواعظ التى كان يعظ بها أئمة الشيعة ، أنها تعد مناهج عامة لسلوكيات الانسان ، تحرك فيه الاحساس فى حالة الفكر وفى حالة العمل ، مما يجعل الانسان يعيش الاحساس بالله فى موقع المسئولية وبالتالى تحرك الانسان نحو العمل وكذلك الانضباط فى السلوك الى جانب تعميق الاعتقاد والايمان بالله فى فهم الحياة ٠

---

(٩٣) المصدر السابق : ص ٣٠٦ _ ٣٠٧ ٠
(٩٤) الصدوق : **الخصال** _ مرجع سابق _ جـ ١ _ ص ١٦٩ ٠
(٩٥) آمالى الصادق : مرجع سابق _ جـ ١ _ ص ٢٦٠ _ ٢٦١ ٠

٥ ـ طريقة الرسائل :

كانت الرسائل احدى طرق التدريس ، وكان الطالب يرسل مسائله الى استاذه ويتلقى منه الأجوبة عليها مكتوبة ، فاذا اشتهر أحد العلماء بعلم من العلوم أتته الرسائل من طلاب العلم تحمل اليه مسائلهم واستفساراتهم فيجيب عليهم ، ثم يبعثها على هيئة أجوبة للسائلين(٩٦) ٠

وهذه الطريقة فى التدريس كانت شائعة فى ذلك العصر عند الشيعة ، فقد استعملها الطلاب مع أئمتهم وشيوخهم ٠ قال سهل : كتبت الى أبى محمد (ع) سنة خمس وخمسين ومائتين : قد اختلف ياسيدى أصحابنا فى التوحيد ٠٠٠ فان رأيت يا سيدى أن تعلمنى من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطولا على عبدك ، فوقع بخطه (ع) : سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول ، الله واحد أحد ٠٠٠ »(٩٧) ٠

وقد كان يطلق على هذه الرسائل بكتب « المسائل » وهى عبارة عن أجوبة لمسائل أرسلها أو وجهها مباشرة طلبة للأئمة أو لمشاهير الشيوخ ، كالمرتضى والطوسى وغيرهما ٠ ويدل اقتران تلك المسائل ببلدان مختلفة ، أحيانا ، كما يظهر من النصوص المذكورة ، أنها ترسل ، على الأغلب ، للأئمة أو الشيوخ عند تعذر لقائهم كما أن كثرة الكتب التى تحمل عنوان « المسائل » يدل على أن الشيخ بعد أن يجيب على تلك المسائل يجمع أجوبته أو يجمعها أحد طلبته ، خاصة عند صدورها عن الأئمة فى كتاب يطلق عليه اسم المسائل مقرونا أحيانا باسم المكان الذى أرسلت منه أو الامام الذى أجاب عنها (٩٨) ٠

ومن الأمثلة على طريقة المراسلة ما رواه ابن شهر أشوب من أن داود الصرفى كان ممن لقى زين العابدين عليه السلام ، له كتاب المسائل ،

---

(٩٦) حسن عبد العال : **التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى** رسالة ماجستير مطبوعة ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٥٥ ٠

(٩٧) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٣٨ ٠

(٩٨) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٣ ٠

كما كان للحلبى كتاب المسائل عن الامام الصادق . وكذلك زكريا بن آدم القمى من أصحاب الامام موسى بن جعفر له مسائل . ولصفوان بن يحيى مسائل عن أبى الحسن موسى بن جعفر ، ولعلى بن يقطين « مسائل عن أبى الحسن » . بالاضافة الى المسائل التى كانت ترسل الى شيوخ الشيعة مثل المسائل الموصلية وغيرها للشريف المرتضى ، وللشيخ الطوسى مجموعة من كتب المسائل منها « مسألة فى الأحوال » .. ومسألة فى تحريم الفقاع(٩٩) . وكتاب « المسائل فى الفرق بين النبى والامام » ، وكتاب « مسائل الرازية فى الوعيد » وهو عبارة عن عشرة مسائل وردت من مدينة الرى الى الشريف المرتضى ، وقد أجاب عنها الشيخ الطوسى . وكتاب « مسالة فى الحسن والقبح » وكتاب « ثلاثون مسألة كلامية »(١٠٠) .

٦ ـ التعليم عن طريق الكتب :

تعتبر الكتب من أهم أساليب التربية ، بل أصبحت مادة أساسية للمعرفة ، حيث تسجل فيها أمهات العلم وأصوله ، ولعل ذلك ما يفضل تلقينه وأخذه عن العلماء . يقول كاريل : « .. كذلك المكتبات والمعامل والكتب والمجلات وسائل مناسبة لتنمية العقل ... وحتى اذا لم يوجد الأساتذة ، فان بالامكان الاكتفاء بالكتب لتحقيق هذه الغاية .. »(١٠١) .

وكان للكتب لدى المسلمين منزلة عظيمة وتقدير كبير ، ولهذا حث أئمة الشيعة على التعلم منها والاحتفاظ بها . يقول الامام الصادق : « القلب يتكل على الكتابة » . وقال : « اكتبوا فأنكم لا تحفظون حتى تكتبوا »(١٠٢) . وجاء عنه أيضا : « احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون » اليها وقال للمفضل بن عمر : « اكتب وبث علمك فى اخوانك فان مت فأورث كتبك بنيك ، فانه يأتى على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه

---

(٩٩) المصدر السابق : ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

(١٠٠) اغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٢٢١ . وأيضا حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٤٦ .

(١٠١) كاريل : **الانسان ذلك المجهول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٥ .

(١٠٢) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٦٦ .

الا بكتبهم »(١٠٣) وبهـــذا المعنى جـــاء عن الامـــام الحسن بن على ابن أبى طالب فى وصـيته لأبنــائه وأبنــاء أخيــه بأن يحتفظوا بكتبهم ويضعونها فى بيوتهم(١٠٤) ٠

ان التعلم من الكتب يحقق أعظم النتــائج ، اذا ما ارتبط بخبرات مباشرة وسط علاقات اجتماعية ٠ ولهـذا فان الكتب تفتح أمام التلاميذ آفاقا واسعة ، كما تكون وسيلة لتفسير مواقف الحياة ، اذ أن الكتب توفر للتلاميذ العلوم التى توصل اليها العلماء والمفكرون ، وتساعد على تغذية العقل(١٠٥) ٠ ومن هنا كانت الكتب من أعظم الوسائل التربوية ، لأن الكتاب يقرأ فى كل مكان بخلاف العلماء ٠ كما يبدو أن هــذه الطريقة فى التعليم أول من نادى بها واستخدمها فى التربيــة الاسلامية أئمة الشيعة ، وذلك لأن النصــوص الواردة عن أئمــة أهل البيت ، تعتبر من أقـــدم النصوص فى هــذا المجال ٠ ولهـذا كان أقدم كتاب يتعلم منه الشــيعة هو الصحيفة التى كتبها الامام على من املاء رسول اللــه (ص) ٠ حتى روى عنه أنــه قال : « ما عندنا كتاب نقــرؤه عليكم الا ما فى القــرآن وما فى هــذه الصحيفة »(١٠٦) ٠

ويرسم لنا الامام الصــادق فى وائل القرن الثانى الهجرى ما للكتب من قيمة علمية وأدبية فى قوله : « وكذلك الكتابة التى بها أخبار المــاضين للباقين ، وأخبار الباقين للآتين ، وبهــا تخلد الكتب فى العلوم والآداب وغيرها ، وبهــا يحفظ الانســان ما يجرى بينــه وبين غيره من المعــاملات والحساب ، ولولاها لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين

---

(١٠٣) المصدر السابق : ص ٦٧ ٠ وأيضا المجلسى : **بحار الأنوار** مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٥٠ ٠

(١٠٤) المجلسى : المصــدر السابق ـ ص ١٥٢ ٠ وأيضــا الخطيب البغداد : **تاريخ بغـداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٩٩ ٠

(١٠٥) محمــد الهــادى عفيفى : **الأصول الفلسفية للتربية** ـ مرجــع سابق ـ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ٠

(١٠٦) المسعودى : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٧١ ٠ وأيضا كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٩ ـ جـ ١ ـ ص ١٨٣ ٠ وانظر عبد الله فياض : **تاريخ التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٣ ٠ وانظر أمـر الصحيفة من الفصل السابع من هــذا البحث ٠

عن أوطانهم ، ودرست العلوم وضاعت الآداب ، وعظم ما يدخل على الانسان من الخلل فى أمورهم ومعاملاتهم وما يحتاجون الى النظر فيه من أمر دينهم ، وما روى لهم مما لا يسعهم جهله ، ولعلك تظن أنها مما يخلص اليه بالحيلة والفطنة وليست مما أعطيه الانسان من خلقه وطباعه.. »(١٠٧).

٧ ـ التعليم عن طريق الأسئلة والمذاكرة :

ومن طرق التدريس عند الشيعة السؤال ٠ وقد قررت التربية الحديثة هذه الطريقة واعتبرت أن التدريس السليم لا يتحقق أبدا بغير قدر كاف من المناقشات الحرة ، كما أنها ترى أن الأسئلة ضرورة واجبة ، لأنها وسيلة الاتصال بين المعلم والمتعلم ، ويعرف بواسطتها استعداد تلاميذه ومبلغ تحصيلهم ، ويستطيع قيادتهم وتوجيههم ، كما أنها تقدر أهمية المناقشة بالاسلوب الذى اتبعته التربية العربية لأنها تكون عملية تبادل حر للآراء ، لا يقصد منه انتصار أحد أو هزيمته ، وانما تهدف الى الوصول بالمناقش الى ادراك أفضل لكل ما يحيط بالقضايا المعروضة من ظروف وملابسات وأسباب ومسببات(١٠٨) ٠

ان طريقة أئمة الشيعة وعلمائهم فى التعليم ، تنطوى على كثير من القواعد الحديثة فى التربية ، هذه الطريقة التى حددوها بالتكرارات ، ودعوا فيها المعلم الى القاء المسائل على المتعلم ، كما دعوا المتعلم بأن يكثر مسائله على معلمه ٠ وفى ذلك جاء عن الامام الصادق قوله لحمران بن أعين فى شىء سأله : « انما يملك الناس لأنهم لا يسألون ٠٠ » وقال أيضا : « ان هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة » ٠ وقال : لا يسع الناس حتى يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا امامهم ويسعهم أن يأخذوا بما يقول ٠٠ »(١٠٩) ٠

وقد نادت بهذه الطريقة أو الاسلوب فى التعليم مدرسة التساؤل ، ففلسفة التربية عندها جزء من فلسفة السؤال المستمر ، والتساؤل الذى لا يفتر ٠٠ وعلى هذا الأساس تتحول فلسفة التربية الى طاقة للسؤال ،

---

(١٠٧) آمالى الصادق : مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ٠
(١٠٨) محمد فوزى العنتيل : **التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها** دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ ـ ص ٣٩ ـ ٤٠ ٠
(١٠٩) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٩ ـ ٥٠ ٠

ومنبع للاستفهام لا يتوقف عن مناقشة العملية التعليمية ، والكشف عن معانيها ، وبذلك لا يبدأ التعليم أو يستمر من غير أسئلة تناقش أسسه ومسلماته ، ولهذا فان نجاح العملية التربوية يكون على مدى قدرة الطلاب على السؤال(١١٠) ٠

والذى يبدو هو أن التربية الاسلامية قد أكدت على أهمية التساؤل منذ أربعة عشر قرنا ، فقد ورد عن أهل البيت عن رسول الله (ص) قوله : « تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا فان الحديث جلاء القلوب ، ان القلوب لترين كما يرين السيف وجلاؤه الحديث »(١١١) ٠ وعن الامام محمد الباقر قال : « العلم خزائن والمفاتيح السؤال ، فاسألوا رحمكم الله ٠ فانه يؤجر أربعة : السائل والمتكلم والمستمع والمحب لهم »(١١٢) ٠ وبهذا المعنى جاء عن أئمة الشيعة أيضا ، يقول الامام جعفر الصادق : « تلاقوا وتحادثوا العلم ، فان بالحديث تجلى القلوب الرائنة »(١١٣) ٠ ويقول أيضا : « رحم الله عبدا أحيا العلم ، قال : قلت : وما احياؤه ؟ قال : أن يذاكر أهل الدين وأهل الورع »(١١٤) ٠ وقال الامام محمد الباقر : « تذاكر العلم دراسة والدراسة صلاة حسنة »(١١٥) ٠ ولهذا كان الشيعة يكثرون من الأسئلة على أئمتهم لأجل التعلم منهم ٠ مثال ذلك عن زرارة بن أعين قال : سألت أبا جعفر (ع) ـ يعنى محمد الباقر ـ ما حق الله على العباد ؟ قال : أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عندما لا يعلمون »(١١٦) ٠ قال الشهيد الثانى : « ٠٠٠ أن يتأمل ـ أى الطالب ـ ويهذب ما يريد أن يورده ، أو يسأل عنه قبل ايراده والتفوه به ، ليأمن من صدور هفوة أو زلة أو وهم وانعكاس فهم ، فيصير له بذلك ملكة صالحة ، وخلاف ذلك اذا اعتاد الاسراع فى

---

(١١٠) حسان محمد حسان : **فلسفة التربية** ـ دراسات فى فلسفة التربية ـ مرجع سابق ص ٤٢ ٠

(١١١) المجلسى : **بحار الآنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٥٢ ٠ وأيضا الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ص ٥٠ ٠

(١١٢) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٤٥ ٠

(١١٣) المجلسى : **بحار الآنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٠٢ ٠

(١١٤) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٠ ٠

(١١٥) المصدر السابق : ص ٥١ ٠

(١١٦) المصدر السابق : ص ٥٣ ٠

السؤال والجواب ، فيكثر سقطه ، ويعظم نقصه ، ويظهر خطؤه.. »(١١٧).

هـذه أهم الطرق التى استعملها الشـيعة فى التعليم منذ القـرن الأول للهجرة وما بعده ، بالاضافة الى الحلقات العلمية التى كان يعقدها أئمة الشيعة وشيوخهم فى المساجد وغيرها من أماكن التعليم ٠

رابعـا ـ المعلمون والتلاميـذ :

يعد المعلم فى جميع مراحل الدراسـة من العوامل المهمة فى عمليـة التعليم ، وما العملية المذكورة فى الواقع الا نتيجة اتصال المعلم بالتلميذ ، فالعلاقة بين المعلم والتلميذ تلعب دورا كبيرا فى بناء شخصياتهم لدرجة يمكن اعتبارها المفتاح الموصل الى نجاح العملية التعليمية أو فشلها ، حتى أن سـمات الشخصية لدى المعلم لهـا تأثير كبير على التلاميذ ، فان منظره وطريقته فى التعليم تثير انتباه التلاميذ ، ومن هنا يأتى تقليده أو رفضه للمعلم ٠ وعلى هـذا يمكن اعتبار التلميذ كالمريض ، فانه يحتاج الى رعاية وعناية تختلف عن رعاية الآخرين ، وقـد يكون التلاميذ انعكاسا لشخصية المعلم(١١٨) ٠ فهم يتأثرون بحالة المعلم النفسية واستعداداته الانفعالية ، فاذا هو أظهر روح الاستبشـار والتفتح للحيـاة ، كان جديرا بتلاميذه أن يظهروا الابتهاج وروح الود والتحاب والتجاوب معه(١١٩) ٠

ومن هنا تكون الحاجة الى شخصية المعلم الواعى البصير بشئون المجتمع الذى يعالج شخصية التلميذ ويبنيها من جميع جوانبها ويوجهها فى طريق الجماعة ويسـتطلع الاتجاهات قبل أن تتحقق ، سـواء أكانت مرغوبا فيها أو غير مرغوب ، ويعالج التلميذ على أساسها ، فهو اما يعرضه لها أو يكسبه المناعة ضدها(١٢٠) ٠ وبهذا المعنى ورد عن الامام الصادق :

---

(١١٧) عبد الصاحب الحسينى العاملى : **الآخـلاق عنـد الرسـول وأصحابه** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٥ ٠

(١١٨) Ramyont. T., **"The Principles of Education,"** Longmans, green and Co. London. 1922, PP. 351—352.

(١١٩) سعيد اسماعيل على : **أوضاع المربين العرب** ـ دار الثقافة ـ ١٩٧٩ ـ ص ١٩ ٠

(١٢٠) المصـدر السـابق : ص ٢٣ ٠

« ... واعلم أن المتلبس بالعلم منظور اليه ومتأس بفعله وقوله وهيئته ، فاذا أحسن سمته وصلحت أحواله وتواضعت نفسه وأخلص لله تعالى عمله ، انتقلت أوصافه الى غيره من الرعية ونشأ الخير فيهم ، وانتظمت أحوالهم .. »(١٢١) .

وقد أدرك المسلمون أهمية المعلم بالنسبة للعملية التعليمية ، كما تنبهوا الى أن العلم وحده لا يكفى ليكون سلاح المعلم ، بل لا بد أن يضاف الى العلم فن التربية ليتمكن المدرس من معرفة نفسية التلميذ ، والنزول الى مستواه ، والاتصال العاطفى به ليكون جسرا يوصل خلاله العلم الى عقله(١٢٢) . وعلى هذا فشخصية المعلم فى الاسلام لها أثر عظيم فى عقول التلاميذ ونفوسهم ، اذ يتأثرون وهم فى تلك السن الصغيرة بمظهره وشكله وحركاته وسكناته ، واشاراته وألفاظه التى تصدر عنه ، وسلوكه الذى يبدو منه ، وهكذا سادت فى المعلمين شخصية علمية وخلقية نابعة من روح الاسلام ، عرفت عنهم واشتهروا بها ، وسرت منهم الى الصبيان بطريق الايحاء والتقليد والمحاكاة ، مما هو فطرى فى النفس الانسانية ، بالاضافة الى أن شخصية المعلم بارزة فى العلم بحيث تسمو الى مرتبة الأدباء أو الشعراء أو النحاه أو الفقهاء ، فهو يحفظ القرآن وما يتصل به من العلوم الضرورية لفهمه وحسن نطقه(١٢٣) .

ان نظرة الشيعة الى المعلمين لا تختلف فى جوهرها عن نظرة الاسلام ، بل هى نابعة من صميم تعاليمه وارشاداته ، لا سيما اذا لاحظنا أنهم مارسوا عملية التعليم بمختلف أساليبها ، وفى مختلف الأماكن ، وهذا لا يتم عادة الا عن طريق الاحتكاك والاتصال بين العالم والمتعلم ، أو بين المعلم والتلميذ ، ومن هنا تعرض الشيعة الى المعلم ومدى علاقته بالتلاميذ ، وما الصفات التى يجب أن يتحلى بها كل منهما لكى تستمر العملية التعليمية على خير وجه .

---

(١٢١) عبد الصاحب الحسينى : **الأخلاق عند الرسول وأصحابه** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٣ .
(١٢٢) أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٠ .
(١٢٣) أحمد فؤاد الأهوانى : **التربية فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

وقد أعتبر الشيعة أن حاجة غير العالم للعــالم من الضرورات التى تتوقف عليها العملية التربوية ، ولهــذا قالوا ـ كما مر ـ : « فلما لم يجز بقاؤهم الا بالأدب والتعليم وجب أنه لا بد لكل صحيح الخلقــة ٠٠٠ من مؤدب ٠٠٠٠٠٠ وأدب وتعليم ٠٠ »(١٢٤) ٠ ومن هنا كان العلم والتعليم عندهم ثمرة اتصــال المعلم بالتلميذ ٠ يقول العيناثى : « ٠٠٠ واعلم أن المعلم والأستاذ أب لنفسك وسبب لنشوئها ٠٠ »(١٢٥) ٠

وقــد أشــار أئمة الشيعة الى أهمية العلاقة بين المعلم وتلميذه فى عملية التعليم ، وأنها ينبغى أن تقوم على أساس من الارتباط بين العــالم والمتعلم لنجاح العملية التعليميــة ، منذ أوائل القرن الأول للهجرة ٠ من ذلك قول الامام على بن أبى طالب : « اذا جلس المتعــلم بين يدى العــالم فتح اللــه له سبعين بابا من الرحمة ٠٠٠ »(١٢٦) ٠ وبهــذا جاء عن الامام محمد الباقر : « ان الذى يعلم العلم منكم له أجر مثل أجر المتعلم وله الفضل عليــه ، فتعلموا العــلم من حملة العــلم وعلموه اخوانكم كمــا علمكموه العلمــاء »(١٢٧) ٠

وقد تكلم أئمة الشيعة وشيوخهم عن الصفات التى يجب أن يتحلى بها كل من المعلم والمتعلم ٠ ولهــذا فان للعالم المعلم آدابا فى نفســه ، وآدابا مع طلبته ، كما أن للمتعلم آدابا مع معلمه ٠

أولا ـ آداب العــالم فى نفســه :

١ ـ أن لا ينصب نفسه للتدريس حتى يكون مؤهلا لذلك ، ويشهد له به صلحاء شيوخه ٠ قال الامام على : « انما هلك الذين قبلكم بالتكلف ، فلا يتكلف رجل منكم ، ان يتكلم فى دين اللــه بما لا يعرف ، فان اللــه عز وجل يعذر على الخطــأ أن أجهدت رأيك »(١٢٨) ٠ وعن عبد الرحمن

---

(١٢٤) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٠٦

(١٢٥) العيناثى : **آداب النفس** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٤٦ ٠

(١٢٦) عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق فى حــديث واحــد** ـ مرجــع ســابق ـ ص ٢٢ ٠

(١٢٧) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٢ ٠

(١٢٨) عبــد اللــه فيــاض : **تاريخ التربيــة عند الامامية** ـ مرجــع ســابق ـ ص ١٤٩ ٠

ابن الحجاج قال : قال لى أبو عبد اللـه (ع) ـ يعنى الصادق ـ : « أياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك : اياك أن تفتى الناس برأيك أو تدين بمـا لا تعلم »(١٢٩) • وبهـذا يقول الشهيد الثانى : « كما وأنه اذا تصـدى للتدريس من ليس بأهل لذلك قبل اتقانه للمطالب ونضوجه ، وعلم من له الأمر والحل والنفوذ من الأسـاتذة ، وأنـه قاصر وغير صـالح للتدريس نصحه وردعه سرا وخفية وشـدد عليه النكير ، فان لم ينجح ولم يرتدع ، أنبه علانية وهدده وخوفه بطرق يرتدع بهـا ويقنع ويرجع الى الاشـتغال ويتأهل للكمال »(١٣٠) •

٢ ـ صيانة العلم • وعلى العالم أن يصون العلم ، كما صانه علماء السلف ، وأن لا يذله فيبذله لغير أهله ، والا يذهب الى مكان المتعلم مهمـا كبر قدره الا أن تدعو اليه ضرورة ، أو تكون هنـاك مرجحات دينية تلزمه بذلك • قال الامام على : « كانت الحكماء فيما مضى تقول يحسن بالانسان أن يسعى الى أبواب العلماء الذين يستفاد منهم علم الدين والدنيا »(١٣١)•

٣ ـ أن يكون العـالم عاملا بعلمـه • قال الامام على : « تعلموا العـلم تعـرفوا ، واعملوا بـه تكونوا من أهلـه »(١٣٢) • وقال الامام الصادق : « ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصـفا »(١٣٣) •

٤ ـ بذل العلم عند وجود المستحق وعدم البخل به ، وذلك أن اللـه أخـذ على العلمـاء من العهـود ما أخـذ على الأنبيـاء ليبينوه للنـاس ولا يكتمونه • قال الامام على : « ان اللـه لم يأخذ على الجهال عهدا بطلب

---

(١٢٩) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٢ • وأيضا الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٢ •

(١٣٠) عبد الصاحب الحسينى العاملى : **الأخـلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٤ •

(١٣١) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٩ • وأيضا عبد الصاحب الحسينى : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجـع سـابق ـ ص ١٣٥ •

(١٣٢) ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٥٢ •

(١٣٣) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٦ •

العلم حتى أخـذ على العلماء عهدا ببذل العلم للجهـال »(١٣٤) • وقال الامام الحسن بن على : « علم الناس علمك ، وتعـلم علم غيرك فيكون قد أتقنت علمك وعلمت ما لم تعـلم »(١٣٥) • وقال الامام محمد البـاقر : « زكاة العلم أن تعلمه عباد اللـه »(١٣٦) •

٥ ــ أن يخلص المعلم تعليمه للـه سبحانه ، ولم يكن له فيه باعث دنيوى من طمع مالى ، أو جاه ورئاسة أو شهـــرة بين الناس ، بل يكون الباعث مجرد التقرب الى الله تعالى والوصول الى المثوبات • قال الامـام الصادق : « من تعلم للـه عـز وجل وعمل للـه وعلم للـه دعى فى ملكوت السموات عظيما »(١٣٧) • وقوله : « اذا رأيتم العالم محبا لدنياه فاتهموه على دينـكم فان كل محب للشىء يحـوط ما أحب »(١٣٨) وقـال الامـام موسى بن جعفر : « ••• وما أوتى عبد علما فازداد للدنيا حبا الا ازداد من اللـه بعـــدا »(١٣٩) •

٦ ــ أن يقول ما يعلم ويسكت عما لا يعلم حتى يرجع اليه ويعلمه ، ولا يخبر المتعلمين ببيان خلاف الواقع ، وهـذا الشرط لا يختص بالمعلمين فقـط ، بل يعم كل من تصدر عنه المســائل العلمية ، كالمفتى والقـاضى وغيرهما • قال الامام الباقر : « حق الله على العباد أن يقولوا ما يعلمون ، ويقفوا عندما لايعلمون»(١٤٠)•وقال أيضـا : « ماعلمتم فقولوا : ومالم تعلموا فقولوا : الله أعلم»•وقال الصادق : «للعالم اذا سئل عن شىء وهو لا يعلمه أن يقول : الله أعلم وليس لغير العالم أن يقول ذلك »(١٤١) • وقال الامام

---

(١٣٤) المصـدر السـابق : ص ٥١ •

(١٣٥) عبد الصاحب المظفر : **الأخـلاق فى حـديث واحـد** ــ مرجـع سابق ــ ج ١ ــ ص ١٨ •

(١٣٦) الكلينى : **الكافى** ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ٥١ •

(١٣٧) عبد الصاحب المظفر ــ **الأخلاق فى حديث واحـد** ــ مرجـع سابق ــ ج ١ ــ ص ٣٣ •

(١٣٨) عبد الصاحب الحسينى : **الأخـلاق عند الرسـول** ــ مرجـع سـابق ــ ص ٨٢ •

(١٣٩) المجلسى : **بحار الأنوار** ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ١٥٦ •

(١٤٠) محمد مهدى النراقى : **جامع السعادات** ــ ط ٤ ــ العراق ــ مطبعة الادابفى ــ النجف الاشرف ــ ١٩٦٧ ــ ج ١ ــ ص ١٤٤ ــ ١٤٥ •

(١٤١) الكلينى : **الكافى** ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ٥٢ ــ ٥٣ •

على بن أبى طالب : « خـذوا عنى كلمات لو ركبتم المطى فانضيتموها لم تصيبوا مثلهن : الا يرجو أحـد الا ربه ، ولا يخافن الا ذنبه ، ولا يستحى العالم اذا لم يعلم أن يتعلم ، ولا يستحى اذا سئل عما لا يعلم أن يقـول اللـه أعلم »(١٤٢) ٠

كما وينبغى عليه أن يبدأ أولا بتهذيب نفسه حتى يقتدى به ، يقول الامام على بن أبى طالب : « من نصب نفسه للنـاس اماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم »(١٤٣) ٠

٧ ــ ومن صفات العالم عدم اتباع السلطان : قال الشهيد فى منية المريد : « واعلم أن القدر المذموم من ذلك ليس هو مجرد اتباع السـلطان كيف اتفق ، بل اتباعه ليكون توطئة ووسيلة الى ارتفاع الشأن والترفع على الاقران وعظم الجاه والمقـدار وحب الدنيـا والرياسـة ونحو ذلك ، ولو اتبعه ليجعله وصـلة الى اقامة نظام النوع واعلاء كلمة الدين وترويج الحق وقمع أهل البدع والأمر بالمعرف والنهى عن المنكر ونحو ذلك ، لكان هو من أفضل الأعمال فضلا عن كونه مرخصا »(١٤٤) وبهـذا جاء عن الامام موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسـول اللـه (ص) : الفقهاء أمنـاء الرسل ما لم يدخلوا فى الدنيا ٠ قيل : يا رسـول اللـه ما دخولهم فى الدنيا ؟ قال : اتباع السـلطان ، فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على أديانكم »(١٤٥) ٠

ثانيـا ــ آداب المعلم مع تلاميـذه :

١ ــ الشفقة على المتعلمين : من واجبات المعلم المرشد فى الاسلام الشفقة على المتعلمين ٠ قال الامام على بن الحسين : « ٠٠ وحق الصغير

---

(١٤٢) الصدوق : **الخصـال** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ٣١٥ ٠
وأيضا ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ــ مرجع سابق ــ جـ ٢ ــ ص ١١٩ ٠
(١٤٣) المجلسى : **بحار الأنوار** ــ مرجع سابق ــ جـ ٢ ــ ص ٥٦ ٠
(١٤٤) عبد الصاحب الحسينى : **الأخـلاق عند الرسـول** ــ مرجـع سـابق ــ ص ١١١ ــ ١١٢ ٠
(١٤٥) المجلسى : **بحار الأنوار** ــ مرجع سابق ــ جـ ٢ ــ ص ٣٦ ٠

رحمته فى تعليمه والعفو عنه والستر عليه والرفق به »(١٤٦) . وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لها . قال ابن عباس : أكرم الناس على جليسى الذى يتخطى النـاس حتى يجلس الى ، لو استطعت الا يقع عليه الذباب لفعلت(١٤٧) .

٢ ـ التواضع فى تعليم العلم : ومن الواجب على العـالم المعلم التواضع للمتعلمين وأن يبين لهم ولسائر الناس ، أن التواضع من السنن الأكيدة ، وان كان لازما لكل من الناس ، خصوصا المؤمنين ، لكن للمتعلمين أوجب ، لأنهم بمنزلة الأولاد ، مع ما هم عليه من ملازمته واعتمادهم عليه فى طلب العلوم النافعة ولمكان حق الصحبة وشرف المحبة ، وعليه التلطف بهم والبشاشة وطلاقة الوجه ، واظهار الشـفقة والاحسـان اليهم ، وأن يخاطبهم بأحسن أسمائهم من الكنى والألقاب الموجبة للتعظيم والتوقير ، كما كان يفعله النبى (ص) وأهل بيتـه وأصـحابه ، وهى موجبة للمحبة وانشراح الصـدر والسرور ، ولقوله (ص) : « ان الناس لكم تبع وان رجالا يأتونكم من أقطار الأرض لكى يتفقهوا فى الدين ، فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا »(١٤٨) . وقال الامام الصـادق : « اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه العلم ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، لا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم »(١٤٩) .

٣ ـ ومن الحقوق اللازمة على العالم للطلبة وكل من يستفيد منه ، أن يراعى أحوالهم وتصرفاتهم فى المعاشرة والمعاملة وطرق الاسـتفادة والتحصيل ، وأن يكون همته تهذيبهم واستقامتهم ، ويبعدهم عن مساوىء الأخلاق ، وكل ما ينافى الكمال والمروءة والأدب ، والاشتغال فى تحصـيل العلم واقتنـاء معالى الصفات ، ويوصى تلامذته ببذل السـلام وحسن

---

(١٤٦) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٥٧ .

(١٤٧) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥١ .

(١٤٨) عبد الصاحب الحسينى : **الأخـلاق عند الرسـول** ـ مرجـع سـابق ـ ص ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(١٤٩) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٤٤ . وأيضا الشهيد الثانى : **معالم الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦ .

التخاطب فى الكلام والتجاوب والتعاون على البر والتقوى(١٥٠) . وأن يتفقد الغائب بعد أن كان ملازما للحضور معه وفى مجلسه ، فان كان مريضا عاده ، وان كان مشغولا بما هو أهم وتمكن من الاعانة له أعانه ، ولا أقل من أن يتفقد أحواله بالسؤال أو الارسال اليه(١٥١) .

٤ ــ وينبغى أن لا يفضل الأستاذ أحدا على أحد مع التساوى بينهم فضلا وسنا ودينا ، الا أن يكون هناك جهة تقتضى ذلك ، كالجد فى التحصيل والورع والأدب وما شابه ذلك ، ويلاحظ هذه الجهة فيكبره ويشجعه ويكرمه ولا بأس بذلك ، والا فخلاف الحكمة والعدالة وهو سوء فى المعاملة ، لأنه يؤدى الى وغر الصدور وايحاش القلوب ونفرتها(١٥٢) .

٥ ــ أن يكون المعلم حريصا على تعليم طلابه باذلا وسعه فى تفهيمهم وتقريب الفائدة الى أذهانهم وأفهامهم ، ويفهم كل واحد منهم بحسب فهمه وحفظه ، ولا يعطيه ما لا يحتمله ذهنه ، ولا يبسط الكلام بسطا ، ويخاطب كل واحد على قدر درجته وحسب فهمه(١٥٣) .

٦ ــ اذا تكمل الطالب وتأهل للاستقلال بالتعليم واستغنى عن التعليم ، فينبغى أن يقوم المعلم بنظام أمره فى ذلك ويأمر الناس بالاشتغال عليه والأخذ عنه . فقد أذن الامام الباقر لابان بن تغلب أن يفتى ويجلس فى مسجد المدينة ، وكانت الاجازات التى يمنحها شيوخ الشيعة لمن درسوا عليهم من الوسائل التى يعبر فيها أولئك الشيوخ عن رأيهم فى مقدرة طلبتهم العلمية(١٥٤) .

---

(١٥٠) عبد الصاحب الحسينى : **الأخلاق عند الرسول** ــ مرجع سابق ــ ص . ص ١٤٢ ــ ١٤٣ . وأيضا عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ــ مرجع سابق ص ١٥١ .

(١٥١) عبد الصاحب الحسينى : المصدر السابق ــ ص ١٥٠ .

(١٥٢) المصدر السابق : ص ١٥٠

(١٥٣) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ــ مرجع سابق ــ ص ١٥١ . وأيضا عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق فى حديث واحد** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص . ص ٤١ ــ ٤٢ .

(١٥٤) عبد الله فياض : المصدر السابق ــ ص ١٥١ ــ ١٥٢ . وأيضا عبد الصاحب الحسينى : **الأخلاق عند الرسول** ــ مرجع سابق ــ ص ١٥٤ .

وقد ظهرت طائفة من مشاهير المعلمين عند الشـيعة ، أمثـال أبان ابن تغلب الذى كان اذا قدم المدينة تقوضت اليه الحلق وأخليت له سارية النبى (ص) . ومحمد بن مسلم الثقفى الذى سمع من الامامين محمد الباقر وجعفر الصادق (ع) ثلاثين ألف حديث . وهشام بن الحكم (ت ١٩٩ هـ) الذى فتق الكلام فى الامامة . وأبى على النحوى المعروف بقطرب (ت ٢٠٦هـ) والعياشى من علماء القرن الثالث ، صاحب الدار التى كانت كالمدرسة على قول ابن داود الحلى ، أو كالمسـجد على قول النجاشى ، وابن الجنـدى وأحمد بن محمد بن عمران من شيوخ النجاشى ، والشيخ الصـدوق القمى صاحب الامالى الذى كان من المعلمين الكفاه . والشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) شيخ الشريف المرتضى والطوسى ، والشريفين المرتضى والرضى ، وشيخ الطائفـة الطوسى(١٥٥) . « ... وقـد كان لـه تلاميذ كثيرون ، وقـد ولد .. سنة ٣٨٥ فى طوس »(١٥٦) وأبى زيد البلخى حيث كان معلمـا للصبيان ، ثم رفعه العلم الى مرتبـة علية ، وكان قائمـا بجميع العلوم (ت ٣٢٢ هـ)(١٥٧) . ويعقوب بن السكيت وكان يؤدب مع أبيـه بمدينة السلام فى درب القنطرة صبيان العـامة ، وقـد ألزمه المتوكل العباسى تأديب ولده المعتز ، ثم قتله لتشـيعه(١٥٨) . وابن الجعـابى الذى كان يملى مجلسه فتمتلىء السكة والطريق الذى يملى فيه(١٥٩) . وأبى الأسود الدؤلى (ت ٦٩ هـ) والخليل بن أحمد ، وأبى زيد النحوى ، وكانت له أعظم حلقـه تدريس فى البصرة ، والفـراء ، حيث كان من كبـار المعـلمين ، وغير هؤلاء(١٦٠) .

---

(١٥٥) عبد الله فياض : المصدر السابق ـ ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

(١٥٦) خوليـان ريبيرا : **التربية الاسلامية فى الاندلس** ـ ترجمـة الطاهر أحمد مكى ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ ـ ص ٥٥ .

(١٥٧) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٦٤ـ٦٥ .

(١٥٨) المصدر السابق : جـ ٢٠ ـ ص ٥٠ ـ ٥١ . وأيضا ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٤٤١ ـ ٤٤٣ . وانظر بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠٥ .

(١٥٩) انظـر الفصـل الخامس : **مراكـز العـلم** ـ بغـداد ـ من هـذا البحث .

(١٦٠) انظر المدارس النحوية من الفصل السابع من هذا البحث .

ثالثـا ـ آداب الطالب مع معلمه :

وردت توصيات عامة عن أئمـة الشيعة ، يوصمـون بهـا المتعلمين ، وما ينبغي أن يتصفوا به تجاه المعلمين ، يشير الباحث الى بعض منها :

عن أبى عبد الله الصادق (ع) قال : كان أمير المؤمنين (ع) يقول : ان من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال ولا تأخذ بثوبه ، واذا دخلت عليـه وعنده قوم فسلم عليهم جميعا وخصه بالتحية دونهم ، واجلس بين يديـه ولا تجلس خلفه ولا تغمز بعينك ولا تشر بيدك ولا تكثر من القول : قـال فلان وقال فلان ، خلافا لقوله ، ولا تضجر بطول صحبته ٠٠ »(١٦١) ٠ وجاء فى رسالة الحقوق للامام على بن الحسين قوله : « وحق سائسك بالعلم : التعظيم له ، والتوقير لمجلسه ، وحسن الاستماع اليه ، والاقبال عليه ، وأن لا ترفع عليه صوتك ، ولا تجيب أحدا يسأله عن شىء حتى يكون هو الـذى يجيب ، ولا تحدث فى مجلسه أحـدا «لا تغتاب عنده أحـدا ، وان تدفع عنه اذاذكر عندك بسوء ، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس له عـدوا ، ولا تعـادى له وليا ، فاذا فعلت ذلك شهـد لك ملائكة اللـه بأنك قصـدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس »(١٦٢) ٠ ٠ ولهـذا وردت مجموعة من التوصيات والارشادات لطلبة العلم تعكس وجهة نظر الشيعة فيما ينبغى أن يكون عليه طالب العلم من صفات وأهمها ما يأتى :

١ ـ اختيار المعلم : ينبغى للمتعلم أن يختـــار « الأعـلم والأورع والأسن ، وينبغى أن يشاور فى طلب العلم لا يتعجـل فى الاختـلاف الى العلماء ، وأن يصبر شهرين حتى كان اختيـــاره للاستاذ لم يؤد الى تركه والرجـوع الى الآخـر فلا يبارك له ، فينبغى أن يثبت ويصبر على أستاذ وكتاب حتى لا يتركه ٠٠ »(١٦٣) قال العيناثى : « ومن أسعد السعادات أن يتفق لك يا أخى معلم رشيد عارف بحقائق الأمور مؤمن بيوم الحساب ،

---

(١٦١) الكلينى : **الـكافى** مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٤٦ ٠ وأيضـا الصـدوق : **الخصـال** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٥٠٤

(١٦٢)المجلسى : **بحـار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٤٢ ٠ وأيضا الشهيد الثانى : **معالم الدين** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣ ٠

(١٦٣) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٩ ٠ نقـلا عن آداب المتعلمين ٠

عالم بأحكام الدين ··· فاسأل يا أخى أن يوفق لك معلما رشيدا هاديا سديدا قد أخذ علمه من العلماء الأخيار ، عن الأئمة الأطهار عليهم السلام »(١٦٤) ·

٢ ـ يجب على طالب العلم التحلى بمكارم الأخلاق · فقد جاء عن الامام الصادق : قال : كان أمير المؤمنين (ع) يقول : يا طالب العلم ، ان العلم ذو فضائل كثيرة ، فرأسه التواضع ، وعينه البراءة من الحسد ، وأذنه الفهم ، ولسانه الصدق ، وحفظه الفحص ، وقلبه حسن النية ، وعقله معرفة الأشياء والأمور ، ويده الرحمة ، ورجله زيارة العلماء ، وهمته السلامة ، وحكمته الورع ، ومستقره النجاه ، وعافيته العافية ··· وجيشه محاورة العلماء ، وماله الأدب ، وذخيرته اجتناب الذنوب ، وزاده المعروف ، وماؤه الموادعة ، ودليله الهدى ، ورفيقه محبة الأخيار »(١٦٥) · ويبدو من هذا النص أنه يشمل معظم الصفات التى يجب أن يتصف بها المتعلم ·

٣ ـ ينبغى على طالب العلم الجد والاجتهاد فى تحصيل العلوم دراسة وتفهما وسؤالا ، قاصدا الاسترشاد والحفظ والضبط ، ويعتمد بعد التوكل على الله سبحانه على المطالعة بتوجيه وشوق واقبال لا يفوته معها الا ما كان معقدا ومجملا يتوقف فهمه على مقدمات مطوية ، أو كان من قبيل الرموز والألغاز ، أو الألفاظ المشتركة ، مما تحتاج الى سؤال ومسألة ، فعليه المبادرة الى تفهمها والسؤال عنها وحل غوامضها(١٦٦) ·

٤ ـ يجب على المتعلم تعظيم العالم زيادة على تعظيم الوالد ، لأن العالم بيده سعادته · يقول النراقى : « أن يحافظ شرائط الخضوع والأدب للمعلم ، ولا يرد عليه شيئا بالمواجهة ، ويكون محبا له بقلبه ، ولا ينسى حقوقه ، لأنه والده المعنوى الروحانى ، وهو أعظم الآباء الثلاثة(١٦٧) ·

---

(١٦٤) العيناثى : **آداب النفس** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ ·
(١٦٥) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٦٠ ·
(١٦٦) عبد الصاحب الحسينى : **الأخلاق عند الرسول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٣ ·
(١٦٧) محمد مهدى النراقى : **جامع السعادات** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٤٤ ·

قال الامام محمد الباقر : « اذا جلست الى عالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقـول ، وتعـلم حسن الاسـتماع كما تتعـلم حسن القول ، ولا تقطع على أحـد حديثه »(١٦٨) ٠ ولهـذا أوجب أئمة الشيعة على طالب العلم تعظيم المعلم وتوقيره والاقبال على مجلسه والتعلم منه(١٦٩) ٠

٥ ـ أن يجتهد الطالب فى أن يسبق غيره من الطلاب للحضور الى مجلس المعـلم قبل حضـوره ، وكان أبو على النحـوى المعـروف بقطـرب (ت ٢٠٦ هـ) من أشـهر تلاميـذه سـيبويه ، وكان حريصـا على الاشتغال والتعلم ، وكان يبكر الى سيبويه قبل حضور أحـد من التلاميذ ، فقال له يوما ما أنت الا قطرب ليل ، فبقى عليه هـذا اللقب ٠ وكان قطرب ممن رووا عن الامام جعفر الصادق(١٧٠) ٠

٦ ـ أن يكون تعلمه لمجـرد التقرب الى اللـه والفـوز بالسعادات الأخروية ، وأن لا يكون فيه شىء من المراء والمباهاة والمفاخرة ، والوصول الى جاه أو مال أو لمجرد التفوق على الاقران ٠ قال الامام الباقر : « من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء ، أو يصرف به وجوه الناس فليتبؤ مقعده من النار ، ان الرئاسة لا تصلح الا لأهلها »(١٧١) ٠ وقـال الامام الصادق : « طلبة العلم ثلاثة ، فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم ، صنف يطلبه للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للاستطالة والختل ، وصنف يطلبه للفقه والعقل ٠ فصاحب الجهل والمراء مؤذ ممار ، متعرض للمقال فى أندية الرجال يتذاكر العلم ، وصفه الحلم ، وقـد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع ، فدق الله خيشومه وقطع منه حيزومه ٠ وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق ، يستطيل على مثله من أشباهه ، ويتواضع للاغنياء من دونـه ، فهـو لحلوانهم هاضم ولدينه حاطم ، فأعمى الله على هـذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره ٠ وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر ، قـد تحنك فى

---

(١٦٨) المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٢ ٠
(١٦٩) الصدوق : **الخصال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٥٦٧ ٠
(١٧٠) عبـد اللـه غيـاض : **تاريخ التربية عند الامـامية** ـ مرجـع سـابق ـ ص ١٩٣ ٠
(١٧١) محمـد مهـدى النراقى : **جامع السعادات** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤١ ٠

برنسه وقام الليل فى حندسه يعمل ويخشى ، وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شأنه عارفا بأهل زمانه ، مستوحشا من أوثق اخوانه ، فشد الله من هـذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانة »(١٧٢) ٠

٧ ــ وينبغى لطالب العلم أن يحمل معه أدوات الكتابة ، روى عباد البصرى أنه جاء لأبى عبد الله (ع) ومعه أناس من أصحابه فسأله حديثـا فأخبره به « فكتب القـوم الحضور عنه ذلك الحـديث »(١٧٣) ٠ كمـا أن أصحاب الامام الكاظم كانوا يحضرون مجلسه ومعهم ألواح أبنوس لطاف وأميال يثبتون فيها ما يسمعونه عن الامام(١٧٤) ٠

٨ ــ ألا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ، ولا نوعا من أنواعها الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ٠ قال الامام على : « العـلم كثير فخذوا من كل أحسنه » ٠ وقال الامام موسى بن جعفر : « ٠٠ فلا تشغلن بعلم لا يضرك جهله ، ولا تغفلن عن علم ما يزيدك فى جهلك تركه »(١٧٥) ٠

٩ ــ ومن آداب المتعلم متابعة العالم ، وملازمته فى طلب العلم ٠٠ وأخـذ العهد من المتعلم أولا ، وعـــدم معصـيته للمعـلم ، والصبر على ما لم يحط علمه به من ذلك ، وعدم المبادرة الى انكار ما يراه من المعلم(١٧٦).

هـذه جملة من الصفات التى أوردها الشيعة ، والتى ينبغى لطـالب العلم التحلى بها لكى ينجح فى دراسته وحياته العلمية ٠ فالشيعة عرفـوا الحياة وما يحتاجه الانسان ، ولذا عنوا بناحيته الروحية عنايتهم بالناحية الجسمية ، فأعطوا الروح غذاءها من العلم والدين والفضيلة ، كما أعطوا الجسم ما يحتاج اليه من غـذاء صحى وحثوا الطـالب على صيانة روحـه وجسمه وعقله ٠ لأن العلم فيه صلاح القلب ٠

---

(١٧٢) المصدر السابق : ص ١٤٢ ــ ١٤٣ ــ ١٤٤ ٠

(١٧٣) عبـد اللـه فيـاض : **تاريخ التربية عند الامـامية** ــ مرجـع سابق ــ ص ١٩٣ ٠ نقـلا عن الكليني : **الـكافى** ــ ج ٧ ــ ص ١٨٢ ٠

(١٧٤) المصـدر السـابق : ص ١٩٣ ٠

(١٧٥) عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق فى حـديث واحـد** ــ مرجـع سابق ــ ج ١ ــ ص ١٤ ٠

(١٧٦) محمد باقر المجلسى : **بحار الأنوار** ــ مرجع سابق ــ ج ٢ ــ ص ٤٠ ــ ٤١ ٠

« الحالة الاجتماعية للمعلمين »

(أ) الحـالة المـالية :

لم أقف على أدلة تفيد أن أئمة الشيعـة وشيوخهم الذين تصـدروا للتدريس كانوا يأخذون أجرا على التعليم • بل ذهب أكثر فقهاء المسلمين على عدم جواز أخـذ الأجرة على العلوم الدينية ، لأنها من فروض الكفاية ، وأن تعلمها وتعليمها لا بد أن يكون الباعث فيه رضى الله سبحانه • ويمكن أن يقال عن النظام التربوى الاسلامى عامة فى هـذه الناحية ، فهـو أكثر انطباقا على النظام التربوى عند الشيعة لأنهم نظـرا للظروف السياسية السيئة التى عاشوا فيها خلال معظم فترات تاريخهم كانوا لا يجنون فى الغالب ، مكاسب دنيوية عندما يقومون بتعليم علوم آل البيت (ع) وتعلمها• ولهـذا كان الأئمة من أهل البيت يعلمون ـ كما يعتقد الشيعة ـ على سبيل التبليغ لرسالة أو كل اليهم النبى (ص) تبليغها بامر من الله • ويترتب على ذلك أنه لا مجال للبحث عن أخذ الأئمة أجرة على التعليم ، ولم ترد أية اشارة فى المصادر عن أخـذ أحـد الأئمـة على تعليم عـلم من العـلوم • أما حالة الأئمة المـالية فيظهر أنها كانت جيدة ، لأنهم كانوا يمثلون السلطة الشرعية فى نظر الشيعة ، ولهـذا كانوا يستوفون الحقوق الشرعية من شيعتهم ، ويستوفون فضلا عن ذلك ، مبالغ من موارد مختلفة كالوقف والايصاء(١٧٧)•

أما شيوخ الشيعة فليس هناك دليل على أنهم كانوا يأخذون أجرة على تعليم العلوم الدينية • ويؤيد ذلك أن عددا كبيرا من شيوخ الشـيعة قـد امتهن مهنـا مختلفة بالاضافة الى اشتغالهم بالعلم والتعليم ، فكان ميثم التمار أحـد تلامذة الامام على يبيع التمر فى الكوفة ، وكان الفقيـه على بن الحسين الطاطرى يبيع ثيابا يقال لها الطاطرية ، وأن نصر بن مزاحم مؤلف كتاب صفين كان عطارا ، وكذلك داود بن يزيد الكوفى(١٧٨) • وكان لأبى عبد اللـه الجلاب دكان يبيع فيه ، وقـد قتل على باب دكانه ، وهو من كبار علماء الشيعة(١٧٩) • ولهـذا كان شيوخ الشيعة يسدون معظم

---

(١٧٧) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦١ ـ ١٦٢ •

(١٧٨) المصـدر السـابق : ص ١٦٢ ـ ١٦٣ •

(١٧٩) حسن عيسى الحـكيم : **الشيخ الطـوسى** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٨ •

نفقاتهم من المهن الحرة التى يمتهنونها ، وربما تلقى بعض الشيوخ من الأئمة أو من وكلائهم بعد نهاية عصرهم معونات مالية من الحقوق الشرعية التى كان يستوفيها الأئمة فى حياتهم · كما أن الأئمة كانوا يساعدون بعض طلبة علوم آل البيت · وهذه تعد سنة واجبة الاتباع من قبل الوكلاء الذين تعد رعاية المشتغلين بتلك العلوم من أهم واجباتهم(١٨٠) ·

وقد يعتمد علماء الشيعة وطلابهم ـ بعد عصر الأئمة ـ على الحقوق الشرعية أيضا التى يدفعها المسلمون الى مراجع التقليد وعلى بعض الموقوفات الأهلية(١٨١) وهؤلاء بدورهم يقومون بتوزيعها على طلبة العلم · فكان السيد المرتضى يجرى على تلامذته رزقا ، فكان للشيخ أبى جعفر الطوسى كل شهر اثنا عشر دينارا ، وللقاضى بن البراج كل شهر ثمانية دنانير ، كما وقف قرية على كاغد الفقهاء(١٨٢) بالاضافة الى ما يحتاجه الطالب من الأمور المادية(١٨٣) · كما كان يجرى على تلاميذه حقوقا تختلف حسب مكانة الطالب ومؤهلاته(١٨٤) · يضاف الى ذلك أن بعض المتمكنين اقتصاديا كانوا يقدمون مبالغ محترمة لتمويل التعليم عند الشيعة ، أمثال العياشى الذى أنفق أمواله على العلماء ، وكانت ثلاثمائة ألف دينار(١٨٥) ·

ويبدو أن الحالة المالية كانت جيدة بالنسبة للعلماء وطلبة العلم ، فقد أهدى الوزير المهلبى لطلبة الشريف الرضى هدية على كره من الشريف ،

---

(١٨٠) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٥ ·

(١٨١) عبد الهادى الفضلى : **دليل النجف الاشرف** ـ مطبعة الآداب فى النجف ـ بدون تاريخ ـ ص ٧٥ ·

(١٨٢) المجلسى : **بحار الأنوار** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٣٠ · وأيضا محمد أبو الفضل ابراهيم : **مقدمة آمالى المرتضى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٨ ·

(١٨٣) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧ ـ ٤٨ ·

(١٨٤) الأصفى : **مقدمة كتاب اللمعة الدمشقية** ـ لمحمد بن جمال الدين العاملى ـ النجف ـ ١٣٨٦ هـ ـ جـ ١ ـ ص ٥٦ ـ ٥٧ ·

(١٨٥) عبد الله فياض : **دور الكاظم والرضا فى التربية والتعليم** دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٨٩ ·

فلم يمد أحد من طلبته يدا الى شيىء منها ، لأنه كان مكفى المئونة غنى النفس(١٨٦) ٠

هذا وقد قام بعض الأمراء والوزراء بجعل الصلات والأرزاق الى العلماء والفقهاء الذين مارسوا عملية التعليم ٠ فقد أجرى سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب على أبى نصر الفارابى الفيلسوف أربعة دراهم كل يوم فاقتصر عليها(١٨٧) كما كان يعطى عطاء لكل عمل ، فكان عيسى الرقى يأخذ أربعة أرزاق ، رزقا بسبب الطب ورزقا بسبب ترجمة الكتب ورزقين بسبب علمين آخرين(١٨٨) ٠

أما البويهيون ، فكانوا يقدمون الهبات السخية للمشتغلين بعلوم آل البيت ٠ فكانوا يكرمون العلماء والأدباء ، ويغدقون عليهم ٠ فكان عضد الدولة يدر الأموال على الأئمة والعلماء والقراء ، كما أجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والنحاه وغيرهم من أهل العلم(١٨٩) ٠

وفى العهد الفاطمى كان العلماء ، وطلبة العلم فى حالة مالية جيدة ، حيث أجرى الفاطميون الجرايات ، ورتبوا الأرزاق للأساتذة ، كما أوقفوا عليهم الأوقاف(١٩٠) ٠ فقد سأل الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس الخليفة العزيز بالله فى صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق لهم ما يكفى كل واحد منهم من الرزق وأمر لهم بشراء دار وبنائها(١٩١) ٠ كما جعل

---

(١٨٦) انظر ترجمة الشريف الرضى من **كتاب حقائق التأويل للشريف الرضى** ـ قم ـ ايران ـ دار الكتب الاسلامية ـ بدون تاريخ ـ جـ ٥ ـ ص ٨٥ ٠

(١٨٧) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٢١ ٠

(١٨٨) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ٠

(١٨٩) ابن الاثير : **الكامل** ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ١٠٠ ـ ١٠١ ، وأيضا أحمد الحوفى : **أبو حيان التوحيدى** ـ ط ٢ القاهرة ـ مطبعة نهضة مصر ـ بدون تاريخ ـ ص ٣٩ ـ ٤٠ ٠

(١٩٠) سعد مرسى أحمد : **تطور الفكر التربوى** ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٥ ـ ص ٢١٠ ٠

(١٩١) **خطط المقريزى** : مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٥٧ ٠

الحـاكم رواتب للفقهـاء وغيرهم من أهل العلم(١٩٢) ٠ وجعل ابن كلس للعلماء والقراء أرزاقا وعين لهم الرواتب(١٩٣) ٠

أما من حيث سـكنى أئمة الشيعة وشـيوخهم ، فيبدو أنهم كانوا يتمتعون بمنازل خاصة بهم ٠ فكان للامام على بن الحسين منزل يزدحم فيه طلاب العلم والعلمـاء(١٩٤) كما كان للامام محمد الباقر أيضـا دار يجتمع فيها رواد المعرفة(١٩٥) بالاضافة الى دار الامام الصادق ٠ ويحكى لنا المفضل الجعفى أحـد تلامذته عن هـذه الدار ، أن الامام الصادق كان يلقى دروسه على تلامذته وشـيعته فى داره(١٩٦) ٠ وهكذا كان يتمتع أئمة الشيعة بمنازل خاصة بهم ، فالامام على الهـادى حينما هجم عليـه الترك ليحضروه الى المتوكل ، وجدوه فى بيت مغلق وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن(١٩٧) ٠

وكان لشيوخ الشيعة منازل خاصة بهم يسكنون فيهـا ، وذلك لمـا يتمتع به هؤلاء الشيوخ من مكانة كبيرة عند الشيعة ٠ فكان منزل الشـيخ المفيد ندوة عامرة بالدرس والتدريس(١٩٨) ٠ وكان السيد المرتضى فى نعمة سابغة وخير كثير وثروة واسعة ، وقد تمكن بفضل هـذه الثروة أن يعيش فى داره مكفول الرزق منصرفا الى العلم والتعليم(١٩٩) ٠ كما أن للشيخ الطوسى دارا خاصة به يقوم فيها بتدريس تلاميذه ، كما يوجـد

---

(١٩٢) المصـدر السـابق : ص ٥٨ ـ ٥٩ ٠

(١٩٣) المصدر السابق : ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ٠ وأيضا حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٦ ٠

(١٩٤) محمـد باقـر الصدر : **على بن الحسـين** ـ دائرة المعـارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٦٦ ٠

(١٩٥) أبو زهـرة : **تاريخ المـذاهب الاسـلامية** ـ مرجع سـابق ـ ص ٦٨٨ ٠

(١٩٦) آمالى الصادق : مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٨ ٠

(١٩٧) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٣٥ ـ جـ ٥ ـ ص ٢٨٧ ٠

(١٩٨) مقـدمة : **بحـار الأنوار** المجلسى : مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٧١ ٠

(١٩٩) محمـد أبو الفضل ابراهيم ، **مقدمة كتاب آمالى المرتضى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ص ٨ ٠

فيهـا كرسى يجلس عليـه للتدريس(٢٠٠) • بالاضـافة الى دار محمـد ابن مسعود العياشى التى كانت مملوءة بالناس ما بين عالم ومتعلم(٢٠١). الى غير ذلك من المنازل التى كان يسكنها أئمة الشيعة وشيوخهم ، وهـذا يدل على ما يتمتع به هؤلاء الأئمة من مكانة اجتماعية مرموقة عند شيعتهم •

أما طلبة العلم ، فكانت لهم مدارس خاصة يسكنون فيها ، وتجرى عليهم الجرايات ، قد أنشأها لهم مراجع التقليد عند الشيعة • فقد أنشأ الشريف الرضى مثلا دارا للعلم جعلها مكانا يسكن فيها الطلبة ، وقد وفر لهم فيها كل ما يحتاجون اليه(٢٠٢) كما كانت دار الحكمة التى أنشـأها الحاكم مكانا لسكنى طلاب العلم(٢٠٣) •

هذا وقد استمر مراجع التقليد عند الشيعة ، وبعض الموسرين ، من عهد الشيخ الطوسى حتى الوقت الحاضر ، فى انشاء المدارس الخاصـة لسكنى طلبة العلم الوافدين من أماكن بعيدة ، مثل المدارس الموجودة فى مراكز العلم عند الشيعة • كالنجف الأشرف ، وكربلاء فى العراق ومدينتى قم وخراسـان فى ايران وما زالت هـذه المدارس عامرة بالطلاب ، وهى أماكن خاصة لسكناهم •

(ب) لبـاس المعلمين :

قد وردت اشارات متفرقة عن لباس الأئمة وشيوخ الشيعة ، ربمـا أعانت على التعرف على لباس المعلمين ، ولكن يصعب علينا استنتاج قاعدة عامة منها ، وذلك نتيجة التطورات الاجتماعية التى صاحبت التشيع منذ نشأتهم حتى وقت متأخر من حياتهم ، ولهـذا اختلف لباس العلماء من عصر الى آخر • فهناك اشـارات تدل على أن الشـيعة اتخذوا البياض

---

(٢٠٠) الاصفى : مقدمة **كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٩ •
وأيضا حسن الحكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧ •

(٢٠١) عبد اللـه فيـاض : **تاريخ التربية عنـد الامامية** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٧٧ •

(٢٠٢) باقر شريف القرشى : **النظام التربوى فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣١ • وأيضـا حسن الحـكيم : **الشيخ الطـوسى** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٤٧ •

(٢٠٣) **خطط المقريزى** : مرجع سابق ـ جـ ٢ ص ٢١٨ •

شـعارا لهم فى الفترة المبكرة من حياتهم ، واعتبروا ذلك سـنة ، لأن النبى (ص) قال : « البسوا البياض فانه أطيب وأطهر » • وعندما التقى الامام الصادق مع المنصور فى « الهاشمية » لبس ثيابا بيضاء ، فلما دخل عليه قال له المنصور : « لقد تشبهت بالأنبياء ، فقال الصادق : وأنى يبعدنى عن أبناء الأنبياء(٢٠٤) •

أما اللون الأخضر الذى يتميز به العلويون فلم يكن شعارا لهم الا فى أواخر القرن الثامن الهجرى(٢٠٥) • ومع ذلك فقد وردت اشارات تدل على أن الأئمة لبسوا الطيلسان والدراعة ، فقد روى الكلينى أن سلمان ابن راشد روى عن أبيه قال : « رأيت على بن الحسين (ع) وعليه دراعة سوداء وطيلسان أزرق »(٢٠٦) ولبس الامام الصادق ملحفة وردية • دخل أحد تلامذته عليه ، فوجده فى بيت منجد وعليه ملحفة وردية •• وكان الامام الصادق يلبس جبة(٢٠٧) •

ومع هذه الاشارات ، لا يمكن أن يكون ذلك قاعدة عامة يمكن الركون اليها ، وذلك لأن الأئمة من آل البيت عرف عنهم العزوف عن مباهج الدنيا ، ومع ذلك ، فأنهم كانوا يراعون تطورات الزمن فى لباسهم • فذات مرة سأل أحدهم الامام الصادق فقال : « ذكرت أن على بن أبى طالب كان يلبس الخشن ، يلبس القميص بأربعة دراهم وما أشبه ذلك ، ونرى عليك اللباس الجديد • فقال له ان على بن أبى طالب كان يلبس ذلك فى زمان لا ينكر ولو لبس ذلك اليوم شهر به ، فخير لباس كل زمان لباس أهله »(٢٠٨) • وذات مرة هجم الترك على دار الامام على الهادى فوجدوه فى بيت مغلق وعليه مدرعة شعر(٢٠٩) •

---

(٢٠٤) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٨ •
(٢٠٥) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٩ •
(٢٠٦) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٦ ـ ص ٤٤٩ •
(٢٠٧) عبد الله فياض : **تاريخ الحضارة عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٩ ـ ١٧٠ •
(٢٠٨) المصدر السابق : ص ١٦٩ •
(٢٠٩) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٣٥ ، وجـ ٥ ـ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ •

وقد وردت اشارات الى أن شيوخ الشيعة كانوا يلبسون القميص والرداء ٠ قال المفضل بن شاذان ، كنت مع أبى رحمه اللـه « اذ جاء شيخ حلو الوجه حسن الشمائل عليه قميص نرسى ورداء نرسى ٠٠٠ قلت من هـذا الشيخ ؟ فقال هـذا الحسن بن على بن فضال ٠٠ »(٢١٠) ولما عزم الصاحب بن عباد على املاء الحديث وهو وزير « خرج يوما متطلسا متحنكا بزى أهل العلم ٠٠٠ ثم خرج وقعد للاملاء وحضر الخلق الكثير »(٢١١) وهـذا الاختلاف فى لباس أهل العلم يجعلنـا لا نطمئن بوجود لباس موحد لهم ٠

أما الفاطميون ، فقد أوجدوا خزانة الكسوة التى كان يخرج منها أكسية لجميع الأمراء وكبار الدولة ، وقد تنوعت هـذه الأكسيات بتنوع طبقات الناس ، وكانت كسـوة رجال التعليم مذهبة ، تتكون من ست قطع أهمها القلنسوة والطيلسان ، وأصبحت الخضرة شعار الفاطميين ، ومن هنا لبس رجال العلم فى هـذا العهد عمامة خضراء(٢١٢) ٠

ومما تقدم يمكن لنا أن نستنتج أن القلنسوة والطيلسان كان شعارا عند أكثر العلماء من الشيعة ، أما بقية لباسهم فكان يختلف من مكان لآخر ، ومن عصر الى عصر ، حتى استقر أخيرا على العمامة والجبة والعباءة ٠ فالذى ينسب الى أهل البيت يكون شعارهم العمامة السوداء ، أما الذين لا ينتسبون الى أهل البيت ، فيكون شعارهم العمامة البيضاء ، وهـذا ما عليه العلماء حتى الوقت الحاضر ٠

---

(٢١٠) عبد الله فياض : **تاريخ التربية** ــ مرجع سابق ــ ص ١٧٠ ٠

(٢١١) آدم متز : **الحضـارة الاسـلامية** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ٣٢١ ٠

(٢١٢) أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** ــ مرجع سابق ــ ص ٢٧٧ ٠

الفصل الخامس

أهم المراكز العلمية عند الشيعة

ويشـمل :

المقـــدمة :

أولا ـ المدينــة المنــورة :

ـ الحركة العلمية عند الشيعة فى المدينة بعد عهد الامام على ٠

ـ مدرسة المدينة ودور الامام الباقر والصادق فى تأسيسها ٠

ـ نماذج ممن تخرج من مدرسة أهل البيت فى المدينة ٠

ـ المحتوى الفكرى لمدرسة أهـل البيت ٠

ثانيـا ـ العـــراق :

١ ـ الـكوفة ٠

٢ ـ بغـــداد ٠

ـ الشيخ الطوسى ومدرسة النجف ٠

ـ الدراسة فى مدرسة النجف ٠

ـ جماعة اخوان الصفاء الشيعية ٠

ثالثـا ـ بنو حمدان فى حلب والموصل ٠

رابعـا ـ قم والرى فى ايران ٠

خامسا ـ الادارسة فى المغرب والاندلس ٠

سادسا ـ الدولة الفاطمية فى مصر ٠

مقـــــدمة :

ان الدراسة العلمية كظاهرة لا يمكن فصلها عن الحياة الاجتمـاعية والمحيط والعوامل المحيطية ، ولا يمكن عزل العلوم عن المؤثرات التى تتدخل فى تكوين التاريخ البشرى • وانما يجب ربط هــذه الظاهرة بغيرها من الظواهر والعوامل المحيطية والزمنية ليتاح لنا أن نتعرف على العـوامل التى أدت الى انتشــار التشــيع ، واذاعة العقيــدة الشــيعية فى المجال التعليمى •

والعوامل التى يجب أن تلحظ فى تطوير المراكز العلمية عند الشيعة لنشر مذهبهم والتى تتدخل فى تكوين الدراســـة العلميـــة والبحث العلمى ثـلاثة :

١ ـ **الزمان** : ولا يقصد بالزمان عادة ، مرور الدقائق والساعات ، فذاك شيىء لا يهم الباحث ، وانمـا يقصـد بـه العمل الذى أنجـز الى حـد زمنى معين •

٢ ـ **المحيـط** : ولا شك فى تأثر البحوث والدراسات بـ « المراكز الثقافية » التى كان ينتقل اليها ، فكل واحد من المراكز العلمية التى ينقل فيها ويحول اليها « العلوم الشيعية » كان له طابع الثقافة الخاص ، وكان له تأثير بالغ فى تكوين الدراســات العلميــة وتطويرها • فحينما انتقلت الدراسة العلمية الشيعية من المدينــة الى الكوفة أصــبحت الكوفة مركز الاشعاع فى البحث العلمى الشيعى ، فتأثر البحث العلمى كثيرا بهــذا المحيط الجديد المزدحم بعلماء الشيعة ـ كما تأثر حينمـا وجدت المدارس الشيعية فى البصرة ثم بغداد وايران والنجف وغيرها ، وكون هـذا الاطار الحضارى والفكرى الجديد الذى كانت تزدحم جوانبه بمختلف المدارس الثقافية والعلماء والفقهاء ، من مختلف المذاهب الاسلامية •

٣ ـ **شخصية العلمــاء** : وهـذا عـامل ثالث فى تطـوير العـلوم ومراكزها عند الشــيعة لا نستطيع أن نغضى عنه ، فلمؤهـلات العــالم

أو الفقيه أو الامام عند الشيعة الفكرية وبعد نظره وعمق تفكيره وطموحه الفكرى للتجديد أثر كبير فى تطوير العلوم الانسانية والاسلامية ، فما جدده العلماء الشيعة مثلا فى مختلف العلوم لا يرتبط كليا بتأثير المحيط والعصر ، وانما كان يرتبط أيضـا بمؤهلات علماء الشـيعة الشخصـية وقابليتهم ونبوغهم(١) ٠

وعلى ضوء هـذه العوامل الثلاثة يحاول الباحث القيام بدراسـة لأهم المراكز العلميـة عند الشـيعة والكشف عن مدى تأثير العقيـدة الشـيعية فى تطويرها ٠

أولا ـ المدينـة المنـورة :

تعتبر المدينة المنورة المنطلق الأول للرسالة الاسلامية ، فلا غرو اذا كانت المدرسة الأولى للاشعاع العلمى عند أئمة الشيعة ٠ ولهـذا كانت المدينة المنورة الوطن الأول لفقهاء الشيعة من الصحابة والتابعين لهم ٠ فكان من فقهاء الصحابة بعد الامام على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، الذين تولى رسـول اللـه (ص) تربيتهم وتعليمهم ، ابن عباس حبر الأمة وفقيهها ، وسـلمان الفارسى ، وأبو ذر الغفـارى وأبو رافع ابراهيم مولى رسول اللـه ٠ بالاضافة الى وجود جمع كثير من التابعين من شيعة على بن أبى طالب حفظوا السنة النبوية وتداولوها فيما بينهم ونقلوها الى الأجيـال التى تليهم بأمانة وصـدق حتى قال : الذهبى فى ميزان الاعتدال : « فهـذا ـ أى التشيع ـ كثر فى التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق ، فلورد حديث هؤلاء ـ أى الشيعة ـ لذهبت جملة الآثار النبوية وهـذه مفسدة »(٢) ٠

وليس غريبا من الامام على أن يتجه الى العلم والمعرفة بكل ألوانهـا وأشكالها ، ويكون الرائد الأول بعد النبى (ص) فى الدراسات الاسلامية ،

---

(١) انظر محمد مهدى الاصفى فى تقـديمه **لكتاب اللمعة الدمشقية** لمحمد بن جمال الدين العاملى ـ مرجع سـابق ٠ وأيضـا الفصـل السابع من هـذا البحث ٠

(٢) الذهبى : **ميزان الاعتـدال** ـ مرجع سـابق ـ ج ١ ـ ص ٤ ٠ وأيضا محمد مهدى الاصفى : **مقدمة كتاب اللمعة الدمشقية** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٧ ـ ٢٨ ٠

وهو الذى غذاه الرسول (ص) فنون العلم والحكمة : حتى قال فيه (ص) : « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأت الباب »(٣) • فلا غرو اذن أن يتجه اليه الكل ليأخذوا العلم والعرفان من باب مدينــة العلم • ولهذا كان الامام على يقول للمسلمين : سلونى فوالله لا تسألونى عى شيىء يكون الى يوم القيامة الا حدثتكم به ، سلونى عن كتاب اللـــه فواللـه ما من آيــة الا أنا أعلم أبليل نزلت أم بنهــار أم فى ســـهل نزلت أم فى جبل •• »(٤) قال سعيد بن المسيب « لم يكن أحد من أصحاب رسول الـله (ص) يقولها الا على بن أبى طالب (ع) »(٥) •

وقد حلق الامام على فى العلم حتى تناول ما فى الكون من عجائب خلق الـلـه بحثا وتعليما وتدريسا ، ولهـذا كان يقول : « سلونى عن طرق السـموات فانى أعرف بهـا من طرق الأرضـين ، ولو كشف لى الغطـاء ما ازددت يقينا »(٦) • فكان عليه السلام وعاء ملىء علما ، ولهذا كان يقول لتميذه كميل : « ••• ها ، ان ههنا لعلما جما (وأشار الى صدره ، لو أصبت لـه حمله ••• »(٧) • وفى ذلك يقـول ابن عباس : « قسم علم النــاس خمسة أجزاء فكان لعلى منها أربعـة ، ولسائر الناس جزء شاركهم عليـه

---

(٣) الخطيب البغـدادى : **تاريخ الخلفـــاء** ــ مرجع سابق ــ ج ٤ ــ ص ٣٤٨ • وأيضا السيوطى : **تاريخ الخلفاء** ــ مرجع سابق ــ ص ١٧٠ • وأيضـــا المحب الطبـرى : **الرياض النضرة** ــ مرجــع ســـابق ــ ج ٢ ــ ص ١٩٣ ــ ١٩٤ •

(٤) المتقى الهندى : **كنز العمال** ــ مرجع سابق ــ ج ٢ ــ ص ٣٥٧ • وأيضا المحب الطبرى : **الرياض النضرة** ــ مرجع سابق ــ ج ٢ ــ ص ١٩٨ • وأيضا ابن حجر الهيتمى : **الصواعق المحرقة** ــ مرجع سابق ــ ص ٢٢٧ • والقندوزى : **ينابيع المـودة** ــ مرجع ســابق ــ ج ١ ــ ص ٦٨ • وأيضـا السيوطى : **تاريخ الخلفاء** ــ مرجع ســابق ــ ص ١٨٥ ــ وكذلك ســبط بن الجوزى : **تذكرة الخواص** ــ مرجع سابق ص ٢٧ • وأيضا العسقلانى : **الاصابة** ــ مرجع سابق ــ ج ٤ ــ ص ٥٦٨ • وأيضا القاضى النعمان بن محمد : **اختلاف أصـول المـذاهب** ــ تحقيق مصطفى غالب ــ بيروت ــ دار الاندلس ــ ١٩٧٣ ــ ص ٣٢ •

(٥) سبط بن الجوزى : **تذكرة الخواص** ــ مرجع سابق ــ ص ٢٨ •

(٦) المصـدر السـابق : ص ٢٧ •

(٧) محمد عبده : **شرح نهج البلاغة** ــ مرجع سابق ــ ج٤ ــ ص٣٦ •

فيه فكان أعلمهم به ٠٠٠ »(٨) ٠ هـذه المؤهـلات جعلتـه يؤم مدرسـة المدينة الكبرى مدة أربع وعشرين سنة ، وهى مدة خلافة الخلفاء الثلاثة ، وقد أبعد فى حينه هو وجميع بنى هاشم عن مباشرة المسئولية السياسية ، ولكن مدرسته التوجيهية والتربوية بقيت قائمة لتضم آلافا من النـاس مسلمين وحتى غير مسلمين ٠ هـذه السنوات اذا أضيفت الى سـنوات خلافته الفعلية ألفت لدينا منهاجا ضخما ، ودسـتورا دقيقـا لـكل الأمور التربوية ٠ فكان يقف على الناس خطيبا فى أغلب الأحيان ليوجههم فى أمور حياتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية وروابطهم الروحية ، ولهـذا يحق لنا أن نتخذه معلما فى التربية الخلقية والروحية والاجتماعية ، وحين كان يوجه ارشاداته للناس على اختلاف مللهم ونحلهم ثم يأمر ولاته أن يأخذوا جانب الانصاف والعدل مع الناس دون تفريق وتمييز ، انمـا كان يمثل لنا شعارا حيا من شعارات التربية الانسانية الوطنية(٩) ٠

« وساعة كان يختلى فى ضـيعة له ليزرعهـا ويحصـدها ليعيش على محصولها دون أن يكون اتكاليا أو كسولا ، انما كان يرسم لنا مخططا شاملا للتربية المهنية وساعة كان يختلى بأولاده وعياله ليلقنهم ارشاداته وأحكامه أراد لنـا أن يكون مثالا فى تربية عياله ٠ ويوم برز للناس يعلمهم ويبصرهم بشئون نفوسهم وحقائق خلقتهم انما كان يوضح طبيعة الانسان القـادرة على التغير والتبـدل والتكيف »(١٠)

يقول عمر أبو النصر : « كان على بن أبى طـالب يصرف جهـوده فى المدينة ،لتوجيه نشاط العنصر الناشىء الى الناحية العلميـة ، فشرع مع ابن عمه عبد الله بن العباس ، فى القاء محاضرات اسبوعية فى المسـجد الجامع ، فى الفلسفة والمنطق ، والحديث والبلاغة والفقه ، بينمـا تفرغ غيرهما الى القاء محاضرات فى شئون أخرى ٠ وهكذا تألفت نواة الحركة العلميـة ، التى ترعرعت وزهت بعـد حين فى (بغـداد) عاصـمة

---

(٨) ابن الاثير : **الكامل فى التاريخ** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص٢٠٠ ٠

(٩) على محمـد الحسـين الأديب : **منهج التربية عند الامام على** ـ المطبعة الحيدرية فى النجف الاشرف ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ـ ص ٢٤ ٠

(١٠) المصـدر السـابق : ص ٢٤ ـ ٢٥ ٠

العباسيين »(١١) • ولهـذا كان على فى أيام عزلته منقطعا لدراسة تعاليم الدين فى ضوء العقل ، ويقول أحد المؤرخين الفرنسيين « لولا اغتيال على ، لكان من المحتمل أن يشهد العالم الاسلامى تحقيق التعاليم النبوية ، وذلك بالتوفيق بين العقل والشرع ووضـع المبـادىء الأولى للفلسـفة الحقـة موضـع التنفيـذ »(١٢) •

يقول أبو زهرة : « ثم ان هناك على بن أبى طالب الذى مكث نحوا من ثلاثين سنة بعـد أن قبض اللـه تعالى رسوله اليـه يفتى ويرشـد ، ويوجه ، وقد كان غواصا طالبا للحقائق ، وقد أقام فى الكوفة نحو خمس سنوات ، ولا بد أنه ترك فيها فتاو وأقضية ، وكان فيها المنفرد بالتوجيه والارشاد ، وأنه قد عرف بغزارة فى العلم كرم اللـه وجهه وعمق وانصراف الى الافتاء فى مدة الخلفاء قبله ، والمشاركة فى كل الأمور العميقـة التى تحتـاج الى فحص وتقليب للأمور من كل وجوههـا ، مع تمحيص وقوة استنباط »(١٣) • وفى ذلك يقـول العسـقلانى : « ••• ولم يزل بعـد النبى (ص) متصديا لنصر العلم والفتيا »(١٤) •

وقد نفذت تعاليم الامام على وارشاداته فى نفوس جميع المسلمين ، فكان الملجأ وقت الشدة والحيرة ، فيما اذا عجزت العقول الانسانية المحيطة به ، فيتداركهـا بعقليـة الامام الخبير حتى قال فيه عمر بن الخطـاب : « عجزت النساء أن يلدن عليا ، ولولا على لهلك عمر • وقال : اللهم لا تبقنى لمعضلة ليس لهـا على حيا •••• »(١٥) • وهكذا كان الامام على مؤسس

---

(١١) عبـد الغنى عبـود : **فى التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠١ •

(١٢) السـيد أمير على : **روح الاسـلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ •

(١٣) أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦١ •

(١٤) العسقلانى : **الاصابة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٥٦٦ •

(١٥) القندوزى : **ينابيع المودة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٧٤ • وأيضا ابن حجر الهيتمى : **الصواعق المحرقة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ • والسيوطى : **تاريخ الخلفاء** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٠ ـ ١٧١ • والمحب الطبرى : **الرياض النضرة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ • والعسقلانى : **الاصابة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٥٦٨ •

مدرسة المدينة والمعلم الأول بعد النبى (ص) ، وواضع أسس العملية التربوية فى الاسلام بعد رسـوله الكريم ، وسار من بعده أبناؤه وشيعته فى تغـذية هـذه المدرسـة ونشر العـلوم الانسـانية والدفاع عن العقيدة الاسـلامية ٠

الامام على وجمع القـرآن :

ان نظرة الامام على الفكرية الشاملة فى قضايا الشريعة وحكومة العقل ، لم تدع مجالا من مجالات الحيـاة الا وكان له القـدم الراسخ فى تأصيله والكشف عن خباياه ٠ ومن هذا المنطلق سارع الى جمع القـرآن بعد أن انتقل الرسـول (ص) الى الرفيق الأعلى ، ليحفظ هـذا التراث الاسلامى من التغيير والتبديل على حسب ما أنزله اللـه ٠ يقول السيوطى : « وعلى ـ رضى اللـه عنه ـ أحد العشرة المشـهود لهم بالجنـة ، وأحـد العلمـاء الربانيين ٠٠٠٠ وأحـد من جمع القـرآن وعرضـه على النبى عليه الصلاة والسلام ٠٠٠ »(١٦) ٠ وعن أبى داود عن محمد بن سـيرين قال : « لمـا توفى النبى (ص) أبطأ على عن بيعة أبى بكر ، فلقيه أبو بكر فقال : أكرهت امارتى ؟ فقال : لا ، ولكن اليت أن لا أرتدى بردائى الا الى الصلاة حتى أجمع القرآن ، فزعموا أنه كتبه على تنزيله ، فقـال محمد : لو أصيب ذلك الكتاب كان فيـه العلم »(١٧) ٠ والمراد من قوله كان فيـه العلم ، أى أن الامام قد فسر القرآن مع جمعه حسب ما جاء عن النبى (ص) من حيث التنزيل والمعنى ـ وهـذا مصداق ما أخرجه ابن سعدون وغيره عن أبى الطفيل قال : قال على : سلونى عن كتاب اللـه ، فانه ليس من آية الا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، وفى سهل أم فى جبل » ٠ وقوله : « والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، ان ربى وهب لى قلبا عقولا ، ولسانا صادقا ناطقا »(١٨) ٠

---

(١٦) السيوطى : **تاريخ الخلفاء** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٦ ٠ وأيضا المتقى الهندى : **كنز العمال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٧٣ ٠ وابن حجر الهيتمى : **الصواعق المحرقة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٨ ٠

(١٧) السيوطى : المصـدر السابق : ص ١٨٥ ٠

(١٨) المصدر السابق : ص ١٨٥ ٠ وأيضـا المتقى الهندى : **كنـز العمـال** ـ مرجع سـابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٥٧ ٠ وأيضـا المحب الطبرى : **الرياض النضرة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٨ ٠

يقول ابن أبى الحديد : « وأما قراءته القـرآن والاشـتغال به فهو المنظور اليه فى هـذا الباب ، اتفق الكل على أنه كان يحفظ القـرآن على عهد رسـول اللـه (ص) ولم يكن غيره يحفظه ، ثم هو أول من جمعه ، نقلوا كلهم أنه تأخر عن بيعة أبى بكر ٠٠ تشاغل بجمع القرآن ، فهـذا يدل على أنه أول من جمع القرآن ٠٠ »(١٩) ٠

يقول أبو رية فى موضوع كتابة القرآن الكريم ، وعما جاء فى هـذا الأمر الخطير الذى تشعبت فيه الرواية ٠ « ومن شاء أن يقف على كل ما قيل فى هـذا الأمر فليرجع الى كتاب « الاتقان » للسيوطى ، وكتاب « البيان » للجزائرى ، والجزء الأول من « البيان فى تفسير القـرآن » للعلامة المحقق الكبير السيد أبو القاسم الخوئى ، وهـذا الكتاب وحـده كاف فى بيـان هـذا الأمر ، لأن مؤلفه الجليل قد درسه درسا وافيا ، وفصل فيه القـول تفصيلا بحيث لا تجد مثله فى كتاب آخر حتى ليجب على كل مسلم أن يقرأه ليستفيد منه علمـا ومعرفة ٠ ثم يستطرد فى القـول : من أغرب الأمور ، ومما يدعو الى الحيرة أنهم لم يذكروا اسـم على (رض) فيمن عهـد اليهم بجمع القـرآن وكتابته ، لا فى عهد أبى بكر ولا فى عهد عثمان ، ويذكرون غيره ممن هم أقل منه درجة فى العلم والفقه ، فهل كان على لا يحسن شيئا من هـذا الأمر ؟ أو كان من غير الموثوق بهم ؟ أو ممن لا يصح استشاراتهم أو اشراكهم فى هـذا الأمر ؟ ٠ اللهم ان العقل والمنطق ليقضيان بأن يكون على أول من يعهد اليه بهـذا الأمر ، وأعظم من يشارك فيه وذلك بما أتيح له من صفات ومزايا لم تتهيأ لغيره من بين الصحابة جميعا ٠٠٠ فاذا لم يدع الى هـذا الأمر الخطير فالى أى شيىء يدعى ؟ ٠ واذا كانوا قد انتحلوا معاذير ليسوغوا بها تخطيهم اياه فى أمر خلافة أبى بكر فلم يسألوه عنها ولم يستشيروه فيهـا ، فبأى شىء يعتـذرون من عدم دعوته لأمر كتـابة القرآن ، فبماذا نعلل ذلك ؟ وبماذا يحكم القاضى العادل فيه ؟ حقـا ان

---

(١٩) ابن أبى الحديد : **شرح النهج** ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ٩ ٠ وأيضا القندوزى : **ينابيع المودة** ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ١٤٩ ٠ وأيضا أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذرى : **أنساب الاشراف** ــ تحقيق د٠ محمد حميد الله ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٥٩ ــ ج ١ ــ ص ٥٨٦ ــ ٥٨٧ ٠ وأيضا ابن النديم : **الفهرست** ــ القـاهرة ــ مطبعـة الاستقـامة ــ بدون تاريخ ــ ص ٤٧ ــ ٤٨ ٠

الأمر لعجيب ٠٠٠ »(٢٠) ٠ ولهذا يقول جرجى زيدان : « ومع تشـــديد الصحابة فى التعويل على مصحف عثمان دون سواه ، فقد ظل عند بعض المسلمين نسخ من مصاحف أخرى أشهرها مصحف على »(٢١) ٠ وفى ذلك يقـول دونلدسن : « وتؤكد بعض الروايات أنـه كان عند على نسـخة من القـــرآن جمعهـا بنفسـه وعلق عليهـا بعض الحواشى حسب ما كلم الرسول (ص) به ٠٠ »(٢٢) ٠

« الحركة العلمية عند الشيعة فى المدينة بعد عهد الامام على » :

ان أول ما يواجهنا من شيعة على الذين قاموا بدور كبير فى الحيـاة الدينية والفكرية عبد الله بن عباس ٠ « ٠٠ فقـد كان واسع الاطـلاع فى نواح مختلفة ، يعرف الشعر والانساب وأيام العرب ، ويجتهد فى تعرف ما عند الصحابة من حديث وعلم »(٢٣) ٠ كما كان من أخص تلاميذ الامـام على ، وفى ذلك يقول : « انه ما انتفع بكلام بعد كلام رسول الله (ص) كمـا انتفع بكلام على بن أبى طالب ٠٠ »(٢٤) ٠

استمر عبد الله بن عباس فى حياة الامام على وبعد وفاته فى تشجيع الحركة العلمية ، فكان هو بنفسه مع أبناء على وشيعتهم يقودون الحـركة العلمية ، حتى بلغت الذروة فى عهد الامام الصادق ، حيث فتح هو وأبوه الامام محمد الباقر مدرسة المدينة الكبرى ٠ ولهـذا فقـد اشتهر عدد قليل من الصحابة بالقول فى تفسير القرآن ، وأكثر من روى عنه منهم على بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ٠ يقول أحمد أمين : « ولنقصر قولنا على الأربعة الأولين لأنهم أكثر من غـذى التفسير ذى مدارس الامصار المختلفة ٠ والصفات العامة التى مكنت هؤلاء

---

(٢٠) محمود أبو رية : **أضواء على السنة المحمدية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ٠

(٢١) جرجى زيدان : **تاريخ التمـدن الاســلامى** ـ مرجع سـابق ـ جـ ٣ ـ ص ٦٦ ٠

(٢٢) دوايت م٠ دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ تعريب ع٠م ـ مصر ـ مطبعة السعادة ـ ١٩٤٦ ـ ص ٦٣ ٠

(٢٣) أحمد أمين : **فجر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٨ ٠

(٢٤) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٣ ٠

الأربعة الأولين من التبحر فى التفسير قولهم فى اللغة العربية واحاطتهم بمناحيها وأساليبها ، ومخالطتهم للنبى (ص) مخالطة مكنتهم من معرفة الحوادث التى نزلت فيها آيات القرآن »(٢٥) . ولهذا قام ابن عباس بعملية التعليم فى المدينة ومكة ، بما أوتى من علم فى التفسير والحديث والفقه والأدب وحساب الفرائض وأسباب النزول ، والمغازى ، كما كان على علم ببعض الكتب الأخرى كالتوراه والانجيل . وكان أكثر حياته حياة علمية يتعلم ويعلم ، والى عبد الله بن عباس وأصحابه يرجع الفضل كذلك لما لمدرسة مكة من شهرة علمية(٢٦) .

وقد ترأس مدرسة المدينة بعد ذلك الامام على بن الحسين ومحمد بن الحنفية ، يقول أبو زهرة : « .. ان عليا (رض) قد استشهد وقد ترك وراءه من ذريته أبرارا أطهارا كانوا أئمة علم الاسلام ، وكانوا ممن يقتدى بهم .. وترك رواد الفكر محمد بن الحنفية ، فأودعهم (رض) ذلك العلم »(٢٧) . وقد « أدت نكبة كربلاء كما أدى نهب المدينة الى انقطاع حلقة الدروس التى كان يلقيها أئمة أهل البيت ، ثم عادت الحياة الى هذه الحلقة بظهور جعفر الصادق الذى كان ميالا الى حرية الرأى والفكر كما كان عالما ... وحكيما وملما فيما يظهر ببعض اللغات الأجنبية ... »(٢٨) .

فعلى بن الحسين يعتبر المؤسس الثانى للمدرسة الاسلامية الشيعية ، حيث أن جده على بن أبى طالب هو المؤسس الأول ، ولهذا « كان عميد آل البيت بعد استشهاد الامام الحسين ... وقد اختار على زين العابدين أن يعلم الناس وأن يفقههم بأمور دينهم ، وأخذ أولاده بالنظر فى علوم الدين ، وأعدهم ليكونوا من بعده أئمة صالحين »(٢٩) .

---

(٢٥) أحمد أمين : **فجر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٢ .
(٢٦) المصدر السابق : ص ١٧٣ ـ ١٧٤ .
(٢٧) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٣ .
(٢٨) السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٣٠٠ .
(٢٩) عبد الرحمن الشرقاوى : **شخصيات اسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦ .

وقـد التزم الامام على بن الحسين بأسلوب بليغ فى توعية الناس وارشادهم ، ذلك هو الدعاء ، حيث كان السلاح الوحيد الذى يملكه فى نشر العلم والعرفان وبث الدعوة الاسلامية ، والتغلغـل فى صـفوف النـاس وتوجيههم الوجهة الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والعسكرية ، مما جعله يكسب أهمية بالغة من هـذه النواحى(٣٠) • حتى ألف رسـالة الحقوق وهى من الأعمال الفكرية السامية فى الاسلام تحتوى على توجيهات وتعليمات وقواعد فى السلوك العام والخـاص من أدق ما يعـرفه الفـكر الانسانى(٣١) • • يقول السيد محمد باقر الصدر : « وكما اتخذ جده من المسجد ومن بيته مكانا يلتف حوله فيه طلاب العلم الوافدون من كل مكان ، وكما كانت مجالس جـده درسـا فى شتى المعارف الاسلامية ، فكان بذلك المؤسس الأول للدراسات الاسلامية كذلك كان حفيده زين العابدين على بن الحسين ، فمنذ سنة ٦١ الى سنة ٩٥ ، أى طيلة خمس وثلاثين سنة كان منزله وكان المسجد مدرسته يزدحم فيها الطلاب عليه ، فبينما كانت الدولة مشغولة باستبدادها واستنزاف دماء الشعب وسلب أمواله واضطهـاد أحـراره ، كان على بن الحسـين مشـغولا بنشر العـلم وبعث الثقـافة وانارة الأفكار ، وتهذيب الأخلاق فكثر تلاميذه والأخـذون عنه فى أنواع العلم ، وأصبح أولئك التلاميذ وتلاميذهم بناة الحضارة الاسلامية ورجال الفكر الاسلامى والتشريع الاسلامى والأدب الاسلامى »(٣٢) •

« فعلى زين العابدين كل امام المدينة »(٣٣) • وقـد كان للمسلمين عموما تعلق عاطفى شديد بهـذا الامام وولاء روحى عميق له ، وكانت قواعده الشعبية ممتدة فى كل مكان من العالم الاسلامى ، وقد قدر للامام زين العابدين أن يستلم مسئولياته القيادية والروحية بعد استشهـاد أبيه ، فمارسهـا

---

(٣٠) نافع الخفاجى : **فى رحاب الامام زين العابدين** ـ بغـداد ـ دار الأنوار ـ ١٩٧٨ ـ ص ٥٩ ـ ٦٠ •

(٣١) محمد باقر الصدر : **على بن الحسـين زين العابدين** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٦٦ ـ ٦٧ •

(٣٢) المصـدر السـابق : ص ٦٦ •

(٣٣) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الاسـلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨٨ •

خلال النصف الثانى من القرن الأول للهجرة ، وكان الخطـر يحيط بالأمـة الاسلامية نتيجة الفتوحات وما نجم عنها من انفتاح المسلمين على ثقافات متنوعة ، وأعراف تشريعية وأوضاع اجتماعية مختلفة بحكم تفـاعلهم مع الشعوب التى دخلت فى دين الله أفواجا ، وكان لا بد من عمل على الصعيد العلمى يؤكد فى المسلمين اصالتهم الفكرية وشخصيتهم التشريعية المتميزة المستمدة من الكتاب والسنة ، وكان لا بد من حركة فكرية اجتهـادية تفتح آفاقهم الذهنية ضمن ذلك الاطار لكى يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنة بروح المجتهد البصير والممارس الذكى الذى يستطيع أن يسـتنبط منها ما يفيده فى كل ما يستجـد له من حـالات ، كان لا بد اذن من تأصـيل للشخصية الاسلامية ومن زرع بذور الاجتهاد(٣٤) ٠ وهـذا ما قام به الامام على بن الحسين عليه السلام ، فقـد بدأ حلقة من البحث والدرس ، يحدث الناس بفنون المعرفة الاسلامية من تفسير وحديث وفقه ، ويفيض عليهم من علوم آبائه ، ويمرن النابهين منهم على التفقه والاستنباط ، وقـد تخـرج من مدرسته عدد مهم من فقهاء المسلمين ، وكانت هى المنطلق لمـا نشأ بعـد ذلك من مدارس الفقه والأساس لحركته الناشطة ٠ وقد إستقطب الامام عن هـذا الطريق الجمهور الأعظم من القراء وحملة الكتاب والسنة حتى قـال سعيد بن المسيب : « ان القراء كانوا لا يخرجون الى مكة حتى يخرج على بن الحسين فخرج وخرجنا معه ألف راكب »(٣٥) وفى ذلك يقول ابن شهاب الزهرى الذى تتلمذ لزين العابدين « ما رأيت أفقه من على بن الحسين (رض) وكان ابن شهاب لمحبته وكثرة استفادته من مجالسه يكثر الجلوس اليـه ، وكان يقول : « كانت أكثر مجالستى لعلى بن الحسين »(٣٦) ٠

يقول الدكتور أحمد صبحى : « ٠٠ ولكن زين العابدين قـد أقدم على ما زعزع التركيب الاجتماعى للمجتمع الاسلامى الذى أراد له الأمويين أن يقوم على العصبية وذلك لأنـه زوج جارية سندية أرضعته وكفلته وأصبحت

---

(٣٤) محمـد باقـر الصـدر : **الصحيفة السجـادية** ـ دار التبليغ الاسلامية ـ بدون تاريخ ـ ص ١١ ـ ١٢ ٠

(٣٥) المصدر السابق : ص ١٢ ـ ١٣ ٠ وأيضا عبـد اللـه فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٠ ٠

(٣٦) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٧ ٠ وأيضا سبط بن الجوزى : **تذكرة الخواص** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٣١ ٠

فى مكانة أمه المتوفاه ، زوجها من مولاه وأعتق جارية له وتوزجها ، وليس هـذه الحادثة من امام عمـــلا شخصيا ، وليس أدل على خطورتهـا من أن عبد الملك بن مروان انزعج لذلك وأرسل اليه يعيره ، كان رده عليه : لقــد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ، لقـد اعتق رسول الله جاريته صفيه وتزوجها وأعتق زيد بن حارثة وزوجه ابنة عمته زينب بنت جحش »(٣٧) ٠ وهـذا هو على بن الحسين ورث امامته من انتسابه الى فاطمة الزهـراء ، ورسم للشيعة طريق الامامة الروحية »(٣٨) ٠

وهكذا كانت العملية التربوية والتعليمية تتجسد فى كيان الأئمة ، وهكذا تتحول من الناحية النظرية الى سلوك عملى ، لتتضح أمام شيعتهم ومريدهم ، حتى يكونوا القـــدوة فى السلوك العمـلى ، حفـاظا على روح العقيـدة الاسلامية ٠

« مدرسة المدينة ودور الامام الباقر والصادق فى تأسيسها » :

تأسست مدرسة أهل البيت فى عهد الامام محمد الباقر فى وقت كانت الدولة الأموية تحيط بها الأخطار من جميـع جهاتها ، واتســعت لأكثر من أربعة آلاف طالب ٠ يقول الدكتور صبحى الصالح : « وبلغ عـدد الرواة الثقات من أصحابه ــ أى الصادق ــ أربعة آلاف رجل ٠ ولسنا نستغرب هـذا ، بل قـد كان ممكنا أن نستغرب عكسه لو وقع ونقل ، لأن النزاع حول الامامة والعصمة كان قـد بلغ فى عصر الصادق أشده ، ٠٠ وأهل البيت ٠٠ أعلم الناس بكتاب اللـه وسنة نبيـه ، فلا عجب اذا اتجهـوا الى التعليم والمناظرة والتدريس ٠٠ »(٣٩) ٠

فعلى زين العابدين كان امام المدينة ، وكان ابنه محمد الباقر وريثه فى امامة العلم ، ولهـذا كان مقصد العلماء من كل بلاد العالم الاسلامى ، وما زار أحـد المدينة الا عرج على بيت محمد الباقر يأخـذ منه ، كما أن أئمة

---

(٣٧) أحمـد محمـود صبحى : **نظرية الامـامة** ــ مرجع سـابق ــ ص ٣٥٦ ــ ٣٥٧ ٠

(٣٨) المصـدر السـابق : ص ٣٥٧ ٠

(٣٩) صبحى الصالح : **معالم الشريعة الاسلامية** ــ مرجع سابق ــ ص ٥٠ ــ ٥١ ٠

الفقه كانوا يقصدونه كسفيان الثورى ، وسفيان بن عيينه ، وأبى حنيفة شيخ فقهاء العراق ، وكان يرشد كل من يجيىء اليه ، ويحاسبهم على ما يبدر منهم ليحملهم على الجادة وهم يقبلون منه طائعين ، ولهـذا ثبتت امامتـه للعلماء ، يأخذون منه ويتعلمون مختلف العـــلوم والفنون الاســلامية فى مدرسته(٤٠) • « نطق بالحكمة الرائعة ورويت عنه عبارات فى الأخــلاق الشخصية والاجتماعية ، ما لو نظم فى سلك لتكون منه مذهب خلقى ســام يعلو بمن يأخـذ به الى مدارج السمو الانسانى »(٤١) •

يقول ابن حجر : « ••• أبو جعفر محمد الباقر ـ سمى بذلك : من بقر الأرض أى شقها واثار مخبآتها ومكامنها : فلذلك هو أشهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ••• ومن ثم قيل فيه : هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمـه ورافعه • صفـا قلبـه وزكا علمـه وعمله »(٤٢) • ولهـذا شمر عن ساعدى الجـــد لاستكمــال ما بدأه أبوه على بن الحسين فى عمله التغييرى من خلال تبنيه السياسة التعليمية ومارس نشاطا تثقيفيا على أعلى المستويات من أجل دفع الحركة العلمية والتغييرية بمزيد من الكوادر الرسالية العالية ، وعلى هـذا استقطب نشاط الامـام الباقر الكثير من رواد المعرفة الاسلامية وشدت اليه الرحال من جميع أطراف الدولة الاسلامية المترامية ، تلامذة ومحاورين وطالبى علم ، وقصده أغلب رجالات الفكر للاصابة من فيض علمه المتدفق(٤٣) •

ولقـد امتازت مدرسة أهل البيت فى عصر الباقر بمعارفها وسعتهـا وذلك لمـا يقتضيه المستوى الفكرى الذى يحظى به الامام الباقر (ع) تتجلى بعمق خلال تصريح عبد الله بن عطاء حيث يقول : « ما رأيت العلماء عنـد أحـد أصـغر علمـا منهم عند أبى جعفر ، لقـد رأيت الحـكم عنده كأنه

---

(٤٠) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨٨ ـ ٦٨٩ •

(٤١) المصـدر السـابق : ص ٦٩٠ •

(٤٢) ابن حجـر الهيتمى : **الصـواعق المحـرقة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠١ •

(٤٣) لجنة التأليف فى دار التوحيد : **الامـام البـاقر** ـ الكويت ـ دار التوحيد ـ ١٩٨٢ ـ ص ٣٠ •

مغلوب ، ويعنى بالحكم ، الحكم بن عيينه وكان عالما ٠٠ »(٤٤) ٠ ولهـذا بلغت المدينة فى عهد الباقر الذروة فى العلم والافتـاء ، حتى أن الحـاكم عمر بن عبد العزيز كان ينشر علم أهل المدينة بين الناس(٤٥) ٠ بالاضافة الى ذلك فان مدرسة المدينة التى ازدهرت فى عهد محمـد البـاقر وجعفـر الصادق ، من الأسـباب التى أدت الى ظهـور الاتجـاهات الفلسـفية بين العرب ، ولهـذا نبغ فى أواخر عهد الأمويين عـدد كبير من المفكرين المسلمين، مما أدى الى اقبال الناس على سماع محـاضراتهم التى كانت تعـالج من المسائل ما يشغل بال الناس ، كما أثرت أفكارهم وآراؤهم تأثيرا واضحا فى أفكار الأجيال المتعاقبة(٤٦) ٠ ولهـذا اجتمع حول الامام جعفر الصادق نجوم لامعة من العلماء الموهوبين ، وكان اجتمـاع هـذا العـدد الكبير من العلماء ذوى الثقافات المختلفة مما شجع الحركة العلمية والأدبية فسرى منها تيـار الى دمشـق(٤٧) ٠

وكما تعددت المضامين والحقول المعرفية عند الامام الباقر ، كذلك تعددت أساليب عرضه للفكر الاسلامى ، فتارة بطريقة الحلقات العلمية ، كما فى التدريس لتلاميذه ورواد فكرموتارة أخرى من خـلال المناظرات ، وتارة فى اللقاءات العامة كمراسم الحج ، وأخرى فى المحاورات والأحاديث والوصايا والوعظ وسوى ذلك من أساليب وطرق التدريس(٤٨) ٠ ومن هنا أعطيت لتلك الحلقات المختلفة التى كانت تجتمـع فى مسـجد المدينـة الى الامام الباقر بالذات اسم « الجامعة » لأنها كانت تجمع بين الحين والآخر المئات من مختلف الأقطار لدراسة الفقه والحديث والفلسفة والتفسير واللغة وغير ذلك من مختلف العلوم ، وتخرج منها منذ أسسها الامام محمد الباقر

---

(٤٤) سبط بن الجوزى : **تذكرة الخواص** ـ مرجع سابق ـ ص٣٣٦ ٠
(٤٥) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٩ ٠
(٤٦) السـيد أمير على : **روح الاسـلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٥١ ٠
(٤٧) المصـدر السـابق : ص ٢٥٠ ٠
(٤٨) لجنـة التأليف فى دار التوحيد : **الامـام البـاقر** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٣٢ ٠ وانظر دونلدسن : **عقيـدة الشيعة** ـ مرجـع سابق ـ ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ٠

حتى آخر مرحلة من نموها وتكاملها فى عهد ولده الامام الصادق آلاف العلماء فى مختلف العلوم(٤٩) ٠

فى هـذه المدرسة تعلم جل علماء المسلمين ورواد الحركات العلمية من الشيعة وغيرهم ، حتى « كان عددهم أربعة آلاف من مشهـوري أهـل العلم » (٥٠) ٠ وأن أئمة الشيعة « كان لهم أصحاب لازموهم وأخذوا العلم عنهم فأودعوهم بطون الكتب وصدور الرجال »(٥١) ٠ كما تخرج منها كثير من العلماء من غير الشيعة ، فهـذا الحسن البصرى كان يعيش فى ذلك الوقت ، « وقـد ولد بالمدينة وتلقى العلم على يد حكماء آل البيت ، فتشبع بآرائهم الحرة ٠٠ »(٥٢) ٠ « وسار واصـل على نهـج علمـاء العلويين ، واحتضن المبادىء التى وضعوها والآراء التى نادوا بها »(٥٦) ٠ وهـكذا كانت هـذه المدرسة العلوية فى آخـر القرن الأول ونصـف القرن الثانى للهجرة أكبر مصادر النور والعرفان بالمدينة المنورة ، وكانت تضم علماء من الذين يتشيعون لآل البيت ، وعلماء من أهل السنة ٠٠ وكان يقصدها من أئمة الفقه والحديث كثيرون ، منهم سفيان الثورى ، وسفيان بن عيينه ، ومنهم أبو حنيفة فقيه العراق(٥٤) ٠

يقول السيد أمير على : « ولكن أئمة آل البيت كان لهم ــ على الرغم من انصراف الحكام عن العلم والفلسفة ــ تأثير غير يسيرفى تنشيط الحيـاة العقلية عند العرب والشعوب الخاضعة لسلطانهم ، فبينما كان الأمويون يثبطون الهمم عن طلب العلم كان أبنـاء فاطمة يشجون على تحصيله ، ولم

---

(٤٩) هاشم معروف الحسنى : **سيرة الأئمة الاثنى عشر** ــ مرجـع سـابق ــ جـ ٢ ــ ص ٢١٠ ٠

(٥٠) رشـدى محمـد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة** ــ مرجـع سـابق ــ ص ٦١ ــ هامش ٤٦ ٠

(٥١) المصـدر السـابق : ص ٦١ ٠

(٥٢) السـيد أمير على : **روح الاسـلام** ــ مرجع سابق ــ جـ ٢ ــ ص ٣٠٣ ٠

(٥٣) المصـدر السـابق : ص ٣٠٤ ٠

(٥٤) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ــ مرجع سابق ــ ص ٢٢ ٠ وأيضا عبد الرحمن الشرقاوى : **شخصيات اسلامية** ــ مرجع سابق ص ٤٠ ٠

يتعلقوا بالماضى ، وتقليد السلف ، بل اهتدوا بنبراس الرسول ، ووضعوا نصب أعينهم تطور الانسانية وعكفوا على دراسة سائر فروع المعرفة والعلم »(٥٥).

ففى هذا العصر الذى أسست فيه المدرسة العلمية ، والتى كانت امتدادا لمدرسة على بن الحسين المؤسس الثانى لمدرسة المدينة بعد جده الامام على كان يقود الحركة العلمية فى هذه المدرسة محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وأخوه زيد بن على ، وكان هؤلاء فى المدينة أيضا عبد الله بن الحسن ، وكل هؤلاء أئمة أخذ عنهم فقهاء العصر ، وأئمة الفقه(٥٦) . وهكذا كان أساس الحركة العلمية فى الاسلام هم أئمة الشيعة . ولهذا « أثرت أفكارهم وآراؤهم تأثيرا واضحا فى أفكار الأجيال المتعاقبة »(٥٧) .

امتدت هذه المدرسة واتسعت اتساعا كبيرا فى عهد الامام الصادق ، فقد عاش الصادق مع أبيه محمد الباقر مؤسس المدرسة نحوا من خمسة وثلاثين عاما ، أدرك منها فى مطلع شبابه بوادر الانحلال الذى كان يهدد دولة الأمويين بالانهيار ، وفى تلك الفترة وما تلاها من الفترات رافق تلك الحلقات العلمية التى كانت فى مسجد المدينة وخارجه باشراف أبيه الباقر ، وتتألف كما تؤكد المصادر الموثوقة من مئات الطلاب والعلماء من مختلف البلاد الاسلامية . وهو الى جانب أبيه يلقنه من علوم الدين وأسرار الكون وغير ذلك مما ورثه عن آبائه عن النبى (ص) . وظل الى جانب أبيه الباقر الى آخر حياته ، ومدرسة الفقه والحديث والعلوم الاسلامية توالى نشاطها فى مختلف المواضيع فيما يخدم مصلحة الاسلام الى أن وافت المنية الامام محمد الباقر سنة ١١٤ هـ(٥٨) .

وقد بلغت تلك المدرسة فى عهد الصادق ــ وكان هو نفسه من نتاجها

---

(٥٥) السيد أمير على : **روح الاسلام** ــ مرجع سابق ــ ج ٢ ــ ص ٢٥٠ .

(٥٦) محمد أبو زهرة : **الامام زيد ، حياته وعصره ــ آراؤه وفقهه** ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٤ ــ ص ٣١ .

(٥٧) السيد أمير على : **روح الاسلام** ــ مرجع سابق ــ ج ٢ ص ٢٥١ .

(٥٨) هاشم معروف الحسنى : **سيرة الأئمة** ــ مرجع سابق ــ ج ــ ٢ ــ ص ٢٥٢ .

الغنى بالبذل والعطاء ـ بفضل جهوده ، ذروة نشاطها فى شتى فنون العلم ، فقد أخذ على عاتقه بعد وفاة أبيه أن يتابع المسيرة من حيث انتهى والده الباقر ، فحارب الجهل والفساد والظلم ، وفرض على دعاة الخير من أصحابه أن يكونوا القدوة الصالحة بأعمالهم قبل أقوالهم ، لأن الناس انما ينظرون الى القادة من خلال سلوكياتهم ، أما الأقوال التى تصدر من الوعاظ والدعاة الى الخير فليس بأشد تأثيرا منها ، وهى مسطورة فى الكتب أو منقوشة على الجدران ، وحتى تحقق دعوته الغاية المنشودة كان يقول لأصحابه : أوصيكم بتقوى الله وأداء الأمانة لمن ائتمنكم وحسن الصحبة لمن صحبتموه وأن تكونوا لنا دعاة صامتين ٠

وقد وقع هذا القول عندهم موقع الاستغراب ، وكيف يكونون صامتين وهم يدعون الى الخير ، فقالوا : يا ابن رسول الله كيف ندعو الى الله ونحن صامتون،فقال (ع) : تعلمون بما أمرناكم به من طاعة اللهوتعاملون الناس بالصدق والعدل وتؤدون الأمانة وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا يطلع الناس منكم الا على خير ، فاذا رأوا ما أنتم عليه علموا فضل ما عندنا فعادوا اليه ٠٠ »(٥٩) ٠

يقول السيد محمد باقر الصدر : « ان مدرسة الصادق (ع) كانت امتدادا لمدرسة أبيه وجده ٠ وهذه المدرسة كانت من الأحداث الخطيرة ، فهى لم تكن بأى حال من الأحول مدرسة خاصة فيها لون خاص من المعارف والعلوم ، وانما كانت تبنى عقولا وتنشىء أجيالا ، وتؤسس صروحا من الثقافة ، ودنيا من التوجيه ، وتضع دستورا شاملا لاصلاح الحياة وتطويرها وتقدمها فى جميع الميادين »(٦٠) ٠ « وهداه هذا التفكير الى الاهتمام بعلوم الطبيعة والكيمياء والفلك والطب والنبات والأدوية لأنها علوم تحقق مصالح الناس ، وتحرر الفكر ، وتهديه الى الايمان العميق الحق الراسخ »(٦١) ٠ ولهذا كان الامام الصادق ، « ٠٠ أكثر أئمة

---

(٥٩) المصدر السابق : ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ٠ وأيضا ورام : **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١١ ٠

(٦٠) محمد باقر الصدر : **الامام الصادق** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٧٦ ٠

(٦١) عبد الرحمن الشرقاى : **شخصيات اسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٠ ٠

المذهب ـ كما يراه الدكتور أحمد صبحى ـ آراء فى كل لون من ألوان المعرفة آنذاك ، ولا تقف معرفته عند علوم الدين فحسب ، بل تجاوز ذلك الى الكيمياء والطب وغير ذلك من العلوم التى تبدو بعيدة الصلة عن الامامة الدينية »(٦٢) • وهكذا درس الصادق كل العلوم التى كانت شائعة فى عصره ، كما قام بتدريسها وتعليمها لطلاب العلم(٦٣) • ولهذا « أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه ويفيض على الموالين له أسرار العلوم •• »(٦٤) •

ولد الامام جعفر الصادق سنة ثمانين للهجرة ، وتوفى سنة مائة وثمان وأربعين ، ومن مميزات هذا العصر انتشار العلوم الاسلامية فيه من تفسير وفقه وحديث وعلم الكلام والجدل والانساب واللغة والشعر والأدب والكتابة والتاريخ وغيرها • وكان الصادق أشهر أهل زمانه علما وفضلا ، قال مالك بن أنس امام المذهب : « ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد فضلا وعلما وعبادة وورعا ، وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد »(٦٥) • ويقول فيه الشهرستانى : « وهو ذو علم غزير فى الدين ، وأدب كامل فى الحكمة، وزهد بالغ فى الدنيا ، وورع تام عن الشهوات »(٦٦) •

وقد اختار الصادق المدينة دار الهجرة ، ومهبط الوحى ، فجعلها معهده الكبير ومدرسته العظمى وقد ازدهرت المدينة بهذه المدرسة العلمية واستعادت نشاطها فى توجيه الركب الاسلامى نحو الخير والسعادة »(٦٧) • « ••• ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته فى جميع البلدان ، وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريج ومالك والسفيانين وأبى حنيفة وأيوب

---

(٦٢) أحمد محمود صبحى : **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص٣٦٢ •
(٦٣) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٦ •
(٦٤) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١١٥ •
(٦٥) محمد باقر الصدر : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٧١ • ويضا محمد أبو زهرة ـ **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٧ •
(٦٦) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١١٥ •
(٦٧) القندوزى : **ينابيع المودة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٧٦ـ٧٧ •

السختيانى ... » . كما يقول ابن حجر الهيتمى(٦٨) .

وقد فتح الامام جعفر الصادق معهده ومدرسته لجميع المسلمين ، والتحق بهـا جمع غفير من رواد العلوم على اختلاف نزعاتهم وميولهم ، فكان عددهم من أضخم ما ضمته المدارس العلمية فى ذلك العهد ، وفيهم من كبار العلماء والمحدثين الذين أصبحوا فيما بعد أئمة ورؤساء لبعض المذاهب الاسلامية(٦٩) .

وكان الامام الصادق يحث تلاميذه ومريديه على دراسـة علوم الحياة المختلفـة ، وكان يزود بعض تلاميذه لمـا يحتاجون اليـه من أدوات فى بحوثهم العلمية ، فقـد زود تلميـذه جابر بن حيان بمعمل وأمره أن ييسر كتاباته لينتفع بها الناس ، كما خصص له وقتـا فى كل يوم يدرسه فيه علوم الطبيعة والكيمياء والطب ، وكشف له من تبصره بالفقـه كثيرا من المعارف العلمية ، وهـداه بالمعارف الى التمكن من الفقه(٧٠) .

وسارع للانتماء لمدرسة أهل البيت فى المدينة جميـع عشاق الفضيلة والعلم من شتى الاقطار الاسلامية ، عربا وغير عرب ، ويحدثنا الأسـتاذ عبد العزيز سيد الأهل عن مدى ذلك النشاط فى الالتحاق بمدرسة الامام أو جامعة أهل البيت بقوله : « وأرسلت الكوفة والبصرة وواسط والحجاز الى جعفر بن محمـد أفلاذ أكبادها من كل قبيـلة من بنى أسـد ومن غنى ومخارق ، وسليم ، وغطفان ، وغفار ، والأزد ، وبنى ضبه ، ومن قريش ، ولا سيما بنى الحارث بن عبد المطلب ، وبنى الحسن بن على »(٧١) .

---

(٦٨) ابن حجـر الهيتمى : **الصـواعق المحـرقة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠١ .

(٦٩) محمد باقر الصدر : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٧٧ . وأيضا صبحى الصالح : **معالم الشريعـة الاسـلامية** ـ مرجـع سابق ـ ص ٥٠ ـ ٥١ أ وأيضا السيد أمير على : **روح الاسـلام** ـ مرجـع سـابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٢٥ .

(٧٠) عبد الرحمن الشرقاوى : **شخصيات اسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ . وانظر المنهج التجريبى من الفصل السـابع من هذا البحث .

(٧١) محمد باقر الصدر : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٧٧ . وأيضا هاشم معروف الحسنى : **سيرة الأئمة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٠١ .

وقد حاول المنصور أن يحرج الامام الصادق ، فاستدعى أبا حنيفة النعمان وقال له : فتن الناس جعفر بن محمد فهيىء له من المسائل الشداد ·· ثم استدعى الامام الصادق وأبا حنيفة وجلس الناس ، ما انفك أبو حنيفة يسأل الامام فى الأربعين مسألة ، والامام يجيبه عن كل مسألة ، فيقول فيها رأى فقهاء الحجاز ، ورأى فقهاء العراق ، ورأى فقهاء آل البيت ورأيه هو · وطرب أبو حنيفة وقال عن الامام جعفر : « انه أعلم الناس فهو أعلمهم باختلاف الفقهاء » وصحبه أبو حنيفة النعمان بعد ذلك مدة سنتين يتلقى عنه العلم(٧٢) · ولهذا قال الخليفة المنصور فيه يوم علم بوفاته : « ان جعفرا كان ممن قال الله فيه : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » · وكان ممن اصطفى الله ومن السابقين بالخيرات »(٧٣) ·

التقى الامام الصادق مرة بابن العوجاء ، وهو داعية من دعاة الزندقة بالعراق ، فلما رأى الصادق واسترعاه ما عليه من سمت ، وأخذ الصادق يتكلم لم يحر جوابا ، حتى تعجب الصادق والحاضرون ، فقال له ما يمنعك من الكلام ؟ ويقول الزنديق : « بدا جلال لك ومهابة ، وما ينطق لسانى بين يديك ، فانى شاهدت العلماء ، وناظرت المتكلمين ، فما داخلنى هيبة مثل ما داخلنى فى هيبتك »(٧٤) · بالاضافة الى ذلك ، فقد كان الصادق « على علم دقيق بالفلسفة وعلى علم بمواضع التهافت عندهم ، وأنه كان مرجع عصره فى رد الشبهات ، وقد كان بهذا جديرا ، وذلك لانصرافه المطلق الى العلم ، ولأنه كان ذا أفق واسع فى المعرفة ، لم يتسن لغيره من علماء عصره ، فقد كانوا محدثين أو فقهاء أو علماء فى الكلام أو علماء فى الكون ، وكان هو كل ذلك ·· »(٧٥) · كل ذلك مما ساعده كثيرا على املاء العلوم ، وتوضيح الغوامض وتربية العلماء القادرين على حمل هذه

---

(٧٢) عبد الرحمن الشرقاوى : **شخصيات اسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٩ · وأيضا محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص٩٥ ·

(٧٣) صبحى الصالح : **معالم الشريعة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٠ ـ ٥١ ·

(٧٤) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٦ ·

(٧٥) المصدر السابق : ص ٩٩ · وانظر السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٥٠ ·

الأفكار بأمانة ، وتطويرها بعمق ، ومن ثم جعلها المنطلق نحو بناء الحضارة الاسلامية المنشودة(٧٦) ٠

« نماذج ممن تخرج من مدرسة أهل البيت فى المدينة » :

لا بد لنا ونحن نتحدث عن الامام محمد الباقر وجعفر الصادق ودورهما فى تأسيس هذه المدرسة ، أن نشير الى بعض من تخرج منها وحمل آثارها الى مختلف الأقطار ، سواء أكانوا من شيعتهم أم من غير الشيعة على السواء ٠

أما الذين تخرجوا من هذه المدرسة من غير الشيعة ، وأصبحوا رؤساء مذاهب منهم الامام مالك وأبو حنيفة والشافعى ٠ فقد « أفاد الامام مالك من صحبة الامام جعفر وأخذ عنه كثيرا من طرق استنباط الحكم ووجوه الرأى وأخذ عنه الأحكام فى المعاملات ٠٠٠ وكما أخذ من الامام الصادق جعفر بن محمد أخذ من أبيه الامام الباقر بن على زين العابدين ابن الحسين بن على بن أبى طالب ٠ لزم مالك مجلس الامام محمد الباقر وابنه الامام جعفر وتعلم منهما على الرغم من أن رأيه فى الامام على بن أبى طالب (رض)لم يرض آل البيت وشيعتهم ٠٠ »(٧٧) ٠ بالاضافة الى هؤلاء فقد تتلمذ مالك على تلاميذهم أيضا ، يقول بروكلمان : « وأخذ مالك ابن أنس عن نافع القارىء ، وكان يتشيع »(٧٨) ٠ يقول السيد أمير على : « كانت حلقة الامام جعفر الصادق يشهدها رجلان أصبحا فيما بعد من أركان المذهب السنى أحدهما أبو حنيفة ، والآخر مالك بن أنس ٠٠٠ »(٧٩)٠

أما الشافعى فيقول أبو زهرة : « واذا كان الشافعى لم يمكنه الزمان من الاتصال بأولئك الأئمة ، فقد اتصل (رض) بالصفوة من تلاميذهم ٠٠٠

---

(٧٦) محمد باقر الصدر : **جعفر الصادق** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٧٤ ٠

(٧٧) الشرقاوى : **شخصيات اسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٧ ٠ وأيضا أبو زهرة : **الامام زيد** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦ ٠

(٧٨) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٢٧٤ ٠

(٧٩) السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٣٢٥ ٠

وأنه قد صرح بأنه أخـذ عن مقاتل بن سليمان الشيعى ... واعتبره اماما فى التفسير »(٨٠) . كما التقى الشافعى بغيره من تلاميذ الامام الصادق ، « وتعلم منهم بعض فقـه الامام الصـادق ... وتعلم من مذهب الامام الصادق أن العقل هو أقوى أدوات الاستنباط ـ حين لا يكون نص ـ العقل وحده هو أداة فهم النصوص لا الاتباع ولا التقليد ... وتعلم من تلاميذ الامام الصادق رأى الامام فى حقيقة العلم . فليس حفظ القرآن والحديث ومعرفة الآثار فحسب ، ولكنه يشمل كل العلوم الطبيعية والرياضية التى تفسر ظواهر الكون وتكشف عن قدرة الخالق .. »(٨١) . « وجلس الى بعض شيوخ الشيعة باليمن فتلقى منهم »(٨٢) . أيضا . كما « وجـد فى اليمن كثيرا من الطالبيين ، وحضر مجالس العلم معهم ولكنه كان يستمع ولا يتكلم فاذا سئل فى ذلك قال : لا أتكلم فى مجلس يحضره أحدهم وهم أحق بالكلام منى ولهم الرياسة والفضل »(٨٣) . كما أن حمادا أسـتاذ أبى حنيفة تلقى العلم على تلاميذ الأئمة(٨٤) . وغير هؤلاء من علماء السنة الذين تخرجوا من مدرسة أهل البيت وتتلمذوا للامام الصادق(٨٥) .

أما من تخرج من الشيعة من هـذه المدرسة فعدد كبير جدا ـ كما مر ـ يقتصر الباحث علىذكر اثنين ممن كان له الأثر الكبير فى الحركة العلمية والعقلية فى الفكر الشـيعى ، أحدهما محمد بن على بن النعمـان الملقب بمؤمن الطاق . والآخر هشـام بن الحكم أكبر متكلمى الشـيعة الامامية فى ذلك العصر .

أما مؤمن الطاق : فقـد نص أبو العباس النجاشى : أنه أخـذ العلم عن ثلاثة من الأئمـة ، على بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد ،

---

(٨٠) محمد أبو زهرة : **الامام زيد** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦ .

(٨١) عبـد الرحمن الشرقـاوى : **شخصيات اسـلامية** ـ مرجـع سـابق ـ ص ١٣٤ .

(٨٣) المصـدر السـابق : ص ١٣٧ .

(٨٣) المصـدر السـابق : ص ١٣٨ .

(٨٤) أحمـد محمـد الحوفى : **تيارات ثقافية بين العرب والفرس** ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٧٨ ـ ص ٢٤٤ .

(٨٥) انظر محمد أبو زهرة : **مالك ـ حياته وعصره ، آراؤه وفقهه** ـ ط ٢ ـ القـاهرة ـ الأنجلو المصرية ـ ١٩٥٢ ـ ص ٣٨ ـ ٣٩ .

وجاء عن أبى خالد الكابلى أنه قال : رأيت أبا جعفر صاحب الطاق فى الروضة وقد قطع أهل المدينة أزراره وهو دائب يجيبهم ويسألونه ، فدنوت منه وقلت له ان أبا عبد الله نهانا عن الكلام ، فقال : لقد أمرك أن تقول لى ، فقال لا والله ، ولكنه أمرنى أن لا أكلم أحدا ، قال : فاذهب وأطعه فيما أمرك . قال الكابلى : فدخلت على أبى عبد الله الصادق (ع) فأخبرته بقصة صاحب الطاق وما قلت له وما أجابنى به ، فتبسم أبو عبد الله (ع) وقال : يا أبا خالد ان صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقض ، وأنت اذا قصوت لن تطير(٨٦) .

ويبدو من ذلك أن مؤمن الطاق كان قوى الحجة كثير الجدل ينهزم أمامه الخصم مهما بلغ من العلم ، لذلك فان الامام الصادق لم يمنعه من الجدل والمناظرة(٨٧) . وفى ذلك يقول الشهرستانى : « وهو - أى مؤمن الطاق - تلميذ الباقر محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم ، وأفضى اليه أسرارا من أحواله وعلومه ، وما يحكى عنه من التشبيه فهو غير صحيح »(٨٨) .

يقول ابن النديم : « وهو - أى مؤمن الطاق - من أصحاب أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) .. ولقى على بن الحسين زين العابدين عليهما السلام ، وكان حسن الاعتقاد والهوى ، حاذقا فى صناعة الكلام سريع الحاضر والجواب . وله مع أبى حنيفة مناظرات .. »(٨٩) .

أما هشام بن الحكم : فيقول فيه ابن النديم : « .. من جلة أصحاب أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) . وهو من متكلمى الشيعة الامامية .. وممن دعا له الصادق (ع) فقال : أقول لك ما قال رسول الله (ص) التحيات : لا تزال مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ، وهو الذى فتق الكلام فى الامامة وهذب المذهب وسهل طريق

---

(٨٦) هاشم معروف الحسنى : **سيرة الأئمة الاثنى عشر** - مرجع سابق - جـ ٢ - ص ٢٠٨ .
(٨٧) المصدر السابق : ص ٢٠٨ .
(٨٨) الشهرستانى : **الملل والنحل** - مرجع سابق - جـ١ - ص١٨٦ .
(٨٩) ابن النديم : **الفهرست** - مرجع سابق - ص ٢٥٨ .

الحجاج . وكان حاذقا بصناعة الكلام حاضر الجواب »(٩٠) . فهو « شيخ الامامية فى وقته وكبير الصنعة فى عصره »(٩١) . وكان فقيها وروى حديثا كثيرا .. وبلغ من مرتبته وعلوه عند الامام الصادق (ع) أنه دخل عليه بمنى وهو غلام وكان فى مجلس الامام الصادق شيوخ الشيعة كحمران بن أعين ، وقيس الماصر ، ويونس بن يعقوب وأبو جعفر الأحول وغيرهم ، فرفعه على جماعتهم وليس فيهم الا من هو أكبر منه سنا ، فلما رأى الصادق أن ذلك الفعل كبر على أصحابه قال : هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده(٩٢) .

يقول الدكتور أحمد صبحى : « وأهم تلاميذ الصادق فى علم الكلام عامة والامامة خاصة هشام بن الحكم وزرارة بن أعين . أما الأول فهو أول من فتق الكلام فى الامامة .. بالنظر . وصفه الرشيد بقوله : ان صارم مقوله فى الدفاع عن الامامة أمضى من مائة ألف سيف ، وقد حاور الزنادقة وأصحاب الديانات ، كما حاور المعتزلة وخصوم المذهب ... اذ كان يحظى برضى الصادق ،اذقال له لا تزال يا هشام مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ودعا له الصادق فما قهره أحد بعد فى التوحيد »(٩٣) .

وكان هشام بنالحكم يناظر أهل الملل والأهواء وينتصر عليهم ، ففى عيون الأخبار : دخل الموبذ فقيه الفرس وحاكم المجوس على هشام بن الحكم: فقال : هما فى القوة سواء ؟ قال نعم ، قال : فجوهرهما واحد : قال الموبذ لنفسه ـ ومن حضر يسمع ـ ان قلت : ان جوهرهما واحد عادا فى نعتواحد، وان قلت: مختلف اختلفا أيضا فى الهمم والارادات ولم يتفقا فى الخلق ، فان أراد هذا قصيرا أراد هذا طويلا ، قال هشام : فكيف لا تسلم ، قال هيهات »(٩٤) وفى ذلك يقول الدكتور أحمد كمال زكى: « .. فاذا انتقلنا الى القصة التالية وجدنا فيها نوعا من الارتقاء الفكرى ،

---

(٩٠) المصدر السابق : ص ٢٥٧ .
(٩١) المسعودى : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٣٨٠ .
(٩٢) عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق فى حديث واحد** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٦ .
(٩٣) أحمد محمود صبحى : **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص٢٧٣.
(٩٤) ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ١٥٣ .

فقد دخل أحد المجوس من الفرس على هشام بن الحكم ـ وهو رافضى لزم البصرة وتعمق الفلسفة ٠٠ »(٩٥) ٠

وجاء رجل ملحد فقال لهشام : أنا أقول بالاثنين وقد عرفت انصافك فلست أخاف مشاغبتك ، فقال هشام وهو مشغول بثوب ينشره ولم يقبل عليه : حفظك اللـه ، هل يقدر أحدهما أن يخلق شيئا لا يستعين بصاحبه ؟ قال نعم ٠ قال هشام : فما ترجو من اثنين ، واحد خلق كل شيىء أصلح لك ، فقال: لم يكلمنى بهذا أحد قبلك »(٩٦) ٠

وكان هشام بن الحكم أستاذ متكلمى المعتزلة ، منهم ابراهيم النظام(٩٧) ٠ كما كان يلزم المعتزلة فى مناظراته وحجاجه ، فقد ألزم العلاف فيما يعتقده(٩٨) ٠ كذلك ألزم عمرو بن عبيد(٩٩) ٠ كما أن أبا الحسين البصرى كان تلميذا لهشام وهو أحد رجالات المعتزلة(١٠٠) ٠

ولهشام بن الحكم من الكتب ، الدلالات على حدوث الأشياء ، كتاب الرد على الزنادقة ، كتاب الرد على أصحاب الاثنين ، كتاب التوحيد ، كتاب الألفاظ ومباحثها(١٠١) ، كتاب فى نقد أرسطاليس ، وهو أول كتاب ظهر فى زمن مبكر من الاسلام(١٠٢) ٠

---

(٩٥) أحمد كمال زكى : **الحياة الأدبية فى البصرة الى نهاية القرن الثالث الهجرى** ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧١ ـ ص ٩٩ ٠

(٩٦) ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ١٥٤ ٠

(٩٧) أحمد محمود صبحى : **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٥ ٠ وأضا على سامى النشار : **نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٤٨٥ ٠ وأيضا أبو محمد على بن حزم الاندلسى الظاهرى : **الفصل فى الملل والاهواء والنحل** ـ بغداد مكتبة مثنى ـ بدون تاريخ ـ ج ٥ ـ ص ٦٦ ٠

(٩٨) الشهرستانى : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٨٥ ٠ وأيضا المسعودى : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص ١٠٤ ٠

(٩٩) المسعودى : المصدر السابق ـ ج ٤ ـ ص ١٠٥ ٠ وأيضا دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ ٠

(١٠٠) الشهرستانى : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ ج٢ ـ ص٨٥ ٠

(١٠١) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٤ ٠

(١٠٢) على سامى النشار : **نشأة الفكر الفلسفى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٠٨ ٠

وقد أحصيت مؤلفات المتخرجين من تلك المدرسة فبلغت ستة آلاف كتاب ، منها أربعمائة كانت تعرف بالأصـول على لسان محدثى الشيعة ، ولعل أكثر محتويات الكتب الأربعة ، الكافى ، ومن لا يحضره الفقيـه ، والوافى ، والاستبصار مأخوذة منهـا(١٠٣) • وقد ذكر ابن النديم فى الفهرست جملة منها عند حديثة عن مصنفى الشيعة وعلمـائهم(١٠٤) • وفى ذلك يقول الدكتور رشدى عرسان عليان : « وقد أثر عن أصحاب الأئمة كتب كثيرة فى السنن سميت بالأصـول عرف منها أربعمائة أصل جمعت ونقحت بعـد ذلك فى أربع كتب »(١٠٥) •

المحتوى الفكرى لمدرسة أهـل البيت :

ان المحتوى الفكرى لمدرسـة أهل البيت يمتاز بالتماسك الفـكرى الوثيق ، والترابط فيما بين أفكارها واتجاهاتها • ومثل هـذا التماسك يشد اتجاهات المدرسة بعضها الى بعض ، ويؤدى الالتزام بأى جزء منه الى الالتزام بالجزء الآخـر ، فهـذه المدرسـة مثلا فتحت باب الاجتهـاد للعلماء ، وقد كان لهـذا العامل تأثير كبير على نمو المدرسة فيما بعد عصر الصادق ، واقبال الناس عليها لمسايرتها للأوضـاع الاجتماعية المتجددة ، ولذلك فان هــذه الميزة فى المذهب الشـيعى تعتبر ضـمانا من الداخل لحياة المذهب وبقائه •

وتناولت هـذه المدرسة بالبحث والتدريس جميع الفنون العلمية التى لها الأثر التام فى التقدم الاجتماعى ، والرقى الفكرى ، ومن أبرز العـلوم التى تناولتهـا بالتبسيط والتحليل الفقـه الاسـلامى بجميع أبوابه من العبادات والمعاملات ، ولم تقتصر على الناحية العلمية ، فقد توسعت حتى شملت أصـول الآداب والقيم الاجتمـاعية من مكارم الأخلاق والاصـلاح الشـامل فى جميع المجالات •

---

(١٠٣) هاشـم الحسنى : **سيرة الأئمة** ــ مرجع سـابق ــ جـ ٢ ــ ص ٢٠٢ •

(١٠٤) انظر ابن النديم : **الفهرست** ــ عند كلامه عن مصنفى الشيعة.

(١٠٥) رشدى محمد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة الامامية** ــ مرجع سابق ــ ص ٦١ ــ هامش ٤٦ •

ومدرسة أهل لبيت التى أسسها الامام الباقر والصادق لهـا طابع خاص انفردت به عن بقية المدارس والمؤسسات العلمية · فقد كان طابعها هو الاستقلال وعدم خضوعها للدولة ، فلم يكن لولاة الأمور بأى حال من الأحوال مجال للتدخل فيها ، فهى منفصلة عن الهيئة الحاكمة ، لأن الامتزاج بها معناه تدخل السلطة فى شئونها · وقد استمر هـذا الطابع حتى شمل جميع الجامعات الشيعية والمؤسسات العلمية ومدارس الدرس والتعليم · وهـذا ما عليه جامعة النجف الأشرف حتى اليوم فانها منذ تأسيسها لم ترتبط بالدولة ، وعلى هـذا المنهاج تسير جامعة قم فى ايران(١٠٦) ·

فالمحتوى الفكرى لهـذه المدرسة هو المحافظة على المقياس العقـائدى والرسالى فى المجتمع الاسلامى ، لهـذا حرص الأئمة من أهل البيت على أن لا يهبط الى درجة تشكل خطرا ما حقا ، وهـذا يعنى ممارستهم جميعا دورا ايجابيا فعالا فى حماية العقيدة وتبين مصالح الرسالة والأمة(١٠٧) · ولهـذا كان الامام الصادق يحث على الجدية فى الحياة ، والكفاح من أجل العيش الكريم ، فكان من أقواله : « أن اللـه يحب الجمال والتجمل ويبغض البؤس والتباؤس ، فان اللـه اذا أنعم على عبده نعمة أحب أن ـ يرى ـ أثرها عليه · فقيل له كيف ذلك ؟ قال : ينظف ثوبه ويطيبريحه ويجصص داره ويكنس أفنيته » · وكان يقول لاصحابه وتلاميذه : كونوا زينا لنـا ولا تكونوا شـينا علينا ليقول الناس : رحم اللـه جعفر بن محمد لنعم ما أدب أصحابه »(١٠٨) ·

ثانيـا ـ « العـــراق » :

١ ـ الـكوفة :

تعد الكوفة أحد المراكز الأساسية للثقافة الاسلامية فى ذلك العصر ، وكانت هى وأختها البصرة أهم مركزين لهـذه الثقافة فى اقليم العراق ،

---

(١٠٦) محمد باقر الصدر : **الامام جعفر الصادق** ـ مرجع سـابق ـ جـ ٢ ـ ص ٨٠ ·

(١٠٧) محمد باقر الصدر : **دور الأئمة فى الحياة الاسلامية** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٩٥ ·

(١٠٨) محمد باقر الصدر : **الامام جعفر الصادق** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٨٠ ·

أعنى الأقاليم الاسلامية فى هـذه الفترة من الناحية الثقافية • والباحث سيرجىء الكلام عن البصرة الى الفصل السـابع عند حديثـه عن المدارس النحوية التى أسسها الشيعة •

ان أول من بذر الثقافة الاسلامية بصورتها الواسعة هو الامام على ، وذلك بعد خروجه من المدينة أيام خلافته متوجها الى العراق ، وهنـاك بنى عاصمته الاسلامية فى الكوفة • يقول أبو زهرة : « وكذلك كان الأمر فى عهد على رضى اللـه عنه ، وهو نفسه خرج من المدينـة الى الكوفة ، وكان ملازموه الأصل العلمى لمدرسـة الكوفة ، بما تلقوه عليـه من فتاو وأقضية ، وما رووه عنه من أحاديث نبوية »(١٠٩) •

قام الامام على فى الكوفة بتعليم سائر فروع المعرفة التى تتناسب مع مطالب الدولة الاسلامية الناشئة ، ومما يؤثر عنه قوله « رتبة العلم أعلى الرتب » ، « ما مات من أحيا علما » « عليه بالحكمة فانها حلة فاخرة » ومن الطبيعى أن تؤدى مثل هـذه الروح الى تشجيع روح البحث وبعث الرغبة فى طلب العلم(١١٠) • بالاضافة الى موقف الامام على من شيعته من غير العرب ، وكان فيهم العلماء « أن ينهضوا بالعلم نهضـة واسعة ، وأن يسجلوا فيه تفوقا رائعـا ، ونبغ منهم علمـاء كبار تدين لهم الثقافة الاسلامية بكثير مما بلغته من نهضة وتقدم ، كسعيد بن جبير مولى بنى والبة الذى يعد من أشهر علماء الكوفة ، والذى قال فيه أستاذه ابن عباس عندما أتاه أهل الكوفة يسألونه : تسـألونى وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعنى سـعيد بن جبير »(١١١) •

هـذه حالة الكوفة قبل أن ينتقل اليها الامام الصادق ، فهى مسرح لعلماء الشيعة وفقهائهم ، كما كانت منطلق الحركات العقلية فى العصر الثانى من عصور تاريخ الفقـه الشـيعى ومبعث هـذه الحركة ومركز الاشعاع ، وظلت مع ذلك من أهم مراكز الفقه الشيعى ، وظلت البعثات

---

(١٠٩) محمد أبو زهرة : **مالك** ــ مرجع سابق ــ ص ١٤٩ •
(١١٠) السـيد أمير على : **روح الاســلام** ــ مرجع سابق ــ ج ٢ ــ ص ٢٤٧ ــ ٢٤٨ •
(١١١) يوسـف خليف : **حيـاة الشعر فى الكوفة** ــ مرجع سابق ــ ص ٢٣٦ •

الفقهية الشيعية تقصد هـذه المدينة بالذات ولهـذا احتل فقهاء الشـيعة مركز الصدارة فى التدريس والبحث الفقهى رغم كل العقبات التى اصطدم بها أئمة الشيعة من أهل البيت وفقاؤهم ورواة الحديث من ضغط الجهاز الحاكم حتى كان بعضهم اذا رأى الامام فى الطريق يعرض عنه لئلا يتهم بالتشيع ، وبعضهم يلتقى بالامام ليلا خوفا من عيون الرقابة المسلطة على بيوت أئمة أهل البيت(١١٢) ٠

غى مثل هـــذا الوقت انتقل الامام الصـــادق الى الـــكوفة أيام أبى العباس السفاح ، واستمر بقاء الامام الصادق فى الكوفة مدة سنتين ، اشتغل فيها بالخصوص فى نشر المذهب الشيعى لعدم وجود معارضـة سياسية قوية ذى البين ، فقد سقطت فى هـــذه الفترة الحكومة الأموية وظهـرت الحكومة العباسـية وبين هـذا السـقوط وهـذا الظهور اغتنم الصادق الفرصة للدعوة الى المذهب ونشر أصول هـذه المدرسة فازدلفت اليه الشيعة من كل فج زرافات تستقى منه العلم وتروى عنه الأحاديث فى مختلف العلوم ، وكانمنزله فى بنى عبد القيس من الكوفة(١١٣) ٠

« وقد عقد ـ الامام الصادق ـ وهو فى العـراق عدة مناظرات كان يناظر فيهـا أهل الفرق المختلفـة ، وكان كثير من الناس يحضرون هـذه المناظرات٠٠وقد آلت اليه رياسة البيت الحسينى ، وصار مقصد طـلاب العلم العلوى ٠٠ وغى العراق التقى بأصحاب المذاهب العقلية كالمعتزلة ، وقـد جرت مناظرات بينـه وبين بعضهم مما يدل على أنـه التقى بهم » كما يراه أبو زهرة(١١٤) ٠

والظاهر أن الامام الصادق لم يلتق بالمعتزلة على أساس المناظرة ، وانما تلاميذه الذين أعدهم اعدادا خاصا للوقوف فى وجه المعتزلة وغيرهم من الفرق ، هم الذين كانوا يلتقون بهم ٠ فهشام بن الحكم أحـد تلاميذه تصـدى مثلا لآراء المعتزلة بالرد والتفنيد ٠ ومن أمثلة ذلك المناظرة التى

---

(١١٢) محمد مهدى الاصفى : **مقـدمة اللمعة** ـ مرجع سابق ج ١ ـ ص ٣٤ ـ ٣٥ ٠ وأيضا هاشـم الحسنى : **سـيرة الأئمـة** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٠٢ ٠

(١١٣) محمد مهدى الاصفى :المصدر السابق ـ ص ٣٢ ـ ٣٣ ٠

(١١٤)محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٦١ـ٦٢ .

وقعت بين هشام بن الحكم وعمرو بن عبيد المعتزلي تبين مدى عمق التفكير عند تلاميذ الامام الصادق : سأل الامام الصادق هشام بن الحكم وكان دون العشرين من عمره ما وقع بينه وبين عمرو بن عبيد ثاني متكلمي المعتزلة بعد واصل بن عطاء : قال هشام : بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة ، فعظم ذلك علي ، فخرجت اليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فاذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزرا بها من صوف ... والناس يسألونه ، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي ، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت : أيها العالم انى رجل غريب تأذن لي في مسألة ، فقال لي : نعم : فقلت له ألك عين ؟ فقال يابني أي شيء هذا من السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه ؟ فقلت هكذا مسألتي ، فقال : يا بني سل وان كانت مسألتك حمقاء ، قلت : أجبني فيها ، قال لي : سل ، قلت : ألك عين :قال : نعم ، قلت : فما تصنع بها؟ قال : أرى بها الألوان والأشخاص ، قلت : ألك أنف ، قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أشم به الرائحة ، قلت ألك فم ؟ قال : نعم ، قلت فما تصنع به ؟ قال : أذق به الطعم ، قلت : ألك اذن ؟ قال : نعم ، قلت فما تصنع بها ؟ قال : أسمع بها الصوت ، قلت ألك قلب ؟ قال : نعم ، قلت : فما تصنع به ؟ قال : أميز به كل ما ورد على هذه الجوارح والحواس ، قلت : أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟ فقال : لا ، قلت : وكيف ذلك وهي صحيحة وسليمة ؟ : قال : يا بني ، ان الجوارح اذا شكت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أوسمعته ردته الى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك ، قال هشام : فقلت له : فانما أقام الله القلب لشك الجوارح ؟ قال : نعم ، قلت : لا بد من القلب والا لم تستيقن الجوارح ؟ قال : نعم فقلت له : يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها اماما يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك الخلق كله في حيرتهم وشكهم ، واختلافهم ، لا يقيم لهم اماما يردون اليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك اماما لجوارحك ترد اليه حيرتك وشكك ؟ قال : فسكت ولم يقل شيئا ، ثم التفت الي فقال لي : أنت هشام بن الحكم ، فقلت : لا ، قال : أمن جلسائه ؟ قلت : لا ، قال فمن أين أنت ، قلت : من أهل الكوفة ، قال : فأنت اذن هو ، ثم ضمني اليه وأقعدني

فى مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت(١١٥) ٠

من هـذا الموقف يظهر لنـا مدى قوة احتجاج الشـيعة ، ومدى أثر العقيدة عندهم على فكرهم التربوى ، ويتجلى ذلك فى هـذه المناظرة التى تعتبر احدى طرق التعليم ، ولهـذا أصبح مفكرو الشيعة أساتذة العلماء والمحدثين من بقيـة الفرق الاسلامية ٠ فمثلا عبد اللـه بن موسى العبسى الفقيـه وكان شـيعيا وهو من مشـايخ البخـارى فى صحيحه(١١٦) ٠ وعلى بن الجعـد أبو الحسن الجوهرى البغـدادى وهو أحـد شـيوخ البخـارى أيضـا وقـد عـده ابن قتيبـة من رجـال الشـيعة فى كتـاب المعارف(١١٧) ٠ واسماعيل بن أبان الازدى الكوفى الوراق ، شيخ البخارى حـدث عنـه يحيى وأحمـد ٠ وقال البخـارى : صـدوق ، وقال غيره : كان يتشيع(١١٨) ٠

أما الامام مسلم فكان شيوخه وأساتذته كذلك من علماء الشـيعة ، فقد تتلمذ على يد عبد اللـه بن عمر بن محمد الكوفى الملقب مشـكد انه ، فهو شيخ مسلم وأبى داود ، والبغوى ، وخلق من طبقتهم أخذوا عنه(١١٩)٠ يقول الذهبى : « عبد اللـه بن عمر بن أبان القرشى الكوفى مشكدانه ٠ صـدوق صـاحب حديث ٠٠٠ قال أبو حاتم صـدوق ، ويروى عنه أنه شيعى ، فقال بكر بن محمد الصيرفى الذى ذكره الحاكم ، فقال : محدث

---

(١١٥) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٠ ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ٠ وأيضا المسعودى : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٠٥٠ وأيضا أحمد محمود صبحى : **نظرية الامامة** ـ مرجع سـابق ـ ص ١٤٤ ٠ وأيضا حسون ملارجى الدلفى : **فضائل آل الرسول فى المعقول والمنقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٠ ص ١٤١ ـ ١٤٢ ٠ وأيضا هاشم الحسنى : **الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة** ـ مرجع سـابق ـ ص ١٩٧ ٠ وأيضـا دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٠ ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ ٠

(١١٦) ابن الاثير : **الـكامل فى التـاريخ** ـ مرجع سـابق ـ جـ ٥ ـ ص ٢١٧ ٠ وأيضا الذهبى : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ٣ ـ ص١٦ ٠

(١١٧) عبـد الحسين شرف الدين : **المراجعـات** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٧ ٠

(١١٨) الذهبى : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٢١٢ ٠

(١١٩) عبد الحسين شرف الدين : **المراجعـات** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٨ ٠

خراسان فى عصره سمعت صالح بن محمد جزرة يقول : كان عبد الله بن عمر بن أبان يمتحن أصحاب الحديث ، وكان غالبا فى التشيع »(١٢٠) ٠

ومن علماء الشيعة الذين أثروا الفكر الاسلامى بمختلف المعارف ، كما كان لهم الفضل فى نمو مدرسة الكوفة الفقهية ، بالاضافة الى البيوتات العلمية الكوفية التى عرفت بانتسابها الى الامام الصادق واشتهرت بالفقه والحديث ، كبيت آل أعين وبيت آل حبان التغلبى ، وبيت عطية ، وبيت بنى دارج وغيرهم من البيوتات العلمية الكوفية التى عرفت بالتشيع واشتهرت بالفقه والحديث(١٢١) ٠ يذكر الباحث منهم على سبيل المثال :

١ ـ **أبان بن تغلب بن رباح البكرى** : كان مقدما فى كل فن من العلوم منها الفقه والحديث والأدب واللغة والنحو ، وأنه ألف كتبا كثيرة منها كتاب فى تفسير غريب القرآن(١٢٢) ٠ وقد وثقه علماء السنة ومحدثوهم مع اعترافهم بتشيعه ، ووصفه الذهبى فى ميزان الاعتدال بالصلابة فى تشيعه وصدق الحديث وقال : أبان بن تغلب الكوفى شيعى جلد ، ولكنه صدوق ، فلنا صدقه وعليه بدعته(١٢٣) ٠ وقد عد له ابن النديم فى الفهرست ثلاثة كتب ، كتاب فى القراءات ، وكتاب فى معانى القرآن ، وكتاب فى أصول الحديث على مذهب الشيعة ، توفى سنة مائة واحدى وأربعين للهجرة(١٢٤) ٠

٢ ـ **عبد الرحمن بن خراش الحافظ** : قال ابن عدى : كان يتشيع ، وقال أبو زرعة كان رافضيا ٠ قال الذهبى : ٠٠ فانه كان حافظ زمانه ، وله الرحلة الواسعة ، والاطلاع الكثير والاحاطة ، وبعد هذا فما انتفع بعلمه ، فلا عتب على حمير الرافضة ٠ وقد سافر فى طلب العلم الى العراق والمدينة وخراسان والشام ومصر ٠٠٠ وكان أحفظ أهل زمانه ، لا يذكر

---

(١٢٠) الذهبى : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٦٦ ٠
وأيضا شرف الدين : المصدر السابق ـ ص ٩٨ ٠

(١٢١) محمد مهدى الاصفى : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٣ ، ٣٤ ٠

(١٢٢) هاشم معروف الحسنى : **سيرة الأئمة الاثنى عشر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ص ٢٠٥ ٠

(١٢٣) الذهبى : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤ ٠

(١٢٤) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢٢ ٠

له شيىء من الشيوخ والأبواب الا مر فيه ٠٠ مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين(١٢٥) ٠

٣ ـ **عبد الرازق بن همام بن نافع الامام :** أبو بكر الحميرى : أحد الأعلام الثقات ، ولد سنة ست وعشرين ومائة ، وطلب العلم وهو ابن عشرين سنة ، وكتب شيئا كثيرا ، وصنف الجامع الكبير ، وهو خزانة علم ، ورحل الناس اليه : أحمد واسحاق ويحيى ، والذهلى والرمادى ٠ وقال ابن عدى ٠٠ ونسبوه الى التشيع وسأل عبد الله بن أحمد أباه : عبد الرازق يفرط فى التشيع ، وقد اعتبروا تشيعه من المناكير(١٢٦) ٠ وقال أحمد بن صالح لأحمد بن حنبل : رأيت أحسن حديث من عبد الرازق : قال : لا ٠ مات سنة احدى عشرة ومائتين(١٢٧) ٠

٤ ـ **شريك بن عبد الله النخعى :** أبو عبد الله الكوفى ، القاضى ، الحافظ الصادق ، أحد الأئمة ٠ وقال سعدويه : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : شريك أعلم بحديث الكوفيين من سفيان ٠ وقال الحلبى : كنا بالرملة فقالوا : من رجل الأمة ؟ فقال قوم : ابن لهيعة ٠ وقال قوم : مالك ٠ فسألنا عيسى بن يونس ،وكانقدم علينا ، فقال : رجل الأمة شريك ، وكان يومئذ حيا(١٢٨) ٠ وقد ولد شريك سنة خمس وتسعين ، فقال عبد الله بن ادريس لما بلغه هذا : الحمد لله الذى نطق به لسان حفص ، فوالله انه لشيعى ، وان شريكا لشيعى ٠ قال الذهبى : قد كان شريك من أوعية العلم حمل عنه اسحاق الأزرق تسعة الآف حديث ـ وقال النسائى : ليس به بأس ٠٠ ومات سنه سبع وسبعين ومائة(١٢٩) ٠

٢ ـ بغداد :

انتقلت الحركة العلمية فى العراق من الكوفة الى بغداد بعد أن أسسها العباسيون ، فأصبحت حاضرة العالم الاسلامى ، وانتقل اليها

---

(١٢٥) الذهبى : **ميزان الاعتدال :** مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٦٠٠ ـ ٦٠١ ٠
(١٢٦) المصدر السابق : ص ٦٠٩ ـ ٦١٠ ـ ٦١١ ٠
(١٢٧) المصدر السابق : ص ٦١٤ ٠
(١٢٨) المصدر السابق : ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ ٠
(١٢٩) المصدر السابق : ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ٠

أكثر العلماء من جميع الأقطار الاسلامية ، وانتقل معهم الامام موسى الكاظم ابن الامام الصادق ، وابنه على بن موسى الرضا • وكان دور الامامين المذكورين ، رغم أهميته وخطره ، لا يقارن من حيث الأهمية ، بدور الامامين الباقر وابنه الصادق فى تاريخ الفكر عند الشيعة وذلك لأن دور الباقر والصادق كان دور تأسيس وانتشار للفكر الاسلامى ، كما أنه لا يقارن أيضا بدور التوسع والانتعاش الذى بدأ بعد نهاية عصر الأئمة ، قبل نهاية القرن الثالث للهجرة ، والذى قام به شيوخ الشيعة ، أمثال محمد بن مسعود العياشى من علماء القرن الثالث الهجرى ، والذى يقول فيه ابن النديم : « العياشى أبو النضر محمد بن مسعود العياشى من أهل سمرقند ••• من فقهاء الشيعة الامامية أوحد دهره وزمانه فى غزارة العلم ، ولكتبه بنواحى خراسان شأن من الشأن »(١٣٠) • وله أكثر من مائتى مصنف أوردها النجاشى وابن النديم فى فهارسهم وابن شهر أشوب فى معالمه أسماءها(١٣١) • والذى يهمنا منها فى هذا البحث كما فى الفهرست : كتاب العالم والمتعلم ••• كتاب القضايا وآداب الحكام ••• كتاب فرض طاعة العلماء ••• كتاب البر والصلة ، كتاب محاسن الأخلاق ، كتاب حقوق الاخوان ، كتاب عشرة النساء ••• كتاب معرفة البيان •• الى قوله : وذكر حيدر أن كتبه مائتان وثمانية كتب ، وأنه ظل عنه من جميعها سبعة وعشرون كتابا(١٣٢) • وقد أنفق العياشى على العلم والحديث تركة أبيه كلها ، وكانت ثلثمائة ألف دينار وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قارىء معلق مملوءة من الناس(١٣٣) • وأمثال الشيخ الصدوق القمى (ت ٣٨١هـ) والشريف الرضى (ت ٤٠٦هـ) والشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) والشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) وغيرهم • ويمكن أن نجمل الأسباب التى دعت الى ذلك كما ذكرها الدكتور عبد الله فياض وهى :

١ ـ كانت رقابة خلفاء بنى العباس المعاصرين للامام موسى

---

(١٣٠) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٨ •

(١٣١) انظر ترجمة العياشى فى كتاب **بحار الأنوار لمحمد باقر المجلسى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٩٧ الى ٩٩ •

(١٣٢) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٨ الى ٢٩١ •

(١٣٣) عبد الله فياض : **دور الكاظم والرضا فى التربية والتعليم** ـ دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٨٩ •

الكاظم (ع) شديدة على الشيعة عامة وامامهم موسى الكاظم خاصة فضــلا عن المدة الطويلة التى قضــاها موسى الكاظم فى السجن ۰ قال هشــام ابن سالم: «كنابالمدينة بعد وفاة جعفر الصادق ، فقعدنا فى بعض أروقة المدينة ۰۰۰ فنحن كذلك اذ رأيت شيخا يومىء الى بيده فخفت أن يكون عينا من عيون أبى جعفر المنصور ، وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس على من يجتمع اليه الناس بعد الصادق فيؤخذ فيضرب عنقه ، وذات مرة جاء أحدهم يسأل الامام موسى الكاظم كما كان يسأل أباه قال له الامام : « سل تخبر ولا تذع فان أذعت فهو الذبح » وســأل أحــدهم الامام موسى الكاظم عن مسألة فقال : « اذا هدأت الرجل وانقطع الطريق فاقبل » وذات مرة عاتب أحــد الشيعة على الرضــا لأنه فتح باب بيته للافتاء ، خلافا لخطة أبيــه موسى الكاظم ، فقال انه ليس عليــه من هارون الرشــيد بأس ، كما كان على أبيــه ۰

٢ ـ انشــغال الامام على الرضا لفترة من حياته بسياســة أمور الأمة وذلك حين ولاه المــأمون ولاية العهــد واســتقدمه لخراســان حيث توفى هنــاك ۰

٣ ـ تجديد رقابة الخلفاء العباسيين ، وخاصة المتوكل على أئمــة الشيعة المتأخرين ، وحمل المتوكل الامام العاشر من المدينة الى سامراء ، وكان هدفه أن يمنع اتصال الشيعة به ۰ وبالرغم من كل ذلك ، فان الاماميين الكاظم والرضــا قاما بدور فعال فى التعليم والتربية(١٣٤) ۰ واشتغل الامام على الرضــا مــدة بقــائه فى بغــداد ، وهى ثمــان ســـنوات ، بالتدريس(١٣٥) ۰

ومن هنا كانتمسئولية الامام الكاظم والرضا تنحصر فى التمهيد لوجدان القاعدة الشــعبية الموجهــة والواعية وذلك لا يتم الا بامتلاكهم لحرية التوجيــه والتوعية بين مختلف طبقات الأمة(١٣٦) ۰ وللأسباب

(١٣٤) المصــدر الســابق : ص ٨٩ ۰
(١٣٥) دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠١ ۰
(١٣٦) محمد جواد فضل الله : **الامام الرضا تاريخ ودراسة** ـ مرجع ســابق ـ ص ١٨١ ۰

المتقدمة كانت حركاتهم العلمية وتحركاتهم تحصى عليهم من قبل السلطات. ومع ذلك فقد تخرج من مدرستهم علماء كانوا أساس الحركة العلميــة فى بغــداد • لأن بغــدادمركزثقافى كبير من مراكز الحركة العقلية فى العالم الاسلامى ، يقطنها الآلاف من الفقهــاء والمحدثين ، وتنتشر فيهــا كثير من المدارس والمكاتب والمساجد التى كان يحتشد فيها جماهير الطلاب والمدرسين والعلماء كل يوم للدرس والمطالعة والبحث والمناقشــة • فكان لانتقــال المدرسة الى هــذا الجو الفكرى على يد علماء كبار أمثال المدينى والجعابى وابن عقده والمفيد والمرتضى والطوسى أثر كبير فى الحركة الفكرية القائمة فى ذلك العصر • والباحث سيقتصر على ذكر هؤلاء للمثال ، وما قاموا به من دور هام فى استمرار وتنمية الحركة العلمية من الشيعة :

١ ــ **على بن عبد الله بن جعفر** : أبو الحسن الحافظ ، أحــد الاعلام الاثبات وحافظ العصر ••• قال أبو حاتم ، كان ابن المدينى علما فى الناس فى معرفة الحديث والعلل ، وكان أحمد لا يسميه ، انمــا يكنيه تبجيلا له • وكان يتصــدر للتدريس فى بغــداد ، وجاء يحيى وأحمد بن حنبل والمعيطى والنــاس يتناظرون فاذا اختلفوا فى شيىء تكلم فيه على ، يقــول يحيى ابن معين ، كان على بن المدينى اذا قدم علينــا أظهر الســنة ، واذا ورد البصرة أظهر التشيع(١٣٧) • وهــذا نتيجة الاضطهاد الذى كان يلاقيه علماء الشــيعة فى ذلك العهــد •

يقول الخطيب البغدادى : « على بن عبد الله •• ويعرف بابن المدينى ، وهو أحــد أئمة الحديث فى عصره ، والمقدم على حفاظ وقته •• »(١٣٨) • ولهــذا يقول عباس العنبرى : « لعله كان تقــدم على الحسن البصرى ، كان الناس يكتبون قيامه ، وقعوده وكل شيىء يقول ويفعل »(١٣٩) • ويقــول البخارى : « ما استصغرت نفسى عند أحد الا عند على بن المدينى »(١٤٠)•

---

(١٣٧) الذهبى : **ميزان الاعتدال** ــ مرجع سابق ــ ج ٣ ــ ص ١٣٨ ــ ١٣٩ • وأيضا الخطيب البغدادى : **تاريخ بغداد** ــ مرجع سابق ــ ج ١١ ــ ص ٤٥٨ ــ ٤٥٩ •

(١٣٨) الخطيب البغدادى : المصدر السابق ــ ص ٤٥٨ •

(١٣٩ ، ١٤٠) المصدر السابق : ص ٤٩٢ ــ ٤٩٣ •

ولهـذا كان أعلم الناس فى وقته بالحديث وعلله(١٤١) ٠ » مع كمال المعرفة بنقد الرجال ، وسعة الحفظ والتبحر فى هـذا الشأن لعله فرد زمانه فى معناه وصنف التصانيف ، ويقال : «لابن المدينى نحو مائتى مصنف»(١٤٢) كما يقول الذهبى ، ومع ذلك فقد أعرض بعض المحدثين من علماء السنة عن الأخـذ بروايتـه(١٤٣) لتشـيعه ٠ مات سـنة أربع وثلاثين ومائتـين بسامراء(١٤٤) ٠

٢ ـ **محمد بن عمر ، أبو بكر الجعابى الحافظ** : من أئمة هذا الشأن ببغـداد على رأس الخمسين وثلثمائة ٠ ولى القضـاء بالموصل ٠٠ وكان أحـد الحفاظ المجودين ٠٠٠ وله مصنفات كثيرة ٠٠ وهو شيعى ٠٠ وكان أحفظ أهل زمانه ٠ روى التنوخى عن أبيـه ، قال : ما شـاهدنا أحفظ من أبى بكر بن الجعابى ، وكان يفضل الحفاظ بأنه يسـوق المتون بألفاظها ، ولم يبق فى زمانه من يتقدمه فى الدنيا ٠٠ وقال الدارقطنى : شيعى ٠٠ مات سنة خمس وخمسين وثلثمائة(١٤٥) ٠

يقول ابن الاثير : « وفيها ـ أى سـنة ٣٥٥ ـ توفى أبو بكر محمد ابن عمر ٠ ٠ ٠ ٠ المعـروف بالجعـابى الحافظ البغـدادى بهـا وكان يتشيع »(١٤٦) ٠ وكان حافظا مكثرا يقال أنه كان يحفظ أربعمـائة ألف حديث بأسانيدها ٠٠ ويحفظ المراسيل والمقاطيع والحكايات قريبا من ذلك ، ويحفظ أسماء الرجال وجرحهم وتعديلهم ، وأوقات وفياتهم ومذاهبهم حتى تقدم على أهل زمانه وفاق سـائر أقرانه ، صـنف الأبواب والشـيوخ والتاريخ ٠ كما يقول شارح الكامل(١٤٧) ٠ ومهما يكن من المبالغـة فى

(١٤١ ، ١٤٢) الذهبى : **ميزان الاعتـدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٣٩ ـ ٢٤١ ٠

(١٤٣) المصـدر السـابق : ص ١٣٨ ـ ١٤٠ ٠

(١٤٤) المصدر السابق : ص ١٤١ ٠ وأيضا الخطيب البغـدادى ـ **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ١١ ـ ص ٤٧٢ ـ ٤٧٣ ٠

(١٤٥) الذهبى : المصدر السابق : جـ ٣ ـ ص ٦٧٠ ـ ٦٧١ ٠

(١٤٦) ابن الاثير ـ **الكامل فى التـاريخ** ـ مرجع سـابق ـ جـ ٧ ـ ص ٢٠ ـ ٢١ ٠

(١٤٧) انظـر هامش : **الـكامل لابن الاثير** ـ المصـدر السـابق ـ ص ٢٠ ـ ٢١ ٠

هـذا العدد الضخم ، فانما يدل على سـعة علم الجعابى وكثرة ما يحفظ من الأحاديث ولهـذا كان اماما فى معرفة علل الحديث ، وثقات الرجال من معتليهم وضعافهم وأسمائهم وأنسابهم ، وكناهم ومواليدهم ، وأوقات وفاتهم ، ومذاهبهم ، وما يطعن به على كل واحد ٠ وما يوصـف بـه من السداد(١٤٨) ٠ » وكان ابن الجعابى يملى مجلسه فتمتلىء السـكة التى يملى فيها والطريق ، ويحضره ابن المظفر ، والدارقطنى ، ولم يكن الجعابى يملى الأحايث كلها بطرقها الا من حفظه »(١٤٩) ٠ وقـد نص على تشيعه أيضـا الخطيب البغـدادى(١٥٠) ٠

والذى يدل على سعة علم ابن الجعابى وكثرة ما يحفظه من الأحاديث ، ما رواه الخطيب البغدادى عن الأزهرى قال : وعـد ابن الجعابى أصحاب الحديث يوما يملى فيه ، فتعمد ابن المظفر الاملاء فى ذلك اليوم وألزمنى الحضور عنده ففعلت ، ثم انصرفت من المجلس ، فلقينى ابن الجعابى وقال لى ذهبت الى ابن المظفر وتنكبت الطريق التى تؤديك الى للاستحياء منى ؟ فقلت : قد كان ذاك ٠٠ فقـال : كم عـدد الأحاديث التى أملاها ؟ فقلت : كذا وكذا ٠ فقال : أيما أحب اليك ؟ تذكر اسـناد كل حديث ، وأذكر لك متنـه ، أو تذكر لى متنه وأذكرلك اسناده ٠ فلت : بل أذكر المتون ٠ فقال : افعل ذاك فجعلت أقول له روى حديثا متنه كذا ، فيقول : هو عنده عن فلان عن فلان ، وأقول أملى حديثا متنه كذا ، فيقول : حدثكم به عن فلان حتى ذكرت له متون جميع الأحاديث واخبرنى بأسـانيدها كلها ٠ فلم يخطىء فى شيىء منها أو كما قال(١٥١) ٠

ويقـول الخطيب البغـدادى : « سـألت أبـا بكر البرقانى عن ابن الجعابى ، فقال حدثنا عنه الدارقطنى وكان صاحب غرائب ، ومذهبه معروف فى التشـيع ٠ قلت قد طعن عليه فى حديثه وسـماعه ؟ فقـال : ما سمعت فيه الا خيرا »(١٥٢) ٠

---

(١٤٨) الخطيب البغدادى : **تاريخ بغـداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٨ ٠
(١٤٩) المصـدر السـابق : ص ٢٨ ٠
(١٥٠) المصـدر السـابق : ص ٢٦ ٠
(١٥١) المصـدر السـابق : جـ ٣ ـ ص ٢٩ ٠
(١٥٢) المصـدر السـابق : ص ٣٠ ـ ٣١ ٠

٣ ـ الشيخ المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد البغدادى :

ولد الشيخ المفيد فى عكبرا وانتقل منها فى أيام صباه الى بغداد بصحبة والده ، ونشأ فى بغداد وتفرغ منذ صغره لطلب العلم ، فعرف ـ وهو بعد صغير يرتاد حلقات الدراسة ـ بالفضل والنبوغ ، وقد لقبه « الشيخ أبو ياسر » من مشايخ علماء السنة بالمفيد لظهوره عليه فى مجلس بحثه وعرف من ذلك الوقت بالمفيد(١٥٣) ٠

ومهما يكن من أمر ، فقد ظهر « الشيخ المفيد » فى مدة قليلة على أقرانه ، وحفه شيوخه وأساتذته كالشيخ الصدوق وغيره ، بعنايتهم لما لمسوا فيه من مؤهلات وقابليات تندر وجودها فى غيره ٠

واستقل الشيخ « المفيد » بالتدريس فى بغداد وهو بعد لم يتجاوز سن الشباب ، وتفرغ للفقه والكلام ، وكان يحضر مجلس درسه آلاف الطلاب من الشيعة والسنة ، وبرز من تلاميذه رجال كبار : أمثال السيد المرتضى ، والشيخ الطوسى ، وقد تابعوا أستاذهم « المفيد » فى توسعة المدرسة ، وتطويرها وادخال تغييرات جديدة عليها ، ولهذا قدر للشيخ المفيد أن يكون رائدا فكريا لهذا العصر من عصور الفقه الاسلامى ، وأن يدخل تغييرات وتحسينات كثيرة على الفقه ، ويطور من مناهجه وقواعده ٠ ومن بعده كان تلاميذه وتلاميذ تلاميذه يعترفون له بهذا الحق ٠ يقول العلامة الحلى فى شأنه : « من أجل مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم ، وكل من تأخر عنه استفاد منه ، وفضله أشهر من أن يوصف فى الفقه والكلام والرواية »(١٥٤) ٠

يقول ابن النديم : « أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ، فى زماننا ، اليه انتهت رياسة أصحابه من الشيعة الامامية فى الفقه والكلام

---

(١٥٣) الاصفى : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٥٣ ٠ وأيضا **مقدمة كتاب البحار المجلسى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٨٠ ٠

(١٥٤) الاصفى : المصدر السابق ـ ص ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٠ وأيضا **مقدمة كتاب البحار** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٠ ٠

والاثار ، ومولده سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة وله من الكتب ·· »(١٥٥) ·
ويقول فيه أبو حيان التوحيدى : « واما ابن المعلم فحسن اللسان والجدل ، صبور على الخصم ، كثير الحيلة ، ظنين السر ، جميل العلانية »(١٥٦) ·

وقد اجمع المسلمون فى عصره على فضله وثقافته وتبرزه فى العلوم العقلية والنقلية والحديث والرجال والأدب وقوة العارضة فى الظهور على الخصم أثناء المناظرة ، قال اليافعى فى مرآة الجنان فى وقائع سنة ٤١٣ : وفيها توفى عالم الشيعة وامام الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة ، شيخهم المعروف بالمفيد وبابن المعلم البارع فى الكلام والفقه والجدل ، وكان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة والعظمة فى الدولة البويهية ·· »(١٥٧) · قال الذهبى : « محمد بن محمد ··· الشيخ المفيد ، عالم الرافضة ··· صاحب التصانيف البديعة ، وهى مائتا مصنف ··· وله صولة عظيمة بسبب عضد الدولة شيعته ثمانون ألف رافضى · مات سنة ثلاث عشرة وأربعمائة »(١٥٨) · وقد ذكرت مؤلفاته فى كتب التراجم وقد طبع كثير منها ·· وقد قال فيه ابن حجر : عالم الرافضة صاحب التصانيف البديعة · وهى مائتا تصنيف ·· وكان كثير التقشف والتخشع والاكباب على العلم ، تخرج به جماعة وبرع فى المقالة الامامية حتى يقال : له على كل امام منه ، وكان أبوه معلما بواسط ··(١٥٩) ·

أما الذين تخرجوا من مدرسة الشيخ المفيد فعلماء كثيرون كان لهم صولة فى تطوير الفكر الاسلامى ، منهم السيد المرتضى علم الهدى على بن الحسين الموسوى · والشريف الرضى محمد بن الحسين الموسوى ·

---

(١٥٥) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٩٣ ·
(١٥٦) أبو حيان التوحيدى : **الامتاع والمؤانسة** ـ بيروت ـ مكتبة الحياة ـ بدون تاريخ ـ ج ١ ـ ص ١٤١ ·
(١٥٧) **مقدمة كتاب البحار للمجلسى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٧١ ـ ٧٢ · وأيضا الاصفى : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٥ ·
(١٥٨) الذهبى : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص ٣٠ ·
(١٥٩) **مقدمة البحار للمجلسى** : مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٧٢ · نقلا عن ابن حجر : **ميزان الاعتدال** ـ ج ٥ ـ ص ٧٩ ـ ٨٠ ·

وشيخ الطائفة الشيعية محمد بن الحسن الطوسى ٠ والشيخ أبو العباس أحمد بن على النجاشى ، والشيخ الفقيه أبو يعلى سلار بن عبد العزيز الديلمى ٠ والشيخ أبو الفرج المظفر بن على بن الحسين الحمدانى ٠٠ وغير هؤلاء كثيرون ٠ وكل واحد منهم له مدرسة خاصة تتلمذ عليهم كثير من طلاب العلم والمعرفة(١٦٠) ٠

وكان الشيخ المفيد يحاضر وفق المذاهب الاسلامية المختلفة المتعبد بها فى زمنه ، وكان له مجلس نظر بداره بدرب رباح يحضره كافة العلماء(١٦١).

٤ ـ الشيخ الطوسى ، أبو جعفر محمد بن الحسن ٠ ومدرسة النجف :

ولد الشيخ الطوسى سنة ٣٨٥ هـ ، بعد أربع سنين من وفاة الشيخ الصدوق ، وهاجر الى العراق ، فهبط بغداد سنة ٤٠٨ هـ ، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وكانت زعامة المذهب الشيعى يومذاك لمحمد بن محمد النعمان الشهير بالمفيد ، فلازمه ملازمة التلميذ لأستاذه ، وعكف على الاستفادة منه ، وبقى على اتصاله بشيخه حتى وفاته ، فانتقلت زعامة المذهب الشيعى الى أكبر تلاميذ الشيخ المفيد ، وهو علم الهدى السيد المرتضى ، فانحاز شيخ الطائفة الطوسى اليه ولازم الحضور تحت منبره ، وعنى به المرتضى ،وبالغ فى توجيهه وتلقينه ، واهتم به أكثر من سائر تلاميذه ، وعين له كل شهر اثنى عشر دينارا ، واستمر فى ملازمته طيلة ثلاث وعشرين سنة ، حتى توفى السيد المرتضى عام ٤٣٦ ، فاستقل شيخ الطائفة بالامامة ، وظهر على منصة الزعامة ، وكانت داره فى الكرخ مأوى الشيعة ومقصد الوفاد بأنواعها لحل المشاكل وايفاء المسائل ، وقد تقاطر اليه العلماء والفضلاء للتلمذة عليه ، وقد قصده من كل بلد ومكان ، وبلغت عدة تلاميذه ثلثمائة من مجتهدى الشيعة ، ومن غيرهم عدد كبير ، وهكذا استمر بعد أستاذيه الشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، فى تطوير المدرسة بعد أن بلغت فى حياة المرتضى دور المراهقة(١٦٢) ٠ وأوصلها الى قمة مجدها

---

(١٦٠) انظر ترجمة الشيخ المفيد من **كتاب بحار الأنوار للمجلسى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٧٨ ٠

(١٦١) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٤ ٠

(١٦٢) المصدر السابق : ص ٩٠ ـ ٩١ ٠

وازدهارها بعد وفاته ، حتى أن الخليفة العباسى القائم بأمر الله ، يمنح الشيخ الطوسى كرسى الكلام ، وهذا له دلالته على بلوغ هذه المدرسة الفكرية مرتبة عالية حتى اعترف بها رسميا ، ولهذا كان له الفضل فى وضع مناهج البحث والاستنباط الأصولى فى الفقه ، ووضع كتابا فى أصول الفقه المقارن(١٦٣) ٠

وكانت حياة الشيخ الطوسى فى مرحلتى التلمذة والتدريس ، سلسلة طويلة من المحاولات التجديدية لتطوير علم الفقه وصياغته من جديد ، وتحديد أصول الصناعة والصياغة الاستدلالية فيه ، وقد كانت فى متناول الشيخ الطوسى مكتبتان كبيرتان يستعين بهما فى التأليف والمطالعة والالمام بأمهات الكتب الفقهية احداهما : مكتبة الشيعة التى أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهى ، وثانيهما : مكتبة أستاذه السيد المرتضى التى كانت تحتوى على ثمانين ألف كتاب ، والتى لازمها ثمانى وعشرين سنة ٠ كل ذلك أدى الى نشوء الشيخ الطوسى وتكوين ذهنيته وثقافته الواسعة(١٦٤) ٠ مما جعله ولأول مرة يفتح باب الاجتهاد المطلق والنظر والرأى على مصراعيه واسعا ، وأن ينظم مناهج الاستنباط والاجتهاد ، ويؤصل الأصول ، ويضع مناهج البحث للأصول ويفرع المسائل ، ويضع أصول الدراسة المقارنة والخلافية فى الفقه ، وعشرات من أمثالها ، مما أسدى الشيخ الطوسى الى المدرسة الفقهية من خدمات ٠ وقد ذكر الشيخ اغابزرك فى كتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة اسم سبعة وأربعين مؤلفا للطوسى مما وصل اليه من أسماء مؤلفاته(١٦٥)٠

وقد انتقل الشيخ الطوسى الى النجف سنة ٤٤٨ ، بعد أن استمرت الفتن المذهبية ، مما أدى الى الهجوم على داره وأخذ ما وجد من دفاتره

---

(١٦٣) المصدر السابق : ص ٩٠ ـ ٩١ ٠وأيضا رشدى محمد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٠ ٠

(١٦٤) الاصفى : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٥٩ ٠ وأيضا حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٩ ٠

(١٦٥) الاصفى : المصدر السابق : ص ٦٠ ٠

وكرسى كان يجلس عليه للتدريس والكلام(١٦٦) ٠ وفى ذلك يقول ابن الجوزى فى حوادث سنة ٤٤٨ : وهرب أبو جعفر الطوسى ونهبت داره ٠ ثم قال فى حوادث ٤٤٩ : وفى صفر من هذه السنة كبست دار أبى جعفر الطوسى متكلم الشيعة بالكرخ وأخذ ما وجد من دفاتره وكرسى كان يجلس عليه للكلام وأخرج الى الكرخ ٠٠(١٦٧) ٠ وظل بالنجف يمارس مهمته فى زعامة الشيعة والتدريس والتأليف وتطوير مناهج الدراسة الفقهية اثنتى عشرة سنة ، حتى توفى سنة ٤٦٠ هـ(١٦٨) ٠

والظاهر أنه كان فى مدينة النجف قبل وصول الشيخ الطوسى اليها ، نواة حركةعلمية ، فرأى الشيخ الطوسى أن ينميها ، ويجعل من النجف مدرسة علمية جديدة متخصصة فى دراسة الفقه والحديث والعلوم الاسلامية الأخرى بوجه عام ، ولهذا أصبحت النجف بعد فترة قصيرة من وصول الشيخ الطوسى اليها ، حاضرة العلم والفكر الشيعى ، وأخذ الناس يهاجرون اليها من مختلف المناطق ، وباشر الشيخ الطوسى بعد اقامته بها بالتدريس ، فكان يملى دروسه على تلاميذه بانتظام ، وما كتابه الآمالى الا محاضرات ألقاها هناك(١٦٩) ٠ وربما كان هذا الوجود للحركة العلمية ، والتى تعهد اصلاحها ورعايتها الشيخ الطوسى البذرة الأولى لهذه الحركة وعليه فقد عرف بأنه مؤسس مدرسة النجف ، حيث أعطى للحركة العلمية المذكورة مركزها العلمى وطابعها الجامعى الذى حولها الى معهد للدراسات الاسلامية يؤم اليها طلاب العلم من مختلف البلاد الاسلامية(١٧٠) ٠

---

(١٦٦) المصدر السابق : ص ٥٩ ـ ٦٠ ٠ وأيضا حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧ ٠ وأيضـا حسن الأمين : **دائرة المعارف الشيعية** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٢ ٠

(١٦٧) حسن الأمين : المصدر السابق ـ ص ٢٢ ٠ وأيضا الاصفى : المصدر السابق ـ ص ٦٠ ٠

(١٦٨) الاصفى : المصدر السابق ـ ص ٦٠ ٠وأيضا حسن الحكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ٠

(١٦٩) محمد بحر العلوم : **موسوعة العقبات المقدسة** ـ قسم **النجف** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ١٧ ـ ١٨ ٠

(١٧٠) عبد الهادى الفضلى : **دليل النجف الاشرف** ـ مطبعة الآداب فى النجف ـ بدون تاريخ ـ ص ٣٩ ـ ٤٠ ٠

يقول الدكتور غانم سعيد العبيدى : « ٠٠وكانت النجف دارا للعلم ومركزا هاما للتدريس على المذهب الجعفرى ، عام ٤٤٨ هـ ٠ وظلت تؤدى واجبها العلمى والدينى رغم انتقال مركز الدراسة الى غيرها كالحلة وكربلاء فى فترات متعددة ٠٠٠ ولقد اعتبر النجف منذ عهد يناهز الألف عام معهدا للدراسات الاسلامية العالية فى حقول الفقه والأصول والتفسير والفلسفة الاسلامية الى غير ذلك من العلوم العقلية والنقلية ٠ وفى الوقت نفسه أصبحت نواة للجامعة العلمية التى عاشت الأجيال ، وقطعت شوطا بعيدا فى مسيرتها الجامعية »(١٧١) ٠ ولهذا « أصبحت محط أنظار الراغبين فى تحصيل العلم والاجتهاد من شتى أقطار العالم الاسلامى »(١٧٢) ٠ حتى تخرج منها عدد كبير من العلماء والمجتهدين فى مختلف العصور(١٧٣)، وذلك لأن هذه المدرسة فتحت باب الاجتهاد ولم تغلقه فى وجه رواد العلم والمعرفة ، ولم تحجر عليهم نعمة الله فى التفكير ٠ وقد « تجاوز تلاميذه فيها ثلثمائةمن مختلف المذاهب الاسلامية »(١٧٤) ٠

وقد بقى تلاميذ الشيخ الطوسى وتلاميذ تلاميذه يتناقلون مدرسة الشيخ فى الفقه والحديث والتفسير قرونا متطاولة ، حتى كثر فيها التجديد والتغيير ، ومن ألمع العلماء الذين تعهدوا رعاية الحركة العلمية فى مدرسة النجف بعد الشيخ الطوسى خلال الفترة المذكورة ، هم آل الشيخ الطوسى ، وآل شهريار ، ومن أشهر من قام بذلك من آل الشيخ الطوسى : أبو على الحسن بن الشيخ الطوسى ٠ أما آل شهريار فمن أشهرهم أحمد ابن شهريار ، من معاصرى الشيخ الطوسى ، ومحمد بن أحمد بن شهريار ، صهر الشيخ الطوسى وتلميذه(١٧٥) ٠ وقد صنف الشيخ الطوسى فى

---

(١٧١) غانم سعية العبيدى : **التعليم الاهلى فى العراق ـ تطوره ، ومشكلاته** ـ بغداد ـ مطبعة الجمهورية ـ ١٩٧٠ ـ ص ٣٨ ـ ٣٩ ٠

(١٧٢) المصدر السابق : ص ٣٩ ٠

(١٧٣) عبد الهادى الفضلى : **دليل النجف** ـ مرجع سابق ـ ص ٧ ٠ وأيضا حسن الحكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٢ ٠

(١٧٤) حسن الحكيم : المصدر السابق ـ ص ١٧٢ ٠ وأيضا دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٥ ٠

(١٧٥) عبد الهادى الفضلى : **دليل النجف** ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ ٠ وأيضا جعفر الشيخ باقر آل محبوبة : **ماضى النجف وحاضرها** ـ ط ٢ ـ مطبعة الآداب ـ ١٩٥٨ ـ جـ ١ ـ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ٠

جميع علوم الاسلام(١٧٦) ٠

الدراسة فى مدرسة النجف :

أما دراسة مدرسة النجف فهى لا تختلف فى مناهجها وطابعها العام ومختلف أنماطها عن الدراسات الدينية وغيرها ، وأهم العلوم التى كانت تدرس هى :

١ ـ العلوم : أما العلوم المقررة التى تعارفت دراستها وتعلمها فى هـذه المدرسة منذ نشأتها هى :

(أ) علوم الشريعة الاسلامية وهى : الفقـه ـ أصـول الفقـه ـ التفسير ـ الحديث ـ علم الرجال ـ الفلسفة والكلام ٠

(ب) علوم اللغـة العربية : والذى يدرس منها : النحو ، الصرف ، البلاغة ، المعانى والبيان والبديع ، متن اللغـة ، العروض والقوافى ٠

(جـ) الأدب العربى :والذى يتعلم منه :الشعر ، الكتابة ، الخطابة.

(د) ما يلابس العلوم المذكورة وهى : المنطق اليونانى ـ الهيئة القديمة « الفلك العام » الرياضيات القديمة ، الحساب والهندسة ، ولا زالت هـذه العلوم تدرس فى النجف حتى اليوم(١٧٧) ٠

٢ ـ مراحـل الدراسـة :

وهى على مرحلتين : الأولى وتسمى بالمقـدمات والسـطوح ٠ وهى دراســة المواد السابقة تمهيدا للمرحلة الثانيــة وهى مرحلة الاجتهـاد ٠ أما طريقة السطوح فهى أن يتكلم الأستاذ والتلميذ على سطح كتاب مفتوح ، اذ يبدأ الأستاذ بقراءة عبـارة الكتاب ويفسرها للتلميذ ، وتقتصر هـذه المرحـلة على دراســة اللغـــة والأدب والمنطـق وبعض الكتب الفقهيـة المبسطة ـ غير الاستدلالية ـ فاذا أتقن التلميذ هـذه المقدمات أو السطوح ، ينتقل الى المرحلة الثانية ، وهى مرحلة دراســة علم الأصــول والفقـه

---

(١٧٦) دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٥ ٠
(١٧٧) عبـد الهـادى الفضلى : **دليـل النجف** ـ مرجـع سابق ـ ص ٥٣ ـ ٥٤ ٠

الاستدلالى والكلام والفلسفة لتؤهله من حضور حلقة المجتهدين وهى مرحلة التخصص التى تؤهله للاجتهاد · يقول الشيخ عبد الهادى الفضلى : « ويتخصص الطالب فى جامعة النجف بدراسة الفقه ، ومرحلة التخصص بالفقه تسمى مرحلة الاجتهاد · ويعنى بالاجتهاد ـ هنا ـ حصول القدرة لدى الفقيه على استنباط أحكام التشريع الاسلامى من أدلتها · وطبيعة التخصص بالفقه تستدعى التخصص بأصول الفقه ، وذلك لأن الفقيه لا يبلغ درجة الاجتهاد فى الفقه ما لم يكن مجتهدا فى أصول الفقه · والفقه الذى يتخصص به فى جامعة النجف هو « فقه أهل البيت (ع) » · وهناك تخصصات أخرى يتوفر عليها الطالب حسب رغبته وهوايته وهى فى العلوم التالية : المنطقو والفلسفة ، الكلام والعرفان ، التفسير ، الحديث ، الرجال ، متن اللغة العربية ، النحو ، الصرف ، البلاغة(١٧٨) ·

وتعتمد مدرسة النجف فى ماليتها التى تنفقها على الطلاب وفى شئونها الأخرى على الحقوق الشرعية التى يدفعها المسلمون الى مراجع التقليد وعلى بعض الموقوفات الأهلية · وليس لمدرسة النجف أى مورد مالى حكومى من أية حكومة منذ أسسها الشيخ الطوسى حتى اليوم(١٧٩)·

وقد أخذت مدرسة النجف منذ عام ٤٤٨ هـ « فى التقدم والتوسع حتى أصبحت أوسع وأهم جامعات العالم الدينية(١٨٠) ·

ومن خصائص مدرسة النجف العلمية أنها آحادية المذهب تقوم بتدريس علوم آل البيت عليهم السلام · ولم يكن ما يناقش المذهب الجعفرى من المذاهب الاسلامية الأخرى فى النجف ، ولذا اختلفت هذه المدرسة عن مدارس بغداد المعاصرة لها اذ كان بعضها ثنائى المذهب أو أكثر من ذلك ، ولكن هذا لا يعنى أن مدرسة النجف لا تتعرض لآراء المذاهب

---

(١٧٨) المصدر السابق : ص ٦٩ · وأيضا غانم سعيد العبيدى : **التعليم الاهلى فى العراق** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٠ ·

(١٧٩) عبد الهادى الفضلى : المصدر السابق ـ ص ٧٥ ·

(١٨٠) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٣ ·

الاسلامية الأخرى ، فالشيخ الطوسى ألف « كتاب الخلاف » الذى يعتبر فى حقيقته موسوعة فقهية عظيمة فى الفقه المقارن ، وقد ناقش فيه آراء المذاهب الاسلامية كافة(١٨١) • وهكذا انفصل الشيخ الطوسى عن تلامذته ، وحوزته العلمية فى بغداد ، نتيجة مطاردته ، مبتعدا عن الفتن والاضطرابات ، متجها الى النجف ، حيث تجددت حوزته فيها وأسس مدرسته العلمية بها(١٨٢) •

« جماعة اخوان الصفاء الشيعية » :

نشأت جماعة اخوان الصفاء فى البصرة فى القرن الرابع الهجرى ، وكان لها فرع فى بغداد ، وقد نشأت هذه الجماعة نتيجة الأوضاع الاجتماعية وما قام به الحكام العباسيون من تنكيل واضطهاد بالشيعة مما أدى بجماعة منهم أن يستتروا تقية من السلطان ورجال الدين ، وأخذوا يتبادلون الرسائل العلمية التى عرفت باسم رسائل اخوان الصفاء • وقد اشتهر أعضاؤها بالآراء العلمية الحرة شأنهم شأن كل الشيعة فى ذلك العصر • وقد دعوا الى تثيقف العقول والنفوس ونشر العلم والعرفان ، بمذهب يجمع بين الفلسفة والدين ، ولهذا فقد تقول عليهم الناس كما تقولوا على أسلافهم من الشيعة ، ولكن هذا لم يمنعهم من مواصلة المسيرة العلمية لنشر عقيدتهم والدفاع عنها ، وكانت وسيلتهم فى ذلك عن طريق العلم والمعرفة بكل أشكالها وفنونها ، و « من حسن حظهم أن الأمراء كانوا يتنافسون فى تقريب العلماء والاغداق عليهم ••• وكان من مبادىء أعضاء هذه الجماعة أن لا يعادوا علما من العلوم ، أو يهجروا كتابا من الكتب ، وأن لا يتعصبوا لمذهب من المذاهب ، وأن يجمعوا العلوم جميعا وينظروا فى الموجودات بأسرها »(١٨٣) كما كانت عليه مدرسة الباقر والصادق من قبل ، ومدرسة المفيد والطوسى التى جمعت مختلف العلوم وحضر فيها من مختلف المذاهب •

---

(١٨١) المصدر السابق : ص ١٠٣ •

(١٨٢) محمد باقر الصدر : **المعالم الجديدة للاصول** ـ النجف ـ مطبعة النعمان ـ ١٣٨٥ هـ ـ ص ٦٣ ـ ٦٤ •

(١٨٣) عبد الحليم منتصر : **اخوان الصفاء** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٠٩ ـ ١١٠ •

وكان اخوان الصفاء جماعة سرية ، لم يفصحوا عن أسمائهم ، أو عن حقيقة اتجاههم واكتفوا بأن سموا أنفسهم اخوان الصفاء ، وخلان الوفاء ، وقد عاشـوا خلال النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ٠ والغالب أنهم فرغوا من رسائلهم سنة ٣٧٣ هـ ـ ٩٨٣ م ـ كما ويظهر من رسائلهم أنهم كانوا شيعة ، وأن هدفهم من تحرير هـذه الرسائل هو الدعوة لمذهبهم هـذا عن طريق العلم والفلسـفة ، ولهـذا تعتبر هـذه الرسـائل دائرة معارف فلسفية لا تزال الى الآن مشكلة من مشاكل تاريخ الفلسفة ، فهى أول دائرة معارف فلسفية ظهرت فى التاريخ ٠٠ ولأجل هـذا تعتبر مظهرا من مظاهر الموسوعية فى ثقافتنا(١٨٤) ٠ يقول موسى السبتى : « ان هذه العصابة الطاهرة التى حاولت نشر الثقافة باسلوبها السـائغ العـذب وتيسـير سـبل التفكير للطبقات المتعلمـة هى التشييع والعمل على بث هـذه الفكرة بمختلف الوسـائل والسبل »(١٨٥) ٠ ولهـذا يقول أحمد أمين : « كما نرى بوضـوح فى رسـائل اخـوان الصـفاء وهم شيعيون ٠٠٠ »(١٨٦) ٠

وقـد بلور اخوان الصفاء عقيدتهم وتطلعهم الاجتماعى والثقافى ، وبنـوا نظامهم التعليمى الذى طمعوا أن يكون وسيلتهم الى عالمهم الأمثل ، ومارسـوا نفـوذهم كقوة اجتماعية لها خطرها ولهـا ثقلهـا فى تقـرير الأحـداث وتوجيه مسيرة التـاريخ ، ولهـذا الغرض ألفوا رسـائلهم المشهورة ، وعددها احدى وخمسين ، أو ثلاث وخمسين رسالة ، تنـاولوا فيها كل نواحى المعرفة التى يحتاجهـا الفـرد المثقف فى القـرن الرابع الهجرى ، وأن الرسـائل لهـا لون « شيعى علوى واضـح » ٠ كما أن من أهم ما يجلب الانتباه فيها هو عنـاية دفعتهم الى رفض النسب الدموى مقياسـا اجتماعيا فى تصنيف طبقات المجتمع والاستعاضة عنه بالتصنيف المـادى للناس حسب أعمالهم ودخولهم(١٨٧) ٠

---

(١٨٤) حسين مؤنس : **اخوان الصفاء** ـ المصدر السابق ـ ص ١١٢ ٠
(١٨٥) موسى السبتى : **اخوان الصفاء** ـ المصدر السابق ـ ص١١٢ ٠
(١٨٦) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٩٠ ٠
(١٨٧) محمد جواد رضا : **اخوان الصفاء** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ ص ١١١ ـ ١١٢ ٠

وتعتبر جماعة اخوان الصفاء من أشهر فلاسفة هـذا العصر ، وكانت ذات نزعة شيعية متطرفة ـ كمـا يقـول الدكتور حسن ابراهيم ـ ولهـذا اشتهروا بآرائهم وأفكارهم الحرة • وتدل رسائل اخوان الصفاء على أن مؤلفيها نالوا حظا موفورا من الرقى العقلى • وتبـدأ فلسفتهم بالنظر فى الرياضيات ، وبالتـلاعب بالاعـداد والحـروف ثم تنتقـل الى المنطـق والطبيعيات ، فترد كل شيىء الى النفس ومالهـا من قوى ، وتنتهى أخيرا الى الاقتراب من معرفة اللـه سبحانه(١٨٨) • « وهكذا استطاع اخوان الصفاء ، أن يقدموا أبرع تحليل فلسفى يدعمون به القضية الرئيسية التى يقوم عليهـا البنيان الشيعى كله ، ألا وهى حلقة الاتصـال بين النبـوة وخلافة اللـه »(١٨٩) • ومع هـذا ، فهنـاك من يشكك فى كون اخوان الصفاء من الشيعة(١٩٠) •

وقد أصبحت هـذه الجمـاعة من أشـهر المدارس الفـكرية فى الاسلام(١٩١) • ويكفى أن تكون فى عصرها لسانا معبرا عن أشياء كثيرة حولهـا • فأولا : قـد لخصت لنـا ـ كما يقول الدكتور زكى نجيب ـ أجود تلخيص حياة العلم والعلماء فى عصرها • وثانيا : يمكن اعتبارها طليعة تقدمية اذا قسناها بتيارات كثيرة حولها أرادت أن تشـد الناس شـدا الى الوراء(١٩٢) • وقد تأثر بمنحاهم الفكرى أكثر مفكرى الاسلام • فالمعتزلة مثلا ومن جرى مجراهم كانوا يتناقلون رسائلهم ويتدارسونها ويحملونها معهم سرا الى بلاد الاسلام ، ولم تمض على كتابتها مائة سنة حتى دخلت الأندلس على يد أبى الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى ، وهو من أهل قرطبة ، رحـل الى المشرق للتبحر فى العلم على جارى عادة الأندلسيين ،

---

(١٨٨) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** ـ مرجـع سـابق ـ ج ٣ ـ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ •

(١٨٩) أحمـد محمـود صبحى : **نظرية الامامة** ـ مرجع سـابق ـ ص ٤٨٠ •

(١٩٠) نادية جمـال الدين : **فلسفة التربية عند اخـوان الصفاء** ـ طبعة ١٩٨٣ ـ ص ١١١ •

(١٩١) عبد الغنى عبود : **فى التربية الاسـلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٥ •

(١٩٢) زكى نجيب محمود : **المعقول واللامعقول** ـ مرجع سـابق ـ ص ٢٠٥ •

فلمـا عاد الى بلاده حمل معه الرسـائل المذكورة ، وهو أول من أدخلهـا الأندلس ، فما لبثت أن انتشرت هنـاك حتى تناقلهـا أصحاب العقـول الباحثة وأخـذوا فى درسها وتدبرها(١٩٣) • بالاضافة الى ذلك ، فقـد وضع اخوان الصفاء دستورا متكاملا للبحث العلمي والفلسـفى • وقـد انعكست هـذه النزعة العقلية الخالصـة على فكرهم التربوى ، ولهـذا نظروا الى التعليم والتربيـة نظرا عقليا ، معتمدين فى ذلك على الحواس بالاضافة الى العقل(١٩٤) •

وقـد دفع اخوان الصفاء الى كتابة رسائلهم أمران : أحدهما هـو تأكيد روابط الاخاء التى رأوا أنها سر الحياة الانسانية • والأمر الثانى : يعود الى ما رأوا أنه يتهددهم من اضطهاد الأمراء لهم وسفك دماء بعضهم فى سبيل تلك الدعوة ، ولهـذا كانوا يعملون لتغيير الواقع والنظام القائم ، وكانت وسـيلتهم الى ذلك هى تغيير النظـام العقلى المسـيطر على حياة المسلمين(١٩٥) • وهـذه الوسيلة هى امتداد لمدرسة أهل البيت منذ أن أنشأها الامام الباقر والصـادق(١٩٦) •

وصفوة القول فى آرائهم كما يقول الدكتور حسن ابراهيم ، أنهـا مذهب جماعة مضطهدة ، تبدو النزعات السياسية فى جميع أجزائه ، وترى من خلاله بعض ما عاناه أصحاب هـذه الرسائل من آلام وما قاموا به من كفاح ، وما استهدفوا له هم وأسلافهم من ظلم ، ونتبين منه ما كان يختلج فى نفوسهم من أمل ، وما تواصوا به من الصبر • وهم يلتمسون فى هذه الفلسفة الروحية سلوى لنفوسهم أو تطهيرا لهـا ، وهـذه الفلسفة هى دينهم ، وشـعارهم المذكور أن يكون الواحد منهم مخلصـا حتى الموت ،

---

(١٩٣) جرجى زيدان : **تاريخ التمـدن الاسـلامى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ • وأيضا محمد لطفى جمعة : **تاريخ فلاسفة الاسلام** بدون معلومات ـ ص ٢٥٤ •

(١٩٤) عبـد الغنى عبود : **فى التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٦ •

(١٩٥) محمد فوزى العنتيل : **التربية عند العرب** ـ مرجع سابق ـ ص٨٤ •

(١٩٦) أنظر مدرسة وجامعة أهل البيت من هـذا الفصل •

لاعتقادهم أن ملاقاة الموت فى سبيل صلاح الاخوان هى الجهاد الصحيح ٠ فأوجبوا على الانسان أن يساعد أخاه فى هـذه الحياة بكل ما يتسـع لـه جهده ، فيجب على ذى المـال أن يجعل للفقير حظا من ماله ، وعلى ذى العلم أن يعلم أخاه الجاهل ٠٠(١٩٧) ٠

وهكذا اتخذ الشيعة مختلف الوسائل والطرق العلمية لتغيير الواقع الذى عاشه المسلمون فى ذلك العصر ، حتى لاقوا من التنكيل والاضطهاد فى سبيل اعلاء كلمة الحق وتخليص الانسانية من الاستبداد والحرمان ، مما حدى بهم أن يخفوا أنفسهم عن السلطات ورجال الدين الذين ساروا فى ركابهم طمعا فى الدنيا ، وحب الحياة ٠ وهكذا كانت حياة الشـيعة سلسلة كفاح وجهاد من أجل المحرومين والمضطهدين ، حتى أثروا العقل الانسانى بتراثهم العلمى الضخم وبأفكارهم الحرة ٠

ثالثا : بنو حمدان فى حلب والموصل :

امتدت الحركة العلمية لدى الشيعة الى مراكز عديدة ، كانت كعبة العلماء والفقهاء والفلاسفة والمتكلمين والشعراء والأدباء ، فشملت الموصل وحلب أيام الدولة الحمدانية ، وسرى نفوذهم الى بغداد ٠ يقول آدم متز : « وكان الحمدانيون أول أسرة شيعية تدخلت فى أمور بغـداد »(١٩٨) ٠ ومهما يكن ، فقد كان الحموانيون عربا خلصا ، وكانوا شـعراء ، وحسبنا أن سيف الدولة كان أمل الأدباء والعلماء فى عصره ، وقد زان قصره بمختلف العلماء والأدباء والشعراء(١٩٩) ٠

يقول الدكتور حسن ابراهيم : « بلاد الحمـدانيين فى الموصـل وفى حلب خاصـــة : فقد كانت حضرة سيف الدولة مقصـد الوفود وموسم الأدباء وحلبة الشعراء ويقال أنه لم يجتمع قط بباب أحـد من الملوك بعد

---

(١٩٧) حسن ابراهيم حسن :**تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٠ ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦ ٠

(١٩٨) آدم متز : **الحضارة الاسـلامية** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١١٨ ٠

(١٩٩) أحمد محمد الحوفى : **أبو حيان التوحيدى** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ نهضة مصر بدون تاريخ ـ ص ٣٩ ـ ٤٠ ٠

الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر ٠ وكان أديبا شاعرا محبا لجيد الشعر شديد الاعتزاز لما يمدح »(٢٠٠) ٠

وينقل الدكتور أحمد شلبى عن Gibb قوله : « وانتقل تيار الأدب العربى لمدة بضع سنين الى شمالى سوريا واتخذ مقرا له مدينة حلب عاصمة الدولة الحمدانية الشيعية المذهب ، وقد استطاع سيف الدولة أن يجمع حوله فى مملكته الصغيرة ، جماعة قل أن تضارع ، اذ كانت متعددة النواحى فى العبقرية ، وقد كان كرمه الفائق سببا فى أن يجذب نحوه ذوى الرياسة من أدباء العصر وعلمائه فأحاطوا اسمه باطار من السمعة الخالدة »(٢٠١) ٠ ولهذا يقول بروكلمان : « ٠٠ استطاع الأمير العربى سيف الدولة الحمدانى ، والذى كان يتشيع للعلويين ، أن يؤسس مرة أخرى دولة عربية استرعت الاهتمام ، ونالت الاجلال والاعظام ٠ وقد أقام سيف الدولة دولته فى شمال الشام ٠٠ فقد أمكنه أن يبعث فى عاصمة ملكه نهضة عقلية ، وكانت قصيرة الأجل ٠٠ فى دائرة مجموعة من كبار الرجال »(٢٠٢) ٠

وتعتبر الحركة العلمية والعقلية التى قامت فى بلاط الحمدانيين من أكبر الحركات العلمية وأعظمها كما يقول أحمد أمين ، فى الأدب واللغة وعلومها ، حتى تخرج من المدرسة الحلبية التى أسسها سيف الدولة ، أبو بكر الخوارزمى ، والقاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى ، مؤلف الوساطة بين المتنبى وخصومه ٠ والذى أدى الى نهوض الحركة العلمية هذه ، المميزات التى اتصف بها سيف الدولة ، والتى شجعت على النهوض بالشعر والأدب والعلم الى غاية بعيدة(٢٠٣) ٠

---

(٢٠٠) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ــ مرجع سابق ــ ص ٤٢٣ ٠

(٢٠١) أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** ــ مرجع سابق ــ ص ٠ ص ٩١ ــ ٩٢ ٠

(٢٠٢) بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ــ مرجع سابق ــ ج ٢ ــ ص ٨١ ٠

(٢٠٣) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ٠ص ١٧٧ ــ ١٧٨ ٠

ثم كان فى بلاط سـيف الدولـة الفيلسـوف الشـيعى الكبير الفارابى(٢٠٤) ٠ درس فى بغـداد ، ثم عاد الى دمشق وأقام بها فى حضرة سيف الدولة بن حمدان فأحسن اليه ، يقو لابن خلكان : « ورأيت فى بعض المجاميع أن أبا نصر لما ورد على سـيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء فى جميع المعارف ، فأدخل عليه وهو بزى الاتراك ٠٠ »(٢٠٥) وكان يعلم طلابه فى الحدائق التى حول حلب ، ويكتب كتبه فى المنطق والالهيات والسياسة والرياضة والكيمياء والموسيقى ٠ وقد بقى فى بلاط سيف الدولة فى الشام الى أن مات سنة ٣٣٩هـ(٢٠٦) ٠

وكان حول سيف الدولة أطباء يعنون بالطب والفلسفة ، اذ كان الطب فرعا من فروعها ٠ ويذكر ابن أبى أصـيبعة فى طبقـات الأطبـاء ، أن سيف الدولة كان له أربعة وعشرون طبيبا منهم عيسى الرقى ، وكان سيف الدولة يعطى عطاء لكل عمل ، وكان عيسى الرقى يأخذ أربعة أرزاق ، رزقا بسبب الطب ، ورزقا بسبب ترجمة الكتب من السريانى الى العـربى ، ورزقين بسبب علمين آخرين(٢٠٧) ٠

وهكذا كان بلاط سيف الدولة يزخر بالشـعر والشـعراء والمناظرات اللغـوية والنحـوية ، ويزينه الفـارابى بفلسفته ، ويشع هـذا النتاج فى المملكة الاسلامية كلها وخاصة الشام ، ومنه يستنشق أبو العلاء المعرى أول عهده بالدراسة ، فقد ولد سنة ٣٦٣ هـ بالمعرة ، وأخـذ علومه من بلاط الحمدانيين ، ولئن كان سيف الدولة قد مات قبل ولادته بثمـان سـنين ، الا أن الحركة العلمية والأدبيـة لم تمت ، فشعر الشعراء يروى ، وتلاميذ ابن خالويه وابن جنى يروون علمهما باللغـة والأدب والنحـو والصرف ، وتلاميذ الفارابى يروون فلسفته ، وقد أقام أبو العلاء فى حلب نحو عشر سـنوات ينهل من موارد العلم ، فحركة الأدب واللغـة والفلسـفة التى

---

(٢٠٤) أغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٣ ٠
(٢٠٥) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٧.
(٢٠٦) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨٦ ٠
(٢٠٧) المصدر السابق : ص ٠ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ٠

أحيـاها سيف الدولة لهـــا فضـل على أبى العـــلاء وغيره من العلمـاء والأدباء(٢٠٨) ٠

وهكذا كانت هـذه الدولة الشيعية(٢٠٩) ، مركزا من مراكز الحركة العلمية عند الشيعة حيث زخرت بالعلم والعلماء نتيجة تشجيع الشيعة وأمرائهم وعلمائهم أمثال سيف الدولة ، حتى بلغت القمـة فى الثقـافة الاسلامية والمعارف الانسانية ٠ وأصبحت حلب مركزا علميا يتوافد اليه طلاب العلم والمعرفة ٠

رابعـا : قم والرى فى ايران :

انتقلت الحركة العلمية لدى الشـيعة الى ايران ، وقد بدأت هـذه الحركة فى مطلع القـرن الرابع الى النصف الأول من القـرن الخامس للهجرة ، وفى هـذه الفترة انتقلت حركة التدريس والكتابة والبحث الى مدينتى (قم) و (الرى) ٠ وظهر فى هـذه الفترة شيوخ كبار من أساتذة الفقه الشيعى ، فى مدينتى (قم) و (الرى) كان لهم أكبر الأثر فى تطوير الفقه الشيعى ، فقد كانت قم منذ أيام أئمة الشيعة بلدة شيعية ومدينـة كبيرة من أمهات المدن الشيعية ، وكان الرى فى هـــذا التاريخ بلدة عامرة بالدرس والمكاتب وحافلة بالعلماء والفقهاء والمحدثين ، وكان أحد أسباب انتقال « مدرسة أهل البيت من العراق الى ايران » هو الضغط الشـديد الذى كان يلاقيه (فقهـاء الشيعة) وعلماؤهم من العباسـيين ، فقد كانوا يطاردون من يظهر باسم الشيعة بمختلف ألوان الأذى والتهم ، فالتجـأ فقهـاء الشيعة وعلماؤهم الى (قم) و (الرى) ووجدوا فى هاتين البلدتين ركنا آمنا يطمئنون اليه لنشر فقه أهل البيت عليهم السلام وحديثهم(٢١٠)٠

وكانت قم والرى تحت حكومة سلاطين آل بويه(٢١١) ٠ وقد عرف

---

(٢٠٨) المصدر السابق : ص ٠ ص ١٨٦ ـ ١٨٧ ٠

(٢٠٩) المصدر السابق : ص ٠ ص ٧٤ ـ ٧٥ ٠

(٢١٠) الاصفى : **مقـدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سـابق ـ ج ١ ـ ص ٠ ص ٤٢ ـ ٤٣ ٠

(٢١١) على ابراهيم حسن : **التاريخ الاســلامى العـام** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٥٠ ٠ وأيضا أحمد أمين : **ظهر الاسـلام** ـ مرجع سـابق ـ ج ١ ـ ص ٢١٧ ٠ وأيضـا أحمد الحوفى : **ابو حيـان التوحيدى** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٠

آل بويه فى التاريخ بنزعتهم الشيعية وولائهم لأهل البيت ، على أن مدرسة قم كانت فى هــذه الفترة من أوسع المدارس الشيعية فى الفقــه والحديث وأضخمها ، وكانت تضم مئات المدارس والمساجد والمكاتب وندوات البحث والمناقشة ومجالس الدرس والمذاكرة(٢١٢) ٠

ومهما يكن من أمر فقد حفلت قم والرى فى هذه الفترة ، القرن الرابع الهجرى ، بشيوخ كبار فى الفقه والحديث : أمثال الشيخ الكلينى المقتول سنة ٣٢٨ ٠ يقول ابن الأثير فى حوادث هــذه السنة : « وقتل محمد بن على أبو جعفرالكلينىوهو من أئمة الامامية وعلمائهم »(٢١٣) ٠ وابن بابويه والد الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ، وابن قولويه أستاذ الشــيخ المفيد المتوفى سنة ٣٦٩ هـ ، وابن الجنيد المتوفى سنة ٣٨١ هـ ، وغيرهم من كبار مشايخ الشيعة فى الفقه والحديث كالشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ ٠ ولهــذا نشطت فى هــذه الفترة حركة التأليف والبحث الفقهى وتدوين المجاميع الحديثية الموســعة ، كالكافى ، ومن لا يحضره الفقيــه ، وغيرهما من المجاميع والكتب الفقهية(٢١٤) ٠

يقول أحمد أمين : « ان دولة بنى بويه كانت دولة شيعية تتظــاهر بشعار الشيعة جهارا وتحتفل بالأعياد الشيعية ٠٠٠ وكان أهم أمرائهم وألمعهم عضد الدولة ٠ وقد كان يقيم فى شــيراز ولكن لم يمنعه ذلك من اصلاح بغــداد وانشاء عــدد كبير فيها من المساجد والمستشفيات ٠٠ وقد كان يرعى العلم والأدب ٠٠ »(٢١٥) ٠ ولهــذا نبغ فى عهده جمــاعة من الفلكين وعلمــاء الطبيعــة والرياضـــة ، منهم : الكوهى وأبو الوفاء ٠ أما الكوهى فدرس حركات الكواكب السيارة ، وألف فيهــا ، وأضــافت اكتشافاته بشأن الانقلاب الصيفى والاعتدال الخريفى جديدا الى المعرفة البشرية(٢١٦) ، بالاضافة الى أن عضد الدولة نفسه كان عالمــا ورياضيا ،

---

(٢١٢) الاصفى : **مقدمة كتاب اللمعة** ــ مرجع سابق ــ ص ٤٤ ٠

(٢١٣) ابن الاثير : **الكامل** ــ مرجع سابق ــ ج ٦ ــ ص ٢٧٤ ٠

(٢١٤) الأصفى : **مقدمة كتاب اللمعة** ــ مرجع سابق ــ ص ٤٥ ٠

(٢١٥) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ــ مرجع سابق ــ ج ٤ ــ ص ٤٣ ٠

(٢١٦) السيد أمير على : **روح الاســلام** ــ مرجع ســابق ــ ج ٢ ــ ص ٢٦٢ ٠

ولهذا أكرم العلماء الذين وفدوا على بغـداد من كل مكان ، كما سـاهم فى مجالسهم العلمية(٢١٧) ٠ وكان يشاركهم فى علومهم ، كما شارك الشعراء فى شعرهم وأدبهم(٢١٨) ٠

وقد اشتهر آل بويه بالعلم والأدب ، فكان عز الدولة بن المعز شاعرا ، وكان عضـد الدولة وابنه تاج الدولة أديبين ، وكذلك كان أبو العبـاس ابن ركن الدولة ، على أن عضد الدولة كان نابغا فى عـدة علوم ، لذلك ظهر ميلهم فى اختيـارهم وزراءهم والمقربين اليهم ، فكان أكثر وزرائهم كتابا أو شعراء أو علماء ، فمعز الدولة استوزر الحسن المهلبى ، وركن الدولة استوزر ابن العميد ، ومؤيد الدولة وأخوه استوزرا ابن عياد ، وصمصام الدولة استوزر ابن سعدان ، وهو صاحب المجلس الذى كان يضـم كثيرا من الأدباء والعلمـاء مثل أبى حيـان وابن مسـكويه وابن زرعة ، وكان نشاطهم فى تشجيع العلماء والأدباء محمودا ، وكان هؤلاء يغمرون العلماء والأدباء بعطاياهم ، وكان مجلس عضد الدولة يزخر بالمباحثات والمناقشات وقد ألف له أبو على الفارسى كتاب « الايضاح والتكملة فى النحو » ٠ وألف له أبو اسحاق الصابى كتاب « التاجى » فى تاريخ آل بويه(٢١٩) ٠

وكان « فناخسرور بن الحسن بن بويه عضد الدولة ٠٠ أحـد العلماء بالعربية والأدب ، وكان كامل العقل غزير الفضل ، حسن السياسة ، شديد الهيبة بعيد الهمة ، ذا رأى ثاقب ، محبا للفضائل ، تاركا للرذائل ، باذلا فى أماكن العطـاء ، ممسـكا أماكن الحـزم ، لـه فى الأدب يد متمكنه ، ويقـول الشعر الجيد »(٢٢٠) ٠

أما وزراؤهم فقد استنوا سنتهم ، وعنوا بالعلم والعلمـاء ، وكان على رأسـهم ابن العميـد ، والصـاحب بن عبـاد ، والوزير المهلبى ، وابن سعدان ٠ وقـد كان كل عظيم الجاه ، يقصد اليه الأدباء والعلمـاء ، وكان لكل واحد منهم ميزة ، فكان الصاحب بن عباد ميزته الأدب والبحث ،

---

(٢١٧) المصدر السابق : ص ٢٦١ ٠
(٢١٨) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص ١٤٢ ٠
(٢١٩) أحمد الحوفى : **أبو حيـان التوحيـدى** ـ مرجع سـابق ـ ص ٠ ص ٢٨ ـ ٢٩ ٠
(٢٢٠) السيوطى : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٤٧ ٠

وهو فى مجالســه يعلم الأدباء بالنقـد ، ويقترح عليهم نظم الشـــعر فى موضــوعات معينــة أو اجازة بعض الأبيــات · وميزة ابن العميد العلم والأدب ، وقد ضم اليه طائفة من المتخصصين فى هــذا · وابن ســعدان كان يعنى بالفلسفة وبمجالس الفلاســفة ، أمثال أبى حيــان التوحيدى ، ويثير فى مجالسه مسائل فلسفية ، أما الوزير المهلبى ، فكان يعنى بالأدب الصرف وفى التأليف · ومن الآثار الأدبيــة التى كان يعنى بها أشــعار الشريف الرضى وما فى ديوانه مما يتعلق بالتشيع كثير ، وكان يدور فى فلكه مهيار الديلمى ، فيقول الأشعار والقصائد الشيعية المتعددة(٢٢١) ·

أما الصاحب بن عباد يقول فيه بروكلمان : « كافى الكفاة أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس ، الصاحب ·· ولد سنة ٣٢٤ هـ وكان أبوه كاتب ركن الدولة وعضد الدولة ابن بويه ، فما كان يشتغل بالأدب ويؤلف التأليف ، ويميل الى مذهب الشــيعة غير الغلاة ··· »(٢٢٢) · وقد ذكر أغابزرك الطهرانى بعض مصنفاته فى كتابه الذريعة الى تصانيف الشيعة منها : « الابانة عن مذهب أهل العــدل بحجج من القــرآن والعقل » لــكافى الكفاة الصاحب بن عباد ، المتوفى سنة ٣٨٥ · أوله : « الحمد للــه الواحد القــديم العــدل الكريم الرؤوف الرحيم » · الى قوله : هــذا مختصر فى الابانة عن مذهب العــدل(٢٢٣) ، وفى ذلك يقول الصاحب :

تعرفت بالعدل فى مذهبى ودان بحسن جدالى العــراق(٢٤٤)

وقد اجتمع عند الصاحب من العلماء والشعراء ما لم يجتمع عند غيره ، وكان حسن الأجوبة ، وقد صنف فى اللغــة كتابا سماه « المحيط » · وهو فى سبعة مجلدات وكتاب « الكافى » فى الرسائل ، وكتاب الأعياد وفضائل

---

(٢٢١) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص١٤٢ ·

(٢٢٢) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العــربى** ـ مرجع ســابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٦٨ ·

(٢٢٣) اغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٦ ـ ٥٧ ·

(٢٢٤) أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانبارى : **نزهة الألباء فى طبقات الأدباء** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة دار نهضــة مصر ـ بدون تاريخ ـ ص ٣٢٧ ·

النيروز ، وكتاب الامامة يذكر فيه فضائل على بن أبى طالب(٢٢٥) • وكان شديد التعصب على أهل الحكمة والناظرين فيها ، كالهندسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق والعدد(٢٢٦) » وكان الناس على ثقة فى علمه وأدبه ، ولذا تزاحموا على درسه •• وكانت فواضله تغمر من فى بغداد ومكة والمدينة من أهل الشرق والكتاب والشعراء وأولاد الأدباء والزهاد والفقهاء »(٢٢٧) •

أما ابن العميد فهو : « أبو الفضل محمد بن العميد أبى عبد الله الحسين الكاتب ، كان وزيرا لركن الدولة أبى على بن بويه الديلمى « ٣٢٠ ـ ٣٦٦ هـ » وكان يتشيع على مذهب الامامية •• »(٢٢٨) • وقد وصفه ابن الاثير فى قوله : « •• وكان أبو الفضل بن العميد من محاسن الدنيا قد اجتمع فيه ما لم يجتمع فى غيره من التدبير ، وسياسة الملك والكتابة التى أتى فيها بكل بديع ، وكان عالما فى عدة فنون منها الأدب فانه كان من العلماء به ، ومنها حفظ أشعار العرب ، فانه حفظ منها ما لم يحفظ غيره مثله ، ومنها علوم الأوائل ، فانه كان ماهرا فيها مع سلامة اعتقاد الى غير ذلك من الفضائل ومع حسن خلق ••• وبه تخرج عضد الدولة ، ومنه تعلم سياسة الملك ومحبة العلم والعلماء »(٢٢٩) • « وكان كامل الرياسة ، جليل القدر ، من بعض أتباعه الصاحب بن عباد ، وكان له فى الرسائل اليد البيضاء حتى قيل بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد »(٢٣٠) •

---

(٢٢٥) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ •

(٢٢٦) أبو حيان التوحيدى : **الامتاع والمؤانسة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٤ •

(٢٢٧) أحمد الحوفى : **أبو حيان التوحيدى** ـ مرجع سابق ـ ص٩٣ .

(٢٢٨) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١١٩ •

(٢٢٩) ابن الاثير : **الكامل فى التاريخ** ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ٣٨ •

(٢٣٠) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ٤ ـ ص١٨٩ •

وهكذا أنجبت بلاد فارس فى عهد الدولة البويهيـة ، بتشـجيع ـ عضد الدولة البويهى والصاحب بن عباد وابن العميد ، وأمثالهم ـ نوابغ من العلماء والأدباء ففى الفلسفة كان على رأسهم أبو بكر بن محمد بن زكريا الرازى ، ثم ابن العميد وابن عباد ، كما أوجد هؤلاء فى هـذا الاقليم حركة أدبية رائعة ، فكان ابن العميد كما يقول أحمد أمين : مولعـا بالأدب ، وله مذهب فى الكتابة أخذ عنه وقلد فيه ٠٠٠٠ ولهذه العظمة المزدوجة قالوا : بدئت الكتابة بعبد الحميد ٠٠٠ والناس بعد قد قلدوا هـذا الاسـلوب ، وعدوه المثل الذى يحتـذى »(٢٣١) ٠ وهكذا كان هؤلاء الاعلام الثـلاثة عضد الدولة وابن العميد ، وابن عباد ، مصـدر الحركة العلمية فى هـذا القسم من بلاد فارس ، اذ كان كل منهم على امارته أو وزارته عالمـا أديبـا يرى أنه أول ما يجب عليه أن يزين بلاطه ومجلسه بالعلماء والأدباء(٢٣٢) ٠ ولهـذا كان لابن العميد والصاحب بن عباد أثر عظيم فى تشجيع الأدباء ، وازدهار الشعر والنثر ، لأنهما جمعا الى جاه الوزارة الأدب والشغف به والتأليف فيه ، فكان ابن العميـد يكرم العلمـاء والأدباء ، ويغـدق عليهم ويعقد مسابقات بينهم ، وأنشأ مكتبة كبيرة عين ابن مسكويه مديرا لها ، وسار على نهجه الصاحب بن عباد(٢٣٣) ٠

يقول أحمد أمين : « وابن العميد تفوق فى علوم كثيرة منها الهندسة والمنطق وعلوم الفلسفة والالهيات والطبيعة والتصوير ، وكان أديبا واسع الرواية لاشعار العرب ٠٠٠ كان هـذا الرجل ـ ابن العميد ـ أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظا للغـة والغريب ، وتوسعا فى النحو والعروض ، واهتداء الى الاشتقاق والاستعارات ، وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية فالاسلام ٠ فاما تأويل القرآن وحفظ مشكله وتشابهه ، والمعرفة باختلاف فقهاء الامصار ، فكان منه فى أرفع درجة ، وأعلى رتبة ،

---

(٢٣١) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٥٢ ٠
وأيضا حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٣٣ ٠
(٢٣٢) أحمد أمين : المصـدر السابق ـ ص ٢٤٧ ٠
(٢٣٣) أحمـد الحـوفى : **أبو حيان التوحيـدى** ـ مرجع سـابق ـ ص ٣٩ ـ ٤٠ ٠

ثم اذا ترك هـذه العلوم وأخـذ فى الهندسة والتعاليم لم يكن يدانيه فيها أحـد ، فأما المنطق وعلوم الفلسفة والالهيات فيها خاصة ، فما جسر أحد فى زمانه أن يدعيها بحضرته ٠٠ ثم كان يختص بغرائب من العلوم الغامضة كعلوم الحيل (الميكانيكا) التى يحتـاج اليهـا فى أواخر علوم الهندسـة والطبيعـة والحركات الغريبـة ، وجر الأثقـال ، وعمل آلات غريبـة لفتح القلاع »(٢٣٤) ٠

ويعزو مصطفى جواد ، التقدم الشامل فى العهد البويهى الى الحرية التى كان العلماء يتمتعون بها فى ذلك العهد قائلا : « أخـذت العلوم تزدهر ازدهارا سريعا ، حتى صارت أيامها من أزهر العصور العلمية الاسلامية ، وذلك لتوفر الحرية الفكرية ، والحرية العلميـة ، وكانت هـذه الحريات قبلهم مزمومة مكتومة وقـد عوقب عليها قبلهم بالموت ٠٠ »(٢٣٥) ٠

والذى مكن البويهيين من بعث الاستقرار والأمن فى البلاد ، سياستهم الحكيمة المتسامحة تجاه جميع السـكان(٢٣٦) ٠ وكان من نتـائج هـذه السياسة أن هدأت الأحوال ، واستقرت الأمور فى أغلب الأوقات ، وانصرف الناس الى العمل من أجل ترقية الحياة المـادية والروحية ، وعادت بغـداد كعبة العلم والثقافة على النحو الذى كانت عليه فى العصر العباسى الأول (١٣٢ ـ ٢٣٢ هـ)(٢٣٧) ٠ وهـذا هو السر فى كثرة من نبـغ فى العـلوم والآداب فى تلك الفترة من مختلف المذاهب الاسـلامية أمثـال الكلينى ، وابن قولويه ، والصدوق ، والشيخ المفيد ، والشريف الرضى ، والشريف المرتضى ، والشـيخ الطوسى ، والكثير من علمـاء المذاهب الاسـلامية ، والفرق الكلامية أمثال : المـاوردى ، والشيرازى الفيروزابادى ، والجوينى

---

(٢٣٤) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ١ ـ ص ٢٤٨ ٠

(٢٣٥) حسن عيسى الحـكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٤ ـ ٣٥ ٠

(٢٣٦) Mafizullah, Kabir : **"The Buvayhid dynasty of Baghdad"** (Calcutta, 1964). P. 212.

(٢٣٧) William, Muir, **"The Caliphatt" : its rise decline and fall,** (Beirut, 1963) P. 504.

امام الحرمين ، والباقلانى ، والبصرى ، وابن الصبـاغ ، والدامغانى ، والبغدادى ، وغيرهم من العلماء والفقهاء والمحدثين الذين ازدهر بهم القرن الخامس الهجرى ، وان رجال الفكر والعلم كان الكثير منهم فى عهد الدولة البويهية فى مأمن من الفوضى والاضطراب(٢٣٨) ٠

« وعلى الجملة فقد خدمت الدولة البويهية العلم والأدب خدمة كبرى ، ومع أنهم فرس الأصل وأكثر وزرائهم كابن العميد وابن عباد من الفرس ، فقد كانوا يتعصبون فى العلم والأدب للسان العربى ٠٠٠ وكل من هؤلاء كان عمادا عظيما للأدب والأدباء والعلماء ، وكانت لهم مجالس تموج بالعلم والأدب »(٢٣٩) ٠ واستمروا على ذلك الى سنة ٤٤٧ هـ ٠ وامتد سلطانهم على جزء كبير من الوطن الاسلامى فى فارس وأهوازوكرمان وبغداد وغيرها ، وقد خدم البويهيون التشيع أيام حكمهم ونشروا المذهب فى ايران والعراق ، وخلفوا تراثا فكريا قيما من بعدهم(٢٤٠) ٠

خامسا ـ الادارسة فى المغرب والاندلس :

قامت دولة الادارسة على يد المولى ادريس بن عبد الله العلوى ، بعد أن نجا من مجزرة (فخ) ، حيث سار الى بلاد المغرب الأقصى مع مولاه راشد بعد أن بطش العباسيون بأهل البيت العلوى فى موقعة فخ ، وقد استقبلته قبيلة ـ أوربة البربرية ـ التى لقى منها العون والتأييد فى تأسيس دولة الادارسة التى كانت أول دولة مستقلة عملت على نشر الاسلام فى ربوع هذه البلاد(٢٤١) ٠

يقول جرجى زيدان : « قد علمت حال الشيعة فى أيام بنى أمية بالشام وما قاسوه من القتل والصلب ، ثم ما كان حالهم فى الدولة العباسية ، وخصوصا فى أيام المنصور والرشيد والمتوكل ، من الاضطهاد والقتل ، فحملهم ذلك على الفرار الى أطراف المملكة الاسلامية ، فهاموا على وجوههم

---

(٢٣٨) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٥ ـ ٣٦ ـ ٣٧ ٠
(٢٣٩) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٥٥ ٠
(٢٤٠) الاصفى : **مقدمة اللمعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٢٣ ٠
(٢٤١) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٢٤ ٠

شرقا وغربا ... وكان فيمن جاء نحو الغرب ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى »(٢٤٢) .

وقد حاول العباسيون القضاء على كل دعوة شيعية بمختلف الأساليب ، ولكن دون جدوى . ومن هنا فقد حاولوا التوهين منهم ، حتى طعنوا فى نسبهم كما طعنوا فى نسب الفاطميين ليبعدوا الناس عنهم . وفى ذلك يقول ابن خلدون : « .. ولتعلم أن أكثر الطاعنين فى نسبهم انما هم الحسدة لاعقاب ادريس هذا من منتم الى أهل البيت أو دخيل فيهم ، فان ادعاء هذا النسب الكريم دعوى شرف عريضة على الأمم والأجيال من أهل الآفاق ... ولما كان نسب بنى ادريس هؤلاء بمواطنهم من فارس وسائر ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يلحق »(٢٤٣).

هذا وقد استطاع ادريس خلال خمس سنوات وهى مدة ولايته أن يوصل الاسلام الى الأماكن التى لم يكن قد وصل اليها ، وقد أقام ملكا وطيدا دعامته العدل وانصاف الناس ، وهكذا ازدادت الدولة تمكنا يوما بعد يوم ، واستقام أمر المغرب لادريس الثانى وعظم سلطانه ، فبنى مدينته فاس(٢٤٤) .

وقد قامت دولة الادارسة بدور هام فى نشر الاسلام وتعاليمه ، وفى ربوع المغرب ، وكان لانتسابهم الى الرسول الكريم (ص) أثر كبير فى توحيد القبائل المتعادية وتأييدهم لهم بعد أن كادت الفتن التى قام بها الخوارج أن تمزق شملهم ، وهكذا استطاع المولى ادريس ولأول مرة أن يوحد بين اقليم السهول الساحلية المغرب الأقصى ، واقليم المراعى ـ أى بين اقليم الحضارات القديمة واقليم البداوة ـ كما استطاع الادارسة بفضل هذه الوحدة أن يوجهوا أنظارهم الى حركة جهاد مقدس بقصد

---

(٢٤٢) جورجى زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٢٣٠ .
(٢٤٣) ابن خلدون : **المقدمة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥ ـ ٢٦ .
(٢٤٤) محمد رضا الشبيبى : **الادارسة** ـ دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ص ٤ .

اتمام نشر الاسلام فى البلاد ومحاربة العقائد الشاذة والقضاء على بقايا اليهودية والنصرانية التى كانت بين قبائل المغرب(٢٤٥) ٠

« وتنافس الادارسة فى فاس وخلفاء الأندلس فى نشر الفنون والعلوم ودوى صوت الفلسفة والعلم من المحيط الأطلنطى الى المحيط الهندى ، بل المحيط الهادى ، كذلك بفضل توجيه المسلمين وارشادهم »(٢٤٦).

وقد أنتجت المغرب ابن هانىء الاندلسى ، المولود سنة ٣٢٠ هـ ، وقد عده بعضهم أشعر شعراء الاندلس من المتقدمين والمتأخرين ، ولكن الناس غضبوا عليه لاتهامهم اياه بالفلسفة ، ويظهر ذلك من مزجه الدعوة الشيعية فى شعره بشيىء من الفلسفة ، وكانت الفلسفة فى تلك الفترة مكروهة(٢٤٧) ٠ « والظاهر أنهم نقموا عليه دعوته الفاطمية ، وهم ذو نزعة أموية ، وتعدت نقمتهم عليه »(٢٤٩) ٠ ومن هنا يظهر مدى حقيقة اتهامه فى بعض أشعاره من الغلو ، فالذين لا يتحرجون من الطعن فى نسب آل الرسول ـ كما تقدم ـ كذلك لا يتحرجون من وضع بعض الأشعار ونسبتها الى ابن هانىء ٠٠ ولهذا يضع الباحث هذه الظاهرة أمام الباحثين ٠ هذا وقد وصف لنا الرحالة حالة الشيعة فى المغرب وما كان يلاقونه قبل تأسيس الدولة الادريسية حيث يقول : « ٠٠ وقد أذكرنى حال العلويين فى المغرب أيام على وأبا بكر وعمر بن الخطاب (رض) من الصلاح والخير والبركة ، يتبعون الرسوم التى حفظوها عن النبى (ص) ولا يقيمون أبهة الملك الا ما تدعوهم اليه حاجة الخلافة ، وكذلك أهل الشيعة فى التزام الخير واتباع السنن العادلة ، والمحافظة على القراءة والدنيا ، ولا ذنب لهم السلام الا أن الاغلبى ٠٠٠ ينقم منهم أمر الدين والدنيا ، ولا ذنب لهم الا أنهم يحرصون على الخير والصلاح ، ويميلون مع أهل بيت السلالة

---

(٢٤٥) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٢٦ ٠

(٢٤٦) السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٥٧ ٠

(٢٤٧) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٣٥ ٠

(٢٤٨) المصدر السابق : ص ١٣٥ ٠

الشريفة الطاهرة »(٢٤٩) . وفى ذلك يقول أحمد أمين : « ويظهر أن دعاة الأمويين خافوا من دعوته الشيعية الفاطمية ، وكرهوا ذلك منه فقتلوه ـ أى ابن هانىء ـ وذلك سنة ٣٦٢ هـ »(٢٥٠) .

كما أنتجب المغرب أبا حنيفة النعمان المغربى قاضى القضاة : « وقد ترك .. فى مؤلفاته الرائعة الكثيرة ثروة ثمينة .. ولا غرو فان النعمان ضرب بسهم فى جميع النشاط العلمى »(٢٥١) وأيضا انتجت الشريف الادريسى واضع أقدم وأوضح خريطة جغرافية للدنيا القديمة ، ولم يكن كتابه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » الا شرحا لهذه الخريطة وتعليقا عليها ، وقد شرحت شروحا كثيرة قديما وحديثا . يقول الأستاذ ميللر فى آخر بحث أجراه لشرح الخريطة ما معناه : « ان رجار الثانى والادريسى بوصفهما لهذه الخريطة قد وضعا أهم حجر أساسى فى تاريخ انتشار العلم الانسانى »(٢٥٢) .

وهكذا كانت دولة الادارسة فى المغرب مركزا من مراكز العلم عند الشيعة ، حيث قامت بنصيب وافر فى اذكاء الحركة العلمية هناك ، فبهم انتشر الاسلام حتى بلغ أقاصى البلاد ، وازدهرت العلوم والحضارة ، وتحضر أهل البوادى والجبال ، فلقد أنشأوا المدن الواسعة ، وبنوا المساجد ، وأقاموا الجامعات والكليات . وعم فى عهدهم العدل والأمن والرخاء(٢٥٣) . قال المستشرق « سيديوا » فى كتاب « تاريخ العرب العام : « ظل الادارسة قابضين على ما ملكوه من سنة ٨٠٣ الى سنة ٩٤٩ م ـ مقيمين فى البلاد التى هى مدينة لهم بجليل الأعمال ، فاسسوا مدينة فاس التى أضحى مسجدها مقدسا لدى جميع الأهالى المجاورين ،

---

(٢٤٩) جميل نخلة المدور : **حضارة الاسلام فى دار السلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٢ .

(٢٥٠) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٦ .

(٢٥١) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧٦ .

(٢٥٢)عبد الله ماضى : **الادارسة** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٣٢ ـ ٣٣ .

(٢٥٣)محمد جواد مغنية : **دول الشيعة فى التاريخ** ـ ط ٢ ـ النجف ـ مطابع النعمان ـ ١٩٦٥ ـ ص ٢٢ .

ونال شهرة عظيمة فى زمن قليل ، واشتملت مدينة فاس على مدارس ومكتبات تساوقت هى والحركة العلمية التى حمل لواءها بنو العباس فى المشرق ، وغدت مستودعا تجاريا واسعا بين عرب أسبانيا وعرب أفريقيا »(٢٥٤) ٠

سادسا ـ الدولة الفاطمية فى مصر :

لم يكن التشيع شيئا غريبا فى مصر ، بل وجد منذ الصدر الأول للاسلام ، وخاصة فى خلافة على بن أبى طالب ٠ وكان حال الشيعة العلوية بمصر يتقلب بين الشدة والرخاء ، بتقلب أحوال الخلفاء فى بغداد ، فان تولى خليفة يكره العلويين ضيق على الشيعة واضطهدهم والعكس بالعكس ، فلما تولى المتوكل واضطهد الشيعة العلوية كتب الى عامله بمصر باخراج آل أبى طالب الى العراق فأخرجهم سنة ٢٣٦ هـ ، ولما قدموا الى العراق ارسلوهم الى المدينة ، واستتر من بقى منهم فى مصر على رأى العلوية ، لأن عمال المتوكل كانوا يبالغون فى اظهار الكره للشيعة تقربا للخليفة حتى وصلت الحالة بهم أن تتبعوا آثار العلويين ، فاذا علم باحد منهم أن له دعاة وأنصارا قبض عليه ، وأرسل الى العراق مع أهله وضرب الذين بايعوه ، واذا كان بينهم وبين أحد الناس خصومة قبل قول خصمه فيه بغير أن يطالب ببينة ، فقاسى العلويون عذابا شديدا بسبب ذلك(٢٥٥).

ولما استقل أحمد بن طولون بامرة مصر سنة ٢٥٤ هـ اضطهد الشيعة ، لأنه كان من الأتراك على رأى الخليفة العباسى ، فاقتص آثار العلويين وحاربهم مرارا حتى اذا ضعف أمر بنى طولون بمصر واختلت أحوال الدولة العباسية فى بغداد وتغلب بنو بويه عليها فى القرن الرابع للهجرة أخذ الشيعة يتنفسون ويقوون ، فلما جاءهم جند المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٥٨ هجرية بقيادة جوهر الصقلى كانت الأذهان متاهبة لقبول دعوته(٢٥٦) ٠

---

(٢٥٤) المصدر السابق : ص ٢٣ ٠ نقلا عن تاريخ العرب العام لسيديوا : ص ٢٧٨ ـ ١٩٤٨ ٠

(٢٥٥) جورجى زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٢٣١ ٠

(٢٥٦) المصدر السابق : ص ٢٣٢ ٠

هـذه هى حالة مصر قبل أن يدخلها الفاطميون ٠ أما نسبة الفاطميين الى الاسماعيلية ، فالباحث يقف منها موقف المتشكك ، وانه يترك للباحثين فى التـاريخ تمحيص هـذه الحقيقـة ، حيث ان الباحث مسك بخيط ولو ضعيف ، لكنه يجلب الانتباه الى أن الدولة الفاطمية دولة شـيعية اثنـا عشرية ٠ وذلك ان مؤسس هـذه الدولة كمـا يقـول المؤرخـون هـو : « أبو عبد اللـه الشيعى ٠٠ وكان أبو عبد اللـه يعتنق أول الأمر عقـائد الأثنا عشرية ، كما كان يعرف بالمعلم ، لأنه كان يقوم بتعليم هـذا المذهب قبل أن يعتنق مذهب الاسماعيلية ٠٠ »(٢٥٧) ٠ فالثابت اذن أن أبا عبد الله الشيعى كان اماميا اثنا عشريا ، وكان يعلم هـذا المذهب ، فاعتناقه لمذهب الاسماعيلية يحتاج الى دليل أو سند يدل عليه ٠ ومما يؤيد هـذا القـول أن قاضى القضـاة النعمان ، الذى كان مقدما فى الدولة الفاطمية وفى نشر المذهب الشيعى ، وتدريس الفقه ، قد ألف فيه كتابا كان يقرأه فى مجالس الفاطميين ، كما جعل هـذا الكتاب مرجع القضاة فى الفتوى ، كما أفتى الناس به ودرسوه فى الجامع العتيق(٢٥٨) ٠ هو من الشيعة الامامية الاثنى عشرية ٠ وفى ذلك يقول بروكلمان : « محمد بن النعمان بن منصور ابن أحمد بن حيان التميمى القاضى ، الذى اشتهر بأبى حنيفة الشـيعة التحق بالامامية الاثنى عشرية(٢٥٩) ٠

أما نسب الفاطميين ، فقد طعن فيه بعض الباحثين كما طعنـوا فى الادارسة وقد رد هـذا الطعن كثير من الباحثين ٠ يقول ابن خلدون : « ومن الأخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والاثبات فى العبيـديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صـلوات اللـه عليهم والطعن فى نسبهم الى اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق يعتمدون

---

(٢٥٧) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الـدولة الفـاطمية** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٤٧ ٠

(٢٥٨) جورجى زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامى** ـ مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ٠ وأيضا أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سـابق ـ ص ٣٩٥ ٠

(٢٥٩) بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٣٤١ ٠

فى ذلك على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بنى العبـاس تزلفـا اليهم بالقدح ٠٠ »(٢٦٠) ٠

ويقـول القلقشندى فى الرد على من ادعى أن أصـل الفاطميين من اليهود : « ٠٠ وهــذه أقوال أن انصفت تبين لك أنها موضـوعة ، فان بنى على بن أبى طالب (رض) قـد كانوا اذ ذاك على غاية من وفور العدل وجلالة القدر عند الشيعة ، فما الحامل لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسى ، أو لابن يهودى ، فهـذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغـاية فى الجهل والسخف ٠ وانما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بنى العباس عندما غصوا بمكان الفاطميين ، فانهم كانوا قد اتصلت دولتهم نـحوا من مائتى وسـبعين سـنة ، وملكوا من بنى العبـاس بلاد المغـرب ومصر والشام ٠٠٠٠ وعجزت عساكر بنى العباس عن مقاومتهم فلاذت حينئذ بتنفـير الـكافة عنهم باشـاعة الطعن فى نسـبهم ، وبث ذلك عنهم خلفاؤهم »(٢٦١) ٠ وفى ذلك يقول الدكتور حسن ابراهيم : « ولدينا من الحقائق التاريخية ما يؤيد قبول المذهب القائل بصحة نسب الفاطميين الى النبى ٠ فقد ساعد اعتقاد الناس فى صحة هـذا النسب على نشر سـلطة الفاطميين الروحية والزمنية أو كليهما ، فى كثير من البلاد الاسلامية الى حـد أن نجح الفاطميون فى الحصول على اعتراف الناس بهذه السلطة فى أكثر بلاد الدولة العباسية ، دون أن يجدوا معارضـة فى الرأى العـام فى ذلك الوقت »(٢٦٢) ٠

بالاضافة الى ذلك ، فان الأعمال التى قام بها الفاطميون تنبىء عن عراقة نسبهم العلوى ، مع ما أوتوا من علم ومعرفة واصـلاح ٠ فما أن استقروا بالقاهرة واتخذوها عاصمة لدولتهم الكبيرة ، جعلوا ينافسـون بغـداد فى مظاهر الخلافة والابهة ، وفى الحفاوة بالعلماء والأدباء(٢٦٣) ٠ وهـذا ما سار عليه الشيعة فى مختلف العصور منذ ميلادهم مقتدين بأئمتهم

---

(٢٦٠) ابن خلدون : **المقـدمة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١ ٠
(٢٦١) **خطط المقريزى : مرجع سابق** ـ جـ ٢ ـ ص ١٩ ٠
(٢٦٢) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الـدولة الفـاطمية** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٦٨ ٠
(٢٦٣) أحمد محمد الحوفى : **أبو حيان** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠ ٠

من أهل البيت ، الذين أذكوا الروح العلمية فى نفوس الناس • ففى « عهد المعز لدين اللــه •• أذكى لهيب المنافســة فى نشر العلم بين العباســين والفــاطميين ، وكان مأمون الغرب الاسلامى وميسيناس أفريقية الاسلامية ـ كما يقول الســيد أمير على ••• وفى عهد المعز وخلفــائه الثــلاثة الأولين ازدهرت العلوم والفنون بفضل ما أولوها من عناية خاصة ، وكانت جامعة القاهرة الحرة •• دار الحكمة •• التى أسسها المعز صورة حقيقية للمثل الأعلى الذى تخيله بيكون فيما بعد »(٢٦٤) •

ويصف ابن الاثير المعز لدين اللــه بقوله : « وكان المعز عالمـا فاضلا جوادا شجاعا جاريا على منهاج أبيه من حسن السيرة وانصــاف الرعيــة وستر ما يدعون اليه الا عن الخاصة ثم أظهره وأمر الدعاة باظهاره الا أنه لم يخرج فيه الى حد يذم به »(٢٦٥) •

وقد اهتم الفاطميون بنشر المذهب الشيعى اهتماما كبيرا ، وانه لا بد للوصــول الى هــذا الهــدف من بذل جهــود كبيرة ، وكان من أهم هــذه الجهود انشاء معاهد للعلم وتعيين الشــيوخ ليجلسوا للنــاس ليعلموهم ويرشــدوهم ، وهكذا بكر الفاطميون بانشاء الأزهر اقدم جامعة اسلامية ، بل أقــدم جامعة عالية ذات شــأن وجاء بعــد الأزهر عــدد من المساجد التى ضمت حلقات التعليم وضن الحاكم بالجهــود أن توزع فى المســاجد بين العبادة والعلم فأنشأ دار العلم حيث يخلو العلماء للطلاب ، وحيث لا يأوى الا الراغبون فى الثقــافة وتحصيل العلم ، ثم أعد الفاطميون ووزراؤهم قصــورهم لتقوم بها مجالس منتظمة للثقــافة الرفيعة ، وفى هــذه أو تلك كان يجلس داعى الدعاة أو الوزراء للدعاية الصريحة أو المستترة للمذهب الجديد ، وكان القاضى النعمــان يجلس بالمســجد ليقرأ للناس ، ثم كان قاضى القضاة على بن النعمان يجلس بالجامع الأزهر ليقرأ مختصر أبيــه فى فقه آل البيت(٢٦٦) •

---

(٢٦٤) السيد أمير على : **روح الاســلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٥٧ •

(٢٦٥) ابن الاثير : **الكامل** ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ٧٤ ـ ٧٥ •

(٢٦٦) أحمــد شلبى : **التربيــة الاســلامية** ـ مرجــع ســابق ـ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥ •

يقول ابن خلكان : « وقد ذكر القاضى النعمان بن محمد الامامى الأمير المختار المسبحى فى تاريخه فقال : كان من اهل العلم والفقه والدين والنبل على مالا مزيد عليه وله عدة تصـــانيف ٠٠ وقال ابن زولاق ٠٠ وكان ابوه النعمان بن محمد القاضى فى غاية الفضل من أهل القرآن والعلم بمعانيه ، وعالمـا بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء ، واللـغه والشعر الفحل والمعرفة بايام الناس ، مع عقل وانصاف ، وألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تاليف ٠٠٠٠ وله ردود على المخالفين ، له رد على أبى حنيفة وعلى مالك والشافعى وعلى ابن سريج ، وكتاب « اختلاف الفقهاء » وينتصر فيه لأهل البيت رضى اللــه عنهم وله القصيدة الفقهية لقبها بالمنتخبة »(٢٦٧)٠

ويقول ابن زولاق ايضا : « ولم نشـاهد بمصر لقاض من القضـــاة من الرياسة ما شاهدناه لمحمد بن النعمان ، ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ، ووافق ذلك استحقاقا ، لمـا فيه من العلم والصيانة ، والتحفظ ، واقامة الحق ، والهيبة »(٢٦٨) ٠

هـذا وقد اهتم الفاطميون اهتماما كبيرا بالشعراء والكتاب وغيرهم من رجال الأدب لنشر المذهب الشيعى واذاعة ما بلغته خلافتهم من ابهـة وسلطان ، وكان من بين هؤلاء عـدد كبير من الكتاب ومن طبقـة الموظفين المتعلمين بديوان سر الخليفة ، او بدار العلم ، وكان الخلفـاء يبذلون لهم الأموال الكثيرة ، ويجودون عليهم بالخلع وعلى راسهم صاحب الانشاء ، ثم يليه صـاحب القلم الذى كان يوقع على المظالم ويجالس الخليفـة فى خلوته ، فيذاكره بما يحتاج اليه من كتاب اللــه أو سير الأنبياء والخلفاء وعظماء الرجال ، كما كان يحدثه فى مكارم الأخلاق ويعلمه تجويد الخط ٠ وكان الكتاب يختارون عادة ممن اشتهر بسعة الاطلاع فى الأدب ، ويمتازون بالقدرة فى فن الانشاء كما كانوا من كبار رجال الدولة(٢٦٩) ٠

وكانت مجالس العلماء تموج بالحركة العلمية والثقافية من أول عهد

---

(٢٦٧) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ــ مرجع سابق ــ جـ ٥ ــ ص ٤٨ ٠
(٢٦٨) المصـدر السـابق : ص ٥٣ ٠
(٢٦٩) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفـاطمية** ــ مرجـع سـابق ــ ص ٢٨٠ ــ ٢٨١ ٠

النعمان داعى الدعاة ، حيث كان يجلس للدرس والمحاضرة الى عهد يعقوب ابن كلس ، فقد كان يعقد درسا فى بيته كل اسبوع يقرأ عليهم مؤلفـاته ، وخصص ديوانا من بيته لكل طائفة من الأدباء والعلماء(٢٧٠) ٠ بالاضافة الى ذلك ، كان الجامع الأزهر أيام المعز والعزيز والحاكم ، مركزا لمجالس الحكمة الفاطمية ، التى كانت تتخـــذ صـــورة الدعوة الى قراءة علوم آل البيت والتفقه فيها ، وكانت الدعوة تنظم طبقـا لمسـتوى الطبقـات والأذهان ، فلا يتلقى الكافة سـوى مبادئها وأصـولها العامة ، ويرتفع الدعاة بالخاصة والمستنيرين الى مراتبها العليا(٢٧١) ٠

يقول السيد أمير على : « وفى عهد الفاطميين أصبحت القـاهرة مركزا جديدا من مراكز العلم والفكر ، وتألق فى عهد العـزيز باللـــه والحاكم بأمر الله علم من أعلام الفكر فى عصره وهو ابن يونس الذى اخترع البندول، وقاس الزمن بذبذبته ، على أن شهرته تستند الى عمله الجليل المنسـوب الى مليكه ووليه وهو « الزيج الحاكمى » الذى قام مقام كتاب كلوديوس بطليموس »(٢٧٢) ٠ ولهـذا كان للشـيعة فى زمن الفاطميين بمصر أعظم الأثر فى التعليم ، حيث اهتم الخلفاء الفاطميون بنشره ، وأقاموا المساجد وأجزلوا العطاء للعلماء والمعلمين ، كما أنشأوا مجالس الدرس فى القصـور الزاهرة ، وأنشأ الحاكم بأمر اللـه دار العلم ونمى الجامع الأزهر ليكون جامعة عالمية يؤمها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها(٢٧٣) ٠

وكان ليعقوب بن كلس جانب علمى ، بالاضافة الى الجانب السياسى والادارى ، فشجع العلماء ، ورتب المجالس ، وبذل العطاء لكل فروع العلم والمعرفة وربط بين العلم والتشيع ، وبين التشيع والفلسفة ، وله مجالس لعامة العلماء ومجالس لخاصة من العلماء ، وهؤلاء هم الذين يفلسفون هذه

---

(٢٧٠) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ١٤١ ٠

(٢٧١) حسن الأمين : **الأزهـر** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجـع سـابق ـ جـ ٤ ـ ص ٧٤ ٠

(٢٧٢) السـيد أمير على : **روح الاســلام** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص ٢٦٢ ٠

(٢٧٣) سعد مرسى أحمد : **تطور الفكر التربوى** ـ مرجع سـابق ـ ص ٢١٠ ٠

الأمور ، ولهـذا كان لابن كلس دور كبير فى تأسيس الحركة العلمية ، على هـذا الشكل وادماج الفلسفة فيها وتوجيهها الوجهة التى توجهتها · ولهذا كان الاشتغال بالفلسـفة من شـواغل الشـيعة(٢٧٤) · « كما نرى ذلك بوضوح فى رسائل اخوان الصفاء وهم شيعيون باطنيون ـ حسب رأى أحمد أمين ـ ولذلك كانت الفلسـفة ألصق بالتشيع منها بالتسنن ، نرى ذلك فى العهد الفاطمى والعهد البويهى ، وحتى فى العصور الأخيرة كانت فارس أكثر الأقطار عناية بدراسة الفلسفة الاسلامية ونشر كتبها »(٢٧٥) ·

يقول جوستاف : « وعلى حين يصعب أن يقـال أن الفاطميين جلبوا لمصر « العصر الذهبى السعيد » · فقد كان العيش فى ذلك القطر أبان القرن الحادى عشر أرغد وأسعد منه فى أية بلاد اسلامية بالمشرق ، حتى لقد بلغ من قـوة تأثـير رخائـه وازدهاره على السـنى الفارسى ناصر خسرو « المتوفى ١٠٨٨ » أن تحول الى المذهب الاسماعيلى لاعتقاده أنه الصـدق والحق الذى يعود اليه الفضل المباشر فيما تنعم به مصر من رخاء »(٢٧٦)·

وكان الخلفاء الفاطميون قادرين على بلوغ أغراضهم بالسياسـة ، وبما اشتهروا به من مظاهر الكرم والابهة والعظمة فى كل العهد الفاطمى · من ذلك الهدايا النفيسة التى كانوا يبذلونها للشـعراء والعلماء ، وكذلك الاحسان الى الفقراء ··· وكل ذلك كان جديرا بأن يستميل كثيرا من الناس الى اعتناق مذهبهم(٢٧٧) « ولقـد أدت هـذه الأعمال الى تحول كثير من المصريين الى المذهب الفاطمى ·· ومعنى هـذا دخـولهم فـى المذهب الشيعى »(٢٧٨) ·

اذن فالحركة العلمية التى أنشـأها الشيعة فى مصر قد تضـاءلت أمامها جميع الحركات العلمية غير الشيعية ، وهـذه الحركة هى امتـداد للحركات العلمية التى أقامها أئمة أهل البيت · يقول الدكتور أحمد شلبى :

---

(٢٧٤) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جا ـ ص١٨٩ ·
(٢٧٥) المصـدر السـابق : ص ١٩٠ ·
(٢٧٦) جوستاف : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥١ ·
(٢٧٧) المصـدر السـابق : ص ٢٢٥ ·
(٢٧٨) المصـدر السـابق : ص ٢٢٤ ·

« وعلى كل حال فان مجالس الطولونيين والاخشيديين لتذبل وتتضاءل بالقياس الى صالونات الفاطميين الباهرة فلقد سار الفاطميون ٠ كما يقول سيد أمير على ، أن يعقدوا مجالس علمية صاخبة من حين الى آخر ، وقوام هذه المجالس أساتذة دار الحكمة الذين كانوا ينقسمون الى جماعات تبعا لمواد دراستهم وتخصصهم ، فكان يجتمع هنا أساتذة المنطق والجدل ٠ وهناك الفقهاء ، والمحدثون ، وفى مكان ثالث علماء الرياضة ، ويشغل الأطباء مكانا رابعا ، وهكذا كل واحد من هؤلاء يرتدى الخلعة الجامعية التى تشبه الروب الذى يرتديه حمله الدرجات العلمية العليا فى العهد الحاضر »(٢٧٩) ٠

يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن والدكتور طه أحمد فى كتابهما : « المعز لدين الله » : « أبلى الفاطميون بلاء حسنا فى اصلاح حال رعيتهم وفى النهوض بدولتهم ، ليس فقط فى بلاد المغرب بل فى مصر أيضا ، فقد كانوا يتوخون الاصلاح ويهدفون الى توحيد كلمة العالم الاسلامى بوجه عام وكلمة العالم العربى بوجه خاص ، الأمر الذى يجعلنا نقطع بأن المعز لدين الله يعتبر من أكبر المصلحين ، ومن أكبر أنصار - الوحدة العربية والاسلامية - وفى الحق أن فكرة جمع العالم الاسلامى وتوحيده تحت راية العلويين فكرة متأصلة فى نفوس هؤلاء منذ ايام على بن أبى طالب نفسه ٠ فقد اعتقد على وأبناؤه ثم أحفاده من بعدهم وأنصارهم من الشيعيين بأن عليهم رسالة تحتم عليهم جمع كلمة المسلمين ولم شملهم تحت لواء واحد ، لا سيما بعد أن بدأ التفرق يسود هذا العالم الكبير فى العصر العباسى الثانى ٠٠ لأنهم لو استطاعوا توحيد العالم العربى لأمكنهم توحيد سائر العالم الاسلامى ولأعادوا للعروبة مجدها وللاسلام عزته »(٢٨٠) ٠ ولهذا أنشأ الحاكم سنة ٣٧٠ هـ مدرسة لتعليم المذهب السنى ، وأهدى هذه المدرسة دار كتب ، وعين أبا بكر الانطاكى ناظرا لها ، وخلع عليه وعلى مدرسى هذه المدرسة وأجلسهم فى مجلسه(٢٨١) ٠

(٢٧٩) أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** - مرجع سابق - ص ٩٤ ٠

(٢٨٠) حسن الأمين : **الأزهر** - دائرة المعارف الشيعية - مرجع سابق - جـ ٤ - ص ٦٢ ٠

(٢٨١) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** - مرجع سابق - ص ٢٢٢ ٠

وخلاصة ما تقدم ، أن التعليم فى الدولة الفاطمية لم يكن مقتصرا على المذهب الشيعى ، وانما كان عاما لجميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم· ولهذا رتب الحافظ لدين اللـه أربعة قضاة ، اثنان منهم من الشيعة ، احدهما امامى والآخر اسماعيلى ، واثنان منهم من السنة ، احدهما مالكى والآخر شافعى ، فحكم كل منهم بمذهبه(٢٨٢) · ولهذا اخذ العرب كما يقول « سيديوا » يلقون اسطع الأنوار فى القاهرة لا من بغداد حيث ازدهرت التجارة والصناعة والزراعة والأدب والفنون والعلوم فى عهد الفاطميين بمصر ، كما ازدهرت فى عهد خلفاء بنى العباس الأولين وكانت عاصمة الفاطميين تنافس اجمل مدن آسيا ، وسلك ابن يونس المصرى سبيل فلكى العراق ، فكان له مرصد ، ولم يقتصر الفاطميون فى صنع ما ينسى الناس به بغداد ، ولم يلبثوا ان صار لهم مثل دخل هارون الرشيد تقريبا(٢٨٣) ·

وصفوة القول : ان المراكز العلمية التى اقامها الشيعة منذ فجر الاسلام ، قد أثرت الفكر والثقافة الاسلامية ، كما ادت الى نشاط الحركة العلمية فى تلك الفترة ·

---

(٢٨٢) **خطط المقريزى** : مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٢٧٩ ·

(٢٨٣) محمد جواد مغنية : **دول الشيعة فى التاريخ** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٦ ·

الفصل السادس

مؤسسات التعليم عند الشيعة

ويتضمن :

أولا : المكتب أو الكتاب

ثانيا : المسجد

ثالثا : منازل العلماء والأمراء

رابعا : مجالس العلم والعلماء

خامسا : دور العلم

سادسا : دور الكتب

سابعا : المدارس

احدث الاسلام ثورة على الجهل ، ولهـذا حث المسـلمين على العلم والتعلم ولا شك أن عملية التعليم تحتاج الى أماكن خاصـة تقوم بها . ففى أول ظهور الاسـلام كانت الدور والبيوت مكانا للتعليم ، فقد اتخـذ الرسول عليه الصلاة والسـلام دار الأرقم بن أبى الأرقم مكانا يعلم فيه أصحابه والتابعين له من المسلمين قواعد الدين الجديد .

ولمـا انتشر الاسلام ، وقويت شوكته ، أصبحت البيوت لا تصـلح للتعليم ، فسارع المسلمون باتخاذ أماكن خاصة لهـذه العملية ، فشـيدت المساجد ، واتخـذت مكانا للعبادة وتعليم الاسلام ، ولهـذا كان المسـجد أول مؤسسة تعليمية اسلامية اتخذها الرسول للتعليم وادارة شـئون المسلمين من الناحية الفكرية والثقافية والاجتماعية .

هـذا وقد شـارك المسـلمون جميعـا فى ايجاد أماكن التعليم على السواء ، فأهل السنة كانت لهم أماكن للتعليم والتدريس كما هى موجودة عند الشيعة ، لا فرق فيما بينها ، وكل منهم قام بجهود تربوية فى هـذه الأماكن وتخرج منها كبار العلماء والمفكرين . بالاضافة الى وجود أماكن أعدت للتعليم يشترك فيها المسـلمون جميعـا توجد أماكن أخرى خاصـة بالشيعة لتعليم علوم آل البيت ، وذلك للظروف السياسية التى مروا بها ، وعلى هـذا فالعملية التعليمية كانت تقـوم عنـد جميع المسلمين عادة فى الكتاتيب والمساجد ومنازل العلماء ودور العلم ودور الكتب . كما كانت تعقد مجالس خاصة للعلم والعلماء . ولمـا اتسعت الحركة العلمية وازداد طلاب العلم فتحت المدارس لهـذا الغرض . وهـذا الفصل يتنـاول أهم الأماكن التى كانت تقـام فيها الجهود التربوية العلمية عند الشيعة .

اولا – المـكتب او الكتاب :

وجد هـذا النوع من الكتاتيب قبل ظهور الاسلام ، وكان يعلم فيهـا القراءة والكتابة ، وبعد ظهور الاسلام زيد عليهما تحفيظ الأطفال القـرآن الكريم ، وتعليمهم أساسيات الدين الاسلامى والخط والحساب ومبادىء

اللغـــة ، ولهـــذا يعتبر الكتاب أو المكتب المعهد الأول الذى يتعلم فيه المبتدئون القرآن الكريم ، والقــراءة والكتابة ومبــادىء الدين واللغــة والحساب والخط(١) · وعلى هـذا فقد كان هـذا النوع من الكتاتيب أسبق أنواع المعاهد التى كان يتعلم فيها الصبيان فى العــالم الاســلامى(٢) · وظلت تمارس دورها فى التعليم منذ أنشئت قديما مع ظهور الاســلام ، وكان نظامها حرا غير مقيد بالدولة ، وانما يعتمد على استقلال بعض المعلمين بافتتاح مكاتب للتعليم(٣) ·

وقد أسهم بعض المسلمين فى انشــاء الكتاتيب لتعليم الأطفــال ، وتنافسوا فى بنائهــا للتقرب الى اللـــه ، ونشر التعليم بين الأغنيــاء والفقراء على السواء ، وربما كانت الكتاتيب تلحق بالمساجد ، وربما فصلت عنها(٤) · ولهـذا وردت اشارات الى أن المساجد قد تتخذ بمثابة أمكنة لتعليم الأطفــال · وذات مـرة رأى خلف الأحمـر « الكميت بن زيد يعلم الصبيان فى مسجد الكوفة » · وبالرغم من هـذه الاشارة وغيرها يبــدو أن المسجد لم يتخذ بمثابة موضع اعتيادى لتعليم الأطفال · فقد ورد عن الامام الصادق النهى عن اتخاذ المسجد لهـذا الغرض · قال (ع) : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم » ، وقال الشيخ الصدوق ينبغى « أن تجنب المساجد انشاد الشعر فيها ، وجلوس المعلم للتأديب فيها ·· » ومن هــذا يظهر أن منع تعليم الأطفال فى المســاجد كان موضع رعاية من الشــيعة ، وذلك لعــدم تحرز الصبيان من القيام بأعمال تتنافى قدسية المسجد(٥) ·

وليس من السهولة الجزم بوجود كتاتيب خاصة متميزة للشيعة ، فى الفترة موضوع البحث ، وذلك للظروف التى كانت تحيط بهم ، ولهذا

---

(١) محمــد عطيــة الابراشى : **التربية الاســلامية وفلاسفتهــا** ـ مرجع سابق ـ ص ٧١ ·

(٢) أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٨ ·

(٣) أحمــد فؤاد الأهوانى : **التربية فى الاســلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠ ·

(٤) الابراشى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٣ ·

(٥) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٢ ·

كانت الكتاتيب موحدة ، لأبناء الطائفتين من السـنة والشـيعة ، وذلك لتقارب المواد الدراسية فيها ، وانما الفارق يظهر فى القضايا ذات الصلة بالعقائد ، كاهتمـام الشـيعة مثـلا بذكر فضـائل أئمتهم فى الكتاتيب الشيعية ، بينما لا يحدث هـذا فى كتاتيب أهل السنة(٦) ٠

« أما القضايا ذات الصبغة الفنية ، وتلك التى لها علاقة بالمعلومات التى يتعلمها الطفل كى تساعده على اكمال المرحلة الأولية للتعليم ، فالفروق فيها قليلة عند الطائفتين »(٧) ٠ وذلك لأن المسلمين على اختلاف طوائفهم لا يختلفون فى نظرتهم على أن القرآن الكريم ، وخاصة فيما يتعلق بتعلمه وحفظه ، بصورة تلقينية هو أول ما يطلب من الصـبيان أن يقوموا به فى مرحلة التعليم الأولى ٠ أما الاختلاف فى تفسير القرآن الكريم ، فيترك فى الغالب لمرحلة تعليم العلوم ٠ ثم أن اللغـة العربيـة وما يتصل بها من خط ونحو ، بحكم كونها لغة الدين الحنيف ، وبحكم كونها أهم لغـة للثقافة الاسلامية ، هى أول ما يتعلمها الصـبى ٠ نظرا لاحتلال العلوم الدينيـة مركز الصدارة فى مناهج التربية الاسلامية منذ العصور الأولى ، بغض النظرة عن معتقده والطائفة التى ينتمى اليها(٨) ٠

وقد وردت اشارات الى وجود كتاتيب كان معلموها من الشـيعة ٠ يقول الدكتور النشار : « ويهمنا الآن أنه كان فى مكتب محمد بن الحنفية (المتوفى عام ٩٨ هـ) والحسن بن محمد بن الحنفية (المتوفى عام ١٠١ هـ) ٠٠ وصـورته لنا المعتزلة ـ أى أبو هاشـم ـ على أنـه منشىء الاعتزال فى المدينة ، وفى مكتب أبيه فيها يقول الكعبى : وكان واصل بن عطاء من أهل المدينة ٠٠٠ وكان مع ابنه أبى هاشم عبد الله بن محمد فى الكتاب »(٩) ٠ وأن الامام محمد الباقر بن الامام زين العـابدين تعلم « فى كتاب يقع فى

---

(٦) المصدر السابق : ص ٠ ص ٦٢ ـ ٦٣ ٠
(٧) سعيد اسماعيل على : **معاهد التعليم الاسـلامى** ـ القاهرة ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ ١٩٧٨ ـ ص ٨٨ ٠
(٨) المصدر السـابق : ص ٨٨ ٠
(٩) على سامى النشار : **نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٣٠ ٠

بعض طرق المدينة »(١٠) ٠

وكان كثير من معلمي الصبيان من الشيعة يعلمون في الكتاتيب ، منهم عمير بن عامر الهمداني الذي كان معلم كتاب في الكوفة ، والكميت ابن زيد الشاعر الشيعي يمتهن تعليم الصبيان في الكوفة أيضا(١١) ٠ وكان أحمد بن سهل وأبوه يعلمان الصبيان ببلخ(١٢) ٠ كما أن ابن السكيت وأباه كانا يؤدبان الصبيان بمدينة السلام(١٣) وقد ورد عن الامام الصادق : « ٠٠ ثم أدبه في الكتاب ست سنين ٠٠ »(١٤) وهذه اشارة على وجود الكتاتيب عند الشيعة ٠ ومما يؤيد ذلك ما عهد به المطيع لله البويهي الى أبي الحسن محمد بن الحسين العلوي نقيب الطالبيين في بغداد ، وقد جاء فيه :

« وأمره ـ أي المطيع لله ـ بمراعاة متبتلي أهله ٠٠٠ وأن يزوج الايامى ويربي اليتامى ، ويلزمهم المكاتب ليتلقوا القرآن ، ويعرفوا فرائض الاسلام والايمان ، ويتأدبوا بالآداب اللائقة بذوي الأحساب ، فان شرف الأعراق محتاج الى شرف الأخلاق ولا حمد لمن شرف نسبه ، وسخف أدبه ٠٠٠ »(١٥) ٠ ويظهر من هذا العهد أنه يشتمل كذلك على بعض المواد التي تعلم في الكتاب ٠ كما يبدو أن هذه الكتاتيب خاصة قد أنشأها الشيعة مستغلين رضاء الدولة البويهية عن تشيعها ومحاولة نشر المذهب بكل الوسائل الممكنة ٠

ثانيا : المسجد :

يعتبر المسجد أهم مؤسسة تعليمية في الاسلام ، وان تاريخ التربية الاسلامية يرتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد ، ولدراسة هذه المؤسسة تعني

---

(١٠) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٢ ٠

(١١) المصدر السابق ـ ص ٦٤

(١٢) ياقوت الحموي : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٦٩(٧)

(١٣) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٤٤٢ ٠

(١٤) الطبرسي : **مكارم الأخلاق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٣(٨)

(١٥) القلقشندي : **صبح الأعشى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٥٧ الى ص ١٦٥ ٠

رئاسة المكان الرئيسى لأهم منابع الحياة العلمية والثقافية فى الاسلام ، ولهذا يعتبر المسجد أقدم مؤسسة تعليمية اسلامية ، فلقد قام الرسول(ص) بعد هجرته مباشرة بتأسيس المساجد ، وتابعه بعد ذلك المسلمون ، ولعل السبب الرئيسى فى اتخاذ المسجد مركزا هاما لتعليم العلوم يرجع الى أن الدراسات الاسلامية فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الاسلام كانت دراسات دينية تتضمن تعليم الدين الجديد وتفسيره وشرحه وتوضيح أسسه وأحكامه ، وكانت تلك العلوم مرتبطة بالمساجد بل ربما كانت جزءا من العبادة ، ولذا كان من السهل على المسلم التوجه الى المسجد للتفقه وأداء الفروض الدينية ٠

ولم يكن المسجد فى أصل بنائه وتأسيسه مقتصرا على العبادة وأداء الشعائر الاسلامية ، وانما كان المنطلق الأول لتثقيف المسلمين وتعليمهم الأحكام الشرعية وما يتعلق بشئون الحياة والمجتمع الاسلامى الناشىء ـ يقول جوستاف لوبون : « وكما أن مساجد المسلمين مركز للاجتماع وملجأ للغرباء ، ومرجع للمرضى ، هى كذلك موئل للتعليم وفى أصغر المساجد يعلم الأولاد ، وتعد المساجد الكبيرة من الجامعات التى لا تقل أحيانا عن جامعات أوربا أهمية »(١٧) ٠ وكان أئمة الشيعة يحثون المسلمين على الذهاب الى المساجد ، لأنها مكان للتعليم والتفقه ٠ قال الامام الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) : « من أدام الاختلاف الى المسجد أصاب احدى ثمان : آية محكمة ، وأخا مستفادا ، وعلما مستطرفا ، ورحمة منتظرة ، وكلمة تدله على الهدى أو تردة عن ردى ، وترك الذنوب حياء أو خشية »(١٨) ٠ ولهذا كان المسجد « ٠٠ مركزا للحياة الروحية والاجتماعية والسياسية »(١٩) ٠

وازداد اهتمام الشيعة بالمساجد ، خصوصا فى الفترات التى يأمنون فيها من الاضطهاد ، كما حدث فى عهد الدولة البويهية ، حيث عهد المطيع لله

---

(١٦) محمد عبد الحميد عيسى : **تاريخ التعليم فى الأندلس** ـ ط ١ ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٨٢ ـ ص ٢٢٦ ٠

(١٧) عبد الوهاب خموة : **فضل المسجد فى الثقافة الاسلامية** ـ دعوة التقريب من خلال رسالة الاسلام ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٣

(١٨) الحرانى : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٦ ٠

(١٩) الابراشى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٥ ٠

لنقيب الطالبين فى بغـداد ، أن يراعى أمور المسـاجد بمدينـة السـلام وأطرافها وأقطارها وأن يوقف عليها الأوقاف ويتعهدها بالاصلاح(٢٠) ٠ كما اهتم الفاطميون اهتماما كبيرا بالمساجد ، وجعلوها مراكز لنشر الدعوة الشيعية ، حتى أصبحت أهم الأماكن التعليمية فى ذلك العصر لما أعطوها من المكانة الرفيعة ٠ واذا وضعنا فى الاعتبار أن المساجد كان يدرس بهـا أكثر من معلم واحد ، بدليل أن عدد المجالس وحلقات الدرس كانت تعقـد فيه مقسمة بين الفقهاء وغيرهم من معلمى العلوم ، وبالتالى فان حلقـات المعلمين قد زادت كثيرا عن عدد المساجد التى كانت قائمة فى ذلك العصر ٠ وحيث انه من الصعب حصر كل المعلمين الذين تولوا التدريس فى هـذه المساجد ، فالباحث يقـدم هنا بعض الأمثلة على الجهود التربوية العملية فى المساجد التى كان يؤمها علماء الشيعة وتلاميذهم على سبيل المثال :

اتخذ الشيعة وأئمتهم المسجد مكانا لتعليم العلوم ، وكان على ابن أبى طالب وابن عمه عبد اللـه بن عباس ، يلقيان محاضرات فى المسـجد الجامع فى المدينة ، فى علوم كثيرة ، فى الفقه ، والحديث ، والفلسـفة ، والمنطق ، والبلاغة وكان الامام على أيام عزلته بعد وفاة النبى (ص) منقطعا لدراسـة تعـاليم الدين فى ضـوء العقل ، ولهـذا كان يلقى دروسـا فى مسـجد المدينة فى شتى العلوم(٢١) وكان عبد اللـه بن عباس يجلس فى البيت الحرام ، ويعلم الناس التفسـير والحديث والفقـه والأدب(٢٢) ٠ كما كان الامام على بن الحسين « يعظ الناس ويزهدهم فى الدنيا ، ويرغبهم فى أعمال الآخرة بهـذا الكلام فى كل جمعة فى مسجد رسول اللـه (ص) وحفظ عنه وكتب »(٢٣) ٠ قال ابن فاختة « سمعت على بن الحسين (ع) يحدث فى مسجد رسـول اللـه (ص) »(٢٤) ٠ فقد بدأ حلقته من البحث

---

(٢٠) القلقشندى : **مآثر الأناقة** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ١٦٧ ٠
(٢١) السـيد أمير على : **روح الاسـلام** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ٠ وأيضا عبد الغنى عبود : **فجر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠١ ٠
(٢٢) أحمـد أمين : **فجر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٣ ـ ١٧٤ ٠
(٢٣) ورام : **تنبيه الخواطر** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ص ٤٤ ٠
(٢٤) عبـد اللـه فيـاض : **تاريخ التربية عنـد الامامية** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٦٥ ٠

والدرس فى مسجد الرسول (ص) يحدث الناس بصنوف المعرفة الاسلامية من تفسير وحديث وفقه ، وقد تخرج من هذه الحلقة التى كان يعقدها فى مسجد المدينة عدد كبير من فقهاء المسلمين(٢٥) • وكان ابن شهاب يكثر الجلوس فى حلقة الامام على بن الحسين ، وكان يقول : « كانت أكثر مجالستى لعلى بن الحسين »(٢٦) •

وكان الامام محمد الباقر (ت ١١٤ هـ) من بين الأئمة الذين علموا فى المسجد النبوى فجلس اليه أبو حنيفة ليسأله عن مسائل(٢٧) • ولم يكن تدريسه مقتصرا على الفقه والحديث ، بل كان هو وأصحابه يناظرون فى أصول الاسلام ، ويحاولون تركيزها فى النفوس حتى لا تتعرض لما أثير فى ذلك العصر من الجدل والنزاع فى أصول العقائد ، ولهذا كان الامام محمد الباقر يجلس فى مسجد المدينة ومن حوله طلابه يسألونه عن مختلف العلوم ويجيبهم عن أسئلتهم(٢٨) • يقول أبو زهرة : « •• محمد الباقر (رض) • فقد كان اماما فى عصره تلقى عنه أبو حنيفة وأخوه زيد وغيرهم ••• وانه كان على اتصال بكل علماء المدينة يجيئون اليه ، وان مسجد رسول الله (ص) كانت حلقات التابعين فيه تملؤه علما ورواية عن صاحب الروضة الشريفة ، فكان فيه مع بهاء النبوة ، علم النبوة ، ومع الحديث الطاهر آثار النبى (ص) تذاكر وتدرس »(٢٩) •

وكان الامام جعفر الصادق (ت ١٤٨ هـ) من بين الأئمة الذين علموا بالمسجد • وكان محل تدريسه والقاء محاضراته هو الجامع النبوى ، ففيه كان حملة الحديث ورواد العلم يزدحمون لاستماع دروس الامام وتسجيل

---

(٢٥) محمد باقر الصدر : **مقدمة الصحيفة السجادية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٢ ـ ١٣ •
(٢٦) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٧ •
(٢٧) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٥ •
(٢٨) هاشم معروف الحسنى : **سيرة الأئمة الاثنى عشر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢١١ ـ ٢١٢ •
(٢٩) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٨ •

أبحاثه(٣٠) · روى المفيد « ان ابن أبى العوجاء وابن طالوت ·· فى نفر من الزنادقة كانوا مجتمعين فى الموسم الحرام وأبو عبد الله جعفر بن محمد (ع) فيه اذ ذاك يفتى الناس ويفسر لهم القرآن ويجيب عن المسائل بالحجج والبينات »(٣١) ·

استمر الائمة من أهل البيت (ع) وعلماء شيعتهم على تعليم الشيعة فى المساجد · ومن شيوخ الشيعة الذين مارسو التعليم فى المسجد أبان بن تغلب الجريرى ، وكان يجلس فى مسجد المدينة ليعلم الناس ، وقال فيه الامام الباقر : « اجلس فى مسجد المدينة وافت الناس فانى أحب أن أرى فى شيعتى مثلك »(٣٢) · وكان الواقدى ممن تصدر للتدريس فى مسجد المدينة وهو يدرس · فقلنا له أى شيىء تدرس ؟ فقال : جزء من المغازى »(٣٣) ·

أما مسجد البصرة ، فكان يدرس فيه على بن زيد بن جدعان ، أحد علماء التابعين · قال منصور بن زاذان : « لما مات الحسن البصرى قلنا لعلى بن زيد اجلس مجلسه ·· وروى عن يزيد بن زريع قال : كان على بن زيد رافضيا ···· وقال أحمد العجلى : كان يتشيع ·· مات سنة احدى وثلاثين ومائة »(٣٤) · وكان « المنجع محمد بن أحمد بن عبد الله الكاتب البصرى ·· وكان شيعيا ··· وكان يجلس فى جامع البصرة فيكتب الناس عنه ويقرأون الشعر··وتوفى سنة ٣٢٧ هـ ··وعنه أخذ التبريزى »(٣٥) ·

وكان فى بغداد عدة مساجد للشيعة يجتمعون فيها للدرس والتعليم ، ولكن العباسيين وضعوا عليم العيون ، وأحصوا عليهم تحركاتهم ومنعوهم

---

(٣٠) القندوزى : **ينابيع المودة** ــ مرجع سابق ــ جـ٣ ــ ص ٧٦ــ٧٧·
(٣١) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ــ مرجع سابق ــ ص ٦٥ ــ ٦٦ ·
(٣٢) ياقوت : **معجم الأدباء** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ١٠٨ · وأيضا فياض : المصدر السابق ــ ص ٦٦ ·
(٣٣) الخطيب البغدادى : **تاريخ بغداد** ــ مرجع سابق ــ جـ٣ ــ ص٧ ·
(٣٤) الذهبى : **ميزان الاعتدال** ــ مرجع سابق ــ جـ ٣ ــ ص ١٢٨ ــ ١٢٩ ·
(٣٥) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ــ مرجع سابق ــ جـ ٢ ــ ص ٢٣٦ ·

من التدريس فيها • ومن هذه المساجد مسجد براثا ، وكان فى الموضع المعروف ببرثا • قال الخطيب البغدادى : « وكان فى الموضع المعروف ببرثا مسجد يجتمع فيه قوم ممن ينتسب الى التشيع ويقصدونه للصلاة والجلوس فيه ، فرفع الى المقتدر بالله أن الرافضة يجتمعون فى ذلك المسجد ••• فأمر بكبسه يوم الجمعة وقت الصلاة فكبس وأخذ من وجد فيه فعوقبوا وحبسوا حبسا طويلا ، وهدم المسجد حتى سوى بالأرض وعفى رسمه ووصل بالمقبرة التى تليه ، ومكث خرابا الى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة »(٣٦) •

وكان ابن عقدة يجلس فى مسجد براثا ويحدث الناس ، كما أنه كان يورق بالكوفة ويعلم القرآن والأدب(٣٧) • وكذلك كان يعلم الناس فى مسجد الرصافة ويملى على تلاميذه فيه • قال الخطيب البغدادى : « أخبرنا أبو الحسين •• حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد •• بن عقدة •• املاء فى جامع الرصافة فى صفر من سنة ثلاثين وثلثمائة »(٣٨) • قال عبد الغنى ابن سعيد : سمعت الدارقطنى يقول : « ابن عقدة يعلم ما عند الناس ولا يعلم الناس ما عنده »(٣٩) • قال الطوسى : « حدثنا أبو الفتح محمد بن أبى الفوارس الحافظ املاء فى مسجد الرصافة جانب الشرقى ببغداد فى ذى القعدة سنة احدى عشرة وأربعمائة »(٤٠) وكان أبو عبد الله الحسين بن أحمد البزار (ت ٤٤٧ هـ) يدرس بمسجد الشرقية بعد أن منع من تدريسه فى مسجد المنصور(٤١) •

---

(٣٦) الخطيب البغدادى : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٩ • وأيضا آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٦ •

(٣٧) عباس القمى : **الكنى والالقاب** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ •

(٣٨) الخطيب البغدادى : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ١٥ •

(٣٩) الذهبى : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٣٧ •

(٤٠) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٦ •

(٤١) عباس القمى : **الكنى والالقاب** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ •

وقد اختص فريق من شيوخ الشيعة بمساجد يدرسون فيها طلبتهم ، لأن المساجد العامة فى الفترة موضوع البحث ، لم تتخذ مكانا رئيسيا للتعليم عندهم ، لعدم توفر الحرية التامة لهم ، فى معظم فترات تاريخهم ، لأن يعلموا علوم آل البيت فى المساجد العامة خاصة تلك التى تشتد عليها الرقابة من أهل السنة(٤٢) ٠ ومن الأدلة على حرمان الشيعة من حرية التعليم ما حصل لعلى بن محمد الفصيحى (ت ٥١٦ هـ) لما أتهم بالتشيع فصل من النظامية حيث كان من مشاهير مدرسيها ، ولكن أفواجا من المتعلمين راحوا يقصدونه فى داره ليواصلوا القراءة عليه(٤٣) ٠ كما أن البزار منع من التعليم فى جامع المنصور ، فلجأ الى مسجد الشرقية كما تقدم ٠

مسجد الكوفة :

يعتبر مسجد الكوفة من المساجد التى لعبت دورا مهما فى اذكاء روح البحث ونشر الثقافة الاسلامية ، حتى تخرج منه كثير من حملة الفكر الاسلامى على اختلاف اتجاهاتهم وكونوا لهم مدارس علمية لها طوابع مختلفة ، وذلك لما أوتيه هذا المسجد من الفضل والمكانة من بين المساجد الأخرى ، مما أدى الى تزاحم العلماء للتعليم والتعلم فيه ، حتى أصبح من أهم الأماكن العلمية فى تلك الفترة المبكرة من الاسلام ٠ وهو أحد المساجد الأربعة ، فعن الصادق قال : والله ان مسجدكم هذا – يعنى مسجد الكوفة – لأحد المساجد الأربعة المعدودة ، المسجد الحرام ، ومسجد المدينة والمسجد الأقصى ، ومسجدكم هذا ٠٠ »(٤٤) قال البراقى : يتضح لك ٠٠ أن مسجد الكوفة قديم ، وفضله عظيم(٤٥) ٠

يقول ياقوت : وأما مسجدها – أى الكوفة – فقد رويت فيه فضائل كثيرة ، روى حبة العرنى قال : كنت جالسا عند على ، عليه السلام ، فأتاه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه راحتى وزادى أريد هذا البيت أعنى

---

(٤٢) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** – مرجع سابق – ص ٦٧ ٠

(٤٣) أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** – مرجع سابق – ص ٧٠ ٠

(٤٤) حسين أحمد البراقى النجفى : **تاريخ الكوفة** – النجف – المكتبة المرتضوية – ١٣٥٦ هـ – ١٩٣٧ م – ص ١٣ ٠

(٤٥) المصدر السابق : ص ١٢ ٠

بيت المقدس ، فقال عليه السلام : كل زادك وبع راحلتك وعليك بهذا المسجد ، يعنى مسجد الكوفة ، فانه أحد المساجد الأربعة ، ركعتان فيه تعدلان عشرا فيما سواه من المساجد والبركة منه الى اثنى عشر ميلا »(٤٦)٠

ولما مصرت الكوفة سنة ١٩ للهجرة ـ على خلاف فى ذلك ـ فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، بنى سعد بنّ أبى وقاص مسجدها(٤٧) ٠ فكان موضعا للعبادة وتعليم الناس الأحكام الاسلامية ٠ وحينما اتخذ الامام على الكوفة عاصمة له ، كان مسجدها مدرسته الأولى فى ذلك الاقليم ٠ فكان يعلم الناس العلوم الاسلامية فيه ، وكان ملازموه الأصل العلمى لهذه المدرسة ، بما تلقوه عليه من فتاو وأحكام ، وما رووه عنه من أحاديث نبوية(٤٨) ٠ ولهذا كان مسجد الكوفة أساس الدراسات الفكرية والمنطلق لتعليم سائر فروع المعرفة التى تتناسب مع مطالب لدولة الاسلامية(٤٩) ٠

ومن هذا المنطلق ، كان مسجد الكوفة مجمع أهل العلم من الشيعة، باعتبارها من أهم المراكز الشيعية ، فهى حاضرة خلافة الامام على ، ومهد شيعته وشيعة أبنائه من بعده ، كما يقول الدكتور يوسف خليف(٥٠) ، فلا غرو اذن أن تكون موطنا لعلماء الشيعة ، وأن يكون المسجد هو المكان الذى يقومون فيه بتعليم وتدريس علوم آل البيت ٠ ولهذا يقول الحسن ابن على الوشاء : « انى أدركت فى هذا المسجد ـ يعنى مسجد الكوفة ـ تسعمائة شيخ كل يقول : حدثنى جعفر بن محمد عليه السلام »(٥١) ٠ ولهذا شهد هذا المسجد الكثير من مظاهر النهضة العلمية والأدبية ،

---

(٤٦) ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى : **معجم البلدان** ـ بيروت ـ دار صادر ـ ١٩٥٧ ـ جـ ٤ ص ٤٩٢ ٠

(٤٧) المصدر السابق : ص ٤٩١ ٠

(٤٨) محمد أبو زهرة : **مالك** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٩ ٠

(٤٩) السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ ٠

(٥٠) يوسف خليف : **حياة الشعر فى الكوفة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٤ ٠

(٥١) باقر شريف القرشى : **النظام التربوى فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٩ ٠

ونشطت فيه المجالس العلمية وحلقات الدرس ٠ » وكان الكميت الشاعر من أبرز معامى العراق ، فكان يجلس فى مسجد الكوفة لتعليم الصبيان »(٥٢)٠

وكان الكميت يلتقى فى هـذا المسـجد بحمـاد الراوية ، فيتذكران أشعار العرب وأيامهم فاختلفا مرة فى شيىء ، فقال الكميت لحماد : أتظن أنك أعلم منى بأيام العرب وأشعارهم ؟ فقال حماد : هذا والله هو اليقين٠ فغضب الكميت وما زال يناقشه ويسـأله حتى أفحمه(٥٣) ٠ ولهـذا كان يشهد الجمعة بمسجد الجامع فيحيط به علماء الكوفة ورواتهم ، وفيهم حماد والطرماح فيأخـذون بسـؤاله ، حتى اذا فرغوا من سـؤالهم أخـذ هو يسألهم(٥٤) ٠ وهكذا استطاع الكميت أن يصل الى مسـتوى من العلم بأخبار البادية ولغاتهم ، وعالمها العقلى والفنى بحيث سمح له بأن يجلس من الناس مجلس الاستاذية ، ولهـذا يذكر صـاحب خزانة الأدب انه : « يقـال ما جمع أحـد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت ٠٠٠ » اذن فالكميت شاعر عالم متصل اتصالا واسعا عميقا بأخبار البادية وأيامها وأشعارها وأنسابها ، ولهـذا أباح لنفسه أن يجلس مجلس الاستاذية ، وأن يناظر رواية متخصصـا فيهـا فيفحمه ويظهر قصـوره ويتفوق عليه ٠ ومن هنا كان الكميت فقيه الشيعة وشاعرها ، واتجه فى سبيل تحقيق هـذه الغاية الى العلم والتحصـيل ، فمضى يشـارك فى الحياة العقلية التى كانت مزدهرة فى مدينته مشاركة قوية ، متعلما حينا ومعلما حيا آخر(٥٥) ٠ وهكذا كان مسجد الكوفة مكانا للكميت يعلم فيه ، ويلقى دروسه على من يلتف حوله من تلاميذه(٥٦) ٠

وحينما انتقل الامام الصادق الى الكوفة أيام أبى العباس ، واستمر

---

(٥٢) على حسنى الخربوطلى : **تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى** مرجع سابق ـ ص ٢٣٩ ٠ وأيضا أحمد أمين : **ضحى الاسـلام** ـ مرجـع سـابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٠٥ ٠

(٥٣) أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ص ١١١ ٠

(٥٤) أحمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٥٧ ٠

(٥٥) يوسـف خليف : **حيـاة الشـعر فى الكوفة** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٠٥ ـ ٧٠٦ ٠

(٥٦) المصـدر السـابق : ص ٦٨٤ ٠

بقــاء الامام فيها مدة سنتين ، اشتغل فيها بالعلم والتعليم ، وكان المسجد مكانه الذى يلقى فيه دروســه على تلاميذه ومريديه · وذات مرة شــوهد الامام الصادق فى مسجد الكوفة بين خلق كثير من الشيعة يعظهم(٥٧) · وهكذا كان مسجد الكوفة مسرحا لعلماء الشيعة وفقائهم · فكان عبد الله العبـدى « قارئا يقـرىء فى مسـجد الكوفة ، لــه كتــاب يرويه عدة من أصحابنا »(٥٨) · وكان اسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكوفى يدرس فى مسـجد الكوفة ، روى شريك ، عن سـلم بن عبد الرحمن ، قال « مر ابراهيم النخعى بالسدى ، وهو يفسر لهم القـرآن ، فقال : أما أنه يفسر تفسير القوم ، روى عنه الشعبى مات سنة سبع رعشرين ومائة » ··· ورمى الســدى بالتشيع(٥٩) · وكان برير بن خضير سيد القراء ، وكان يعلم الناس القرآن فى المسجد وقد استشهد مع الامام الحسين بن على ، ولهذا قال أحدهم عندما أراد أن يحمل عليه كعب بن جابر : « ان هـــذا برير بن خضير القارىء الذى كان يقرئنا القـرآن فى المسـجد »(٦٠) · بالاضافة الى وجود مساجد أخرى فى الكوفة كان يدرس فيها علماء الشيعة· فكان عمرو بن عبد اللــه بن على الكوفى الهمدانى من أعيان التابعين ··· وكان من ثقات على بن الحسين (ع) ··· وكان له مسجد معروف بالكوفة قرأ ابن عســاكر فيه الحديث ، وكان هو وأولاده يدرســون فيه الحديث ، توفى سنة ١٢٧ هـ(٦١) وكان للفراء مسجد بجانب منزله يجلس فيه للناس ليعلمهم العلم(٦٢) · الى غير ذلك من العلماء الذين تصدروا للتدريس فى مســاجد الكوفة ، خصوصــا المســـجد الجامع ، منهم أبان بن تغلب ، وعبد الرحمــن بن خراش الحــافظ ، وعبد الــرازق بن همـــام ، وشريك ابن عبد اللــــه النخعى ، وهشــام بن الحكم ، وحمران بن أعين ، وغير

---

(٥٧) عبـد اللــه فيــاض : **تاريخ التربية عنـد الامامية** ـ مرجـع ســابق ـ ص ٦٦ ·

(٥٨) المصـدر الســابق : ص ٦٦ ·

(٥٩) الـذهبى : **ميـزان الاعتـــدال** ـ مرجـع ســابق ـ ج ١ ـ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ·

(٦٠) الخطيب البغـدادى : **تاريخ بغـداد** ـ مرجع سابق ـ ج ٥ ـ ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣ ·

(٦١) عباس القمى : **الكنى والالقاب** ـ مرجع سابق ج١ ـ ص ٤ـ٥ ·

(٦٢) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ ج ٥ ـ ص ٢٢٨ ·

هؤلاء من شيوخ الشيعة(٦٣) . روى الصدوق أن على بن العباس قال : « حدثنا القاسم بن الربيع الصحاف عن محمد بن سنان ، وحدثنا على بن أحمد بن عبد الله البرقى ، وعلى بن عيسى المجاور ، فى مسجد الكوفة »(٦٤) .

جامع الأزهر :

منذ أن قدم جوهر الى مصر ، ومعه عساكر مولاه المعز لدين الله ، أنشأ تلك المدينة ، وأطلق عليها « المنصورية » وذلك فى عام ٣٥٨ هـ ، وعندما انتقل المعز لدين الله الفاطمى من القيروان الى مصر ، للاقامة بها سنة ٣٦٢ هـ غير سم المدينة وسماها « القاهرة » المعزية نسبة اليه(٦٥) . ولما كان أول ما ينشأ فى مدينة اسلامية انما هو الجامع الذى يجتمع فيه المسلمون لصلاتهم وادارة شئونهم ، وما يتعلق بشعائر دينهم ، أنشأ جوهر الأزهر فى طليعة ما أنشأ ليكون مجلسا لهذا المظهر الدينى(٦٦) . وكان بناء الأزهر سنة ستين وثلثمائة للهجرة(٦٧) .

ومن خصائص الأزهر انه بدأ كغيره من المساجد لاقامة الشعائر الدينية ، ولم يلبث أن أصبح جامعة يتلقى فيها طلاب العلم ورواد المعرفة من كل مكان مختلف العلوم والفنون . ففى سنة ٣٧٨ هـ أشار الوزير يعقوب بن كلس على الخليفة العزيز بتحويل الأزهر الى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية ، وسرعان ما أصبح الأزهر جامعة علمية تضم طلاب العلم من كافة أرجاء البلاد الاسلامية . وقد عمل الخليفة العزيز ومن جاء بعده من الخلفاء على تقديم كل ما يحتاجه الطلاب ، كما وفروا لهم وسائل المعيشة وأسباب الراحة من غير أجر . وقد زاد فى بناء هذا الجامع كثير من الخلفاء والأمراء ، وأنشأوا فيه مساكن للطلاب تحيط

---

(٦٣) انظر الفصل الخامس مراكز العلم من هذا البحث .
(٦٤) عبد الله فياض : **تاريخ التربية** ــ مرجع سابق ــ ص ٦٦ .
(٦٥) محمد كامل الفقى : **الأزهر وأثره فى النهضة الأدبية الحديثة** ــ القاهرة ــ المطبعة المنيرية ــ ١٩٥٦ ــ ج ١ ــ ص ٨ .
(٦٦) المصدر السابق : ص ٨ .
(٦٧) المقريزى : **الخطط** ــ مرجع سابق ــ ج ٣ ــ ص ١٠٥ .

بالمقصورة والصحن من الجهات الأربعة ، كما حبسوا عليه كثيرا من الأوقاف(٦٨) ٠

ويعتبر جامع الأزهر ، أكبر جامعة دينية وثقافية طوال العصور الوسطى يقول المقريزى : « هذا الجامع أول مسجد أسس بالقاهرة »(٦٩) ٠ وقد أنشأه الفاطميون لنشر وتدريس المذهب الشيعى ، حتى لا يزعجوا أهل السنة بدراسة المذهب فى المساجد(٧٠) ٠ ولهذا فقد كان عامرا بتلاوة القرآن الكريم وتلقينه ودراسته والاشتغال بالتفسير والحديث وعلم الفقه والنحو والبلاغة(٧١) ٠ ففى صفر سنة ٣٦٥ هـ جلس قاضى القضاة أبو الحسن على بن النعمان بالجامع الأزهر ، فقرأ مختصر أبيه فى فقه آل البيت فى جمع حافل من العلماء والكبراء ، فكانت هذه أول حلقة للدرس تعقد بجامع الأزهر(٧٢) ٠ وفى سنة ٣٧٨ هـ عين العزيز بالله بالأزهر جماعة من الفقهاء ، وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها ، ويعتبر هؤلاء أول فوج من الأساتذة الرسميين الذين عينوا بالجامع الأزهر ، وقد باشروا مهمتهم العلمية تحت اشراف الدولة بطريقة مستقرة ومنظمة(٧٣)٠

ويبدو أن الوزير ابن كلس كان له الدور الأكبر فى تحويل جامع الأزهر الى معهد للدراسة المنظمة ، وهو فيما يظهر أول من فكر فى تنفيذ هذا المشروع الجامعى العظيم ٠ ولهذا سأل ابن كلس الخليفة العزيز بالله فى أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه ٠ وقد رتب لهم العزيز أرزاقا وجرايات حسنة ، كما أنشأ لهم دارا يسكنون فيها بجوار الأزهر(٧٤) وكان ابن كلس نفسه أحد أساتذة

---

(٦٨) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣٦ ٠

(٦٩) المقريزى : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٥٦ ٠

(٧٠) أحمد مجاهد مصباح : **تاريخ الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٦ ٠

(٧١) الابراشى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٨ ٠

(٧٢) المقريزى : **الخطط ـ مرجع سابق** ـ جـ ٣ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ٠

(٧٣) حسن الأمين : **الأزهر** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٦٦ ٠

(٧٤) أحمد عبد الرحمن عبد اللطيف الجاحد : **الاتجاه الاسلامى عند بعض مفكرى التربية فى مصر وأثره فى التطبيق التربوى من ١٨٠٥ـ١٩٥٢** =

هـذه الجامعة ، ففى رمضان سنة ٣٦٩ للهجرة ، جلس أبو الفرج يعقوب ابن كلس فى صحن الجامع الأزهر متصـدرا حلقة العلم ، وقرأ على الناس كتابه المعروف باسم « الرسالة الوزيرية »(٧٥) . والى جانب ابن كلس كان جهابذة العلماء من بنى النعمان ، ومن أشهر ما قدمه هؤلاء الى مريديهم ومحبى الاستماع الى حلقـات دراسـتهم بالجامع الأزهـر كتاب « دعائم الاسلام فى الحلال والحرام والقضايا والأحكام — من أهل بيت رسول اللـه صلى اللـه عليه وآله — وقد كتبه النعمان(٧٦) . وهكذا كان جامع الأزهر مكانا للدراسات والأبحاث العلمية ، وظل من ذلك التاريخ حتى العهـد الحاضر من أكبر الجامعات فى العالم الاسلامى(٧٧) .

وقد كانت الصبغة المذهبية تغلب على الدراسة بالأزهر ، ولا سيما فى بداية عهدها ، وكان من الطبيعى أيضا أن تحتل علوم الشيعة الفاطمية وفقه آل البيت من حلقاته الدينية المقام الأول . بيد انه يمكن أن يقـال من جهة أخرى أن هـذه الصبغة المذهبية لم تكن مطلقـة ، ولم تكن لزاما على الطلاب ، بالرغم من تمسكها بصبغتها المذهبيـة العميقـة ، لم تحاول أن تجرى على سياسة الارغام فى طبع الشعب بطابعها ، بل كانت تلجأ فى ذلك الى سياسة الوفق والتسامح ، ولنا فى ذلك دليل فى المرسوم الدينى الذى أصدره الحاكم بأمر اللـه وهو من غلاة الخلفاء الفاطميين — كما يقال — ففى سنة ٣٩٨ هـ — ١٠٠٨ م ، وفيه يقرر بعض الأحكام ويفسرها ، على أثر ما وقع بين الشيعة وأهل السنة من خلاف فى فهمها ، ويحاول أن يوفق فى ذلك بين المذاهب المختلفة ، وقد جاء فيه كما فى كتاب العبر لابن خلدون :

— يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون ، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون ومفطرون ، صلاة الخميس للذين بها جاءهم

(٧٥) [illegible] تاريخ الأزهر فى ألف عام — القاهرة — المكتبة الصحافة الدولية — ١٩٦٨ — ص ١٠٢ .

(٧٦) [illegible] رسالة دكتوراه الفلسفة فى التربية [illegible] مطبوعة [illegible] قسم أصول التربية [illegible] جامعة المنوفية [illegible] ١٩٨٣

(٧٧) أحمد شلبى [illegible] التربية الاسلامية [illegible]

فيها يصلون ، وصلاة الضحى وصلاة التراويح لا مانع منها ولا هم عنهـا يدفعون ، يخمس فى التكبير على الجنائز المخمسون ، ولا يمنع من التكبير عليها المربعون ، يؤذن بحى على خير العمل المؤذنون ، ولا يؤذى من بهـا لا يؤذنون ٠٠ »(٧٨) ٠

هـذا وكانت الدراسة فى جامع الأزهر حرة تدرس فيها علوم السنة الى جانب علوم الشيعة ، فمن الواضح اذن أن الدراسـة بالأزهر كانت حتى فى الوقت الذى يشتد فيه تيار الدعوة المذهبية ، تحظى دائما بقسط من الحرية يزيد أو ينقص وفقا للظروف والأحوال ٠ وهـذه علامة مضيئة فى تاريخ الدولة الاسـلامية حيث تبنت الدولة الفاطميـة تدريس غير مذهبها ، وأطلقت الحرية لكل المذاهب ، ولم تضطهد من لا يقول بقولها ، فكان للمالكية خمس عشرة حلقة ، وللشافعية مثلها ، ولأصحاب أبى حنيفة ثلاث ، وهـذا من أعظم مفاخر هـذه الدولة كما يقول مصطفى مشرفة(٧٩) ٠

يقول : Stanley Lane Pool وهو يتحدث عن الأزهر : « وفى الأزهر يجتمع جمهرة من الطلاب قدموا من البلاد المختلفة فى العالم الاسلامى ، ابتداء من الساحل الذهبى حتى جزر الملايو ، وقد جـدد رواق خاص لكل قطر من الأقطار ويتلقى الطلاب دروسهم من شيوخ أجلاء ورعين ٠٠ وليس التعليم بالمجان فحسب ، بل ان الطلاب يتلقون جرايات وأطعمة من أوقاف معينة تسد حاجتهم ، فالأزهر مثل نموذجى لمجانية التعليم ، تلك المجانية الممنوحة لجميع الطلاب على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم من غير أى تمييز لعنصر أو طبقة من الطلاب » ٠ وهـذا فى المعهد الفاطمى(٨٠) ٠ ولهـذا أطلق العزيز بالله للفقهاء والعلماء رزقا يكفى كل واحـد منهم وأمر لهم بشراء دار وبنائها ، فبنيت بجانب الجامع الأزهر ، فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع ، وتحلقوا فيه بعد الصلاة الى أن تصلى العصر(٨١) ٠

---

(٧٨) حسن الأمين : **الأزهر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٧٠ ـ ٧١ ٠ نقلا عن ابن خلدون فى كتاب العبر ـ جـ ٤ ـ ص ٦٠ ٠

(٧٩) المصدر السابق : ص ٧١ ٠ وانظر المقريزى : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٧٩ ٠

(٨٠) أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٩٦ ٠

(٨١) المصدر السابق : ص ٣٦٨ ، وأيضا المقريزى : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٥٧

كما جعل الرواتب لكل من يعمل بجامع الأزهر من الفراشين والنساخ والكتاب والفقهاء وغيرهم ممن يعمل فى الجامع ، ولكل أعطياته الخاصة (٨٢) ٠ فلما جاء الحاكم عمد الى الأوقاف يعينها للانفاق من ريعها على المساجد ، فقد أوقف على الجامع الأزهر ، أوقافا عظيمة ذكرها فى سجل أشهد عليه قاضى القضاة مالك بن سعيد ، وقد أكد الحاكم أن هذه الوقفية دائمة للأبد لا يوهنها تقادم السنين(٨٣) ٠

وهكذا استمر الجامع الأزهر يزداد شهرة فى الآفاق ، يقصده طلاب العلم من جميع البلاد الاسلامية لتعلم العلوم الشرعية والعقلية والنقلية على أيدى كبار العلماء والمتفرغين للدراسة والتعليم ٠ وقد ازداد الاقبال عليه من المصريين وأهل الحجاز واليمن والشام والسودان والمغرب وبغداد ، والتحق به الطلاب من جميع المذاهب الاسلامية للتبحر فى العلوم الفقهية وغيرها ، وظهر فيه طلبة بارعون ، وعلماء عاملون ٠ فهو الجامع الذى جمع الطلبة – كما يقول الابراشى – من جميع أنحاء العالم الاسلامى ، وهو الأزهر ، والجامعة الاسلامية الكبرى(٨٤) ٠

ويعتبر أبو على بن الهيثم من أكابر العلماء فى مصر فى الفترة موضوع البحث ٠ وكان ابن الهيثم بصريا وأحد علماء الشيعة ، ثم انتقل الى مصر فى أيام الحاكم بأمر الله ، وأقام بها الى آخر عمره ، وقد برع فى الرياضيات والطبيعيات ، وله مشاركة فى الطب ٠ وقد أتى مصر باستدعاء الحاكم ٠ وكان ابن الهيثم مصدر حركة فلسفية كبيرة ، وخاصة فى الطبيعيات والرياضيات ، وكان لا يهمه المال أو الجاه ، بجانب ما يهمه العلم والوقوف على الحقيقة ، قال فى كتبه : « انى لم أزل منذ عهد الصبا مرويا فى اعتقادات هذا الناس المختلفة ، وتمسك كل فرقة منهم بما تعتقده من الرأى ، فكنت متشككا فى جميعه ، موقنا بأن الحق واحد ، وان الاختلاف فيه انما هو من جهة السلوك اليه ، فلما كملت لادراك الأمور

---

(٨٢) المقريزى : المصدر السابق – ص ١٥٨ – ١٥٩ ٠

(٨٣) المصدر السابق : ص ١٥٧ ٠ وأيضا أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** – مرجع سابق – ص ٣٦٨ ٠

(٨٤) الابراشى : **التربية الاسلامية** – مرجع سابق – ص ٧٨–٧٩ ٠

العقلية انقطعت الى طلب معدن الحق ، ووجهت رغبتى وحرصى الى ادراك ما به تنكشف تمويهات الظنـون ، وتنقشع غيابات المتشكك المفتون » ٠

وقد ألف ابن الهيثم فى مختلف العلوم الانسانية ، وبلغت كتبه التى ألفها نحو مائتى كتاب فى الرياضيات والطبيعة والفلسفة ٠ ظلت ــ كما يقـول أحمد أمين ــ عماد الناس فى الشرق والغرب ، وخاصـة كتاب « المناظر » وما زال يؤلف ويلخص ويشرح فى حركة دائبـة مسـتمرة ، وقـد مات سنة ٤٣٠ للهجرة بعد ما ملأ الدنيا تآليف فى الهندسة والحساب والفلك والمساحة ومنطق آرسطو ، وكتابه فى الشعر والنفس وفى الطب ، وفى البصر ، ووقوع الأبصار به ، والضوء والبصريات ، والمرايا المحرقة يعكس على عمله هـذا فى قبة على باب الجامع الأزهر(٨٥) ٠ وبمثل ابن الهيثم وغيره كانت تزدهر جامعـة الأزهـر ٠

وهكذا لعب الأزهر دورا كبيرا فى نشر العلوم والمعارف الانسانية ، حتى « كان مركز الاشعاع الدينى ، وظل الأزهر من سنة الانتهاء من بنائه ٣٦١ هـ « الى اليوم يؤدى دوره فى الدعوة الاسلامية ٠٠٠ وكان الخلفـاء الفاطميون يزيدون فى عمارته ، حتى وصلت أعمدته ٣٧٥ عمودا التفحولها طلاب العلم ممن جاءوا يستمعون الى ما يدرس عن مذهب الفاطميين ، والى الفلسفـة والمنطـق والطب والرياضـيات ٠ ووفـد اليه طـلاب من المشرق والمغرب ، قسموا الى طوائف ، وكان لكل طائفة رواق يعرف بهم »(٨٦) ٠

وكان فى مصر فى العهد الفاطمى مساجد أخرى كثيرة تمتلىء بالشباب ورواد العلم والمتعلمين ، يفيضون حماسة للدرس ، ويقبلون على دراسـة علم جـديد ، يمتزج فيه تراث كل الشعوب القـديمة ، وربما فسر نشـأة المؤسسات التى عرفها الشرق الاسلامى(٨٧) ٠

وكان لجامع عمرو نصيب موفور من عناية الفاطميين ، فقـد ظل محتفظا

---

(٨٥) أحمـد أمين : **ظهـر الاسـلام** ــ مرجع سـابق ــ جـ ١ ــ ص ٢٠٣ ــ ٢٠٤ ٠

(٨٦) سعد مرسى أحمد : **تطور الفـكر التربوى** ــ مرجع سابق ــ ص ٢١٣ ــ ٢١٤ ٠

(٨٧) خوليان ريبيرا : **التربية الاسـلامية فى الاندلس** ــ مرجـع سـابق ــ ص ٢٦٠ ٠

بنشاطه العلمى فكانت حلقاته العلمية والأدبية تعقد بانتظام ويشهدها كثير من الأساتذة والطلاب والأدباء · بالاضافة الى جامع الحاكم بأمر الله الذى أسسه أبوه العزيز بالله ، وكان ـ عدا هذه المساجد الجامعة الكبيرة ـ مساجد أخرى كثيرة فى المدن المصرية المختلفة التى أنشأها الفاطميون ، وكان التعليم بها شاملا وان كان يقل نشاطا عن التعليم فى الجامع الأزهر أو جامع عمرو(٨٨) ·

وكانت المساجد فى العصر الفاطمى مثابة للعلماء ، وخاصة فقهاء المذهب الشيعى(٨٩) · وكان للمعلمين فى المساجد فى العصر الفاطمى مقام اجتماعى رفيع ، وكرامة واحترام كبير عند عامة القوم وخاصتهم ، فقد خرج المعز والحزن باد عليه يوم وفاة النعمان بن محمد سنة ٣٦٢ هـ ، وصلى عليه وأضجعه فى قبره بنفسه وفر الحاكم للقاء ابن الهيثم يوم وصل الديار المصرية وأمر بانزاله واكرامه واحترامه(٩٠) ، وكان قاضى القضاة من الشيعة الامامية الاثنى عشرية(٩١) وكذلك ابن الهيثم(٩٢) ·

ثالثا ـ منازل العلماء والأمراء :

من مميزات النظام التعليمى فى الاسلام ، انه لم يتقيد بمكان معين فى نشر الثقافة والتعليم ، فكانت تعقد الحلقات العلمية فى بيوت العلماء وقصور الخلفاء والأمراء ، ويحضرها الطلاب والراغبون فى العلم للتعليم والتعلم(٩٣) كما كانت بعض الدور تعتبر بمثابة مؤسسات علمية متخصصة يتوافد اليها طلاب العلم المتخصصون فى فرع من فروع

---

(٨٨) عبد الوهاب حمودة : **فضل المسجد على الثقافة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٤٢ ·

(٨٩) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٦ ·

(٩٠) عبد الوهاب حمودة : **فضل المسجد على الثقافة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ·

(٩١) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٤١ · وأيضا اغابزرك الطهرانى : **الذريعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١٠ ·

(٩٢) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ١٠٧ـ١٠٨ ·

(٩٣) محمد عطية الابراشى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٥ ·

المعرفة من كل مكان(٩٤) ٠

وقد اتخذ أئمة الشيعة وشيوخهم منازلهم مكانا للدرس والتعليم ، فكان منزل الامام على بن الحسين يزدحم فيه طلاب العلم والوافدون عليه من كل مكان حيث يلتف حوله طلاب العلم والمعرفة(٩٥) ٠ وكذلك كانت دار الامام محمد الباقر ٠ يقول أبو زهرة : « فكان مقصد العلماء من كل بلاد العالم الاسلامى ، وما زار أحد المدينة الا عوج على بيت محمد الباقر يأخذ عنه »(٩٦) ٠ ويحكى لنا المفضل بن عمر الجعفى أحد تلاميذ الامام الصادق ، ان الامام كان يلقى دروسه على تلامذته وشيعته فى جميع الفنون الاسلامية فى داره(٩٧) ٠ حتى أصبحت تشبه الجامعة من كثرة من يؤمها من طلاب العلم ورواد الحديث من الأقطار النائية ليأخذوا عنه الفقه والتفسير والحكمة والكلام والأدب(٩٨) ٠ يقول أبو زهرة : « وهناك فى بيته فقه مستقى من فقه آل البيت وما عندهم من أحاديث رسول الله (ص) »(٩٩) ٠ وذات مرة روى أحد تلامذة الامام الصادق أنه زار امامه فى منزله ، فقال له الامام : « أمعك شىء تكتب ؟ قال : نعم ٠ قال أكتب ٠٠ »(١٠٠) ٠ وكان الامام على بن موسى الرضا يملى على تلاميذه فى داره ، فقد جاءه محمد بن زيد فأملى عليه(١٠١) ٠

ولم ينفرد أئمة الشيعة بالتعليم فى المنازل ، بل كان شيوخ الشيعة

---

(٩٤) عبد الغنى عبود : **فى التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٣ ٠

(٩٥) محمد باقر الصدر : **على بن الحسين زين العابدين** ـ دائرة المعارف الشيعية ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٦٦ ٠

(٩٦) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨٨ ٠

(٩٧) **آمالى الصادق** : مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٨ ٠

(٩٨) محمد الخليلى : **امالى الصادق** ـ مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص ٠ ص ١٦١ ـ ١٦٢ ٠

(٩٩) أبو زهرة: **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص٠ص٩٩ـ١٠٠.

(١٠٠) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٥ ٠

(١٠١) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٤٠ ٠

أيضا يعلمون فى منازلهم • فكان منزل الشيخ المفيد ندوة عامرة بحديث الفقه والكلام والنقاش والأخذ والرد ، وكان الفقهاء والمتكلمون يقصدونه من أقطار بعيدة • يقول العلامة الحلى : « من أجل مشايخ الشيعة ورئيسهم وأستاذهم وكل من تأخر عنه استفاد منه •• »(١٠٢) •

وكانت دار السيد المرتضى دار علم ومناظرة(١٠٣) • « فكان منزله دارا للضيافة ، ومدرسة للتعلم والمدارسة ، ينقطع فيه التلاميذ والطلاب والمريدون ، ويستروح فى رحاله الوافدين من شتى الجهات •• بل انه جعل للكثير من تلامذته مرتبات منظمة ، وحبوسا موقوفة عليهم •• »(١٠٤). وما كتابه الامالى الا مجالس أملاها على طلابه فى داره(١٠٥) • ولما فصل الفصيحى من النظامية فان أفواجا من المتعلمين راحوا يقصدونه فى داره ليواصلوا القراءة عليه(١٠٦) •

ولعل أهم دار استخدمت فى التعليم عند الشيعة هى دار محمد ابن مسعود العياشى ، وكانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قار ، أو معلق مملوءة بالناس ويقول ابن داود الحلى ان محمد بن عمر الكشى من غلمان العياشى •• وصحب العياشى وأخذ عنه وتخرج عليه فى داره التى كانت شريعة للشيعة وأهل العلم(١٠٧) وقد مارس التدريس بنفسه وتخرج عليه كثير من التلاميذ حيث كان له مجلسان للدرس مجلس للخاص ، ومجلس للعام(١٠٨) • بالاضافة الى دار الشيخ الطوسى ، حيث فتح داره لتلاميذه ومريديه ، وكان يتمتع بمنزلة عالية عند الشيعة وغيرهم ، حتى

---

(١٠٢) انظر **مقدمة كتاب بحار الأنوار للمجلسى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٧١ •

(١٠٣) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٨ •

(١٠٤) محمد أبو الفضل ابراهيم : **مقدمة كتاب الامالى للشريف المرتضى** ـ مرجع سابق ـ ص ٨ •

(١٠٥) المصدر السابق : ص ٢٠ •

(١٠٦) أحد شلبى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٠ •

(١٠٧) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٧ •

(١٠٨) المصدر السابق : ص ٧٧ •

ن الخليفة القائم بأمر اللـــه جعل له كرسى الوفادة ، ولكنه انتقل الى النجف بعـــد أن كبست داره وأخـــذت دفـاتره وكرسى كـان يجلس عليه للتدريس(١٠٩) ٠

وهناك دور الأمراء من الشيعة التى كانت تموج بالعلم والعلمـاء ، منهـا قصر سـيف الدولة الحمدانى ، الذى كان يحظى بالعلماء والأدباء الشعراء والفلاسـفة و « لو لم يحظ بغير المتنبى يغرد فيه لكفى لتخليده رفع شأنه »(١١٠) ٠ ولهـذا كان بلاطه أزهى بلاط فى عصره ٠ يقـول لخوارزمى ، حنينا لأيام قضاها فيه : « قـد رأيت فى هذه الحضرة « حضرة بى محمد العلوى باصبهان » أقواما كنت شاهدتهم على باب سيف الدولة منهل الصفا عذب ، وعود الشباب رطب ، وذكرت بهم مآرب هنالك وأياما سلبتها سـلبا ، ونزعت من يـدى غصـبا ، ودهـــرا كأنى كنت تطعه وثبا »(١١١) ٠

وقد ضم بلاط سيف الدولة أكبر علماء النحو فى عصرهم ، وكانوا من لشيعة(١١٢) وهم أشـــهر اللغويين والنحويين فى ذلك الزمان ، منهم بو على الفارسى ، وابن جنى ، وابن خالويه ، فأما أبو على الفارسى فكان كبر نحوى عالم بالعربية فى زمنه ، ويعـد هو وتلميذه ابن جنى مؤسسى درسة فى النحو والصرف ٠ وقد رحل أبو على الى حلب سنة ٣٤١ هـ ، نزل فى بلاط سيف الدولة وشارك فى اجتماعاته الأدبيـة وكان بينه وبين لمتنبى مناظرات فى مسائل نحوية ولغوية(١١٣) ٠ كما كان المتنبى يلقى شعره شاديا فى قصر سيف الدولة ، والظاهر أن كرم سـيف الدولة ألف

---

(١٠٩) الأصـفى : **مقـدمة اللمعـة** ـ مرجع سـابق ـ ج ١ ـ ص ٥٩ ـ ٦٠ ٠

(١١٠) أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩١ ٠

(١١١) أحمد أمين : **ظهر الاسـلام** ـ مرجع سـابق ـ ج ١ ـ ص ١٨٠ ـ ١٨١ ٠

(١١٢) أنظر الفصل السابق ـ مدارس النحو من هـذا البحث ٠ أيضا أغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ١ ـ ص ١٨٥ ٠

(١١٣) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٨٥ ٠

حولـــه قلـوب أدباء عصره وعلمـــائه ، فهـرعوا اليـــه فى حلب حيث اتخـذها مقرا له(١١٤) ٠

ثم خطا الفاطميون فى هـذا المجال خطوات أوسـع ، وأنشـأوا فى قصورهم مدارس خاصة يلتحق بها أولاد علية القوم وسراتهم ، ويسـير المؤدبون فى تثقيف هؤلاء على منهج خاص يرمى الى اعدادهم لخدمة الدولة وشغل المناصب الرئيسية فيها(١١٥) ٠ بالاضافة الى المهمة الأولى التى من أجلها اتخذ الفاطميون من قصورهم مراكز لنشر الثقافة الشيعية خاصة ، وألحقوا بها مكتبات تحتوى على مئات الألوف من المصنفات(١١٦) ٠

وتعتبر دار الوزير الفاطمى يعقوب بن كلس من أعظم وأشـهر دور العلم فى ذلك الوقت ، فقد رتب فى داره العلماء من الأدباء والشـعراء والفقهاء والمتكلمين ، وأجرى لهم الأرزاق ، وألف كتابا فى الفقه ، ونصب له مجلسا يجتمع فيه الفقهاء وجماعة المتكلمين وأهل الجدل ، وتجرى بينهم مناظرات ، وكان يجلس فى يوم الجمعة فيقرأ مصنفاته على الناس بنفسه ، فاذا انقضى المجلس من القراءة ، قام الشعراء لانشاد مدائحهم فيه(١١٧) ٠ « وانه كان يجمع الاجتمـاعات الكبيرة فى بيتـه ٠٠٠ وكان يحضر هـذه المجتمعات القضاة والفقهاء وأساتذة القراءة والنحاة وعلماء الحديث وكبار رجال الدولة أصحاب المواهب الممتازة ٠٠٠ وكان يجمع فى قصره عـددا كبيرا من الموظفين ٠ يشتغل بعضهم بكتابة نسخ من القرآن ، وبعضهم ينسخ شـيئا من كتب الحديث والفقه والأدب وبعض كتب العلوم حتى الطب ٠٠ وجعل ابن كلس فى قصره جماعة من القراء والأئمة ، وعين لهم الرواتب ٠٠ »(١١٨) ٠ وكان يجلس عنده فى كل يوم الأطباء لينظـروا فى

---

(١١٤) سعد مرسى أحمد : **الفكر التربوى** ـ مرجع سابق ـ ص١٩٣
(١١٥) أحمد مجاهد مصباح : **تاريخ الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٧ ـ ٢١٨ ٠
(١١٦) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٤٢٣ ٠
(١١٧) المقريزى : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥٠
(١١٨) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٦ ٠

حال العلماء ، ومن يحتاج منهم الى علاج أو اعطـاء دواء ٠٠٠ »(١١٩) ٠ وكان اذا جلس لقراءة كتابه فى الفقــه الذى سـمعه من المعز والعـزيز ، لا يمنع أحدا من مجلسه ، فيجتمع عنده الخاص والعام(١٢٠) ٠

ومما تجدر الاشارة اليه أن الشيعة لم يتخذوا دورهم مكانا للتعليم كيفما اتفق ، بل يوجد هناك موضع فى الدار نفسها يتخذ للصلاة والتدريس ويسمى هـذا الموضع مسجدا ٠ قال أحدهم « دخلت على جعفر بن محمد عليه السـلام فى منزله فاذا هو فى بيت كذا فى مسجد له وهو يدعو ٠٠٠ فقلت له جعلنى اللـه فداك ٠٠ فمن ولى الناس بعدك ٠٠ »(١٢١) ٠ وهكذا اتخذ الشيعة من منازلهم أماكن للتعليم ، حيث كانت هـــذه المنازل ذات أهمية كبيرة عند الشيعة حينذاك ، لأن التعليم كان يجرى فى أكثر الأحيان ، فى بيوتهـم خوفـا من رقـــابة السـلطان ، ما عـــدا الفترة البويهيـة والفترة التى حكم فيها الفاطميون فى مصر ٠

رابعـا : مجالس العـلم والعلمـاء :

شجع أئمة أهل البيت أصحابهم وتلامذتهم على الجدل والمناظرة ، وأمدوهم بالحجج والبراهين وأســاليب الدفاع ٠ قال الامام الصـادق لعبد الرحمن بن الحجاج البجلى : ناظر أهل الآراء والبدع فانى أحب أن يروا فى شيعتى مثلك ٠ وبلغ من عنايتهم بهـذه الناحية أنهم كانوا يعقدون مجالس للمناظرة فيما بينهم للتدريب على مناظرة الخصوم٠فقد روى الكشى أن جماعة من أصحاب الامام الصادق منهم جميل بن دراج ، وعبد الرحمن ابن الحجاج وجماعة يبلغون نحوا من خمسة عشر رجلا أو يزيدون ، اقترحوا على هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم فى التوحيد وصفات اللـه سبحانه وكلاهما من البارزين من أصحاب الامام الصادق (ع) فى الفقـه والكلام والفلسفة ، فعقدوا مجلسـا لهـذه الغـاية ، وكان مجلس الامام

---

(١١٩) المقريزى : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٩٥ ٠
(١٢٠) المصـدر السـابق : ص ٢٩٦ ٠
(١٢١) عبد اللـــه فيـاض : **تاريخ التربيـة عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٨ ـ ٧٩ ٠

الصـــادق من أهم مجالس الدرس التى كان يجتمع فيهـا التلاميذ ، وكان مجلسه مفتوحا لكل من يريد التفقه والتعلم فى شتى علوم الاسلام(١٢٢) .

ومن خصائص مجالس العلم والعلماء ، انها تقوم على الســؤال والجواب فى مختلف العلوم ، ولم تكن مخصصة لعلم من العلوم ، وانما كان المجلس الواحد يشتمل على علوم متعددة ، قال عطاء : « ما رأيت مجلسا أكرم من مجلس ابن عباس ، ولا أكثر فقها ولا أعظم هيبة ، أصحاب القرآن يسألونه وأصحاب العربية يسألونه ، وأصحاب الشعر يسألونه ، فكلهم يصدر من واد واسع »(١٢٣) .

ومن أهم المجالس العلميـة وأعظمهـا هـو مجلس محمـد بن عمر ابن الجعابى ، حيث كان يحضر مجلسه عشرات المئات من الطلاب والعلماء يأخذون منه العلم . قال الخطيب البغدادى : « ... وكان فى آخر عمره قد انتهى هـذا العلم اليه .. كان ابن الجعـابى يملى مجلســه فتمتلىء السكة التى يملى فيها والطريق .. »(١٢٤) .

ومن مجالس الشيعة مجلس الشيخ المفيد . يقـول الكامل لابن الاثير : « ... وكان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف »(١٢٤) ويقـول الاصـفى : « .. وكان يحضر مجلس درســه آلاف الطـلاب من الشـيعة والسـنة »(١٢٥) .

وهناك مجلس آخـر كان يمتلىء بالطلاب والعلمـاء ، وهو مجلس السيد المرتضى الذى انتهت اليه زعامة الشيعة بعد الشيخ المفيد ، وكان مجلسه عامرا بالعلم والعرفان فى كل فن من فنون العلم ، من فقه وحديث

---

(١٢٢) هاشم معروف الحسنى : **سـيرة الأئمة** ـ مرجع ســـابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٦٨ .

(١٢٣) الخطيب البغـدادى : **تاريخ بغـــداد** ـ مرجع ســـابق ـ جـ ١ ـ ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(١٢٣) المصـدر السـابق : جـ ٣ ـ ص ٢٨ .

(١٢٤) ابن الاثير : **الكامل فى التاريخ** ـ مرجع ســابق ـ جـ ٧ ـ ص ٣١٣ .

(١٢٥) الأصفى : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣ـ٥٤ .

وكلام وأدب(١٢٦) . وكان لمحمد بن مسعود العياشي « مجلس للخاص ومجلس للعام » . وكان للامام الرضا مجلس أيضا(١٢٧) .

ويعتبر مجلس أبى الفتح ابن العميد ، من أهم المجالس العلمية ، قال ياقوت : « .. ودخل بغداد فتكلف واحتفل وعقد مجالس مختلفة للفقهاء يوما ، وللأدباء يوما ، وللمتكلمين يوما ، وللمتفلسفين يوما ، ودخل شهر رمضان فاحتشد وبالغ ووصل ووهب فجرت فى هذه المجالس غرائب العلم وبدائع الحكمة ... قال أبو حيان : وحضرت المجلس يوما آخر مع أبى سعيد وقد غص بأعلام الدنيا وببرد الآفاق ... وبلغ المجلس أبا اسحاق فحضر وشكر وطوى ونشر وأورد وأصدر .. »(١٢٨) .

وكان مجلس ابن سعدان وزير صمصام الدولة يجتمع فيه ابن زرعة الفيلسوف ومسكويه صاحب تهذيب الأخلاق ، وأبو الوفاء المهندس الرياضى ، وابن حجاج الشاعر وأبو حيان التوحيدى(١٢٩) . « وكان هذا الوزير يباهى بمجلسه ويفخر به على مجالس الأمراء المعاصرين له »(١٣٠).

وفى أيام الفاطميين عقدت المجالس العلمية النشطة لنشر عقائد الشيعة مما ساعد على قيام مجالس لدراسة المذهب الشيعى ، وقوام هذه المجالس أساتذة بيت الحكمة الذين كانوا ينقسمون الى جماعات تبعا لتخصصهم ومواد دراستهم(١٣١) . فكانت هذه المجالس التى عقدها الفاطميون مجالس علمية صاخبة من حين الى آخر ، وكانت تتناول

---

(١٢٦) أنظر ترجمة السيد المرتضى من **كتاب بحار الأنوار للمجلسى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص . ص ١٢٣ ـ ١٢٥ .
(١٢٧) عبد الله فياض : **تاريخ التربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٠ .
(١٢٨) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص ٢١٣ ـ ٢١٤ .
(١٢٩) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٥٦.
(١٣٠) أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦١ .
(١٣١) محمد عطية الابراشى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٠ .

مختلف العلوم الاسلامية وغيرها(١٣٢) ٠ منها مجلس الوزير يعقوب بن يوسف بن كلس « وألف كتبا فى الفقه والقراءات ، ونصب له مجلسا فى داره يحضره فى كل يوم ثلاثاء ويحضر اليه الفقهاء ، والمتكلمون ٠٠٠ وكان يجلس فى يوم الجمعة أيضا ، ويقرأ مصنفاته على الناس بنفسه ٠٠»(١٣٣). «وكان داعى الدعاة يعقد المجالس ويقرأ على الناس مصنفاته فيحاضر الرجال فى الأزهر ، بل كانوا يعقدون فى بعض الأحوال مجلسا خاصا للنساء يسمى مجلس الدعوة »(١٣٤) ٠

أما مجلس سيف الدولة الحمدانى ، فقد كان مجلسا ممتازا ، حيث منح ذوقا وقدره على فهم الأدب وادارة الحديث فى المجالس واستخراج أفضل ما عند العلماء والأباء بالعطاء والتنافس(١٣٥) ٠ وكان أحمد بن محمد النامى أحد شعراء الشيعة يزدان به مجلس سيف الدولة ، يقول ابن خلكان : « وكان من الشعراء المفلقين ومن فحولة شعراء عصره ، وخواص مداح سيف الدولة بن حمدان ٠٠٠ وكان فاضلا أديبا بارعا باللغة والأدب وله آمال أملاها بحلب »(١٣٦) ٠ وهكذا كانت المجالس عامرة عند الشيعة بالعلماء والمتكلمين والفلاسفة وغيرهم من الأدباء والشعراء ٠

خامسا : دور العلم :

اتسعت الحركة العلمية فى جميع أنحاء العالم الاسلامى اتساعا مذهلا خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ، مما أدى الى ضيق المساجد بالطلاب ورواد العلم والمعرفة ، لذا سارع المسلمون الى انشاء دور للعلم ومعاهد للدراسة فى كثير من المناطق الاسلامية ٠ وكان الشيعة من المساهمين فى انشاء هذه المعاهد العلمية التى تعتبر النواة الأولى للمدارس التى أنشئت بعد ذلك بفترة غير قصيرة ٠

---

(١٣٢) أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٤ ٠
(١٣٣) المقريزى : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦٠
وأنظر سعيد اسماعيل على : **معاهد التعليم الاسلامى** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٥ ٠
(١٣٤) سعيد اسماعيل على : المصدر السابق ـ ص ١٠٣ ٠
(١٣٥) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٨٠ ٠
(١٣٦) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص١٠٧٠

وقد لعبت هـذه المعاهد وبالخصوص دور العلم دورا مهما وبارزا فى انعـاش الحركة العلميـة والفكرية ، حيث تقوم هـذه الدور بمهمـة تعليمية ، لا سيما ان بعض روادها يقصـدونها من أماكن بعيدة ويقيمون فيهـا مدة طويلة ، وان القائمين على تلك الدور وما تحتـويه من خزانات يسهمون بنفقات أولئك الرواد(١٣٧) ٠

ومن أهم معاهد العلم التى أسسها الشيعة فى بغداد ـ دار العلم ـ ففى سنة٣٨٣ للهجرة : « ٠٠ بنى أبو نصر سابور بن أردشير ببغـداد دارا للعلم ووقف فيها كتبا كثيرة على المسلمين المنتفعين بها »(١٣٨) قال الحافظ بن كثير فى البداية والنهاية : « وأظن أن هـذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء ، وكانت قبل النظامية بمدة طويلة »(١٣٩) ٠ وكان فيها أكثر من عشر آلاف مجلد ، وقد نقل اليها أبو نصر سابور كتبا كثيرة اشـتراها وجمعها ، وكان بها مائة نسخة من القـرآن الكريم بأيدى أحسن النساخ ، ولم تكن فى الدنياأحسن كتبا منها كلها بخطوط الأئمة المعتبرة ، وقد أناط أمر هـذه الدار ومراعاتها والاحتياط عليها الى رجلين من العلويين يعاونهما أحـد الفقهاء(١٤٠) ٠

وكانت دار العلم هـذه مركزا ثقافيا كبيرا للبحث والدراسة والاطلاع يجتمع فيها رواد العلم للمناظرة والمحاورة والمجادلة ٠ وكان الفيلسـوف الكبير أبو العلاء المعرى لا يتركها ولا ينقطع عنها اذا ذهب الى بغـداد ، كما كان معظم العلماء والأدباء والفلاسفة يقفون ما عندهم من النسـخ والكتب التى يملكونها أو يؤلفونها لدار العلم ببغداد لتخليدها(١٤١) ٠ كما كانت الدار محط الأنظار يقصدها الأدباء والشعراء والعلماء والفلاسفة

---

(١٣٧) حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سـابق ـ ص ٤١ ٠

(١٣٨) ابن الاثير : **الكامل فى التاريخ** ـ مرجع سـابق ـ ج ٧ ـ ص ١٦٢ ٠

(١٣٩) أنظر الهامش من المصدر السابق ـ ص ١٦٢ ٠

(١٤٠) آدم متز : **الحضارة الاسـلامية** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٣١١ ـ ٣١٢ ٠

(١٤١) محمد عطية الابراشى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٩ ٠ وأيضا أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٨.

من كل صــوب حيث كانوا يتبارون فى ايداع نسخة من أصــول كتبهم فى الدار »(١٤٢) ٠ وكانت هــذه المؤسسة التى أنشأها سابور أول مؤسسة شـــيعية أطلق عليهــا اســـم دار العلم ٠ كما يراه الدكتــور ســـعيد اسماعيل على(١٤٣) ٠

وكانت دار علم سابور ذات موارد كبيرة لكثرة الأوقاف التى وقفت عليها ٠ ومن المحتملكمايرى الدكتور فياض أن قسما من موارد هذه الأوقاف يصرف لأغراض تعليمية لأن الأصل فى الوقف أن يكون لأغراض دينية وان تعليم علوم آل البيت وتعلمها من أهم الأغراض المذكورة ٠ بالاضافة الى أن الدار المذكورة نشأت فى عصر أخــذ التعليم فيه ينتقل من المساجد الى المؤسسات الجديدة مثل دور الكتب ودور العلم ، فيكون اسهامها بالتعليم من الأمور المحتملة ٠ وللأستاذ كوركيس عواد رأى يؤيد فيه وجود الوظيفة التعليمية لدار علم سابور ، يقول فيه أن تلك الدار كانت « موئلا للعلمــاء والباحثين ، يترددون اليها للدرس والمناظرة والمباحثة »(١٤٤) ٠ يقــول الدكتور شلبى : « وكانت خزانة سابور مركزا ثقافيا ممتازا يلتقى فيــه العلماء والباحثون للقراءة والدرس ٠٠٠ »(١٤٥) ٠ وهذا يؤكد على وجود التعليم فى دار العلم التى أسسها سابور ٠

ومن دور العلم التى أنشأها الشيعة ــ دار علم الشريف الرضى ــ حيث اتخذ الشريف (المتوفى عام ٤٠٦ هـ) دارا سماها دار العلم وفتحها لطلبة العلم ، وعين لهم جميع ما يحتاجون اليه(١٤٦) ٠ وكانت دار علم ودراسة ، كما كانت موضعا يسكن فيها طلبة العلوم ٠ فالشريف الرضى أسكن طلبة العلم الملازمين له هــذه الدار وعين لهم ما يحتاجون اليه ، وحدث

---

(١٤٢) ســعيد اســماعيل على : **معاهد التعليم الاســلامى** ــ مرجع سابق ــ ص ٢١٦ ٠

(١٤٣) المصدر السابق : ص ٢١٨ ٠

(١٤٤) عبد الله فياض **تاريخ التربية عند الامامية** ــ مرجع ســابق ــ ص ٩٣ ٠ وأيضا حسن الحكيم : **الشيخ الطوسى** ــ مرجع سابق ــ ص٠٤١٠

(١٤٥) أحمد شلبى : **التربية الاسلامية** ــ مرجع سابق ــ ص ١٨٨ ٠

(١٤٦) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ــ مرجع ســابق ــ جـ ١ ــ ص ٣١٢ ٠

أن أحـد الطلبة احتاج الى زيت للاضاءة ولم يكن الخازن حاضرا فاقترض الطالب زيتا من حانوت مجاور ، فلما سمع الرضى بذلك أمر فى الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ، ودفع الى كل منهم مفتاحا ليأخذ منها ما يحتاج اليه ولا ينتظر خازنا يعطيه • ومن هـذا يظهر أن دار علم الشريف الرضى كانت أقرب مؤسسة الى المدرسة التى كان الطلبة عادة يدرسون ويسكنون فيها • وكان فى دار علم الشريف عدد من الطلبة كانت نفقتهم على صاحب الدار(١٤٧) •

ولم تكن دار علم الشريف الرضى مدرسة فحسب ، بل كان يتبعها مخزن فيه جميع ما يحتاجه الطالب من الأمور المـادية ، وكانت تحتوى على خزانة للكتب حافلة عرفت بخزانة دار العلم ، وكانت الكتب فيها منظمة تنظيما حسنا(١٤٨) • وانه عندما اهدى لهم الوزير المهلبى هدية على كره من الشريف . لم يمد أحد من طلبته يدا الى شيىء منها ، وهو مكتفى المئونة غنى النفس صادق النية فى طلب العلم(١٤٩) • كما أن الشريف الرضى مارس عملية التعليم بنفسـه فى هـذه الدار ، حيث كان يلقى دروسـه ومحاضراته يوميا على طلابه فى هـذه المدرسة(١٥٠) •

أما دار الحكمة أو دار العلم التى أنشأها الحاكم بأمر اللـه الفاطمى سنة ٣٩٥ هـ فتعتبر من أعظم وأكبر دور العلم فى الفترة موضوع البحث ، فقد أنشئت هـذه الدار لتكون جامعة مستقلة • وكانت تعقد قبل ذلك بالقصر وأحيانا بالأزهر ، مجالس تسمى مجالس الحكمة ، وينظمها قاضى القضاه ، تقرأ فيها علوم آل البيت ويهرع الناس الى شهودها ، وتخصص فيها مجالس للخاصة ومجالس للعامة وأخرى للنساء ، ولكن الحاكم بأمر الله

---

(١٤٧) عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٣ ، ٩٤ وأيضا حسن الحكيم : **الشيخ الطوسى** ـ مرجع سـابق ـ ص ٤٧ • وأيضا باقر شريف القرشى ـ **النظام التربوى فى الاسـلام** ـ مرجع سـابق ـ ص ٢٣١ •

(١٤٨) حسن الحكيم : المصدر السابق ـ ص ٤٧ ـ ٤٨ •

(١٤٩) ، (١٥٠) أنظر ترجمة الشريف الرضى من **كتـاب حقـائق التأويل فى متشابه التنزيل** للسيد الشريف الرضى ـ ترجمة عبد الحسين الحلى ، دار المهاجر ـ بيروت بدون تاريخ ـ جـ ٥ ـ ص٨٥ •

رأى أن تكون هـذه المجالس أوسع مدى ، وأن تنتظم فى سلك حلقات دينية وعلمية متصلة يجمعها معهد رسمى واحد ، فأنشى المعهد الجديد وأطلق عليه دار الحكمة أو دار العلم . ولهـذه التسمية مغزى يدل على الاتجاه الفلسفى الحر الذى أريد أن يتخذ منها ، ذلك لأن دار الحكمة كانت جامعة تضم عـدة حلقـات وكليات دينية وعلمية وأدبية ، وقسمت الى عدة أقسام أو مجالس لعلوم القرآن والفقه وعلوم اللغـة والفلك والطب والرياضـة والتنجيم وغيرها ، وعين لها أقطاب الأساتذة فى كل علم وفن ، وكان التعليم فيها حرا على نفقة الدولة ، ويمنح الطلاب والباحثون جميع أدوات الكتابة ، ولهم أن يقرأوا وينسخوا ما شاؤا من الدروس والمحاضرات(١٥١) .

يقول المقريزى : « وفى جمادى الآخرة من هـذه السـنة ـ ٣٩٥ ـ فتحت دار الحكمة بالقاهرة ، وجلس فيها القراء ، وحملت الكتب اليها من خزائن القصـور ، ودخل الناس اليهـا ، وجلس فيهـا القراء والفقهـاء ، والمنجمون والنحاة وأصحاب اللغة والأطباء ، وحصل فيها من الكتب فى سـائر العـلوم ما لم ير مثلـه مجتمعـا .. »(١٥٢) . « فكان ذلك من المحاسن المأثورة أيضـا التى لم يسمع بمثلها من اجراء الرزق السنى لمن رسم له بالجلوس فيها ، والخدمة لها من فقيه وغيره »(١٥٣) .

وهكذا استطاعت دار الحكمة فى ظل الرعاية الرسمية أن تنمو بسرعة ولم يمض سـوى قليل حتى ازدهرت ، وهرع اليهـا الطلاب من سـائر الأماكن ، وتبوأت مركزا كبيرا فى الدراسات العلمية والفقهية فى هـذا العصر وكانت تقوم بنشر علوم آل البيت الى جانب تدريس علوم اللغـة والطب والرياضة والمنطق والفلسفة وغيرها ، بينما لبث الأزهر محتفظا بطابعه الدينى الخالص ، أما دار الحكمة فقد تغلب عليها الصبغة الدينية

---

(١٥١) حسن الأمين : **الأزهر** ـ دائرة المعارف الاسلامية الشيعية ـ مرجع سابق ج ٤ ـ ص ٦٦ . وأنظر المقريزى : **الخطط** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٣٣٤ .

(١٥٢) المقريزى : المصدر السابق ـ ج ٣ ـ ص ٢٧٦ .

(١٥٣) المصدر السابق : ج ٢ ـ ص ٢١٨ .

والفلسفية(١٥٤) ٠ » وكانت تلك الدار معهداً دراسياً عظيماً للدراسة والتعليم والقراءة والاطلاع ونسخ الكتب ٠٠٠ وأمر ـ الحاكم بفتح أبوابها لكل من يشاء الانتفاع بها ، والاستمتاع بما يلقى فيها من محاضرات ومناقشات علمية وأدبية ودينية ، واستمرت دار الحكمة بالقاهرة مفتوحة الأبواب حتى أوائل القرن السادس الهجرى »(١٥٥) ٠

ويظهر أن دور العلم التى أسسها الشيعة كانت معاهد علمية ذات صلة بالتعليم ، كما أنها كانت مستقلة عن المسجد ٠ وقد أصبحت هذه المؤسسة تسهم بعملية التعليم ٠ وتعتبر هذه الدور أصلح للتعليم عند الشيعة من المساجد العامة ، لوجود الكتب ووسائل المطالعة ، بالاضافة الى السكن والعيش فيها ٠ هذا مع أن الشيعة لم يكونوا ، فى الغالب يتمتعون بالحرية الكاملة فى تعليم مذهبهم فى المساجد ، كما وتمتاز دار علم الشريف الرضى ، فى أن مؤسسها وأخاه السيد المرتضى كانا يمارسان تعليم العلوم بنفسيهما ، ولهذا كانا أكثر اهتماما بأمور العلم والتعليم من الحكام الذين أسسوا كثيرا من دور العلم عند الشيعة ، أمثال عضد الدولة ، والوزير شاه مردان ، وسابور ، حيث أسس هؤلاء دورا للعلم ، ولا تخلو أن تكون هذه الدور عرضة للابهة من قبل الحكام(١٥٦) ٠

سادسا : دور الكتب أو المكتبات :

ان دور الكتب عبارة عن خزانات عامة للكتب يخصص أحد جوانبها للمطالعة والنسخ ٠ كما كانت هذه الدور موئلا للعلماء والباحثين يتناقشون فيها ويبحثون مختلف المواضيع ٠ بالاضافة الى قيامهم بمهمة التعليم فى بعض الأحيان ٠ وكان يقصدها الطلاب من أماكن بعيدة ويقيمون فيها مدة طويلة ، وان القائمين على تلك الخزانات يسهمون بنفقات أولئك الطلاب والوافدين عليها(١٥٧) ٠

---

(١٥٤) حسن الأمين : **الأزهر** ـ مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص ٦٦ ، ٦٧٠

(١٥٥) محمد عطية الابراشى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٨ ٠

(١٥٦) أنظر عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٥ ـ ٩٦ ٠

(١٥٧) المصدر السابق : ص ٨٧ ٠

ولم تكن المكتبات عند الشيعة بصورة خاصة وعند المسلمين عامة ، أقل أهمية من المساجد ودور العلم فى نشر الثقافة الاسلامية بين الناس وتحرير الأفكار للنظر والمعرفة فى كل ما يتصل بالحياة الدينية والعقلية ، ولهذا بذل الخلفاء البويهيون والفاطميون ووزراؤهم مجهودات كبيرة فى زياده عدد الكتب التى تتناول شتى فروع العلم ٠ كما أن علماء الشيعة فتحوا مكتبات أخرى يؤمها رواد الفكر وطالبو المعرفة ٠

وكما اهتم الشيعة بالكتب واقتنائها ، اهتموا بدور الكتب وخزائنها ، وحرصوا عليها وقدروها حق قدرها ، تقديرا للعلم والعلماء ، وكتبوا كثيرا عن أثرها فى تهذيب العقول ، وبث البطولة فى النفوس ، وتزويد القراء بالأفكار والآراء ٠ قال الامام الصادق : « احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها » ٠ وقال للمفضل : « اكتب وبث علمك فى اخوانك ٠٠ فانه يأتى على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه الا بكتبهم »(١٥٨) ولهذا نجد ابن العميد عندما هجم جنود من خراسان على داره وسرقوا ما فيها من أثاث وخزائن لم يفكر الا فى خزانة كتبه فقد كانت ثمينة ، فيها من الكتب العلمية والأدبية والدينية ما تبلغ مائة حمل ، فلما رأى ابن العميد ابن مسكويه خازن كتبه سأله عنها ، وعندما علم بحالها وانها لم تمسها يد ، زال عنه ذلك الهم وقال لابن مسكويه : أشهد أنك ميمون النقيبة ، أما سائر الخزائن فيوجد عنها عوض ، وأما هذه الخزانة فهى التى لا عوض لها(١٥٩) ٠ وينقل السيوطى « أن نوح ابن منصور ، أحد ملوك بنى سامان كتب اليه ورقة فى السر يستدعيه ليفوض اليه وزارته، فكان من جملة اعذاره اليه أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة أربعمائة جمل »(١٦٠) ٠

ومن أهم دور الكتب عند الشيعة :

---

(١٥٨) الكلينى : **الكافى** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٦٧ ٠

(١٥٩) سعيد اسماعيل على : **معاهد التعليم الاسلامى** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٥ ٠ وأيضا محمد عطية الابراشى : **التربية الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٠ ٠

(١٦٠) السيوطى : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٤٥١ ٠

والأشعار ، والأخبار والأمثال فقد كانوا يتناقلونها فى صدورهم ، وأكثرهم يقـــرأون ولكنهم لا يكتبون ، وقـــد يكـــون بعضهم حافظـــا ومفسرا وهو لا يقرأ »(٦) .

ويتناول الباحث فى هـــذا الفصـل أثر آراء وجهود الشيعـة على الفكر والثقافة فى العالم الاســلامى .

١ ـ دور الشـيعة فى علم الـكلام :

من العلوم المستحـدثة فى الاســلام « علم الكلام » فهو علم اسلامى خالص ، « فمـا كان لليونان علم بالحكم على فـاعل الكبيرة ولا بصلة ذات اللــه بصفاته ولا بالنبوة ، انها موضوعات قـد انبثقت عن ظروف البيئة الاسلامية ، وهى وليدة مشكلات اســلامية خالصــة ، لقـد أراد المسلمون أن يصوغوا معتقـداتهم صياغـة فكرية تمكنهم من مواجهـة الأديان التى غزاها الاسلام ، ومن ثم فان نشأة علم الكلام تلتمس من موضوعات الخلاف بين الاسلام وما واجهــه من أديان فى البلدان المفتوحة »(٧) .

هـذه وجهـة نظر بعض البـاحثين ، حيث ربط نشـوء علم الكلام بالظروف العقائدية التى واجهها المسلمون دفاعا عن العقيدة الاســلامية من الانحراف ، وفى هـذا يقول الغزالى : « فأنشأ اللــه تعـالى ،طائفـة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب ، يكشف عن تلبيسات أهل البـدعة المحـدثة على خلاف الســنة المـأثورة فمنه نشـأ علم الكلام وأهله »(٨) . ولهـذا يقول الدكتور فيصل بدير عون : « وما كان بوسع المسلمين أن يقوموا بذلك الا بتأسيسهم لعلم الكلام وما يماثله من أبحـاث أخـرى كلها كانت بقصد المحافظة على الدين الجديد وتقـويمه وتقـديم آرائه وأفكاره بصـورة واضحة وبأدلة عقلية مقنعة »(٩) .

---

(٦) جرجى زيدان : **تاريخ التمدن الاســـلامى** ـ مرجع ســابق ـ جـ ٣ ـ ص ٥٥ .

(٧) أحمد محمود صبحى : **فى علم الكلام ـ المعتزلة ، الأشــاعرة** ـ الاسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٠ .

(٨) أبو حامد محمد بن محمد الغزالى : **المنقذ من الضـلال** ـ تحقيق عبد الحليم محمود ـ القاهرة ـ مطبعة حسان ـ بدون تاريخ ـ ص ٩٩ .

(٩) فيصل بدير عون : **علم الكلام ومدارسه** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٧ .

- ان موضوع علم الكلام ، يتألف من عدة قضايا وقع فيها الخلاف بين المسلمين والتى أدت الى تأسيس علم الكلام بأصـوله وقوانينه الميزة ، وأول هـذه القضايا مسألة حرية الارادة الانسانية ثم تلتها مسألة الصفات وهكذا ٠ وعلى هـذا لا بد من الرجوع الى جذور هـذه المسائل الفكرية التى طرحت على الساحة الاسلامية ، لتنكشف لنـا الحقيقة عن المؤسس الأول لهـذا العلم ومدى أثره فى الفكر الاســلامى ، لكى يحسم النزاع بعيدا عن التكهنات اللاعلمية المخالفة لمنهجية البحث ٠

ان أول من تكلم فى مسألة حرية الارادة أو القضاء والقدر على بن أبى طالب(١٠) ، وأبو ذر الغفارى وعبد اللـــه بن عبـاس وجميع آل البيت والتابعين لهم ، يقول محمد أبو زهرة : « وقد كان ذلك القول رائجـا فى آل البيت ، وفى التابعين ، فلم يكن اختيار زيد له بدعا فى آل البيت رضى اللـــه عنهم ، حتى لقـــد نسب صـــاحب المنية والأمل ذلك الرأى الى على زين العابدين رضى الله عنه »(١١) ٠ « وبهـذا يتبين أن ذلك النظـر كان رائجـا فى آخر عصر الصـحابة والعصر الأموى ، وينسب الى كل آل البيت »(١٢) ٠

فالمؤسس الأول لعلم الكلام هو على بن أبى طالب ، وفا ذلك يقـول الدكتور أحمد صبحى : « وأما الحكمة فلم ينقل عن أحد من أكابر العـرب أو أصاغرهم شيىء من ذلك أصلا ٠٠٠ وأول من خاض فيه من العـــرب علىّ عليه الســلام ، ولهـذا نجـد المباحث الدقيقة فى التوحيد والعـدل فى كلامه وخطبه ، ولا نجد فى كلام أحـد من الصحابة والتابعين كلمـة واحـدة من ذلك ٠ ولا يتعرض متكلمو أهل السنة كثيرا للرد على الشيعة فى هـذا المجال ويبدو أنهم لا يمانعون فى التسليم لعلى بكفاءته العلميـة وامامته للتراث الاســلامى ٠٠ »(١٣) ٠ ولهـذا يرى السيد أمير على ، أن الامام عليا أول من تكلم بالفلسفـة الاسلامية وعلم الكلام ، وأن كل من جاء من بعــده استقى منه ولهـذا كان الامام ينكر كل معنى من معانى التشبيه

---

(١٠) أنظر مبحث العدل من الفصل الثانى من هـذا البحث ٠

(١١) محمد أبو زهرة : **الامام زيد** ـ مرجع سـابق ـ ص ٢٠٥ ٠

(١٢) المصدر السابق : ص ٢٠٦ ٠

(١٣) أحمد محمود صبحى: **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٩٠

فى عبارات قوية اذ قال ما نصه : ان الله تعالى لا يدركه بعد الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ، الذى ليس لصفته حد محدود ، ولا نعت موجود ، ولا أجل ممدود ٠٠ »(١٤) ٠

يقول ابن أبى الحديد المعتزلى : « وأما الحكمة والبحث فى الأمور الآلهية فلم يكن من فن أحد من العرب ٠٠٠ وأول من خاض فيه من العرب على عليه السلام ٠٠ ولهذا انتسب المتكلمون الذين لجحوا فى بحار المعقولات اليه خاصة دون غيره ، وسموه أستاذهم ورئيسهم ، واجتذبته كل فرقة من الفرق الى نفسها ٠٠ »(١٥) و « كل من بزغ فيها بعده فمنه آخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى وقد عرفت ان أشرف العلوم هو العلم الالهى لأن شرف العلم بشرف المعلوم ومعلومه أشرف الموجودات فكان هو أشرف العلوم ، ومن كلامه عليه السلام أقتبس وعنه نقل واليه انتهى ومنه ابتدأ ٠٠٠ وأما الامامية والزيدية فانتماؤهم اليه ظاهر »(١٦) ٠

وأما ما قيل : من أن أول أصحاب مذهب الارادة الحرة فى الاسلام هو معبد بن خالد الجهنى ، فعلى فرض التسليم به ، وانه هو المؤسس لهذا المذهب ، فهو أيضا من الشيعة التابعين ، وقد كان من تلامذة أبى ذر الغفارى وكان أبو ذر من المعارضين لعثمان ومعاوية ، وقد روى معبد عنه ، كما روى عن معبد مجموعة من علماء البصرة وزهادها ، وقد أجمعت كتب العقائد الاسلامية على أن معبد الجهنى هو أول من تكلم فى القدر من المسلمين ـ حسب رأى النشار نشأ فى المدينة وتتلمذ على أبى ذر الغفارى ، وانه رحل معه الى الشام ، فان الأخبار تروى أنه استمع الى أحاديث كان يرويها معاوية عن الرسول ، وهذا يدل على أنه كان فى صحبة أبى ذر فى رحلته المشهورة الى الشام حين أنكر على معاوية والاموية فى دمشق ثراءهم ٠٠ ولا شك أن معبدا كان يلحظ الأحداث

---

(١٤) السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٢٤٨ ـ ٣٠٥ ٠

(١٥) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ ٠

(١٦) ابن أبى الحديد : **شرح نهج البلاغة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٦ ٠

مع أستاذه وحين نفى عثمان أبا ذر وأعاده الى الحجاز عاد معبد وعاش فى المدينة(١٧) ٠

يقول الدكتور النشار : « وفى المدينة نفسها ظهر معبد الجهنى « المتوفى عام ٨٠ هـ » ٠ هل كان معبد الجهنى صدى لهذه المدرسة العلوية ، وقد كان العلويون يعبرون عن ضمير الشعب حينئذ ٠ كان معبد الجهنى مدنيا أولا ، وروى عن أبى ذر الغفارى ثانيا ٠ ونحن نعلم أن أبا ذر الغفارى كان علويا ، يؤمن بأحقية على فى الخلافة ، كما كان ينادى بنظرية الكنوز ٠٠٠ فلا شك اذن أن معبد الجهنى انما كان تلميذا واثرا لمدرسة محمد بن الحنفية ٠٠ »(١٨) ٠

ومما تقدم يظهر أن أول من تكلم فى القدر ، هم أهل البيت وشيعتهم ، ومن المعلوم أن من أهم مباحث علم الكلام القول بحرية الارادة أو القضاء والقدر الذى يتعلق بعدل الله ٠ وان هناك ثلاثة من الاعلام يعتبرون العناصر الأولى فى نشأة علم الكلام كما يذكرهم الدكتور عمارة ٠ قيل عن كل منهم : انه أول من تكلم فى القدر وأول هؤلاء الثلاثة : أبو الأسود الدولى ظالم بن عمرو (ت ٦٩ هـ ـ ٦٨٨ م) ، وهو أحد الموالى التابعين الذين صحبوا على بن أبى طالب فى حروبه ضد أصحاب الجمل وصفين ، ويروى الرواة فيقولون : كان « أول متكلم فى القدر أبو الأسود الدؤلى » ثانى هؤلاء معبد الجهنى « المتوفى سنة ٨٠ هـ أو سنة ٩٠ هـ ٠ وقد شارك فى الثورة التى قادها عبد الرحمن بن الأشعث ضد بنى أمية ، ووقع فى قبضة الحجاج فقتله صبرا ٠ وثالث الثلاثة هو أبو مروان غيلان الدمشقى المقتول بعد سنة ١٠٦ هـ(١٩) ٠ وهكذا كان معبد الجهنى من أكبر الشخصيات الاسلامية الأولى ، وهو يمثل امتداد مدرسة أبى ذر الغفارى ، وان هذه المباحث القدرية الأولى ، انما نشأت عن بنية المجتمع

---

(١٧) على سامى النشار : **نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١٧ ـ ٣١٨ ٠ وأيضا الشيخ جمال الدين القاسمى : **تاريخ الجهمية** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٣ ـ ٧٤ ٠

(١٨) على سامى النشار : المصدر السابق ـ ص ٢٣٢ ٠ وأنظر السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٠٢ ٠

(١٩) محمد عمارة : **الاسلام وفلسفة الحكم** ـ مرجع سابق ـ صـ ٠ ص ١٨٦ ـ ١٨٧ ٠

الاسلامى حينئذ ، مع اجتهاد عقلى فى النص القرآنى وفى السنة(٢٠) ٠

وهكذا « أخذ الاهتمام بعلم الكلام ينمو نموا مطردا بعد أن قرت شقاشق الخمس والعشرين سنة الأولى بعد وفاة محمد (ص) ٠ » كما يقول جوستاف(٢١) وان الكلام فى حرية الارادة كان شائعا بين آل البيت وانهم أثبتوا للانسان قدرة(٢٢) ٠ فهم على هذا واضعو علم الكلام ٠

وخطا علم الكلام خطوة أخرى على يد الكميت ، وذلك عن طريق المناظرة والجدال ، اذ كان شيعيا يدافع عن حق آل البيت ، فهاشميات الكميت مناظرات فى حقوق الهاشميين ، لا تعتمد على الاقناع العاطفى وانما تعتمد قبل كل شيء على الاقناع العقلى ٠ والكميت فيها مناظر من طراز ممتاز ، ولكنه يقف وحده ولا يسمح لأحد أن يدخل معه فى المناظرة ، والواقع أن الكميت اذا كان ـ فى الظاهر ـ يقف وحده فى مناظراته فانه ـ فى حقيقة الأمر ـ كان يفترض دائما وجود شخص آخر يجادله ويحاوره ويناظره ، ولعل هذا هو السر فى حدة الاسلوب الجدلى عنده وقوة محاولاته الاقناعية(٢٣) ٠ وفى ذلك يقول أحمد أمين : « وهو أول من احتج فى شعره على صحة المذهب الشيعى وأقام حججه وقوى براهينه ، حتى قال الجاحظ فيه : انه أول من دل الشيعة على طريق الاحتجاج »(٢٤) ٠

ويكشف ديوان الكميت « عن مدى ما أصاب التفكير الفنى فى هذا العصر من تطور ، اذ نجد هذا التفكير يتحول الى جدال وطرق استدلال لم نكن نألفها فى القديم ٠ فقد أصبح الشاعر يعتنق نظرية سياسية خاصة يؤمن بها ويجعلها محور شعره ، كما أصبح مثقفا بطرق الجدال والحوار المعاصرة وهو يطبقها فى شعره تطبيقا ، ويخضع نفسه وفنه لأساليبها

---

(٢٠) على سامى النشار : **نشأة الفكر الفلسفى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١٩ ٠

(٢١) جوستاف : **حضارة الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٢ ٠

(٢٢) محمد أبو زهرة : **الامام زيد** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣ ٠

(٢٣) يوسف خليف : **حياة الشعر فى الكوفة** ـ مرجع سابق ـ ص ٧١٤ ٠

(٢٤) أحمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٠٤ ٠

اخضاعا »(٢٥) ٠ وهكذا « كان خطيب بنى أسـد وفقيه الشيعة ، وحافظ القرآن وكان جدليا وهو أول من ناظر فى التشيع مجاهرا بذلك »(٢٦) ٠ ولهـذا « تعـد الشيعة من أقدم الفرق الكلامية وأهمها »(٢٧) ٠ « والمتتبع لنشـأة الفـرق يجـد أن الشـيعة أقـدم الفرق الاسـلامية من النـاحية السياسـية والكلامية »(٢٨) ٠

وقد أرسى أئمة الشيعة وعلماؤهم أصـول علم الكلام ، ونضجت قوانينه فى عصر الامام على بن الحسين ومحمد الباقر ، حتى تمت جميع مقوماته فى عهد الامام الصـادق ، وفى ذلك يقول الدكتور أحمد صبحى : « وهكذا كان عصر الصادق حافلا بمتكلمى الشيعة الاثنى عشرية الذين لهم الفضل ليس فقط فى صياغة العقيدة الشيعية صياغة كلامية ، وانمـا فى وضع أسس علم النظريات السياسية فى الاسلام باعتبارهم أول من فتق الكلام فى الامامة ، ثم تابعهم بعـد ذلك على مدى العصـــور متكلمون كثيرون للشـيعة أظهرهم آل نوبخت ٠٠ »(٢٩) ٠

ومن مشـاهير علمـاء الكلام من الشـيعة فى القرن الأول الهجرى ، كميل بن زياد نزيل الكوفة تخرج على على بن أبى طالب فى العلوم ، فقتله الحجاج بالكوفة سنة ثلاث وثمانين تقريبا(٣٠) ٠ وسليم بالتصغير ابن قيس الهلالى التابعى طلبه الحجاج أشـد الطلب وقد ذكره ابن النديم من فقهاء الشيعة وعلمائهم ومن أصحاب على بن أبى طالب ، وأول كتاب ظهـر للشيعة كتاب سليم بن قيس الهلالى(٣١) ٠ والحارث الأعور الهمدانى

---

(٢٥) شوقى ضيف : **التطور والتجديد فى الشعر الأموى** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٠ ٠
(٢٦) محمد عبد المنعم خفاجى : **أعلام الأدب فى عصر بنى أمية** ـ دار العهد الجديد للطباعة ـ ١٩٥٤ ـ جـ ٢ ـ ص ٤ ٠
(٢٧) ، (٢٨) فيصل بدير عون : **علم الكلام ومدارسـه** ـ مرجـع سابق ـ ص ٧٠ ـ ٧١ ٠
(٢٩) أحمد محمود صـبحى : **نظـرية الامامة** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٠ ص ٥١ ـ ٥٢ ٠
(٣٠) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٥ ٠
(٣١) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢١ ٠

صاحب المناظرات فى الأصول أخذ عن على بن أبى طالب وتخرج عليه ومات سنة خمس وستين للهجرة(٣٢) . ومنهم مؤمن الطاق ، وقد أخذ عن الامام على بن الحسين والباقر والصادق ، يقول ابن النديم : « وهو من أصحاب أبى عبد الله جعفر الصادق ولقى على بن الحسين .. وكان .. حاذقا فى صناعة الكلام .. »(٣٣) وهشام بن الحكم : « الذى فتق الكلام فى الامامة وهذب المذهب وسهل طريق الحجاج وكان حاذقا بصناعة الكلام »(٣٤) . ويقول المسعودى عنه : « شيخ الامامية فى وقته وكبير الصنعة فىعصره »(٣٥) . ومن هنا يبدو أن علم الكلام كان صنعة له قوانينه وطرقه الخاصة منذ النصف الثانى من القرن الأول للهجرة . وان هذه القوانين أوجدها الأئمة من آل البيت وشيعتهم . ومن هنا يظهر بطلان ما ذهب اليه آدم متز فى قوله : « ولم يكن للشيعة فى القرن الرابع مذهب كلامى خاص بهم »(٣٦) وهذا القول يدل على مدى تشويه الحقائق التاريخية من قبل بعض المستشرقين .

اذن فاذا كان للشيعة فضل السبق فى مباحث علم الكلام ، فما هى آثارهم التى خلفوها فى الفكر الاسلامى ، ومن الذى تأثر بهذه الآراء ، والأفكار ؟ وما القضايا التى تأثر بها مفكرو الاسلام ؟ .

ان أول من تأثر بآراء الشيعة الكلامية وتتلمذ على أيدى علمائهم هم المعتزلة فقد أجمعت المصادر ـ على أن واصل بن عطاء مؤسس مدرسة الاعتزال تتلمذ على أبى هاشم الحسن بن محمد بن الحنفية بن على ابن أبا طالب .فواصل بن عطاء أخذ علم الكلام عن مدرسة أهل البيت(٣٧) . يقول طاش كبرى زاده : « وأول ما ظهر مذهب الاعتزال وشاع انما ظهر من

---

(٣٢) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٥ ـ ٨٦ .
(٣٣) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٨ .
(٣٤) المصدر السابق : ص ٢٥٧ .
(٣٥) المسعودى : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٣٨٠ .
(٣٦) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص١٠٦.
(٣٧) زهدى جار الله : **المعتزلة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣ . وأيضا ابن أبى الحديد : **شرح نهج البلاغة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٦ .

واصل بن عطاء ، أخـذ الاعتزال عن الامام أبى هاشم عبد اللـه بن محمد ابن الحنفية بن على بن أبى طالب ، قيل كان أول من أحـدث مذهب الاعتزال واخترعه كان الامام أبو هاشـم المذكور وأخـوه الامام الحسن بن محمد ابن الحنفية(٣٨) ٠

أما أبو عثمان عمرو بن عبيد فقد أخذ علم الأصول أولا عن أبى هاشم ابن محمد بن الحنفية ثم آخرا عن واصل بن عطاء(٣٩) ٠

يقول محمد أبو زهرة : « وهنـا نجد من الأخبـار ما يذكر أن علماء آل البيت تكلموا فى العقائد ، وكانوا قريبين مما قاله واصل بن عطاء ، بل انا نجد من يقول أن واصلا تلقى عقيدة الاعتزال عن آل البيت ، فقد كانوا على علم به ٠٠ »(٤٠) ٠ وهـذا خلط بين التشيع والاعتزال ، فان آل البيت لم يدعوا الى الاعتزال ، وانما كانوا يدعون الى عقيدة الاسـلام ، وأخـذ واصل هـذه العقيدة عنهم ، ولكنه خالفهم فى قضايا كلامية أخرى ٠

وأما النظام ، فقد كان تلميذا لهشام بن الحكم ، كما أن أبا الحسين البصرى المعتزلى أخـذ أو مال الى هشـام بن الحكم أيضـا كما يقـول الشهرستانى : والرجل فلسفى المذهب ، الا انه روج كلامه على المعتزلة فى معرض الكلام فراج عليهم لقلة معرفتهم بمسالك المذاهب(٤١) ٠ ويقول أيضـا « وهكذا هشـام بن الحكم ٠٠ لا يجـوز أن يغفل عن الزاماته على المعتزلة ، فان الرجل وراء ما يلزم به على الخصـم ، ودون ما يظهر من التشبيه ، وذلك انه ألزم العلاف ٠٠٠ »(٤٢) ٠ ولهـذا يقـول الدكتور أحمد صبحى : « انه قد تأثر بالشيعة الامامية ـ أى النظام ـ وبمتكلميهم مثل هشام بن الحكم »(٤٣) ٠

---

(٣٨) طاش كبر يزاده : **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** ـ مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد دكن الهند ـ ١٣٢٨ هـ ـ جـ ٢ ـ ص ٣٣٠
(٣٩) المصدر السابق : ص ٣٥ ٠
(٤٠) محمد أبو زهرة : **الامام زيد** ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ ٠
(٤١) الشهرستانى : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٨٥٠
وأيضا أحمد صبحى : **فى علم الكلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٥ ٠
(٤٢) الشـهرستانى : **المصدر السابق** ـ جـ ١ ـ ص ١٨٥ ٠
(٤٣) أحمد صبحى : **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٧٣ ٠

وأما مسألة الامامة ، والتى تعتبر من أهم مسائل علم الكلام ، فهى من المباحث المستحدثة التى استحدثها الشيعة ، وقد تأثر أهل السنة بالشيعة فى مصطلحات هذا العلم وموضوعاته ، على أن استحداث الشيعة لهذا العلم وتأثر أهل السنة بمصطلحاتهم لا يعنى تماثل مفهوم الامامة لدى الفريقين(٤٤) • ولهذا كان « للشيعة فضل السبق الى البحث فى النظريات السياسية فى الفكر الاسلامى •• »(٤٥) • وفى ذلك يقول الدكتور عمارة : « فالذين دونوا هذه الأحاديث قد دونوها فى عصر شاع فيه مصطلح « الامام » واستخدمه الفكر الاسلامى والمفكرون المسلمون عامة لرئيس الدولة ، ورأس الأمة ، تبعا وتأثرا بمباحث الشيعة فى هذا المجال •• »(٤٦) يقول الدكتور أحمد شلبى : « ومن الموضوعات التى طرقها علم الكلام موضوع عصمة الأنبياء ، وقد اتبع علماء هذا اتجاه الشيعة »(٤٧) • وهذا ما يراه جولد تسهير أيضا(٤٨) •

وهناك قضايا كثيرة من قضايا علم الكلام التى أسسها متكلمو الشيعة وأخذها عنهم مفكرو الاسلام ، كنظرية الجزء والروائح والطعوم والألوان(٤٩) • وفى العصمة حيث يذكر دونلدسن : ان فكرة عصمة الأنبياء فى الاسلام مدينة فى أصلها وأهميتها التى بلغتها بعدئذ الى تطور علم الكلام عند الشيعة ، وأنهم أول من تطرق الى بحث هذه العقيدة(٥٠) •

ويبدو مما تقدم ،أن الشيعة هم أول من أسس علم الكلام ، وقد أخذوا ذلك عن أئمتهم من أهل البيت ، وعلى رأسهم الامام على بن أبى طالب

---

(٤٤) المصدر السابق : ص ٢٤ •
(٤٥) المصدر السابق : ص ٢٥ •
(٤٦) محمد عمارة : **الاسلام وفلسفة الحكم** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٤.
(٤٧) أحمد شلبى : **تاريخ المناهج الاسلامية** ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ص ٧٩ •
(٤٨) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٩ •
(٤٩) البغدادى : **الفرق بين الفرق** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٨ـ١٣١ •
وأيضا الشهرستانى : **الملل والنحل** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥٦ •
وانظر ابن حزم الاندلسى : **الفصل فى الملل والاهواء والنحل** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ص ٦٦ • وأيضا على سامى النشار : **نشأة الفكر الفلسفى** مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٨٥ • وأيضا عبد الله نعمة : **فلاسفة الشيعة ـ حياتهم وآراؤهم ـ بيروت** ـ دار مكتبة الحياة ـ بدون تاريخ ـ ص ٣٣ •

حتى استقر فى أيام الامام الصادق فى أوائل القرن الثانى الهجرى ٠ وقد تأثر كثير من مفكرى الاسلام بهذا العلم وكانوا تلاميذ لهم فيه ، حتى نفد ما عند المعتزلة لعدم صمودهم فى وجه مفكرى الشيعة فمالوا الى التشيع وأخذوا بآرائهم ، وذلك « بسبب تشيع معتزلة بغداد »(٥١) ٠

٢ ـ علم النحو ومدارسه :

أولا : متى وكيف نشأ علم النحو :

أجمع الرواة والنحويون ، أن أول من وضع علم النحو أبو الأسود الدؤلى أخذه عن الامام على بن أبى طالب ، ونما هذا العلم وتكونت مدارسه على أيدى الشيعة ٠ يقول ابن الانبارى : « اعلم ٠٠ أن أول من وضع علم العربية ، وأسس قواعده ، وحد حدوده ، أمير المؤمنين على بن أبى طالب (رض) وأخذ عنه أبو الأسود ظالم بن عمر بن سفيان الدؤلى »(٥٢) ٠ ولهذا يقول القفطى : « الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ٠ قال أبو الأسود الدؤلى رحمه الله : دخلت على أمير المؤمنين على ـ عليه السلام ـ فرأيته مطرقا مفكرا ، فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ فقال : سمعت ببلدكم لحنا ، فأردت أن أضع كتابا فى أصول العربية ، فقلت له : ان فعلت هذا أبقيت فينا هذه اللغة العربية ، ثم أتيته بعد أيام ، فألقى الى صحيفة فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم » ٠ الكلام كله اسم وفعل وحرف ٠٠ »(٥٣) يقول القفطى : « ورأيت بمصر فى زمن الطلب بأيدى الوراقين جزءا فيه أبواب من النحو ، يجمعون على أنها مقدمة على بن أبى طالب التى أخذها عنه أبو الأسود الدؤلى »(٥٤) ٠

---

(٥٠) دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢٨ ٠ وأيضا أحمد صبحى : **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٤ ٠

(٥١) أحمد صبحى : **فى علم الكلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٧ ٠

(٥٢) ابن الانبارى : **نزهة الالباء فى طبقات الادباء** ـ مرجع سابق ـ ص ٤ ٠

(٥٣) جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى : **انباه الرواة على أبناء النحاة** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ ط ١ ـ القاهرة ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٥٠ ـ ص ٤ ٠

(٥٤) المصدر السابق : ص ٥ ٠

ويقول السيوطى : « ثم كان أول من رسم للناس النحو ابو الأسود الدؤلى ، وكان أبو الأســود أخــذ ذلك عــن أمــير المؤمنين على بن أبى طالب ٠٠ »(٥٥) ٠ ولهذا يقول طاش كبرى زاده : « ٠٠ ان أول من وضع النحو كان من سادات التابعين ومن أكمل الرجال رأيا وأسدهم عقلا شيعيا شاعرا سريعا فى الجواب ثقــة فى حــديثه ٠٠ »(٥٦) ٠ قــال محمــد ابن اسحاق : « زعم أكثر العلماء أن النحو أخـذ عن أبى الأسود الدؤلى ، وأن أبــا الأســـود أخـــذ ذلك عــن أمــير المؤمنين على بن أبى طــالب عليــه السلام ٠٠ »(٥٦) ٠ ولهــذا قال المبرد : « أول من وضــع العربيــة ونقط المصاحف أبو الأسود الدؤلى »(٥٨) ٠ وقال أيضا : « أجمعت العلماء باللغة أن أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلى وأنه لقن ذلك عن على بن أبى طالب (رض) »(٥٩) ٠

ثانيــا : الشيعة والمدارس النحوية :

أما المدارس النحويــة التى وجــدت فى الاســلام ، فهى : مدرســة البصرة ، ومدرســة الكوفة ، ومدرسة بغــداد التى مزجت بين المدرستين ٠ والباحث يعرض لهــذه المدارس والعلماء الذين أسسوها للكشف عن جهد الشيعــة فيهــا ٠

١ ـ مدرسة البصرة النحوية :

تعتبر مدرســة البصرة من أقــدم المدارس النحوية فى الاســلام ٠ « وكان أبو الأسود أول من وضع أساس مدرسة البصرة التى تعتبر أقــدم من مدرسة الكوفة وأشهر منها »(٦٠) ٠ ولهــذا « ٠٠ كان الرائد الأول فى الدراســـات اللغويــة والنحويــة باعتراف الجميع هــو أبو الأســـود

---

(٥٥) عبد الرحمن جلال الدين السيوطى : **المزهــــر** ـ مطبعة عيسى البابى بمصر ـ بدون تاريخ ـ ج ٢ ـ ص٣٩٧ ٠

(٥٦) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٢٥٠

(٥٧) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٥ ٠

(٥٨) ياقوت : **معجم الادباء** ـ مرجع سابق ـ ج ١٦ ـ ص ١٤٧ ٠

(٥٩) ابن خلكان : **وفيات الاعيان** ـ مرجع سابق ـ ج ٥ ـ ص ٤٣٥ ٠

(٦٠) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاســـلام السياسى** ـ مرجــع ســابق ـ ج ٢ ـ ص ٣٣٨ ٠

الدؤلى »(٦١) ٠ وفى ذلك يقول السيوطى : « اختلف الناس الى أبى الأسود يتعلمون العربية ، وفرع لهم ما كان أصله ، فأخذ ذلك عنه جماعة »(٦٢) ٠

ويروى عن أبى عبيدة معمر بن المثنى أنه قال : « اختلف الناس الى أبى الأسود الدؤلى يتعلمون منه العربية ، فكان أبرع أصحابه عنسبة ابن معدان المهرى ، واختلف الناس الى عنسبة ، فكان أبرع أصحابه ميمون الأقرن »(٦٣) ٠

وهكذا بدأت المدرسة النحوية تتكون على أيدى الشيعة منذ عصر أبى الأسود الدؤلى ، المؤسس الأول لمدرسة النحو فى الاسلام ، وقد تتلمذ عليه الرعيل الأول من اللغويين والنحويين ٠ يقول القفطى : « وهذه الطبقة حسب ما حصر الرواة ، ممن أخذ عن أبى الأسود : عنسبة ابن معدان ، وميمون المعروف بالأقرن ، وعطاء بن أبى الأسود ، وأبو نوغل ابن أبى عقرب ، ويحيى بن يعمر ، وقتادة بن دعامة السدوسى وعبد الرحمن ابن هرمز ، ونصر بن عاصم ، وكل هؤلاء أخذوا عن أبى الأسود وتتفاوت مقاديرهم فى العلم بهذا النوع من العربية »(٦٤) ٠

ولم يقتصر عمل أبى الأسود على تأسيس علم النحو وانشاء مدرسته ، وانما قام بعمل آخر له من الأهمية الكبرى فى تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى وهو اعراب القرآن ، وذلك عن طريق تنقيطه ٠ يقول السيوطى : « وهو أول من نقط المصحف ٠ قال الجاحظ : أبو الأسود معدود فى طبقات الناس ، وهو فى كلها مقدم مأثور عنه فى جميعها ، معدود فى التابعين ، والفقهاء ، والمحدثين ، والشعراء والأشراف ، والفرسان والأمراء ، والدهاة ، والنحاة ، والحاضرى الجواب ، والشيعة »(٦٥) ٠

---

(٦١) عز الدين اسماعيل : **المصادر الادبية واللغوية فى التراث العربى** ــ بيروت ــ دار النهضة العربية ــ ١٩٧٦ ــ ص ٢٩٣ ٠
(٦٢) السيوطى : **المزهر** ــ مرجع سابق ــ ج ٢ ــ ص ٣٩٨ ٠
(٦٣) ابن الانبارى : **نزهة الألباء** ــ مرجع سابق ــ ص ١٣ ٠
(٦٤) القفطى : **انباه الرواة** ــ مرجع سابق ــ ج ٢ ــ ص ٣٨٢ ٠
(٦٥) السيوطى : **بغية الوعاة** ــ مرجع سابق ــ ج ٢ ــ ص ٢٢ ٠

قال المبرد : « أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود الدؤلى ثم أخذ النحو عن أبى الأسود عنسبة ٠٠ ثم أخذه عن عنسبة ميمون الأقرن ثم أخذه عن ميمون ابن أبى اسحاق٠٠ثم أخذه عن أبى اسحاق عيسى بن عمر ، ثم أخذه عن الخليل بن أحمد سيبويه »(٦٦) ٠ أما نصر ابن عاصم الليثى فقد « قرأ القرآن أيضا على أبى الأسود ، وقرأ أبو الأسود على على (رض) ، فكان أستاذه فى القراءة والنحو »(٦٧) ٠

يقول الدكتور شوقى ضيف : « رأينا البصرة تضع على يد أبى الأسود الدؤلى نقط الاعراب ، وقد مضى الناس يأخذونه عن تلاميذه »(٦٨) ٠ « وكان ذلك عملا خطيرا حقا ، فقد أحاطوا لفظ القرآن الكريم بسياج يمنع اللحن فيه »(٦٩) ٠ وذلك بجهود الشيعة ٠

أما أول من صنف فى النحو فهو أبو الأسود الدؤلى أيضا ٠ يقول ابن قتيبة : « لأنه أول من عمل فى النحو كتابا »(٧٠) ٠ وهكذا كان المؤسس الأول لعلم النحو وواضع أصوله والمصنف فيه هم الشيعة ٠

وأخذت مدرسة البصرة تزدهر على أيدى الشيعة من تلاميذ أبى الأسود ، ويعتبر عطاء بن أبى الأسود المكمل لمدرسة أبيه النحوية ٠ يقول ابن قتيبة : « فولد ــ أى أبو الأسود ــ عطاء ، وأبا حرب ، وكان « عطاء » و « يحيى بن يعمر العدوانى » بعجا العربية بعد أبى الأسود »(٧١) ٠ الى أن جاء الخليل بن أحمد الفراهيدى الذى يعتبر من أعظم مفكرى الاسلام ، والتى تنتهى اليه امامة مدرسة البصرة ، فهو الذى نقح ما وضعه أبو الأسود وتلاميذه وصنف فيه المصنفات الكثيرة ٠ و « بمثل هذه العناية والاهتمام ضبط النثر العربى وشعره وبلغت الحالة الى أن العالم الشيعى

---

(٦٦) ياقوت : **معجم الادباء** ــ مرجع سابق ــ جـ ١٦ ــ ص ١٤٧ ٠
(٦٧) الانبارى : **نزهة الالباء** ــ مرجع سابق ص ١٤ ٠
(٦٨) شوقى ضيف : **المدارس النحوية** ــ القاهرة ــ دار المعارف ــ ١٩٦٨ ــ ص ١٧ ٠
(٦٩) المصدر السابق : ص ١٧ ٠
(٧٠) ابن قتيبة : **الشعر والشعراء** ــ تحقيق أحمد محمد شاكر ــ ط ٢ ــ القاهرة ــ دار التراث العربى ــ ١٩٧٧ ــ جـ ٢ ــ ص ٧٣٣ ٠
(٧١) ابن قتيبة : **المعارف** ــ مرجع سابق ــ ص ٤٣٤ ٠

خليل بن أحمـد الفراهيدى البصرى الف فى اللغـة كتاب العين وضع علم العروض لمعرفة الأوزان الشعرية »(٧٢) ٠

يقول الرحـالة عند قـدومه البصرة : « غير أنى مـا اصطفيت منهم لحادثات الأدب الا الخليل بن أحمـد ، لأنى وجدته أوسعهم عقلا وأحضرهم رواية ، لا يساميه فى علو الخاطر الا صالح بن عبد القدوس الشاعر ، ولكنى تحاميت مجلسه لما يتهم به من الانحراف عن السنة ، وان كنت لا أبخس عقله حقـه من التعظيم »(٧٣) ٠

وللخليل كتاب فى الامامة ذكر فيه جملة من الأدلة على امامة على عليه السلام ومن المنقول عنه فى الاستدلال على تقدم على عليه السلام فى الامامة قوله : استغناؤه عن الكل ، واحتياج الكل اليه دليل انه امام الكل (٧٤) ٠ وقـد ذكر كارل بروكلمان كتاب الامامة هـذا للخليل بن أحمد(٧٥) ٠

يقول الشيخ عباس القمى : « والخليل هو ابن أحمد بن عمر بن تميم الازدى البصرى اللغوى العروضى من علماء الامامية ، كان أفضل الناس فى الأدب وقوله حجة فيه »(٧٦) ٠ وكان من أصحاب الصادق وروى عنه(٧٧) ٠

ويعـد الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٥ هـ الواضع الحقيقى لعـلم النحو فى صورته النهائية ٠٠ فالخليل هو المؤسس الحقيقى لصرح النحو

---

(٧٢) محمد حسين الطباطبائى : **القرآن فى الاسلام** ـ تعريب أحمد الحسينى ـ بيروت ـ دار الزهراء ـ ١٩٧٣ ـ ص ١١٦ ٠

(٧٣) جميل نخلة المدور : **حضارة الاسلام فى دار السلام** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٣ ٠

(٧٤) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعـلوم الاسـلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٢ ـ ٦٣ ٠

(٧٥) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العـــربى** ـ مرجع سـابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٣٤ ٠

(٧٦) الشيخ عباس القمى : **الكنى والالقاب** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤١٦ ٠ وأيضا محمد حسن آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٢٦ ٠

(٧٧) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سـابق ـ ص ٦٢ ٠

العربى ، بل هو المقيم لقواعده والمشيد لبنيانه وأركانه ، ويظهر منه أنه كان يتقن المنطق وما يتصل به من أقيسه ، كما كان يتقن العلوم الرياضية وهو اتقان جعله يقف على ما يصنعه أصحاب الحساب والرياضيات فى مسائلهم الفرضية لترسخ ملكة هذه العلوم فى عقول الناشئة(٧٨) ٠ ولهذا يقول القفطى : «نحوى لغوى عروضى ، استبط من العروض وعلله ما لم يستخرجه أحد ، ولم يسبقه الى علمه سابق من العلماء كلهم »(٧٩) ٠٠ « واستبط أيضا من علم النحو ما لم يسبق اليه ، وحصر علم اللغة بحروف المعجم وسماه كتاب « العين »(٨٠) ٠

ويقول الزبيدى مؤلف مختصر العين : « أو ليس من العجيب ، والنادر الغريب أن يتوهم علينا من به مسكة من نظر ، أو رمق من فهم ، تخطئه الخليل فى شىء من نظره ، والاعتراض عليه فيما دق أو جل من مذهبه ، والخليل بن أحمد أوحد العصر ، وقريع الدهر ، وجهبذة الأمة ، وأستاذ أهل الفطنة ، الذى لم ير نظيره ، ولا عرف فى الدنيا عديله ، وهو الذى بسط النحو ٠٠ »(٨١) ٠

وقد عقد الخليل حلقة تدريسه فى حياة أبى عمرو الذى أنفق خمسين عاما يدرس اللغة العربية والنحو ، فاتصل به النظام وأخذ عنه ، ولما ابتكر علم العروض اتسعت حلقته ، وجلس اليه الأصمعى ، وفى شيخوخته تردد على حلقته سيبويه ، وهكذا اتسعت حلقة الخليل لتدريس علوم العربية (٨٢) ٠

وقد اختص سيبويه بالخليل بن أحمد ، وأخذ منه كل ما عنده فى الدراسات النحوية والصرفية ، مستمليا ومدونا ، وقد اتبع فى ذلك طريقتين : طريقة الاستملاء العادية ، وطريقة السؤال والاستفسار ، مع

---

(٧٨) شوقى ضيف : **تاريخ الأدب العربى** ـ العصر العباسى الأول ط ٧ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٢١ ـ ١٢٢ ٠

(٧٩ ، ٨٠) القفطى : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ٠

(٨١) السيوطى : **المزهر** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٨٠ ٠

(٨٢) أحمد كمال زكى : **الحياة الأدبية فى البصرة** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢ ٠

كتابة كل اجابة وكل رأى يدلى به وكل شاهد يرويه عن العرب ، وبذلك احتفظ بكل نظراته النحوية والصرفية(٨٣) ٠

وقد أنجبت البصرة فحول النحو من علماء الشيعة ، منهم على سبيل المثال : سعيد بن أوس أبو زيد الأنصارى ، قال أبو عثمان المازنى : « كنا عند أبى زيد ، فجاء الأصمعى ، فأكب على رأسه وجلس ، وقال : هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشر سنين »(٨٤) ٠

يقول القفطى : « وكان أبو زيد من أهل العدل والتشيع ، وكان عالما بالنحو وكان أبو زيد أعلم من الأصمعى ، وأبى عبيدة بالنحو ، وكان يقال له أبو زيد النحو ، وله كتاب فى « تحقيق الهمزة » على مذهب النحويين ، وفى كتبه المصنفة فى اللغة وشواهد النحو عن العرب ما ليس لغيره »(٨٥) ٠ وكانت له أعظم حلقة تدريس فى البصرة من حلق علمائها(٨٦) ٠

ومن علماء الشيعة النحويين أبو عثمان المازنى بكر بن محمد ٠ قال الزبيدى ، قال الخشنى : المازنى مولى بنى سدوس ، نزل فى بنى مازن ابن شيبان ، فنسب اليهم ، وهو من أهل البصرة ، وهو أستاذ المبرد ٠٠٠ وكان اماميا يرى رأى ابن الميثم ٠٠ وكان لا يناظره أحد الا قطعه ، لقدرته على الكلام ٠٠ »(٨٧) ٠

هذه نبذة من علماء الشيعة النحويين ، على سبيل المثال لا الحصر فى مدرسة البصرة النحوية ، حيث كان لهم فضل السبق فى تأسيسها ووضع قواعدها ومناهجها ، حتى تخرج منها علماء النحو على اختلاف آرائهم واتجاهاتهم ٠

---

(٨٣) شوقى ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧ ٠
(٨٤) القفطى : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٣٢ ٠
(٨٥) المصدر السابق : ص ٣٣ ٠
(٨٦) جميل نخلة المدور : **حضارة الاسلام فى دار السلام** : مرجع سابق ـ ص ٣ ٠
(٨٧) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ ج٧ ـ ص ١٠٧ـ١٠٨ ٠

٢ ـ مدرسة الكوفة النحوية :

« فى الوقت الذى كانت البصرة قد قاربت فيه نهاية الطريق عندما وضع أستاذها الأكبر الخليل بن أحمد « من سنة ١٠٠ هـ الى سنة ١٦٠ هـ » فكرة المعجم ، وعلم العروض ، وأصول النحو ، كانت الكوفة ما تزال تحبو خلف أستاذها الأول أبى جعفر الرواسى »(٨٨) ٠

وقد تأسست مدرسة الكوفة النحوية على يد كل من معاذ الهراء وأبى جعفر الرواسى ، « وقد تخرج الكسائى فى أول أمره فى مدرسة الكوفة ، حيث تلقى النحو عن الرواسى ، وعن معاذ الهراء المتوفى سنة ١٨٧ ، وهو عم الرواسى ، وزميله فى الأستاذية الأولى لمدرسة الكوفة »(٨٩) ٠ وفى ذلك يقول السيوطى : « ٠٠ وأبو جعفر هذا هو أستاذ الكسائى وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا فى النحو وكان رجلا صالحا ، وقيل : ان كل ما فى كتاب سيبويه « وقال الكوفى كذا » انما عنى به الرواسى هذا ، وكتابه يقال له الفيصل ٠ وكان له عم يقال معاذ بن مسلم الهراء ، وهو نحوى مشهور ، وهو أول من وضع التصريف »(٩٠) ٠ « وكانوا هم الذين أخذ الناس عنهم ٠٠٠ والذين ذكرنا من الكوفيين فهم أئمتهم فى وقتهم »(٩١) ٠

وفى بغية الوعاة : « محمد بن سارة ، أبو جعفر بن أخ معاذ الرواسى قيل لعظم رأسه ، وهو أول من وضع نحو الكوفيين ٠٠ »(٩٢) ٠ وفى ذلك يقول ابن النديم : « وهو ـ أى الرواسى ـ أول من وضع من الكوفيين كتابا فى النحو ، قال ثعلب : كان الرواسى أستاذ الكسائى والفراء »(٩٣) ٠

---

(٨٨) يوسف خليف : **حياة الشعر فى الكوفة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٢ ٠

(٨٩) المصدر السابق : ص ٢٦٣ ٠ وانظر ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٣ ٠

(٩٠) السيوطى : **المزهر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٠٠ ٠

(٩١) المصدر السابق : ص ٤٠٠ ٠

(٩٢) السيوطى : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٩ ٠

(٩٣) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٢ ٠ وأيضا ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٨ ـ ص ١٢٢ ٠

يقول بروكلمان : « ۰۰۰ أن أبا جعفر ۰۰ الرواسى هو الذى أسس مدرسة النحو بالكوفة ۰۰ »(٩٤) ۰

يقول ابن االأنبارى : « أخـذ ـ الكسائى ـ عن أبى جعفر الرواسى ، ومعاذ الهراء ، وكان أحد أئمة القراء السبعة ۰۰ »(٩٥) ۰ « وكان معاذ ۰۰ صديقـا للكميت »(٩٦) « وكان معـاذ شيعيـا ، مات سنة سبع وثمـانين ومائة »(٩٧) ۰ وفى تذكرة البغوى : « معاذ بن مسلم ۰۰ روى عن جعفـر الصادق ، وله كتب فى النحو ۰۰ وقـد عاش مائة وخمسين سنة »(٩٨) ۰ يقول ابن خلكان : « أما أبو مسلم معـاذ ۰۰ الهـراء ، النحوى الكوفى ۰۰ وكان يتشيع »(٩٩) ۰

وقـد الف الرواسى لتلاميذه كتابا فى النحو سماه الفيصل ، وعادة تذكر كتب التراجم أوليـــة للنحـو الـــكوفى مجســـدة فى أبى جعفـر لرواسى(١٠٠) ۰ وهكذا كان الشيعة هم نواة مدرســة الكوفة النحوية ۰ ولقـد تخرج من هـذه المدرسة وعلى يد مؤسيسها ـ معاذ بن مسلم الهراء ، وابن أخيه الرواسى ـ أعاظم علماء النحو من الشيعــة ، كانوا الأساس فى استقرار علم النحو الكوفى ، يذكر الباحث نبذة منهم على سبيل المثال : يقول الدكتور يوسف خليف : « وجـاء بعد الرواسى تلميذاه المشهوران : الكسائى المتوفى سنة ١٨٢ ۰۰ والفراء المتوفى سنة ٢٠٧ ، وهما اللذان دعما قواعد مدرســة الكوفة النحوية ، ورفعا من بنيانها »(١٠١) ۰ وكل منهما كان من الشيعــة(١٠٢) والباحث سوف يتعرض للفراء لأهميته فى

---

(٩٤) كارل بروكلمـان : **تاريخ الأدب العـــربى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٧ ۰

(٩٥) ابن الانبارى : **نزهة الالباء** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٧ ۰

(٩٦) القفطى : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٨٨ ۰

(٩٧) السيوطى : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٩١ ۰

(٩٨) المصـدر السـابق : ص ٢٩٢ ۰

(٩٩) ابن خلكان : **وفيات الاعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٤ ـ ص ٣٠٥ ۰

(١٠٠) شوقى ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٣ ۰

(١٠١) يوسف خليف : **حياة الشعر فى الكوفة** ـ مرجع سـابق ـ ص ١٠٣ ۰

(١٠٢) انظر السيد حسن الصدر : **تاسيس الشيعة لعلوم الاسلام** مرجع سابق ـ ص ٣٤٧ ۰

ارساء دعائم مدرسة الكوفة ، وما قام به من تدريس واملاء على تلاميذه ٠

أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمى الأصل الأسدى بالولاء ، المعروف بالفراء ٠ » وكان ـ بلا شك ـ أعلم الكوفيين ، جمع الى علم الكوفيين علم البصريين ٠٠٠ ثم هو كبير العقل بجانب سعة الاطلاع ، فهو بحر فى اللغة ، ونسيج وحده فى النحو ، حتى يلقب بأمير المؤمنين فى النحو ، وفقيه عالم باختلاف الفقاء ، وماهر فى علم النجوم ، وخبير بالطب ، وحاذق فى أيام العرب وأخبارها وأشعارها وهو الى ذلك متكلم ٠٠ »(١٠٣) ٠ وحكى عن أبى العباس ثعلب أنه قال : « لولا الفراء لما كانت عربية ، لأنه خلصها وضبطها ، ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس فيها على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب»(١٠٤)٠

وقد وصفه ثمامة بن أشرس فقال : « فرأيت أبهة أديب ، فجلست اليه فناقشته عن اللغة فوجدته بحرا ، وناقشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده ، وعن الفقه فرجدته رجلا عارفا باختلاف القوم ، وبالنحو ماهرا ، وبالطب خبيرا ، وبأيام العرب وأشعارها حاذقا ، فقلت له : « من تكون ؟ وما أظنك الا الفراء ٠٠ »(١٠٥) ٠

ومولد الفراء بالكوفة ، وانتقل الى بغداد ، وكان زياد والد الفراء أقطع ، لأنه حضر وقعة الحسين بن على رضى الله عنهما فقطعت يده فى ذلك(١٠٦) يقول السيوطى : « وأبوه زياد الاقطع ،قطعت يده فى الحرب مع الحسين بن على ٠٠ »(١٠٥) ٠

قال المرزبانى : «وقيل ان الفراء أستاذ الكسائى ، وكانيتشيع»(١٠٨). ويقول طاش كبرى زاده : « أما الفراء فهو يحيى بن زياد بن عبد الله المعروف

---

(١٠٣) أحمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٠٧ ٠
(١٠٤) ابن خلكان : **وفيات الاعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٥ ـ ص ٢٢٥ ٠
(١٠٥) المصدر السابق : ص ٢٥٥ ٠
(١٠٦) المصدر السابق : ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ٠
(١٠٧) السيوطى : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٣٣ ٠
(١٠٦) القفطى : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٩٠ ٠

بالفراء ٠ وكان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائى ٠٠٠ وكان يحب الكلام ولا يميل الى الاعتزال وكان متدينا متورعا على تيه وعجب وتعظم ، وكان يتفلسف فى تصانيفه ويسلك الفاظ الفلاسفة ٠٠٠ وأبوه زياد هو الاقطع ، قطعت يده فى الحرب مع الحسين بن على رضى الله عنهما ٠٠ »(١٠٩) ٠ وقد ذكره اغابزرك الطهرانى من مصنفى الشيعة فى كتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة(١١٠) ٠

وكان الفراء يجلس للناس فى مسجده الى جانب منزله ، وكان يتفلسف فى تصانيفه حتى يسلك فى ألفاظه كلام الفلاسفة(١١١) ٠ كما كان له أثر واسع فى التفسير وفى النحو ، وكان له فضل تقريب النحو الى الأذهان حتى يستطيع أن يفهمه الصبيان ، كما انه جمع اللغة وضبطها ، كما كان له أثر فى تفسير القرآن(١١٢) ٠

ويروى ابن الانبارى فى طبقات الأدباء : ان المأمون أمر الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب ٠ فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار ، وكل بها جوار وخدما للقيام بما يحتاج اليه ، حتى لا يتعلق قلبه ، ولا تتشوق نفسه ، وصير له الوراقين وألزمه الأمناء والمنفقين ، فكانوا يكتبون حتى صنف الحدود(١١٣) ٠ وبعد أن فرغ من ذلك خرج الى الناس وابتدأ يملى كتاب المعانى ٠٠ قال أبو بريدة : فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لاملاء كتاب المعانى فلم نضبط عددهم ، ولما فرغ من املائه خزنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا به ٠٠ وقال للناس انى أريد أن أملى كتاب معان أتم شرحا وأبسط قولا من الذى أمليت قبلا ، وجلس يملى فأملى فى الحمد مائة ورقة(١١٤) ٠٠ ولهذا كان الفراء من كبار المعلمين ، حيث أملى الكثير وصنف عددا كبيرا من الكتب ٠ وقد أملى كتاب معانى القرآن ،

---

(١٠٩) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤٤ ٠

(١١٠) اغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٩ ٠

(١١١) ابن خلكان : **وفيات الاعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ٥ ـ ص ٢٢٨ ٠

(١١٢) أحمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص٣٠٨ ٠

(١١٣) المصدر السابق : ص ٦٥ ٠

(١١٤) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ٢٠ ـ ص١٢ ، ١٣ ٠

ولهذا يعد أول من قعد لدرس تفسير القرآن ، كما كان يلقى غير ذلك من دروس اللغة والنحو(١١٥) ٠

٣ ـ مدرسة بغداد النحوية :

الظاهر المعروف ـ ان مدارس النحو تدور بين مدرستين ، هما مدرسة البصرة ، ومدرسة الكوفة ـ ولكن هناك هناك رأيا يذهب الى وجود مدرسة ثالثة جمعت ما بين المدرستين ، وهى مدرسة بغداد ٠ ويعتبر أبو على الفارسى المؤسس لهذه المدرسة ٠ فهو أول من خلط بين آراء المدرستين فى وضوح المدرسة الكوفية والبصرية ٠ وهو بذلك بغدادى ينتخب من المدرستين ما يراه أولى بالاتباع »(١١٦) ٠

وكان أبو على الفارسى شيعيا ، لغلبة التشيع ـ كما يقول الدكتور شوقى ضيف ـ على أهل العراق وفارس(١١٧) ٠ وقد ذكره أغا بزرك الطهرانى من مصنفى الشيعة حيث يقول : « أبو على الفارسى المولود سنة ٢٨٨ والمتوفى سنة ٣٧٧ وكان معاصرا للمتنبى ومصاحبا لسيف الدولة بن حمدان بحلب ثم عضد الدولة بن بويه ٠٠ »(١١٨) ٠

وقد أثبت الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى تشيع أبى على الفارسى وتلميذه ابن جنى فى رسالته « الدكتوراه »(١١٩) ٠ كما أورد عدة أدلة تؤكد تشيعه الى أن يقول : « هذه الأدلة متظافرة على أن أبا على كان شيعيا ، وفيها أكثر من دليل يثبت تشيعه من غير شك أو مراء »(١٢٠) ٠

---

(١١٥) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ ٠

(١١٦) شوقى ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ٠

(١١٧) المصدر السابق : ص ٢٥٦ ٠

(١١٨) اغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٨٠ ٠

(١١٩) عبد الفتاح اسماعيل شلبى : **أبو على الفارسى** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ القاهرة ـ مطبعة نهضة مصر ـ ١٣٧٧ هـ ـ ص ٨٢ الى ٨٥ ٠

(١٢٠) المصدر السابق : ص ٨٦ ٠

وفى ذلك يقول السيد حسن الصدر : « أبو على الفارسى اسمه الحسن ابن على بن أحمد ·· امام وقته فى علم النحو ·· »(١٢١) · ويقول فيه ياقوت : « وصنف كتبا عجيبة حسنة لم يسبق الى مثلها ، واشتهر ذكره فى الآفاق ، وبرع له غلمان حذاق مثل عثمان بن جنى ، وعلى بن عيسى الربعى ، ··· وتقدم عند عضد الدولة ، فكان عضد الدولة يقول : أنا غلام أبى على النحوى فى النحو ·· »(١٢٢) ·

وقد جلس أبو على الفارسى للتدريس والاملاء فى مساجد بغداد مبكرا وكان فيه حب للرحلة ، فتنقل يملى ويدرس للطلاب فى معسكر « مكرم » وبعض مدن الشام ، ويدخل حلب فى سنة ٣٤١ ومعه تلميذه ابن جنى الذى شغف به حبا ، ويتحول الى بعض مدن الشام ، ويعود الى بغداد سنة ٣٤٦ وتطير شهرته فيستدعيه الى شيراز عضد الدولة البويهى(١٢٣) · وكان أبو على يتكلم فى كثير من المسائل التى لا أصل لها فى اللغة لرياضة العقل وشحذ الذهن على مثال الفقهاء والفرضيين وأهل الحساب(١٢٤) · وكان له فى كل بلد نزل فيها تلاميذ أخذوا عنه ، ومنهم من صحبه فى أسفاره للاستفادة منه ، حتى لا يبقى له شىء يحتاج أن يسأل عنه(١٢٥) ·

وقد تتلمذ على يد أبى على الفارسى كثير من الطلاب ، أشهرهم ابن أخته محمد بن الحسين الفارسى النحوى ،وقد نزل نيسابور وأملى بها من الأدب والنحو ما سارت به الركبان(١٢٦) · كما أن ابن جنى كان من أبرز تلامذة أبى على(١٢٧) · وفى ذلك يقول ابن خلكان : « كان اماما فى

---

(١٢١) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٦٩ ·
(١٢٢) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ٢٣٤ ·
(١٢٣) شوقى ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٦ ·
(١٢٤) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٤٥ ·
(١٢٥) عبد الفتاح اسماعيل شلبى : أبو على الفارسى ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٢ ·
(١٢٦) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٤٢ ·
(١٢٧) المصدر السابق : ص ١٣٩ ·

علم العربية ، قرأ الأدب على الشيخ أبى على الفارسى ٠٠ وكان أبوه من جند سيف الدولة بن حمدان »(١٢٨) ٠

يقول القفطى : « صاحب ابن جنى أبا على الفارسى وتبعه فى أسفاره ، وخلا به فى مقامه ، واستملى منه ، وأخذ عنه ، وصنف فى زمانه ، ووقف أبو على على تصانيفه واستجادها ٠٠ واستوطن أبو الفتح دار السلام ودرس بها العلم الى أن مات »(١٢٩) ٠ وقد قدم ابن جنى البيت البويهى : عضد الدولة وولده صمصام الدولة وولده شرف الدولة ٠٠ وكان يلازمهم فى دورهم وبيابيتهم(١٣٠) ٠ كما وأنه لزم أبا على الفارسى مدة أربعين سنة يأخذ عنه ، ولما مات أبو على تصدر ابن جنى مكانه ببغداد(١٣١) ٠ ولهذا كان يكثر من ذكر آراء أستاذه فى كتابه « الخصائص» وغيره حتى ليبدو وكأنه كنز سائل بمسائل اللغة والنحو وما يجرى فيها من ضبط الأصول والعلل والأقيسة ٠٠(١٣٢) « وأتاحت له تلك الرفعة أيضا أن يحظى برعاية البويهيين وأن تعلو مكانته عندهم ٠ وقد خلف أستاذه فى التدريس ببغداد حين لبى نداء ربه وظل يوالى التصنيف والتأليف حتى توفى سنة ٣٩٢ للهجرة »(١٣٣) ٠ وقد صاحب ابن جنى السيد المرتضى وأخاه الرضى ، كما اهتم بقصائد الشريف الرضى فيؤلف كتابا خاصا بها سماه : تفسير العلويات(١٣٤) ٠

وقد تتلمذ على ابن جنى كثير من النحاة ، منهم الثمانينى ، وعبد السلام البصرى ،وأبو الحسن السمسمى ٠ قال فى دمية القصر ، وليس لأحد من أئمة الأدب فى فتح المعضلات وشرح المشكلات ما لابن جنى سيما

---

(١٢٨) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤١ ـ ٤٢ ٠

(١٢٩) القفطى : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٣٦ ٠

(١٣٠) المصدر السابق : ص ٣٤٠ ٠

(١٣١) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١١٤ ٠

(١٣٢) شوقى ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٧ ٠

(١٣٣) المصدر السابق : ص ٢٦٦ ٠

(١٣٤) عبد الفتاح اسماعيل شلبى : **أبو على الفارسى** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٣ ٠

فى علم الاعراب وقد صنف كتبا كثيرة فى علوم مختلفة خصوصا فى النحو والاعراب والتصريف ، كما وله كتاب تفسير المراثى الثلاثة والقصيدة الرائية للشريف الرضى كما ذكرها ابن النديم(١٣٥) ٠

وهكذا يتضح لنا جهد الشيعة فى تأسيس علم النحو وقوانينه كما يرجع اليهم الفضل فى تأسيس مدارسه ، وبهذا العمل أثروا الثقافة الاسلامية ، حتى قاموا بدرسه وتدريسه ، كما تخرج على أيديهم كبار النحاة واللغويين ٠

٣ ـ علم التصريف :

ومن العلوم التى ساعد الشيعة على ايجادها علم التصريف ، ويعتبر أبو مسلم معاذ بن مسلم بن أبى سارة الكوفى هو واضع هذا العلم(١٣٦). قال السيوطى : « معاذ بن مسلم الهراء وهو نحوى مشهور ، وهو أول من وضع التصريف »(١٣٧) وقال فى بغية الوعاة : « ان أول من وضع التصريف معاذ ٠٠ وكان معاذ شيعيا ٠ مات سنة سبع وثمانين ومائة »(١٣٨) ٠ وفى تذكرة البغوى : معاذ بن مسلم ٠٠ روى عن جعفر الصادق ٠٠ »(١٣٩) ٠

يقول كارل بروكلمان : « ٠٠ معاذ بن مسلم الهراء ، معلم عبد الملك ابن مروان هو الذى وضع علم الصرف ٠٠ »(١٤٠) وقد تتلمذ على يده على بن حمزة بن عبد الله الكسائى(١٣١) ٠ وفى ذلك يقول ابن خلكان : « أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء النحوى الكوفى ٠٠٠ قرأ عليه الكسائى ٠ وروى عنه ٠٠ وصنف فى النحو كثيرا ٠٠ وكان يتشيع وله شعر كشعر

---

(١٣٥) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ٠

(١٣٦) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦ ٠

(١٣٧) السيوطى : **المزهر** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٤٠ ٠

(١٣٨) السيوطى :**بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٩١ ٠

(١٣٩) المصدر السابق : ص ٢٩٢ ٠

(١٤٠) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٩٧ ٠

(١٤١) المصدر السابق : ص ١٩٧ ٠

النحاة ٠٠ »(١٤٢) ٠ ولهـذا يقول السيد مهـدى بحر العلوم عن آل أبى سارة ومنهم الرواسى معاذ بن أبى سارة : « وهم أهل بيت فضـل وأدب من أجل بيوت الشيعـة بالكوفة ٠٠ »(١٤٣) ٠

ومن مشـاهير علمـاء التصريف من الشيعـة أبو عثمان المـازنى ، والشيخ أبو على الفارسى ، وأبو عثمان بن جنى ، وابن خالويه ، وأبو جعفر ابن محمـد بن رستم الطبرى ،وأبو القاسم الحسين الوزير المغربى ، وغير هؤلاء كثيرون(١٤٤) ٠

٤ ـ علم اللغـة :

ان أول من أوجـد علم اللغـة وأسسه باعتراف الجميع هو أبو الأسود الدؤلى(١٤٥) ويعتبر الخليل بن أحمـد الفراهيدى المؤسس الحقيقى لهذا العلم بعـد أبى الأسود الدؤلى ٠ قال الأزهرى فى أول تهذيبه ما نصـه : ولم أر خلافا بين أهل المعرفة وحملة هـذا العلم أن التأسيس المجمل فى أول كتاب العين أنه لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمـد ، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعـد تلقينه اياه عنه ، وعلمت أنه لا يتقـدم أحـد الخليل فيما أسسـه ورسمه ٠ يقول السيد حسن الصـدر : قلت لا خلاف فى أن أول من رسم علم اللغـة هو الخليل بن أحمـد وأنه أول من صنف فيه ، وانما الخلاف فى المصنف الذى فى أيدى الناس المسمى بكتاب العين المنسوب الى الخليل بن أحمـد فبين ناف للنسبة وبين مثبت لها ٠٠ قال شيخ الشيعـة جمال الدين بن المطهر فى الخلاصـة الخليل بن أحمـد كان أفضـل الناس فى الأدب ٠٠٠ اخترع العـروض وفضلـه أشـهر من أن يذكـر وكان امامى المذهب(١٤٦) ٠

---

(١٤٢) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسـلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٠ ٠

(١٤٣) المصـدر السـابق : ص ١٤١ ٠

(١٤٤) انظر المصدر السابق من ص ١٤٠ الى ١٤٥ ٠

(١٤٥) السيد حسن الصدر : **الشيعـة وفنون الاسـلام** ـ مرجـع سابق ـ ص ١١٦ ـ ١١٧ ٠ وأيضا ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٩ ـ ٧٠ وانظر المدارس النحوية من هـذا الفصل ـ مدرسة البصرة ٠

(١٤٦) السيد حسن الصدر : **المصدر السابق** ـ ص ١١٦ ـ ١١٧ ٠

٥ ـ علم البيان والمعانى :

أما علم البيان والمعانى ، فان أول من وضعه وأسسه وصنف فيه هو الامام المرزبانى أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى الخراسانى البغدادى ، صنف فيه كتابه المفصل فى علم البيان والفصاحة(١٤٧) . قال ابن النديم : « المرزبانى أبو عبد الله .. أصله من خراسان آخر من رأينا من الاخباريين .. ومولده فى جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين .. وتوفى سنة ثمان وسبعين وثلثمائة رحمه الله ، وله من الكتب .. كتاب المفصل فى البيان والفصاحة نحو ثلثمائة ورقة .. »(١٤٨) . وقد ذكر اليافعى فى تاريخه عند ترجمته للمرزبانى المذكور أنه أخذ عن أبى دريد وابن الأنبارى العلوم الأدبية .. صاحب التأليفات الكثيرة ثقة فى الحديث قائل بمذهب التشيع(١٤٩) . وقال العتيقى : « وكان مذهبه التشيع والاعتزال وكان ثقة فى الحديث »(١٥٠) .

يقول اغابزرك الطهرانى : « .. وكتاب المفصل فى علم البيان . وهو أول من أسس البيان ودونه ، لأن الشيخ عبد القاهر الجرجانى الذى ظنه السيوطى مؤسس هذا العلم توفى سنة ٤٤٤ »(١٥١) . كما تقدم على الشيخ عبد القاهر فى ذلك أيضا من الشيعة محمد بن أحمد .. العميدى المتوفى سنة ٤٢٣ ثلاث وعشرين وأربعمائة صنف كتاب تنقيح البلاغة كما فى كشف الظنون ، وذكره منتجب الدين بن بابويه فى فهرست

= وأيضا ابن النديم : **المصدر السابق** ـ ص ٧٠ ـ ٧١ . وانظر مدرسة البصرة من هذا الفصل .

(١٤٧) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٦ .

(١٤٨) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٦ ـ ١٩٨ .

(١٤٩) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ .

(١٥٠) الخطيب البغدادى : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٣٦ .

(١٥١) اغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣١٥ .

أسماء المصنفين من الشيعة الامامية ، وذكره ياقوت وقال نحوى لغوى وأديب مصنف ٠٠ وصنف تنقيح البلاغة وكتاب العروض والقوافى(١٥٢) ٠ ومن مشاهير علماء البيان من الشيعة أبو الأسود الدؤلى ، ويحيى بن يعمر العدوانى ، وأبان بن تغلب التابعى ، وأبان بن عثمان ، وأبو عبد الله الحسين بن يزيد النوفلى ، وأحمد بن ابراهيم بن حمدون النديم ، وابن السكيت ، والصاحب بن عباد وغيرهم كثيرون(١٥٣) ٠

٦ ـ علم العروض :

أما علم العروض ، فالواضع له هو الخليل بن أحمد الذى استنبط علم العروض وأخرجه الى الوجود ، وحصر أقسامه فى خمس دوائر ٠ قال حمزة بن الحسن الأصفهانى فى حق الخليل بن أحمد فى كتابه الذى سماه « التنبيه على حدوث التصنيف » : وبعد ، فان دولة الاسلام لم تخرج أبدع للعلوم التى لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل ، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذى لا عن حكيم أخذه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه ، وانما اخترعه من ممر له بالصفارين من وضع مطرقة على طست ليس فيهما حجة ولا بيان يؤديان الى غير حليتهما »(١٥٤) ٠

أما أول من صنف فى علم العروض بعد الخليل ، « هو أبو عثمان المازنى بكر بن محمد بن حبيب النحوى الامامى الشيعى ، المتوفى سنة سبع وأربعين ومائتين »(١٥٥) ٠ ومن أئمة علم العروض عند الشيعة

---

(١٥٢) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٦ ـ ١٣٧ ٠

(١٥٣) انظر السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٨ الى ص ١٦٦ ٠

(١٥٤) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١٦ ٠ وأيضا شوقى ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ٣١ ٠ وأيضا طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٩٥ ٠ وأيضا حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٥٣ ٠ وأيضا أحمد أمين : **ضحى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ٢ ـ ص١٣ .

(١٥٥) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧٩ ٠ وانظر تشيع المازنى من **كتاب معجم الأدباء** لياقوت ـ مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ١٠٧ ـ ١٠٨ ٠

المصنفين فيه ، منهم كافى الكفاة الصاحب بن عباد ، صنف كتاب الاقناع فى العروض · والخالع النحوى الشاعر المشهور ، والشيخ ابن جنى ، والشريف أبو الحسن محمد بن أحمد ··· وغير هؤلاء(١٥٦) ·

٧ ـ علم التفسير :

ومن العلوم النقلية التى اشتغل بها الشيعة لفهم معانى القرآن الكريم علم « التفسير » · حتى أنهم كانوا هم المؤسسين لمدرسته ، وأول المصنفين فيه ، وقد « أخذ بعض كبار الصحابة ، من أمثال على بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ، يفسرون القرآن اعتمادا على ما سمعوه من الرسول أو بحسب ما وصل اليه فهمهم · ويعتبر هؤلاء الصحابة مؤسسى مدرسة التفسير فى الاسلام وحذا حذوهم فى ذلك التابعون مثل سعيد بن جبير وغيره »(١٥٧) · فهؤلاء كلهم كانوا من شيعة على ، فهم أساس مدرسة التفسير فى الاسلام عند الشيعة(١٥٨) ·

أما غير الشيعة من المسلمين ، فلم يظهر عندهم هذا العلم الا متأخرا عن ذلك بكثير يقول الدكتور أحمد شلبى : « فاذا جئنا الى تاريخ ظهور علم يسمى « علم التفسير » فاننا نرى انه ليس من علوم صدر الاسلام ، وانه لم يظهر الا فى مطلع القرن الهجرى الثالث ، ويحكى لنا ابن النديم قصة ذلك فيقول : ان عمر بن بكير كان منقطعا الى الحسن بن سهل « ٢٣٦ هـ » فكتب الى الفراء « ٢٠٨ » ·· فبدأ الفراء يكتب تفسيرا متصلا متكاملا للقرآن الكريم ·· »(١٥٩) · وقد مر تشيع الفراء ····· « ··

---

(١٥٦) انظر السيد حسن الصدر : المصدر السابق من ص ١٧٨ الى ص ١٨٢ ·

(١٥٧) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٥١٤ ·

(١٥٨) انظر محمد حسين آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦ ـ ٢٧ · وأيضا أحمد صبحى : **نظرية الامامة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٨ · والقندوزى : **ينابيع المودة** ـ مرجع سابق جـ٢ ـ ص٧١ ·

(١٥٩) أحمد شلبى : **تاريخ المناهج الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٩ ـ ٦٠ ·

حتى اســـتطاع اخيرا أبو بكر الأصم المتوفى ســـنة ٢٣٢ أن يضع أول تفســـير اعتزالى »(١٦٠) ٠

أما الشيعة ، فقد أسسوا هـذا العلم فى الصدر الأول من الاسلام ، وأول من قام بهـذا العمل الجليل وصنف فيه سعيد بن جبير التابعى (رض) كان أعلم التابعين بالتفسير كما حكاه السيوطى فى الاتقان عن قتادة وذكر تفســيره ٠ وذكره ابن النديم فى الفهرست عند ذكره للكتب المصـنفة فى التفسير ولم ينقل تفسيرا لأحـد قبله وكانت شهادته سنة أربع وتسعين من الهجرة ٠ وكان ابن جبير من خلص الشيعة ، وما كان سبب قتل الحجاج له الا على هذا الأمر يعنى التشيع(١٦١) ٠ ثم ان جماعة من التابعين من الشيعة صنفوا فى تفسير القرآن بعـد سعيد بن جبير منهم : سعيد بن المسيب أخـذ عن على بن أبى طالب وابن عباس ، وكان رباه على بن أبى طالب وصحبه ولم يفارقه وشهد معه حروبه(١٦٢) ٠

ومن علماء التفسير عند الشيعة ومؤلفيهم أبو حمزة الثمالى ٠ يقول ابن النديم : « كتاب تفسير أبى حمزة الثمالى واسمه ثابت بن دينـــار وكنيته دينار أبو صفية وكان أبو حمزة من أصحاب على عليه السلام من النجباء الثقـــات وصحب أبا جعفر (١٦٣) » وفى ذلك يقول الزركلى : « أبو حمزة الثمالى المتوفى سنة مائة وخمسين هـ من رجال الحديث الثقات عند الامامية ، وروى عنه بعض السنة ، وهو من أهل الكوفة ٠٠٠ له كتاب فى « تفسير القرآن » وكتاب « الزهد » وكتاب « النوادر »(١٦٤) ٠

ومنهم محمد بن السائب الكلبى ـ يقول ابن قتيبة فى المعـارف :

---

(١٦٠) شـوقى ضيف : **تاريخ الأدب العـربى** ـ العصر العباسى الأول ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٩ ٠
(١٦١) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاســلام** ـ مرجع سـابق ـ ص ٠ ص ٥٩ ـ ٦٠ ـ وأيضـا ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٧ ٠
(١٦٢) السيد حسن الصدر : المصدر السابق ـ ص ٦٣ ٠
(١٦٣) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٦ ٠
(١٦٤) خير الدين الزركلى : **الاعـلام** ـ ط ٣ ـ بيروت ـ ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩ ـ ج ٢ ـ ص ٨١ ٠

« الكلبى صاحب التفسير وهو : محمد بن السائب بن بشر الكلبى .. وبنوه « السائب » و « عبيد » و « عبد الرحمن » شهدوا « الجمل » و « صفين » مع على بن أبى طالب »(١٦٥) . وكان نسابا عالما بالتفسير ، وتوفى بـ « الكوفة » سنة ست وأربعين ومائة »(١٦٦) . وقد ذكر الذهبى كتاب التفسير هذا حيث يقول : « وقال أحمد بن زهير : قلت لأحمد بن حنبل : يحل النظر فى تفسير الكلبى ؟ قال : لا »(١٦٧) ويقول طاش كبرى زاده : « الكلبى - صاحب التفسير والانساب كان اماما فى هذين العلمين »(١٦٨) . ولهذا يقول بروكلمان : « محمد بن السائب الكلبى توفى سنة ١٤٦ هـ وقد ألف حقا كتابا فى تفسير القرآن »(١٦٩) .

يقول الدكتور شوقى ضيف : « وقد أخذ الشيعة يستقلون - منذ هذا العصر - بتفاسير للقرآن خاصة بهم ، لعل أهمها تفسير جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٨ .. »(١٧٠) مع أنه لم يكن هناك تفسير يعرف حتى منتصف القرن الثالث الهجرى الا تفاسير الشيعة . حيث اعتبر الدكتور لن أول تفسير استطاع أن يصنفه أبو بكر الأصم المتوفى سنة ٢٣٢ ، وهو تصنيف اعتزالى .

وأول مفسر جمع كل علوم القرآن وهو محمد بن عمر الواقدى الذى ذكره ابن النديم وغيره ونص على تشيعه واسم تفسيره « الرغيب »(١٧١) . وقد

---

(١٦٥) ابن قتيبة : **المعارف** - مرجع سابق - ص ٥٣٥ .

(١٦٦) المصدر السابق : ص ٥٣٦ .

(١٦٧) الذهبى : **ميزان الاعتدال** - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٥٥٦ - ٥٥٨ .

(١٦٨) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(١٦٩) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** - مرجع سابق - جـ ٣ - ص ٣٠ .

(١٧٠) شوقى ضيف : **تاريخ الأدب العربى** - العصر العباسى الأول - مرجع سابق ص ١٢٩ .

(١٧١) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** - مرجع سابق - ص . ص ٢٦ - ٢٧ . وأيضا ابن النديم : **الفهرست** - مرجع سابق - ص ١٥٠ - ١٥١ .

توفى سنة سبع ومائتين للهجرة(١٧٢) . بالاضـــافة الى تفسير كل من الامام محمد بن على بن الحسين الذى رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر ، وتفسير ابن عباس رواه مجاهد(١٧٣) ـ وهكذا كان الشيعة واضعى علم التفسير فى الاســلام . يقول الدكتور محمد عبد الحميد عيسى : « .. ابن عباس وهو أول من وضــع تفســيرا للقــرآن الكريم ، مرتبــا حسب السور والآيات »(١٧٤) .

٨ ـ علم غريب القــرآن :

ومن العلوم التى صنفها الشيعة وكان لهم السبق فيها ، وفى اثراء الثقافة الاسلامية ، علم غريب القرآن . يقول الصدر : « فاعلم ان أول من صنف فى ذلك شيخ الشيعة أبان بن تغلب ، وقد نص على تصنيفه فى ذلك علماؤنا وكذلك نص عليه ياقوت الحموى فى معجم الأدباء والجلال السيوطى فى بغية الوعاة ونصوا على وفاته فى سنة احدى وأربعين ومائة »(١٧٥) . وقال السيوطى فى كتاب الأوائل : « أول من صنف غريب القرآن أبو عبيدة معمر بن المثنى ونص علىتاريخ وفاته هو وغيره أنها كانت سنة تسع وقيل ثمان وقيل عشرة ومائتين .. »(١٧٦) .

ويرى البــاحث ان أول من صنف فى غريب القــرآن أبان بن تغلب الشيعى ، وكذلك صنف فيه جمــاعة من علمــاء الشــيعة بعد أبان وقبل أبى عبيده معمر بن المثنى ، وذلك لمــا جاء فى كثير من المصادر التى تؤكد ذلك . كما ان السيوطى نفسه نقل عن ياقوت قوله : « .. أبان بن تغلب ابن رباح .. قال ياقوت : كان قارئا فقيها لغويا اماميا ثقة ، عظيم المنزلة ، جليل القدر ، روى عن على بن الحسين وأبى جعفر وأبى عبد اللــه عليهم السلام . وسمع من العرب ، وصنف غريب القرآن وغيره ، ومات ســنة

---

(١٧٢) ابن النديم : المصدر السابق ـ ص ١٥٠ .
(١٧٣) المصدر السابق : ص ٥٦ .
(١٧٤) محمــد عبد الحميــد عيسى : **تاريخ التعليم فى الأندلس** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٤ .
(١٧٥) السيد حسن الصــدر : **الشيعة وفنون الاســلام** ـ مرجع ســابق ـ ص ٥٣ .
(١٧٦) المصــدر السابق : ص . ص ٥٣ ـ ٥٤ .

احدى وأربعين ومائة »(١٧٧) ٠

وجاء في معجم الأدباء لياقوت : « وكان ـ أى أبان بن تغلب ـ قارئا فقيها ، لغويا نبيها ثبتا ٠٠ وصنف كتاب الغريب فى القرآن ـ فجاء فيما بعـــد ، عبد الرحمن الأزدى الكوفى ، فجمــع من كتــاب أبان ، ومحمـد ابن السائب الكلبى وابن روق عطية بن الحارث فجعله كتابا فيمـا اختلفوا فيه واتفقوا عليه ٠٠ »(١٧٨) ٠

يقول الزركلى : أبان بن تغلب ٠٠٠ من كتبه « غريب القـرآن » ولعله أول من صنف فى هـذا الموضوع ٠٠ »(١٧٩) ٠ وفى ذلك يقول الدكتور عز الدين اسماعيل : « أول كتاب ألف بعد ذلك فى غريب القرآن هو كتاب أبى سعيد بن تغلب بن رباح الكوفى (ت ١٤١ هـ)»(١٨٠) ٠

وممن صنف فى غريب القـرآن أيضـا قبل أبى عبيدة على ما ذكره السيوطى وياقوت مؤرج بن عمر بن منيع ٠٠ السدوسى وهو من تلاميذ أبى زيد الانصـارى ومن أصحاب الخليل ، له تصانيف فى غريب القـرآن وقد ذكر أنه مات سنة خمس وتسعين وقيل أربع وتسعين ومائة(١٨١) ٠

ومن الذين سبقوا فى التصنيف من الشيعة فى غريب القـرآن بعـد أبان أبو جعفر الرواسى وهو متقدم أيضا على أبى عبيدة ، ومنهم الفـراء المتوفى سنة سبع ومائتين(١٨٢) ٠

أما أبو عبيدة معمر بن المثنى يقول القفطى : « ٠٠ وله من الكتب التى صـنفها ٠٠ كتاب غريب القـرآن »(١٨٣) ٠ ومات سـنة احـدى عشرة

---

(١٧٧) السيوطى : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٠٤ ٠
(١٧٨) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٨ ٠
(١٧٩) خير الدين الزركلى : **الاعلام** ـ مرجع سابق جـ ١ ـ ص ٢٠ ٠
(١٨٠) عز الدين اسـماعيل : **المصـادر الأدبية واللغوية** ـ مرجع سـابق ـ ص ٢٩٦ ٠
(١٨١) السيوطى : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٠٥ ٠
وأيضـــا ياقوت : **معجم الأدبـاء** ـ مرجـع سـابق ـ جـ ١٩ ـ ص ٠ ص ١٩٧ ـ ١٩٨ ٠
(١٨٢) السيد حسن الصـدر : **الشيعة وفنون الاسـلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٠ ص ٥٣ ـ ٥٤ ٠
(١٨٣) القفطى : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٨٥ ٠

ومائتين • وقال غيره مات سنة عشر ، وقيل سنة تسع ، وقيل سنة ثلاث عشرة ومائتين(١٨٤) • وكان أبو عبيدة بن المثنى من الخوارج(١٨٥) •

٩ ــ علم معــانى القــرآن :

ومن العلوم التى أسسها الشيعة ايضا ، علم معانى القرآن • فأول من صنف فيه من الشيعة هو أبان بن تغلب المتوفى سنة احدى وأربعين ومائة ، واسمه كتاب معانى القرآن • نص على ذلك كل من ابن النديم فى الفهرست حيث يقــول : « كتاب معـــانى القــرآن لطيف »(١٨٦) • وخير الدين الزركلى فى الاعلام(١٨٧) •

أما ما ذهب اليه القفطى من أن أول من صنف فى معانى القــرآن من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ثم قطرب بن المستنير ، ثم الأخفش ، وهؤلاء من البصريين ، ومن الكوفيين صنف فيه الكسائى ثم الفراء(١٨٨) • فقد عرفنا أن أبان بن تغلب كان ســابقا لهم فى ذلك • مع أن الكســائى ، والفراء سابقان على أبى عبيدة ، ثم قطرب ، وكلاهما من الشيعة(١٨٩) • وكذلك قطرب من الشــيعة أيضــا وهو متقدم على أبو عبيدة حيث توفى ســنة ٢٠٦ هـ(١٩٠) • بالاضــافة الى ذلك فقد سبق هؤلاء جميعــا فى التصنيف فى معانى القرآن بعد أبان ، الرواسى • يقول ابن الانبارى : « وصنف الرواسى تصانيف كثيرة منها : كتاب معانى القرآن »(١٩١) • والرواسى أستاذ الكسائى والفراء ، وهو أسبق من الذين ذكرهم القفطى . كما أن ياقوت ذكر كتاب الرواسى فى معجم الأدباء حيث يقول : « وللرواسى

---

(١٨٤) المصدر السابق : ص ٢٨٠ •

(١٨٥) ابن الانبارى : **نزهة الألباء** ــ مرجع سابق ــ ص ١٠٥ •

(١٨٦) ابن النديم : **الفهرست** ــ مرجع سابق ــ ص ٣٢٢ •

(١٨٧) خير الدين الزركلى : **الاعلام** ــ مرجع سابق ــ ج ١ ــ ص ٢٠•

(١٨٨) القفطى : **انباه الرواة** ــ مرجع ســـابق ــ ج ٣ ــ ص • ص ١٤ ــ ١٥ •

(١٨٩) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنــون الاســلام** ــ مرجــع سابق ــ ص • ص ٦٣ ــ ٦٤ •

(١٩٠) عبد اللــه فيــاض : **تاريخ التربيــة عند الامامية** ــ مرجــع ســابق ــ ص ١٩٣ •

(١٩١) ابن الانبارى : **نزهة الألباء** ــ مرجع سابق ــ ص ٥٥ •

من الكتب ٠٠ كتاب معـانى القـرآن »(١٩٢) ويقول السـيوطى « ومن تصانيف الرواسى ٠٠ معانى القرآن »(١٩٣) ٠ هـذا وقد ذكر ابن النديم كتاب معانى القـرآن للرواسى فى قوله : « ٠٠ وتوفى ـ أى الرواسى ـ وله من الكتب ٠٠ كتاب معانى القرآن يروى الى اليوم »(١٩٤) ٠

ومن الذين سـبقوا معمر بن المثنى فى تصنيف معـانى القـرآن يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن الضـبى امام نحاة البصره كما يقـول ياقوت ، ومن تصانيفه كتاب معانى القرآن الكبير ، كتاب معانى القرآن الصغير ، وكان مولده سنة ثمانين ٠ ومات سـنة اثنتين وثمانين ومائة عن مائة سنة وثنتين(١٩٥) ٠ مع أن معمر بن المثنى مات سنة ٢١٣ هـ على بعض الروايات ، فاعتباره أول من صنف من البصريين اغفال عما قام به يونس بن حبيب أحـد علمـاء البصرة ٠ بالاضـافة الى ذلك ، فان سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الانصـارى ، المتوفى سنة ٢١٤ هـ قـد صنف كتاب معـانى القرآن(١٩٦) ٠ وكان معاصرا لمعمر ولم يذكره فى طبقتهم ، مع أنه ذكر كتابه وسـنة وفاته وقوله : « كان أبو زيد من أهل العـدل والتشيع ، وكان ثقـة ، وكان عالمـا بالنحو ٠٠ »(١٩٧) ٠

١٠ ـ علم أحكام القـرآن :

من العلوم التى اشتغل بها المسلمون علم أحكام القرآن ، يقول حاجى خليفة فى كشف الظنون : « أحكام القرآن ، للامام المجتهد محمد بن ادريس الشـافعى المتـوفى بمصر سـنة ٢٠٤ أربع ومائتين ، وهو أول من صنف فيه »(١٩٨) ٠

---

(١٩٢) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ ج ١٨ ـ ص ١٢٥ ٠

(١٩٣) السـيوطى : **بغيـة الوعاة** ـ مرجع سـابق ـ ج ١ ـ ص ٨٣ ـ ١٠٩ ٠

(١٩٤) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٢ ٠

(١٩٥) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ ج ٢٠ ـ ص ٦٧ ٠

(١٩٦) القفطى : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٣٥ ٠

(١٩٧) المصدر السابق : ص ٣٣ ٠

(١٩٨) حاجى خليفة : **كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون** ـ بغـداد ـ مكتبة المثنى ـ ١٩٤١ ـ ج ١ ـ ص ٢٠ ٠

وقـد تقدم على الامام الشافعى فى ذلك محمد بن السائب بن بشر الكلبى أحـد علماء الشيعة المتوفى سنـة ١٤٦ هـ ٠ يقول أغابزرك الطهرانى:

« آيات الأحكام » الموسوم بكتاب أحكام القرآن لأبى النضر محمد بن السائب ابن بشر الكلبى من أصحاب أبى جعفر الباقر وأبى عبد اللـه الصـادق عليهما السلام ، والمتوفى سنـة ١٤٦ وهو والد هشـام الكلبى النسـابة الشهير وصاحب التفسير الكبير ٠٠ كما أذعن السيوطى فى الاتقان ٠ قال ابن النديم فى الفهرست عند ذكره للكتب المؤلفة فى علم أحكام القـرآن ما لفظه : كتاب أحكام القرآن للكلبى رواه عن ابن عباس ٠ يقول الطهرانى: هو أول من صنف فى هـذا الفن كما يظهر من تاريخه لا الامام الشافعى محمد بن ادريس المتوفى سنة ٢٠٤ كما ذكره العلامة السيوطى ، وكذا صرح به فى كشف الظنون فى عنوان أحكام القرآن لأنه ولد الامام الشافعى بعد وفاة الكلبى بتسع سنين لأنه ولد سنة ١٥٥ هـ(١٩٩) ٠

١١ ـ اعـراب القـرآن :

ان أول من قام باعراب القرآن أبو الأسـود الدؤلى ، حيث قام بتنقيطه ووضـع علامات الاعراب على الكلمات ٠ فابتدأ بالمصـحف حتى أتى على آخره ، ثم وضع المختصر المنسوب اليه بعد ذلك(٢٠٠) ٠ يقـول السيد حسن الصدر : « قيل ان يحيى بن يعمر العدوانى تلميذ أبى الأسـود الدؤلى أول من نقط المصحف ، والأصح الأول وأيهما كان فالفضل للشـيعة لأنهما من الشيعة بالاتفاق »(٢٠١) ٠

---

(١٩٩) اغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤٠ وأيضا ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٣ ـ وأيضا السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٠ ص ٥١ ـ ٥٢ ٠

(٢٠٠) ابن الانبارى : **نزهة الألباء** ـ مرجع سـابق ـ ص ٩ ٠ وأيضا ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٦ ـ ص ١٤٧ ٠ وأيضا السيوطى : **بغية الوعاة** مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٢ ٠ وأيضا أحمد أمين : **ضحى الاسـلام** ـ مرجع سابق جـ ٢ ـ ص ٢٨٧ ٠ وأيضا شوقى ضيف : **المدارس النحوية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٧ ٠

(٢٠١) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسـلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٠ ص ١٤٠ ـ ١٤١ ٠

١٢ ـ علم القــراءات :

أما أول من أوجد علم القراءات فى الثقافة الاسلامية ، أبان بن تغلب . وقد ذكر ابن النديم تصنيف أبان فى القراءة حيث يقــول : وله من الكتب كتاب معانى القرآن لطيف ، كتاب القراءات ، كتاب من الأصول فى الرواية على مذهب الشيعة »(٢٠٢) ٠ كما نص على ذلك أيضا خير الدين الزركلى فى كتاب « الاعلام »(٢٠٣) ٠

يقــول الصــدر : « ولم يعهد لأحــد قبل أبان وحمــزة تصنيف فى القراءات ، فان الذهبى وغيره ممن كتب فى طبقات القراء نصــوا على أن أول من صنف فى القراءات أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين ، ولا ريب فى تقــدم أبان لأن الذهبى فى الميزان والسيوطى فى الطبقات نصــا على أنه توفى سنة ١٤١ احــدى وأربعين ومائة ، فهو مقدم على أبى عبيد بثلاث وثمانين سنة ، وكذلك حمزة ابن حبيب ـ من أصحاب الصادق ـ فانهم نصوا أنه تولد سنة ثمانين ومات سنة ١٥٦ هـ وقيل سنة ١٥٤ وقيل سنة ١٥٨ وان الأخير وهم ٠ وكيف كان فالشــيعة أول من صــنف فى القراءة ، ولا يخفى هــذا على الحافظ الذهبى وحافظ الشام السيوطى ، لكن انمــا أرادا أول من صنف فى القــراءات من أهل السنة لا مطلقا »(٢٠٤) ٠

١٣ ـ علم الحــديث :

تدوين العلم بين الاثبــات والنفى :

كان بين السلف من الصحابة اختلاف كبير فى كتابة العلم وتدوينه ، فكرهها كثير منهم وأباحهــا آخــرون ٠ ويظهر ان كتابة الحديث عند أهل السنة بدأت فى منتصف القرن الثانى الهجرى ، وفى ذلك يقول بروكلمان : « ذكر الغزالى فى كتاب « الاحياء » ، والذهبى عن ابن تغرى ، ان عبد الملك ابن عبد العزيز بن جريج المتوفى ببغــداد سنة ١٥٠ هـ ، ٧٦٠ م أو سنة

---

(٢٠٢) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢٢ ٠
(٢٠٣) خير الدين الزركلى : **الاعلام** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٠ ٠
(٢٠٤) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٠ ص ٥١ ـ ٥٢ ٠

١١١ هـ . وكان جده جريج عبدا روميا ٠٠٠ كان أول من صـنف أحاديث رسـول اللـه (ص) ٠٠ »(٢٠٥) ٠

يقول العسقلانى : « وقد جمع فى ذلك جمع من الحفـاظ تصـانيف بحسب ما وصل اليـه اطلاع كل منهم ، فأول من عرفته صـنف فى ذلك أبو عبد اللـه البخارى ٠٠ »(٢٠٦) ٠ ويقول جرجى زيدان : « ومالك أول من دون الحـديث فى كتاب الموطأ ، رتبـه على أبواب الفقـه ، وقيل ان ابن جريج اول من ألف فيه »(٢٠٧) ٠

ويرى الباحث ان أول من صنف فى الحديث من السـنة عبد الملك بن جريج ، وهـذا ما نص عليه الخطيب البغـدادى فى تاريخ بغداد(٢٠٨) ٠ وغيره(٢٠٩) ٠ ومات سنة احدى وخمسين ومائة(٢١٠) ٠ ولهـذا « فلم يكن الحـديث قد دون الى عهد متأخر من عصر الأمويين ٠٠ وقـد أمر عمر ابن عبد العزيز بجمعه ، ثم لم يجمع الا فى عهد المـأمون » ٠ كما يقـول الدكتور محمد حسين هيكل(٢١١) ٠

أما موقف الشيعة من تدوين العلم وكتابته ، وخصوصا علم الحديث، فهو يختلف تماما عن موقف أهل السنة ، وهـذا شيىء محقق عند الشيعة ، كما يقول الشيخ باقر القرشى ، فالاسلام منذ فجر تاريخه قد تبنى الدعوة الى تدوين العلوم ونقلها ، لمـا فى ذلك من أثر فى تطوير الحياة العلمية

---

(٢٠٥) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** - مرجع سابق - ج ٣ - ص ١٥١ ٠ وأيضا محمود أبو رية : **أضواء على السنة المحمدية** - مرجع سابق - ص ٢٣٨ ٠

(٢٠٦) ابن حجر العسقلانى : **الاصابة** - مرجع سابق - ج ١ - ص١

(٢٠٧) جرجى زيدان : **تاريخ التمدن الاسـلامى** - مرجع سابق - ج ٣ - ص ٧٥ ٠

(٢٠٨) الخطيب البغدادى : **تاريخ بغـداد** - مرجع سابق - ج ١٠ - ص ٤٠٠ ٠

(٢٠٩) محمود أبو رية : **أضواء على السنة المحمدية** - مرجع سابق - ص ٢٣٨ ٠

(٢١٠) الخطيب البغدادى : **تاريخ بغداد** - مرجع سابق - ج ١٠ - ص ٤٠٧ ٠

(٢١١) محمد حسين هيكل : **حياة محمد** - القـاهرة - ط ٦ - دار المعارف - ١٩٨١ - ص ٦٦ ٠

والثقافية ، فقد روى عن النبى (ص) انه قال ، « قيدوا العلم » • فانبرت اليه طائفة من أصحابه فقالوا له : « ما تقييده ؟ « كتابته »(٢١٢) وقال (ص) : « قيدوا العلم بالكتابة »(٢١٣) • وقال على بن أبىطالب : لا تكتبوا المصاحف صغارا »(٢١٤) •

وكان الحسن بن على يقول لبنيه وبنى أخيه : « يا بنى وبنى أخى تعلموا العلم ، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه ـ أو قال يرويه ـ فليكتبه ليضعه فى بيته »(٢١٥) •

ومن هذه الأحاديث وغيرها ، يستند الشيعة فى تدوين العلم وكتابته ، ولهذا كانوا أسرع من غيرهم فى التصنيف ، والاشتغال فى جميع العلوم ، حتى كانوا المؤسسين لها ، وواضعى أصولها وقواعدها • من جملتها علم الحديث ، حيث كان المتقدم فى ذلك على بن أبى طالب • فقد روى المسعودى عن أبى دعامة عن على بن محمد عن آبائه عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله (ص) : « اكتب يا على ، قال : قلت وما أكتب ؟ قال لى : أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الايمان ما وقرته القلوب ، وصدقته الأعمال ، والاسلام ما جرى به اللسان ، وحلت به المناكحة »(٢١٦) •

يقول الدكتور محمد حسين هيكل : « بدأت الأحاديث الموضوعة تكثر الى حد أنكره على بن أبى طالب ، حتى روى عنه انه قال : « ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم الا ما فى القرآن وما فى هذه الصحيفة أخذتها من رسول الله فيها فرائض الصدقة »(٢١٧) •

---

(٢١٢) باقر شريف القرشى : **النظام التربوى فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٨ • وأيضا عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٠ •

(٢١٣) الحرانى : **تحف العقول** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥ • وأيضا السيوطى : **المزهر** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٣٠٣ •

(٢١٤) المتقى الهندى : **كنز العمال** ـ مرجع سابق ـ ج٢ ـ ص ٢٢١ •

(٢١٥) الخطيب البغدادى : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٣٩٩ •

(٢١٦) المسعود : **مروج الذهب** ـ مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص ١٧١ •

(٢١٧) محمد حسين هيكل : **حياة محمد** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ •

وحديث الصحيفة يرويه أكثر العلماء ٠ يقول أبو رية : « هـذا الحديث رواه الجماعة أحمد والشيخان وأصحاب السنن بألفاظ مختلفة ٠ أما البخارى فقد رواه عن أبى جحيفة فى كتاب العلم بلفظ قلت لعلى : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، الا كتاب اللـه ، أو فهما أعطيه رجلا مسـلما ، أو ما فى هـذه الصحيفة ٠٠ »(٢١٨) ٠ كما جاء ذكر الصحيفة فى أبواب كثيرة من صحيح البخارى ، وكذلك مسلم وبقية السنن(٢١٩) ٠ وفى ذلك يقول بروكلمان : « والصحيفة الكاملة أو زبور آل محمد وانجيل أهل البيت ، وتنسب أيضا الى على بن أبى طالب »(٢٢٠) ٠

هـذ وقـد أباح كتابة العلم طائفة من المسلمين وغعلوها ، منهم على وابنه الحسن ، كما فى تدريب الراوى للسيوطى ، وأملا رسول الله (ص) على على عليه السلام ما جمعه فى كتاب مدرج عظيم قـد رآه الحكم بن عيينه عند الامام الباقر لـما اختلفا فى شىء فأخرجه وأخرج المسألة ، وقال للحكم هذا خط على واملاء رسول الله (ص) وهو أول كتاب جمع فيه العلم على عهـد رسول الله (ص) فعلمت الشيعة حسن تدوين العلم وترتيبه فبادروا الى اقتداء بامامهم ٠ كما يقول السيد حسن الصدر(٢٢١) ٠

وأول من جمع الحديث من الشيعة ورتبه على الأبواب ، أبو رافع مولى رسول الله ، وله كتاب السنن والأحكام والقضايا(٢٢٢) ٠ وفى ذلك يقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء : « مؤسس علم الحديث وهـو أبو رافع مولى رسول الله (ص) صاحب كتاب الأحكام والسنن والقضايا ٠٠ ثم تلاه ولده علي بن أبى رافع كاتب أمير المؤمنين ، وهو أول من صنف فى الفقه

---

(٢١٨) محمود أبو رية : **أضـواء على السـنة المحمـدية** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٦٧ ٠

(٢١٩) المصـدر السـابق : ص ٦٨ ـ ٦٩ ٠

(٢٢٠) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العـربى** ـ مرجع سـابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨٣ ٠

(٢٢١) السيد حسن الصـدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٦٥ ـ ٦٦ ٠

(٢٢٢) محمـود أبو رية : **أضـواء على السـنة المحمـدية** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٢٤٥ ٠

بعد أبيه ثم أخوه عبيد الله بن أبى رافع »(٢٢٣) ٠

وقد لزم أبو رافع على بن أبى طالب بعد وفاة النبى (ص) ٠ وكان من خيار الشيعة ، وشهد معه حروبه ، وكان صاحب بيت ماله بالكوفة ، وكان ابناه عبيد الله وعلى كاتبى أمير المؤمنين ، وله كتاب السنن والأحكام والقضايا ، وهو أول من جمع الحديث ورتبه بالأبواب ٠ كما يقول الشيخ عباس القمى(٢٢٤) ٠ يقول ابن الأثير « كان أبو رافع مولى رسول الله (ص) خازنا نعلى على بيت المال ٠٠ »(٢٢٥) ٠

وقال النجاشى فى كتاب فهرست أسماء المصنفين من الشيعة ما لفظه : ولأبى رافع مولى رسول الله (ص) كتاب السنن والأحكام ٠٠ ومات أبو رافع سنة خمس وثلاثين بنص ابن حجر فى التقريب(٢٢٦) ٠ ولهذا يرى محمد أبو زهرة : « ان الشيعة أول من دون الحديث عن النبى ، وينسب الى على انه أول من دونه ، فيقال انه صنف أحاديث رسول الله(ص) فى عهده »(٢٢٧) ٠

ومن الذين صنفوا فى الحديث من الشيعة ، ميثم بن يحى التمار ، من خواص على بن أبى طالب ، وصاحب سره ، له كتاب فى الحديث جليل ٠٠ ومات بالكوفة قتله عبيد الله بن زياد على التشيع(٢٢٨) ٠ لهذا نص الحافظ الذهبى فى ترجمة أبان بن تغلب ، على أن التشيع فى التابعين

---

(٢٢٣) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦ ـ ٢٧ ٠

(٢٢٤) عباس القمى : **الكنى والألقاب** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٧٦ ٠

(٢٢٥) ابن الاثير : **الكامل** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٠٠ ٠ وأيضا الخطيب البغدادى :**تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٠ ـ ص ٣٠٤ ٠

(٢٢٦) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٦ ٠

(٢٢٧) محمد أبو زهرة : **محاضرات فى أصول الفقه الجعفرى** ـ القاهرة ـ معهد الدراسات العربية ـ ١٩٥٥ ـ ص ١٦١ ٠

(٢٢٨) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ ـ ٦٩ ٠

وتابعيهم كثير مع الدين والورع والصـدق ثم قال : فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهـذا مفسدة بينة(٢٢٩) ٠

يقول السيد محمد باقر الصدر : « ومن أهم الانجازات التى حققها جعفر الصادق هو أنه وضع أساس التأليف فى الاسلام ٠٠ يحرض على التدوين والتأليف ويكون هو البادىء بذلك ، ثم يتداعى طلابه الى التدوين والتأليف حتى يبلغ عدد ما ألفوه أربعمائة كتاب لأربعمائة مؤلف ، وتبرز دعوته الى التدوين بمثل قوله لتلاميذه : اكتبـوا فانكم لا تحفظون حتى تكتبوا ، ومثل قوله للمفضل بن عمر : أكتب وبث علمك فى اخوانك فان مت فورث كتبك بنيك »(٢٣٠) ٠ ولهـذا « فقد أخـذت الجوامع المذهبية للشيعة من هـذه الأصـول الأربعمـائة »(٢٣١) ٠ وقد أثر عن أصحاب الأئمة كتب كثيرة فى السنن سميت بالأصول عرف منها أربعمائة أصل ، جمعت ونقحت بعـد ذلك فى أربعـة كتب »(٢٣٢) كما يقـول الدكتـور رشـدى عليان ٠

وهكذا كان فضل الشيعة فى التأليف والتدوين لشتى علوم الاسلام ، ومنها علم الحديث ، والذين جاءوا بعدهم ، سلكوا طريقتهم فى التأليف والتصنيف ، فكان لهم الأثر العميق فى الحركة العلمية فى الاسـلام ٠ يقـول بروكلمان : « وقـد رأينـا فى كتاب الموطأ لمـالك بن أنس ، وفى مجموعة زيد بن على ، نموذجا لأسـلوب التصنيف الذى كان يحتذيه من صنف قبلهما »(٢٣٣) ومن هنا يظهر عدم صحة ما ذهب اليـه الدكتـور رشدى عليان فى قوله : « وهـذا ما يفسر لنا نضج الدراسـات الفقهيـة والأصـولية ، وبدء مرحلة التصنيف عند أهل السنة قبل الامامية بمـا

---

(٢٢٩) الذهبى : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٤ ٠

(٢٤٠) محمد باقر الصدر : **جعفر الصادق** ـ دائرة المعارف الشيعية مرجع سابق جـ ٢ ـ ص ٨١ ٠

(٢٣١) حسن عبـاس حسن : **الصياغـة المنطقية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٦ ٠

(٢٣٢) رشدى محمد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٦١ ـ هامش ٤٦ ٠

(٢٣٣)كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العـربى** ـ مرجـع سـابق ـ جـ ٣ ـ ص ٢٣٣ ٠

يقـرب من قرنين من الزمان »(٢٣٤) • والعكس هو الصـــحيح • مع أن نضج الدراســات الفقهية والأصــولية بدأت على أيدى الشــيعة أيضــا كمــا ســيوضحه البــاحث •

١٤ ـ علـم غريب الحـديث :

من العلوم التى اشتغل بها المسلمون علم غريب الحديث • يقــول ابن الأثير فى مقدمة كتابه النهاية : « فقيل ان أول من جمع فى هــذا الفن شيئا وألف ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمى ، فجمع من ألفــاظ غريب الحديث والأثر كتابا صغيرا ذا أوراق معدودات ولم تكن قلته لجهله بغيره من غريب الحديث ، وانما كان ذلك لأمرين : أحدهما ان كل مبدىء لشيىء لم يســبق اليــه ، ومبتدع لأمــر لم يتقــدم فيه عليــه ، فانه يكون قليلا ثم يكثر ، وصغيرا ثم يكبر • والثانى ان الناس يومئذ كان فيهم بقيــة وعندهم معرفة ، فلم يكن الجهل قد عم ، ولا الخطب قد طم »(٢٣٥) • ثم يستطرد فى القول : « ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازنى بعده كتابا فى غريب الحديث أكبر من كتاب أبى عبيدة •• وشرح فيه وبسط على صــغر حجمه ولطفه •• »(٢٣٦) • وفى ذلك يقول ياقوت : « معمر بن المثنى ••• وهو من أول من صــنف غريب الحديث ، أخــذ عن يونس بن حبيب ••• الا أنه يتهم بشيىء من رأى الخوارج »(٢٣٧) •

والغــريب من ابن الأثير أن يعتبر أبا عبيدة معمر أول من ألف فى غريب الحديث مع أنه توفى على أقل الروايات سنة تسع ومائتين(٢٣٨) • مع أن النضر بن شميل المــازنى ، وله من التصــانيف كما يقــول ياقوت « كتاب غريب الحديث » مات سنة أربع ومائتين(٢٣٩) • وفى ذلك يقول

---

(٢٣٤) رشدى محمد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة** ـ مرجــع ســابق ـ ص ٦٠ •

(٢٣٥)مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الاثير : **النهاية فى غريب الحديث والاثر** ـ تحقيق طاهر أحمــد الزاوى ـ محمــود محمــد الطناحى ـ بيروت ـ دار احيــاء التراث العربى ، بدون تاريخ ـ ج ١ ـ ص ٥ •

(٢٣٦) المصــدر الســابق : ص ٥ •

(٢٣٧) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ ج ١٩ ـ ص ١٥٥ •

(٢٣٨) القفطى : **انباه الرواة** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٢٨٠ •

(٢٣٩) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ ج ١٩ ـ ص ٢٤٣ •

ابن الانبـارى : « صـنف ـ أى النضر ـ .. كتبا ، منهـا كتاب « غريب الحـديث » ... وتـوفى النضـر سـنة ثـلاث أو أربـع ومائتين فى خلافة المـأمون »(٢٤٠) .

ومن الذين صنفوا فى غريب الحديث قبل أبى عبيدة ـ اسـحاق ابن مرار أبو عمرو ـ الكوفى ـ قال الخطيب البغدادى : كان أبو عمرو راوية أهل بغـداد واسـع العلم باللغـة والشعر ، ثقـة فى الحديث ... وهو عند الخاصة من أهل العلم والرواية ، مشهور معروف ، والذى قصر به عند العامة من أهل العلم انه كان مستهترا وصنف : .. غريب الحديث .. مات أبو عمرو سنة ست ـ أو خمس ومائتين ... وقد بلغ مائة سـنة وعشر سنين ، وقيل ثمان عشرة »(٢٤١) .

١٥ ـ علـم الفقـه :

« ان أثمن ثمرات الفكر الاسلامى .. هى التى نبتت فى أرض الفقه ، لأنها كانت تحمل خصائص العقلية العربية وسمات الاتجاه الاسلامى ، وما استطاع الفكر الاسلامى أن يثرى الثقافة بانتاجه الا عندما وجد فقهـاء فهموا هـذا المنهج فهما سليما »(٢٤٢) .

وكان للشيعة فى العصر الأول من الاسلام نشاط مستقل فى هـذا الفن ، اذ ينسب اليهم تأسيس علم الفقـه .. يقول ابن النـديم : « من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام سليم بن قيس الهلالى ، وكان هاربا من الحجاج لأنه طلبه ليقتله فلجأ الى أبان بن أبى عياش .. وأعطاه كتابا وهو كتاب سليم بن قيس الهلالى المشهور .. وقال أبان فى حديثه : وكان قيس شـيخا له نور يعلوه ، وأول كتاب ظهر للشـيعة كتاب سـليم بن قيس الهلالى .. »(٢٤٣) . وهو مطبوع(٢٤٤) .

---

(٢٤٠) ابن الانبارى : **نزهة الالباء** ـ مرجع سابق ـ ص ٨٥ ـ ٨٨ .

(٢٤١) السيوطى : **بغية الوعاة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٤٤٠ .

(٢٤٢) سعيد اسماعيل على : **فلسفة التربية الاسـلامية** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٨٩ .

(٢٤٣) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

(٢٤٤) انظر : **كتاب سليم بن قيس الكوفى الهلالى العامرى** صاحب الامام أمير المؤمنين المتوفى فى حدود سنة ٩٠ ـ بيروت ـ منشـورات دار الفنون للطباعة والنشر ـ ١٩٨٠ م ـ ١٤٠٠ هـ .

ويقول بروكلمان : « .. ان أول كتب الشيعة كان : كتاب الأصل لسليم بن قيس الهلالى الذى هرب من الحجاج .. »(٢٤٥) . وهو أصل من أصول الشيعة ، وأقدم كتاب فى الاسلام فى عصر التابعين بعد كتاب السنن لابن أبى رافع ، وبهذا حاز مؤلفه قصب السبق على من بعده ، وكان ذلك الكتاب فى جميع الأعصار أصلا ترجع الشيعة اليه وتعول عليه(٢٤٦) .

وقد تقدم على سليم بن قيس الهلالى فى تصنيف علم الفقه على ابن أبى رافع مولى رسول الله (ص) . ولهذا قال النجاشى فى ذكر الطبقة الأولى من المصنفين من الشيعة : على بن أبى رافع . هو تابعى من خيار الشيعة .. وجمع كتابا فى فنون الفقه ، فى الوضوء والصلاة ، وساير الأبواب ، وتفقه على أمير المؤمنين (ع) وجمعه فى أيامه . أوله باب الوضوء .. قال : وكانوا يعظمون هذا الكتاب فهو أول من صنف فيه من الشيعة .. وذكر الجلال السيوطى ان أول من صنف يعنى من أهل السنة فى الفقه الامام أبو حنيفة ، لأن تصنيف على بن أبى رافع فى ذلك أيام أمير المؤمنين عليه السلام قبل تولد الامام أبى حنيفة بزمان طويل ..(٢٤٧) .

ولما نشطت الحركة الفكرية فى عصر الصادق ، نشطت كذلك حركة الفقه ، وكان للشيعة فى هذا العصر نشاط كبير فيه ، وقد صنف الامام جعفر كتبا مختلفة مثل كتاب « مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة » المطبوع فى طهران ، ومثل كتاب « فقد الرضا » لعلى الرضا حفيده وهو كسابقه مطبوع بطهران(٢٤٨) .

---

(٢٤٥) بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٣٣٥ .

(٢٤٦) انظر ترجمة سليم بن قيس من **كتاب بحار الأنوار للمجلسى** مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٥٦ ـ ١٥٧ .

(٢٤٧) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٩ ـ ٨٠ .

(٢٤٨) شوقى ضيف : **تاريخ الأدب العربى** ـ العصر العباسى **الأول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٣٢ .

وأما غير الشيعة من المسلمين ، فقد تأخر تصنيفهم فى هـذا الفن ، يقول بروكلمان : « وقد روى ان معاوية بن عبيد اللـه بن يسار ، كاتب المهـدى ، المتوفى سـنة ١٧٠ هـ ، ٧٨٠ م ، كان أول من صـنف كتابا فى الخراج »(٢٤٩) • ومهما يكن ، فهـذه الأعمال الفقهية العلمية التى ازدهرت فى أثناء القرن الثانى الهجرى ، أضافت الى الثقافة العقلية الاسلامية مادة جديدة هى « علم الفقه »(٢٥٠) وذلك بفضل الجهود التى قام بها الشيعة فى اضافة هـذا العلم الى الفكر والثقافة الاسلامية •

١٦ ـ علم أصـول الفقـه :

ومن العلوم التى أضافها الفكر الشيعى الى الثقافة الاسلامية ، علم أصول الفقه • وأول من فتح بابه ، وفتق مسائله الامام محمد بن الباقر ، وبعـده ابنه جعفر الصادق ، فقد أمليا فيه على جماعة من تلامذتهما قواعده ومسائله(٢٥١) • وأقام الامام الصادق بالمدينة لا يبرحها ، يعلم الناس ويفقههم « ويواصل وضع أصـول الفقه ويشرع للفقهاء كيف يستنبطون الأحكام عندما لا يجدون الحكم فى الكتاب والسـنة »(٢٥٢) • وقد برز من تلامذته هشام بن الحكم ، ويونس بن عبد اللـه ، وكانا أول من صنفا فى هـذا العلم من الشيعة وفى ذلك يقول أبو زهرة : « وكلام العـالمين ، هشـام ، ويونس ، من علماء النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى الذين عاصروا أصحاب ابى حنيفة ، واذن فقد تصـدى من فقهاء الشـيعة من فكروا فى أصول الاستنباط ، بل قد دونوا بعضها ، وان أصـول الفقه فى هـذا الزمان الذى ظهر فيه هـذان العالمـان كانت تنمو فى اتجاه وضع منـاهج الاسـتنباط ووضـع المقاييس الضـابطة من غير دفاع عن مذهب معين •• »(٢٥٣) •

---

(٢٤٩) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سـابق ـ ج ٣ ـ ص ٢٣٣ •

(٢٥٠) جولد تسيهر : **العقيـدة والشريعـة فى الاسـلام** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٤٧ •

(٢٥١) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسـلام** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٩٥ •

(٢٥٢) عبد الرحمن الشرقاوى : **شـخصيات اسـلامية** ـ مرجع سـابق ـ ص ٥١ •

(٢٥٣) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٧٥ •

ويقول أيضا : « ولنعرض لسبق تلاميذ الامام الصادق للامام الشافعى فى تدوين علم أصول الفقه ، لقد ذكر الكاتب الفاضل ـ السيد حسن الصدر ـ ان هشام بن الحكم قد سبق الشافعى بكتابه الذى كتب فى الألفاظ ، وان يونس بن عبد الرحمن قد سبقه بكتاب الحديث ، وهذان الموضوعان بلا ريب جزءان من علم أصول الفقه ، ولكنهما ليسا هذا العلم ، والكتابة فيهما لا تعد تصنيفا كاملا فى هذا العلم ٠٠ ثم يستطرد فى القول : وبهذا ننتهى الى أن الامامين العظيمين « محمد الباقر ٠٠ وجعفر الصادق » لم يسبقا الامام الشافعى بالتصنيف ، ولا يغض ذلك من مقامهما ، فلم يعكفا على التأليف ، بل عكفا على البحث والتوجيه والتلقين والارشاد ، ولم يكن التأليف والتصنيف قد بلغ الشأو فى عهدهما ، نعم كان هناك تدوين ، ولكن لا يعد تأليفا ، وان تدوين المذكرات والأقوال كان فى آخر عهد الصاحبة رضوان الله عنهم »(٢٥٤) ٠

والذى ذهب اليه أبو زهرة ، من أن التأليف لم يكمل حتى جاء الامام الشافعى مخالف لما ذكره صاحب الفهرست ان لعيسى بن عمر أحد قراء البصريين كتاب الجامع وكتاب المكمل وقد مات سنة تسع وأربعين ومائة(٢٥٥) ٠ وان لأبان بن تغلب المتوفى سنة مائة واحدى وأربعين للهجرة ، كتابا فى القراءات وكتابا فى معانى القرآن وكتابا فى أصول الحديث على مذهب الشيعة(٢٥٦) ٠ وقوله أيضا ان « يونس بن عبد الرحمن من أصحاب موسى بن جعفر عليه السلام من موالى آل يقطين ، علامة زمانه ، كثير التصنيف والتأليف على مذاهب الشيعة ، وله من الكتب كتاب علل الأحاديث ، كتاب الصلاة ، كتاب الصيام ، كتاب الزكاة ، كتاب الوصايا والفرائض ٠٠ »(٢٥٧) ٠ ويقول الأشعرى فى مقالاته : « رجال « رجال الرافضة ومؤلفو كتبهم ، هشام بن الحكم ٠٠ وعلى بن منصور ، ويونس بن عبدالرحمن القمى ٠٠ »(٢٥٨) وقول الشهرستانى : « ومن

---

(٢٥٤) المصدر السابق : ص ٢٦٩ ٠
(٢٥٥) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ ٠
(٢٥٦) المصدر السابق : ص ٣٢٢ ٠
(٢٥٧) المصدر السابق : ص ٣٢٣ ٠
(٢٥٨) الأشعرى : **مقالات الاسلاميين** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٠ ص ١٣٤ ـ ١٣٥ ٠

مؤلفـى كتبهم ـ أى الشـيعة ـ هشـام بن الحـكم ٠٠ ويونس ابن عبد الرحمن »(٢٥٩) ٠ وقول الزركلى : « أبو حمزة الثمالى المتوفى سنة مائة وخمسين ومن رجال الحديث الثقات عند الامامية ٠٠ وله كتاب فى تفسير القرآن ، وكتاب الزهد ، وكتاب النوادر »(٢٦٠) ٠ كما أن للخليل من الكتب كتاب النغم وكتاب العروض وكتاب الشواهد وكتاب النقط ، وكتاب فائت العين وكتاب الاقناع »(٢٦١) ٠ وفى ذلك يقول بروكلمان : « ونسبت كتب أيضا الى حفيد على زين العابدين على بن الحسين السجاد المتوفى سنة ٩٢ هـ ٧١٠ م٠ الزاهد والوصية طبع فى مجموعة بالقاهرة ١٣٤٤ هـ مطبعة عيسى البابى الحلبى »(٢٦٢) ٠ كما أن الامام الصـادق ألف فى الفقه كتاب « مصباح الشريعة » ، وكتاب «فقه الرضـا » لعلى الرضا وكل منهمامطبوع كما مر ٠ وغير هؤلاء كثيرون ذكرهم أصحاب الفهارس من مصنفى الشيعة ـ فما ذهب اليه أبو زهرة من أن التأليف لم يكن فى زمان هشـام بن الحكم لا دليل عليه ، وانما الدليل خلافه ، بالاضافة الى ما ذكره الباحث من أن التصنيف كان فى القرن الأول للهجرة ، كما سـوف يتضح أيضـا عند الكلام فى علم التاريخ والسير ٠

أما أول من أفرد بعض مباحث علم الأصول بالتصنيف من الشيعة ، هشام بن الحكم تلميذ جعفر الصـادق ، صنف كتاب الألفاظ ومباحثها ، وهو من أهم مباحث هـذا العلم(٢٦٣) ٠ ثم يونس بن عبد الرحمن تلميذ الامام موسى بن جعفر ، صنف كتاب اختلاف الحديث وهو مبحث تعارض الدليلين ، والتعارض والترجيح بينهما(٢٦٤) أما قول السيوطى فى كتاب الأوائل ، ان أول من صنف فى أصول الفقه الشافعى بالاجماع يعنى من الأئمة الأربعة من أهل السنة(٢٦٥) ٠

---

(٢٥٩) الشهرستانى : **الملل والنحل** ـ مرجـع سـابق ـ جـ ١ ـ ص ١٩٠ ٠

(٢٦٠) خير الدين الزركلى : **الاعلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٠٨١

(٢٦١) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٧١ ٠

(٢٦٢) بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٨٣ ٠

(٢٦٣) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٤ ٠

(٢٦٤) المصدر السابق : ص ٣٣٢ ٠ وأيضا السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٩٤ ٠

(٢٦٥) السيد حسن الصدر : المصدر السابق ـ ص ٩٥ ٠

وعندما نشطت الحركة العلمية الفقهيــة والأصــولية ، جمع علماء الشيعة بين الفقه وأصوله ، وكانوا السابقين فى هــذا الجمع •يقـول أبو زهرة : « كما يلاحظ أن الذين كتبوا فى الفقه عند اخواننا الاثنا عشرية كانوا يجمعون بين الفقه وأصوله ، وبين علوم أخرى ، فالطوسى مثلا كان له نشــاط فى الفقه وأصوله ، كما كان له نشاط واضح فى علم التفسـير وعلم الكلام ، والشريف المرتضى كان كذلك ، واذا يممنا جانب الســنة نجد العلماء الذين جمعوا بين الفقه وأصــوله وعلم الكلام والتفسـير ، فنجد حجة الاسلام الغزالى ، ونجد فخر الدين الرازى ، ونجد الآمدى ٠٠٠ وغيرهم من علماء الفقه والأصول والكلام ، مهما تختلف مناهجهم فى علم الكلام »(٢٦٦) ٠ ومن الواضح أن السيد المرتضى والشيخ الطوسى ، قد سبقا الغزالى وغيره فى هــذا الفن ، حيث ولد السيد المرتضى سنة ٣٥٥ هـ وتوفى سنة ٤٣٦ هـ ، وولد تلميذه الشيخ الطوسى سنة ٣٨٥ هـ(٢٦٧) ٠ أما الغزالى فكان مولده سنة ٤٥٠ هـ(٢٦٨) ٠ وهكذا أثرى الشيعة الفكر والثقافة الاسلامية بفن جديد وهو علم الفقه وأصوله ٠

١٧ ـ الفقــه المقــارن ، أو الخلافى :

لقد أدى تعمق الشيعة فى علم الفقه وأصــوله الى ظهور « الفقــه المقارن » أو « الخلافى » فى الثقافة الاسلامية ٠ فحينما تمركزت المدرســة الشيعية فى الفقه فى بغــداد ، وفرضت وجودها على الأجواء العلمية فى حاضرة العالم الاسلامى ، أثار ذلك أصحاب المذاهب الفقهية الأخــرى ، وأعلنوا المعارضة بوجه المدرســة بصــورة صريحة ، وأثاروا المســائل الخلافية بصــورة حادة وأدى ذلك الى اصــطدام فقهــاء الشيعة بفقهــاء المذاهب الأخــرى فى الندوات والمجالس العــامة فى المســائل الفقهيــة الخلافيــة(٢٦٩) ٠

---

(٢٦٦) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٣٠

(٢٦٧) أنظر الشيخ الطوسى من الفصل الخامس من هذا البحث ٠

(٢٦٨) محمد عطية الابراشى : **التربية الاسلامية وفلاسـفتها** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٧ ٠

(٢٦٩) الاصفى : **مقدمة كتاب اللمعة** ـ مرجع ســابق ـ ج ١ ـ ص ٦٣ ٠

ومهما يكن من أمر ، ومهما كانت الدوافع السياسية التى كانت تثير هـذه المسـائل فقد أدى ذلك الى خصـوبة البحث الفقهى ، فالخلاف والانشقاق دائما يؤدى الى الخصوبة لا العقم كما يدل على الخصـوبة الذهبيـة لا عقمها ٠

وكان من أثر ظهور الخلاف بين « الفقه الامامى » والمذاهب الفقهية الأخرى ، أن تفرغ فقهاء الشيعة لبحث المسائل الخلافية بصـورة موضوعية وبشكل مسهب ، « ومن الذين كتبوا فى علم الأصول فى المـائة الثالثة ٠٠ الفقيه الشيعى العظيم محمد بن الجنيد ، وكان فقيها ٠٠٠ وكان على علم بالفقه المقارن ، فكان يقارن بين فقه الامامية وفقه الجمهور ، وكان منهاجه فى الدراسة الفقهية أن يجمع بين النظائر المتشابهة فى عقد واحد ، ولعله بهـذا أول من ألف فى الاشـباه والنظائر فى الفقه الاسـلامى »(٢٧٠) ٠ ولا شك أن محمد بن الجنيد كان متقدما فى التصنيف فى الفقه المقارن على كل من الشيخ الطوسى والسيد المرتضى بحوالى قرن من الزمن ٠

وقد تقدم على ابن الجنيد من علماء الشيعة فى علم الخلاف أو الفقه المقارن محمد بن عمر الواقدى المولود سنة مائة وثلاثين للهجرة ، والمتوفى سنة سبع ومائتين وله كتاب الاختلاف ٠ يقول ابن النديم : « أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدى ٠٠ وكان يتشيع حسن المذهب ٠٠٠ وله من الكتب ٠٠ كتاب الاختلاف ويحتوىعلى اختلاف أهل المدينـة والكوفة فى الشـفعة والصدقة ، والعمرة ، والرقبى والوديعة والعارية والبضاعة والمضـاربة والغصب والسرقة والحـدود والشـهادات وعلى نسـق كتب الفقـه ما يبقى »(٢٧١) ٠ كما وأن لأبى محمد الحسن بن موسى النوبختى أشهر متكلمى الشيعة ببغـداد والمتوفى سنة ٣٠٠ هـ ، ٩١٢ م رسـالة فى بيـان مذاهب الفـرق موجـود فى مكتب النجف أبادى(٢٧٢) ٠ وكتاب أوائل

---

(٢٧٠) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٧٦ ٠
(٢٧١) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٠ ـ ١٥١ ٠
وأيضا آغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٣٦٠ ٠
(٢٧٢) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العـربى** ـ مرجع سـابق ـ ج ٣ ـ ص ٣٣٨ ٠

المقالات فى المذاهب المختارات لأبى عبد اللــه محمد بن محمد بن النعمان المشهور بالشيخ المفيد وابن المعلم والمتوفى سنة ٤١٣ هـ(٢٧٣) ٠ وقــد ذكر ياقوت تصانيف السيد المرتضى ، وذكر منها « كتاب مســائل الخلاف فى الفقــه ٠٠ »(٢٧٤) ٠

وقد صنف فى الفقه المقارن القاضى أبو حنيفة نعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور قاضى مصر ، والمتوفى سنة٣٦٣ هـ ٠ نقله ابن خلكان ، واسمه « اختلاف الفقهاء »(٢٧٥) ٠ وكتاب « اختلاف أصــول المذاهب » المطبوع بدار الأندلس ، ببيروت سنة ١٩٧٣ ٠ وفيه يقول : « وقــد ســئل أبو عبد اللــه جعفر بن محمد ، عن علة اختلاف الناس بعد رسول اللــه ، وكيف يختلفون بعد رسول اللــه ؟ ٠٠ »(٢٧٦) ٠ بالاضــافة الى كتاب الانتصار للسيد المرتضى(٢٧٧) ، وكتاب الاعلام فيما اتفقت الامامية عليه من الأحكام مما اتفقت العامة على خلافهم فيه ٠ للشــيخ المفيد(٢٧٨) ٠ وكتاب « الخلاف » لشــيخ الطائفــة الطوسى ، الذى يعتبر فى حقيقتــه موسوعة فقهية عظيمة فى الفقه المقارن ٠ مطبوع(٢٧٩) ٠ يقول أبو زهرة أن الشيخ الطوسى : « مع علمه بفقه الامامية ، وكونه من أكبر رواته كان على علم بفقه الســنة ، وله فى هــذا دراســات مقارنة ، وكان عالمــا فى الأصــول على المنهاجين : الامامى والسنى »(٢٨٠) ٠

---

(٢٧٣) المصــدر الســابق : ص ٣٤٩ ــ ٣٥٠ ٠
(٢٧٤) ياقوت : **معجم الأدباء** ــ مرجع سابق ــ جـ ١٣ ــ ص ١٤٨ ٠
(٢٧٥) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ــ مرجع سابق ــ جـ ٥ ــ ص ٤٨ ٠
وايضا اغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ٣٦١ ٠
(٢٧٦) القــاضى النعمــان : **اختــلاف أصــول المــذاهب** ــ مرجــع ســابق ــ ص ٣٢ ٠
(٢٧٧) الاصفى : **مقــدمة كتاب اللمعــة** ــ مرجع ســابق ــ جـ ١ ــ ص ٦٣ ٠
(٢٧٨) المصــدر الســابق : ص ٦٤ ٠
(٢٧٩) حسن عيسى الحــكيم : **الشيخ الطوسى** ــ مرجع ســابق ــ ص ٤٦٤ ٠
(٢٨٠) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ــ مرجع سابق ــ ص ٢٦٠ ٠

وأما ما يقوله طاش كبرى زاده : « ان أول من أخرج علم الخلاف فى الدنيا أبو زيد الدبوسى بتخفيف البـاء الموحدة الحنفى وهو عبيد اللـه بن عمر بن عيسى له كتاب « الأسرار » وكتاب « تقويم الأدلة » كلاهما من أصـول الفقه ... توفى ببخارى سنة ثلاثين وأربعمائة وقيل يوم الخميس منتصف جمـادى الآخـرة سـنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثلاث وسـتين سنة »(٢٨١) . فقد عرف مما تقدم أن الشيعة هم الذين أوجدوا هـذا العلم وصنفوا فيه قبل غيرهم بأكثر من قرنين ونصف من الزمن .

« هـذا هو علم أصول الفقه عند الامامية فى القرن الثالث الهجرى ، وقد جاء القرن الرابع ، وفيه نمـا علم أصـول الفقـه عند الامامية نموا عظيما »(٢٨٢) . والسبب فى ذلك « أن باب الاجتهاد مفتوح عند أكثرهم ، وهم الذين لا يقفون عند أقوال الأئمة ان لم يعرف نص لهم فى المسألة التى تعرض من بعدهم ، بل يستنبطون فى غير قياس .. ولأن باب الاجتهـاد مفتوح كان لا بد أن يعنوا بقواعد الاستنباط لكيلا يكون الأمر فرطا من غير ضابط يضبطه ، فكانت من أجل ذلك العناية بهذا العلم ودراسته »(٢٨٣) .

ولقد نمى هـذه الدراسة وجود علماء من بعد القرن الثالث عكفوا على الفقه وأصوله ، فدنوه ورتبوا أبوابه ، وفتحوا عيونه ، وأجروا جداوله ، وكان فى كل قرن من القرون التالية علماء أجلاء كتبوا فى الفقه ، فى فروعه وأصوله ، وكان أكثر الذين كتبوا هـذه الأصـول من المتكلمين الذين جمعوا بين الدراسات الفقهية العملية المقتبسة من المأثور عن الأئمة والدراسات النظرية المجردة التى استمدوها من دراساتهم الفلسفية(٢٨٤) .

---

(٢٨١) طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٥٤ .
(٢٨٢)محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٠ .
(٢٨٣) المصـدر السـابق : ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .
(٢٨٤) المصدر السابق : ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ . وانظر أيضا السيد على نقى الحيدرى : **أصول الاستنباط** ـ ط ٢ ـ بغـداد ـ مطبعة الرابطـة ـ ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م ـ ص ٣٣ ـ ٣٤ .

١٨ ـ علم التاريخ والمغازى والسير :

« كان التاريخ ثمرة ناضجة فى بستان الثقافة الاسلامية ، وموضع الدرس والاقبال من الطلاب فى مختلف جوانبه ، بدءا بأيام العرب القديمة وظلت تروى شفاها بالطريقة التقليدية أو المدونات التى تسجل الأحداث شهرا فشهرا ، وعاما فعاما ··· »(٢٨٥) ·

وكان للشيعة أثر كبير فى اخراج هذا العلم الى الوجود فى تاريخ الاسلام · وأول من صنف فى ذلك من علماء الاسلام أبان بن عثمان الأحمر التابعى المتوفى سنة ١٤٠ هـ من أصحاب الصادق · ثم محمد بن السائب الكلبى ، وابنه هشام ، ومحمد بن اسحاق المطلبى ، وأبو مخنق الأزدى ، وتأثر من كتب فى هذا الفن بهم ، واعتمد عليهم ، والجميع من أعلام الشيعة ، ثم تلاهم أكابر المؤرخين وكلهم من الشيعة أيضا كأحمد بن خالد البرقى صاحب كتاب المحاسن ، ونصر بن مزاحم المنقرى ، واليعقوبى أحمد بن يعقوب المطبوع تاريخه فى أوربا وفى النجف ، ومحمد بن طباطبا صاحب الآداب السلطانية(٢٨٦) ·

« ويعتبر هشام بن محمد الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤ هـ ، وأبوه محمد أول من كتب من العرب فى علم التاريخ ، كما اشتهر كل منهما بتحرى الدقة فى روايته »(٢٨٧) · كما يعتبر هشام أول من صنف فى كل أنواع التاريخ بالاستقصاء(٢٨٨) · ولهذا كان من أعلم الناس بعلم الانساب ، وله كتاب « الجمهرة » فى النسب وهو من محاسن الكتب فى هذا الفن ·· كما يقول ابن خلكان(٢٨٩) · وله من التصانيف فى علم التاريخ وغيره

---

(٢٨٥) خوليان ريبيرا : **التربية الاسلامية فى الأندلس** ـ مرجع سابق ـ ص ٧٩ ·

(٢٨٦) محمد حسين آل كاشف الغطاء : **أصل الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨ ·

(٢٨٧) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٣٤٩ ·

(٢٨٨) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٦ ـ ١٤٩ ·

(٢٨٩) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ـ مرجع سابق ـ ج ٥ ـ ص ١٣١ ـ ١٣٢ ·

شيىء كثير ، وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين مصنفا ، وأحسنها كتابه المعروف « بالجمهرة » فى معرفة الانســـاب ولم يصنف فى بابه مثله ، وتوفى سنة أربع ومائتين(٢٩٠) ٠

يقول بروكلمان : « لمــا قويت عناية علماء العراق بجمع أشـــعار الجاهلية وشرحها نشأت الحاجة الى البحث والتنقيب عن أيام العــرب وملوكهم وأحوالهم فى الزمن القــديم ، وكان أعظم الفضل فى حفظ هــذه الأخبار والآثار يعود الى الكلبيين محمد بن السائب ، وابنه أبى المنذر هشــام بن محمد ، وعنهما أخــذ المتأخرون ٠ فالأول : محمد بن الســائب الكلبى ٠٠ توفى ســـنة ١٤٦ هـ ، ٧٦٣ م ٠٠ »(٢٩١) ٠ ولهــذا حاول محمد بن السائب الكلبى قراءة النقوش المكتوبة على قبور اللخميين للتحقق من تواريخها الا أن طريقته هــذه بقيت زمنا طويلا لا تجد من يســير على غرارها ، حتى جاء الجهشيارى فاســتفاد منهــا فى كتاب الوزراء ، حيث اعتمد على النقوش التى وجدها فى ثغرى « صــور » ، و « عكا »(٢٩٢) ٠ ومن هنا يبدو أن محمد الكلبى أول من استخدم المنهج العلمى فى معرفة الوقائع التاريخية فى العالم الاسلامى ٠

وسار هشام على خطوات أبيه ، وحاول أن يتم ما جمعه بالبحث والتنقيب فى الآثار التى لا تزال باقية فى كنائس الحيرة ، ليستكمل بذلك تاريخ اللخميين ومشاهدهم ، وصنف ما وصل اليه من ذلك ، وكان هــذا المنهج الذى اتبعه هشام بن محمد غير مألوف فى ذلك العصر فى البحث ، مما سبب اثارة التهم وتوجيه المطاعن اليه من قبل معاصريه ، ولكن البحث الحــديث قد أكد كثيرا من أقوال هشـــام التى وجــه اليهــا معــاصروه التشكك فيها(٢٩٣) ٠

وفى البيان والتبيين للجاحظ : « كان هشام بن محمد علامة نسابة ٠٠٠

---

(٢٩٠) المصدر السابق : ص ١٣٢ ـ ١٣٣ ٠
(٢٩١) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العــربى** ـ مرجــع ســابق ـ جـ ٣ ـ ص ٣٠ ٠
(٢٩٢) المصدر السابق : ص ٨ ٠
(٢٩٣) المصدر السابق : ص ٣١ ٠

فاذا رأى الهيثم بن عـدى ذاب كما يذوب الرصـــاص فى النـار ، وكان على بن الهيثم صاحب تفقيع وتقصير ، ويستولى على كلام أهل المجلس ، ولا يحفل بشـــاعر ولا بخطيب ٠٠ »(٢٩٤) ٠ يقـول الجـاحظ : « وكان ابراهيم بن السـندى يحدثنى عن هؤلاء بشيىء هو خـلاف ما فى كتب الهيثم بن عدى وابن الكلبى »(٢٩٥) ٠ وكان الهيثم من علمـاء الشـيعة أيضا(٢٩٦) وقد مات سنة سبع ومائتين للهجرة ٠ وله من الكتب طبقات الفقهـــاء والمحـدثين ، وهى من أوائل كتب الطبقـــات التى صــــنفها الشيعة(٢٩٧) ٠ كما أنها أسبق من كتاب طبقات الصحابة لمحمد بن سعد المعروف بكاتب الواقدى المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ، والذى يعتبر أقدم كتب الطبقات التى وصلت الينـا كما يقول جرجى زيدان ، وهو كتاب كبير ، وربما دخل فى بضعة عشر مجلدا »(٢٩٨) ٠ « وللهيثم هـذا فضل السبق الى ترتيب الحـوادث حسب السـنين ، وقد اســـتقى الطبرى من كتب هؤلاء واعتمد عليها »(٢٩٩) ٠

وقد تقدم على هشام بن محمد والهيثم بن عدى ، أبو مخنق الأزدى ، وهو لوط بن يحيى بن سعيد ، وكان صاحب أخبار ، ويكنى أبا مخنق ، ومخنق بن سليمان من أصحاب على بن أبى طالب ٠٠ مات لوط بن يحيى سنة سبع وخمسين ومائة ، وكان راوية اخباريا صاحب تصانيف فى الفتوح وحروب الاسلام(٣٠٠) ٠ قال ياقوت : « وجدت بخط أحمد بن الحارث الخزار قال : العلماء : أبو مخنق بأمر العراق وفتوحها ، واخبارها يزيد

---

(٢٩٤) الجـــاحظ : **البيـــان والتبيين** ـ مرجع ســابق ـ جـ ١ ـ ص ١٣١ ـ ١٣٢ ٠

(٢٩٥) المصدر السابق : ص ٣٣٥ ٠

(٢٩٦) المصدر السابق : جـ ٢ ـ ص ١٥ هامش ٦ ٠

(٢٩٧) حاجى خليفـة : **كشف الظنـــون** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ١١٠٥ ٠

(٢٩٨) جرجى زيدان : **تاريخ التمـدن الاســلامى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٠١ ٠

(٢٩٩) أحمد الحوفى : **تيارات ثقافية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٧ ٠

(٣٠٠) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٧ ـ ص ٤١ ٠ وأيضا ابن قتيبة : **المعارف** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٣٧ ٠ وأيضا السيد حسن الصـدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٥ ٠

على غيره ٠٠٠ »(٣٠١) ٠ وله كتب كثيرة صنفها فى التاريخ ذكرها ياقوت فى معجمه(٣٠٢) ٠

يقول بروكلمان : « أبو مخنق لوط بن يحيى الأزدى ٠ أول من صنف فى أخبار الفتوح والخوارج وأيام العرب وأحاديث الخلفاء والولاة ٠ وله كتاب ذكر مقتل ٠٠٠ الحسين بن على ، أو المصرع الشين فى قتل الحسين ، مخطوط فى : أمبروزيانا ، جوتنجن ١٨٢٨ ، ليدن ، ٠٠ وله ٣٥ كتابا من مصنفاته »(٣٠٣) ٠ « ٠٠ وذهب كثير من المتأخرين فى عصر العباسيين مذهب أبى مخنق »(٣٠٤) ٠

أما المغازى والسير ، فان أول من صنف فيها محمد بن اسحاق ، قال المرزبانى « ومحمد بن اسحاق أول من جمع مغازى رسول الله (ص) وألفها »(٣٠٥) ٠ وكان ابن اسحاق من الشيعة(٣٠٦) ٠ وفى ذلك يقول آدم متز : « يذكر أن ابن اسحاق صاحب السيرة النبوية كان يتشيع ٠٠ وكان يدخل فى كتابه أشعارا للشيعة ٠٠ »(٣٠٧) ٠ وله من الكتب : كتاب الخلفاء ، كتاب السير والمغازى ٠٠ وقد مات سنة خمسين أو احدى أو اثنتين وخمسين ومائة(٣٠٨) ٠ وفى ذلك يقول بروكلمان : « وبهذا الكتاب ـ أى سيرة النبى ـ لقى ابن اسحاق معارضة مالك بن أنس ، لعنايته بغير حديث الفقه والكلام كما رماه مالك بالقدر والتشيع ٠ ولهذا اضطر ابن اسحاق أن يهاجر الى العراق سنة ١٣٢ هـ ٠٠ »(٣٠٩) ٠ يقول

---

(٣٠١) ياقوت : المصدر السابق ـ ص ٤١ ٠
(٣٠٢) المصدر السابق : ص ٢٣ ـ ٧٢ ٠
(٣٠٣) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٥٣ ٠
(٣٠٤) المصدر السابق : جـ ٣ ـ ص ٣٦ ٠
(٣٠٥) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ١٨ ـ ص ٥ ٠
(٣٠٦) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ ٠
(٣٠٧) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٩ ٠
(٣٠٨) ياقوت : **معجم الادباء** ـ مرجع سابق ـ جـ ٨ ـ ص ٥ ـ ٨ ٠
(٣٠٩) كارل بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٠ ـ ١١ ٠

الشاذكانى : « كان محمد بن اسحاق بن يسار يتشيع ٠٠ »(٣١٠) ٠
ويقول الخطيب البغدادى : « وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن اسحاق غير واحد من العلماء لأسباب منها : أنه كان يتشيع »(٣١١) ٠
ولهذا قال أحمد بن يونس : « أصحاب المغازى يتشيعون ، كابن اسحاق وأبى معشر ويحيى بن سعيد »(٣١٢) ٠

يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن : « ومن مصادر السيرة النبوية أيضا كتاب الطبقات الكبيرة لمحمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ هـ ٠٠ وكان كاتب الواقدى المتوفى سنة ٢١٨ هـ ٠ ويعد هذا الكتاب من المصادر الموثوق بصحتها ، على الرغم من أن مؤلفه عرف بالميل الى الشيعة »(٣١٣)٠ مع ان ابن النديم يذكر سنة ولادته ووفاته فى قوله : « قال محمد بن سعد كاتبه أخبرنى أبو عبد اللـه الواقدى أنه ولد سنة ثلاثين ومائة ومات ٠٠ سنة سبع ومائتين وله ثمان وسبعون سنة ٠٠ »(٣١٤) وفى ذلك يقول الدكتور أحمد شلبى : « ومن أشهر من صنفوا فيه فى عصرنا محمد بن عمر الواقدى (٢٠٧ هـ) ٠ فقد ألف كتاب التاريخ الكبير الذى اعتمد عليه الطبرى كثيرا حتى حوادث سنة » ١٧٩ هـ « وهو بين أيدينا »(٣١٥) ٠

وقد تقدم على ابن اسحاق والواقدى فى علم المغازى والسير من علماء الشيعة أيضا جابر بن يزيد الجعفى ، المتوفى سنة ثمان وعشرين ومائة ، صنف كتاب صفين ، وكتاب النهروان ، وكتاب مقتل الامام على وكتاب مقتل الحسين(٣١٦) ٠

---

(٣١٠) ياقوت : **معجم الادباء** ـ مرجع سابق ـ ج ١٨ ـ ص ٦ ـ ٠٨

(٣١١) الخطيب البغدادى : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٢٢٤ ٠

(٣١٢) ياقوت : **معجم الادباء** ـ مرجع سابق ـ ج ١٨ ـ ص ٦ ـ ٠٨

(٣١٣) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسى** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٣٥٠ ٠

(٣١٤) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٠ ٠ وأيضا الذهبى : **ميزان الاعتدال** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٦٦٦ ٠

(٣١٥) أحمد شلبى : **التاريخ الاسلامى** ـ مرجع سابق ـ ط ٦ ـ ١٩٧٨ ـ ج ٣ ـ ص ٢٤٥ ٠

(٣١٦) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٤ ٠

أما ما يراه الدكتور حسن ابراهيم حسن ان : « أقدم مصادر السيرة النبوية سيرة ابن هشام المتوفى بمصر سنة ٢١٨ هـ ٠ وتعرف باسم سيرة رسول الله ، وقد استمد معلوماته التاريخية عن أستاذه ابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ ، وهي تعطينا صورة صحيحة لحياة النبي (ص) ٠٠ »(٣١٧) ٠ فيعرف مما تقدم ، حيث سبقه في ذلك ابن اسحاق ، كما تقدم عليه الواقدي وغيره من علماء الشيعة ٠ يقول الرحالة « وأول من سبق الى تدوين التاريخ محمد ابن اسحاق في كتابه عن المغازي والسير ثم أخذ أهل العلم في تدوينه بعد ذلك ، ووضع محمد المعروف بالواقدي كتابا في فتوح الشام ضمنه كثيرا من سير الخلفاء الراشدين »(٣١٨) ٠ كما ان أول من دون السيرة النبوية ـ كما يقول جرجي زيدان ـ محمد ابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ(٣١٩) ٠

وقد استمد المؤرخون من غير الشيعة معلوماتهم التاريخية مما صنفه علماء الشيعة ، ولهذا يقول محمد بن ادريس الشافعي : « من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد ابن اسحاق »(٣٢٠) ٠ كما ان ابن قتيبة استمد معلوماته عن ابن الكلبي ، وعن أبيه في كتابه عيون الأخبار(٣٢١) ٠ وكذلك في كتابه الشعر والشعراء(٣٢٢) ٠ كما اعتمد الطبري في تاريخه على هشام بن محمد وأبي مخنف(٣٢٣) وكل من كتب

---

(٣١٧) حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٣٥٠ ٠

(٣١٨) جميل نخلة المدور : **حضارة الاسلام في دار السلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ٠

(٣١٩) جرجي زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامي** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ٩٩ ٠

(٣٢٠) الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٢١٩ ٠

(٣٢١) أنظر ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٤٧ ٠

(٣٢٢) أنظر ابن قتيبة : **الشعر والشعراء** ـ مرجع سابق ـ الجزء الأول ٠

(٣٢٣) أنظر **تاريخ الطبري** ٠

فى التاريخ اعتمد على هؤلاء العلماء من الشيعة ۰ وفى ذلك يقول اغابزرك الطهرانى : « ومع اشتهار تشيعه ـ أى لوط بن يحيى ـ اعتمد عليه علماء السنة فى النقل عن كتبه كالطبرى وابن الأثير ، بل التاريخ الكبير لابن جرير مشحون من كتب أبى مخنف »(٣٢٤) ۰ وهكذا أمد علماء الشيعة الثقافة الاسلامية بفن جديد هو علم التاريخ والمغازى والسير ۰

١٩ ـ علم الجغرافية :

ومن العلوم التى اشتغل بها الشيعة كذلك ، علم الجغرافية ، وقد صنفوا فيه كتبا كثيرة ، وأول من صنف فيه من المسلمين هشام بن محمد الكلبى من أصحاب الامام محمد الباقر بن على بن الحسين ، صنف كتاب « الاقاليم » وكتاب « البلدان الكبير » وكتاب « تسمية الأرضين » وكتاب « الأنهار » وكتاب « الحيرة » وكتاب « منازل اليمن » الى غير ذلك كما نص على ذلك ابن النديم فى الفهرست(٣٢٥) ۰

يقول الدكتور أحمد سوسة : « ففى الجغرافية الوصفية وهى التى أطلق عليها اسم البلدان والمسالك والممالك ظهر عدد من الجغرافيين العرب مثل الكلبى واليعقوبى والبلاذرى ۰۰ »(٣٢٦) ۰ كما أن لأبى جعفر محمد ابن خالد البرقى من أصحاب الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق كتابا فى الجغرافية ، وقد ذكر ابن النديم أن لابنه أحمد بن محمد بن خالد كتاب البلدان قال أكبر من كتاب أبيه(٣٢٧) وفى ذلك يقول الزركلى : « أحمد ابن خالد البرقى : باحث امامى ، له نحو مائة كتاب منها ۰۰ البلدان »(٣٢٨) ۰ وكتاب البلدان لليعقوبى المتوفى سنة ٢٧٨ هـ وقد

(٣٢٤) أغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٣١٢ ۰

(٣٢٥) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٨ ۰

(٣٢٦) أحمد سوسة : **الشريف الادريسى فى الجغرافية العربية** ـ الثقافة العربية ـ مرجع سابق ـ ص ٦٠ ۰

(٣٢٧) ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٤ ۰

(٣٢٨) خير الدين الزركلى : **الاعلام** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص١٩٥.

طبع فى ليدن(٣٢٩) · يقول الزركلى : « ولأحمد بن اسحاق بن جعفر ابن وهب بن واضح اليعقوبى : مؤرخ جغرافى كثير الاسفار ، له كتاب البلدان وتاريخه يسمى بتاريخ اليعقوبى ·· وسمى كتابه البلدان الممالك والمسالك »(٣٣٠) · وفى ذلك يقول آدم متز : « وكان اليعقوبى » حوالى آخر القرن الثالث الهجرى » أول جغرافى بين العرب وصف الممالك معتمدا على ملاحظاته الخاصة ، ومتكلما عن البلدان من حيث خصائصها الحقيقية وما تمتاز به »(٣٣١) ·

ويرى جرجى زيدان أن « أول من دون الجغرافية منهم على نحو ما عند اليونان الشيخ أبو زيد البلخى ، ألف فى أول القرن الرابع كتابا فى الجغرافية سماه « صور الأقاليم » ذكر فيه أمثلة منها بعد أن قسمها الى عشرين جزءا ، ثم شرح كل مثال ·· »(٣٣٢) · يقول ياقوت : « اعلم أن أبا زيد فى أول أمره كان خرج فى طلب الامام الى العراق ، اذ كان قد تقلد مذهب الامامية »(٣٣٣) · مات سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة(٣٣٤) ·

وأعظم جغرافى شيعى ظهر فى ذلك الوقت الشريف الادريسى · ولقب بالشريف ، لأنه من الادارسة المنتسبين الى الحسن بن على ابن أبى طالب(٣٣٥) ألف كتابه المشهور « نزهة المشتاق » فى ذكر الأمصار والجزر والمدائن والأفاق ، وشحنه بالخرائط اللازمة التى زادت على الأربعين ، وكان هذا الكتاب أعظم كتاب للجغرافية فى زمنه ، ترجم من

---

(٣٢٩) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ·

(٣٣٠) خير الدين الزركلى : **الاعلام** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٩١ ·

(٣٣١) آدم متز : **الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص٣ ·

(٣٣٢) جرجى زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامى** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ١١٣ ·

(٣٣٣) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ ج ٣ ـ ص ٧٤ · وأيضا عبد الله نعمة : **فلاسفة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣١ ـ ١٠٦ ·

(٣٣٤) ياقوت : المصدر السابق ـ ص ٦٥ ·

(٣٣٥) أحمد مجاهد مصباح : **تاريخ الحضارة الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٦ · وأيضا أحمد الحوفى : **تيارات ثقافية بين العرب والفرس** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٨ ·

أجل هـذا الى اللغة اللاتينية ، وطبع ، وجاءت خريطته مطابقـة لمواقع البلدان ، ولم يخطىء الادريسى فى غير القليل منها(٣٣٦) .

وقد قال الكاتب الفرنسى جوتيه : « ان الشريف الادريسى الجغرافى كان الأستاذ الذى علم أوربا هـذا العلم لا بطليموس الاسكندرى ، وقـد ظل الادريسى معلما لأوربا ثلاثة قرون ، ولم يكن لأوربا مصـدر للعالم الا ما رسمه الادريسى ، وهو خلاصـة معارف العرب فى هـذا الفن ـ ولم يقع الادريسى فى الأخطاء التى وقع فيها بطليموس »(٣٣٧) . ولهـذا استأثر كتاب الادريسى باهتمام العلماء من مستشرقين ومستغربين وباحثين فى الغرب والشرق ، ونالت هـذه الدراسة من تقييم وتقدير العلماء ما لم ينله أى كتاب جغرافى عربى آخـر قبله(٣٣٨) . « اذ كان الادريسى أول جغرافى عربى اعتبر الجغرافية علما مستقلا يشمل جميع أقطار العالم من ضمنها أوربا المسيحية »(٣٣٩) . « وحسبه هـذه الشهادة التى تشـيد بفضـله : ومن كتب الادريسى التى ترجمت الى اللاتينيـة تعلمت أوربا الجغرافية فى القرون الوسطى »(٣٤٠) .

٢٠ ـ علم الأخـلاق :

اهتم الشيعة بالتربية اهتماما كبيرا ، حتى صنفوا فيها كتبا كثيرة ، تتعلق بالأخلاق والسلوك ، وأول من صنف فى ذلك على بن أبى طالب ، كتب كتابا فيه عند منصرفه من صفين وأرسله الى ولده الحسن أو محمد ابن الحنفية ، وهو كتاب طويل جمع فيه أبواب علم الأخلاق ، وطرق سلوكه وأحكام الملكات وكل المنجيات والمهلكات وطرق التخلص من تلك المهلكات ، رواه علماء الفريقين وأثنوا عليه ، ورواه الامام أبو محمد الحسن بن عبد الله

---

(٣٣٦) أحمد مجاهد مصباح : المصدر السابق ـ ص ١٩٧ .
(٣٣٧) المصدر السابق : ص ١٩٨ .
(٣٣٨) أحمد سوسة : **الشريف الادريسى ـ الثقافة العربية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٦ .
(٣٣٩) المصـدر السـابق : ص ٥٦ .
(٣٤٠) أحمد الحوفى : **تيارات ثقافية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٨ .

ابن سعيد العسكرى وأخرجه بتمـامه فى كتاب الزواجر والمواعظ وقال : « ولو كان من الحكمة ما يجب أن يكتب بالذهب لكانت هـذه .. »(٣٤١) .

وقد صنف علماء الشيعة فى الأخلاق ، وفى المصطلح الحديث فى التربية كثيرا من التصانيف يذكر منهم الباحث على سبيل المثال :

أول من صنف فيه من الشيعة ، اسماعيل بن مهران بن أبى نصر السكونى وسـماه كتاب صـفة المؤمن والفـاجر ، وهو من علمـاء المـائة الثانيـة(٣٤٢) .

كتاب الآداب للقاضى أبى عبد اللـه محمد بن عمر الولقدى المتـوفى سنة سبع ومائتين(٣٤٣) .

آداب المعاشرة لأبى جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقى المتـوفى سنة أربع وسبعين ومائتين(٣٤٤) . وله أيضا كتاب المحاسن ، كتـاب التراحم والتعاطف ، كتـاب أدب النفس ، كتاب أدب المعاشرة ، كتـاب التهذيب ، كتاب مذام الأخلاق ، كتـاب الزهـد والموعظة ، كتاب مكـارم الأخلاق ، وغيرها كثير . وكان جـده قـد حبسه يوسف بن عمر الثقفى . والى العراق من قبل هشـام بن عبد الملك ، بعـد قتل زيد بن على ، ثم قتله عبد الملك(٣٤٥) .

كتاب تحف العقول لأبى محمد الحسن على بن الحسين بن شعبة الحرانى من علماء القرن الثالث الهجرى . صنف كتاب تحف العقول فيمـا جاء فى الحكم والمواعظ ومكارم الأخلاق . مطبوع(٣٤٦) . كتاب الأدب

---

(٣٤١) السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسـلام** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٩٧ .
(٣٤٢) المصـدر السـابق : ص ٩٨ .
(٣٤٣) اغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سـابق ـ ج ١ ـ ص ١٠ .
(٣٤٤) المصـدر السـابق : ص ٢٩ .
(٣٤٥) ياقوت : **معجم الأدباء** ـ مرجع سابق ـ ج ٤ ـ ص ١٣٢ .
(٣٤٦) انظر الحرانى : **تحف العقول** ـ مرجع سابق .

لأبى العباس أحمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن عقدة الزيدى المتوفى سـنة ٣٣٣ هـ(٣٤٧) ٠

كتاب العالم والمتعلم ، كتاب القضايا وآداب الحكام ، كتاب فرض طاعة العلماء ، كتاب محاسن الأخلاق ، الى غير ذلك ، لمحمد بن مسـعود العياشى من علماء القرن الثالث(٣٤٨) ٠

كتاب تلقيح العقـول أكثر من مائـة باب أوله باب العقل ثم باب الأدب ، ثم باب العلم وما جانس ذلك ، لأبى عبد اللـه المرزبانى المتوفى سنة ٣٧٨ هـ(٣٤٩) ٠

آداب الحكماء فى الأخلاق للشيخ ابن عبدون المعروف فى عصره بابن الحاشر المتوفى سنة ٤٢٣ هـ(٣٥٠) ٠ الى غير ذلك مما صنفه علمـاء الشيعة فى الأخلاق وهى فى الحقيقة كتب تربيـة فى الدرجة الأولى ، لأن التربية كانت تعتمد أولا على تغيير السلوك الخلقى ٠

٢١ ــ الشـعر التعليمى :

ومن الفنون التى استحدثها الشيعة ، ولم تكن لها أى أصول قديمة ، فى الشعر التعليمى ، الذى دفع اليه رقى الحياة العقلية فى هذا العصر ، فاذا نفر من الشيعة ينظمون القصص وبعض المعارف والسير والأخبار ٠ وكان أبان بن عبد الحميد هو أول من عمل على اشاعة هـذا الفن الشـعرى الجديد ، فقد نظم فيه تاريخا وفقها وقصصا كثيرا ٠ ففى التاريخ ، نظم سيرتى أردشير وأنوشروان ، وفى الفقه نظم الأحكام المتعلقة ببابى الصوم والزكاة ، كما صنع قصيدة فى مبدأ الخلق وضمنها شيئا من المنطق ، وأهم من ذلك كله أنه نظم فى القصص ككتاب كايلة ودمنة فى أربعة عشر ألف بيت ، وقد تأثر بهـذا المنحى من الشعر التعليمى ابنـه حمـدان فينظم

---

(٣٤٧) اغابزرك الطهرانى : **الذريعة** ــ مرجع سابق ــ جا ــ ص١٠ ٠
(٣٤٨) ابن النديم : **الفهرست** ــ مرجع سابق ــ ص ٢٢٨ الى ٢٩١ ٠
(٣٤٩) المصـدر السـابق : ص ١٩٧ ٠
(٣٥٠) اغابزرك الطهرانى : **الذريعة** ــ مرجع سابق ــ جا ص ١٧ ٠

مزدوجة طويلة مسرفة فى الطول(٣٥١) ٠ وكان أبان بن عبد الحميد يتشيع للعلويين(٣٥٢) ٠

يقول بروكلمان : « ٠٠ وقد عنى هـذا الشاعر بنظم المواد الثقافية ٠٠ فانتشر أدب العجم بهـذه المنظومات بين العرب ٠٠ ولأبان اللاحقى أيضا قصيدة كونية فى أحوال الدنيا تسمى : ذات الحلل ، كما نظم فى فرائض الصـيام ، وصنف كتبـا فى : حكم الهنـد ٠٠ وتوفى أبان فى حـدود سنة ٢٠٠ هـ ـ ٨١٥ م ٠٠ وكان ابنه حمدان بن أبان ، وحفيده الحسن شاعرين موهوبين أيضا ٠٠ »(٣٥٣) ٠ وهكذا ظهر الشعر التعليمى لأول مرة على يد أبان بن عبد الحميد اللاحقى(٣٥٤) ٠

ودخلت شعاعات من هـذا الفن التعليمى الجديد الى بيئات الاخباريين فاذا الأصمعى ينظم قصيدة طويلة فى ذكر الملوك والجبابرة الهالكين ، كما دخلت فى بيئات المتكلمين ، فاذا معدان الأعمى الشيعى الشميطى أحـد متكلمى الشيعة الامامية ينظم قصيدة طويلة فى أصناف الشيعة وعقائدهم، كما يقول الدكتور شوقى ضيف(٣٥٥) ٠ وهكذا وجـد الشـــعر التعليمى فى الثقافة الاسلامية ٠

٢٢ ـ الشيعة والعلوم الكونية والطبيعية :

اختلف المسلمون فى جواز الخوض فى العلوم الطبيعية ودراستها ، فذهب البعض الى تحريم دراسة العلوم الطبيعية والكونية ٠ ويذكـر الدكتور الاهوانى العلة التى من أجلها حرم هؤلاء الخوض فى هـذه العلوم

---

(٣٥١) شـوقى ضيف : **تاريخ الأدب العربى ـ العصر العباسى الأول** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٠ ـ ١٩١ ٠ وأيضا ابن النديم : **الفهرست** مرجع سابق ـ ص ٢٣٨ ٠ ١٧٨ ٠ وأيضا الخطيب البغدادى : **تاريخ بغداد** مرجع سابق ـ جـ ٧ ـ ص ٤٤ ـ ٤٥ ٠

(٣٥٢) شوقى ضيف : المصدر السابق ـ ص ٣٣٢ ٠

(٣٥٣) بروكلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ مرجع سابق ـ جـ ٣ ـ ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ٠

(٣٥٤) عز الدين اسماعيل : **فى الشعر العباسى** ـ مرجع سابق ـ ص ٤٠٥ ٠

(٣٥٥) شـوقى ضـيف : **تاريخ الأدب العـربى** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٢ ٠

بقوله : « ٠٠ ولكن المسلمين لشدة غيرتهم على الدين وخوفهم من التحول عنه ، وجدوا من السلام الابتعاد عن البحث فى الطبيعة حتى لا يصرفهم ذلك عن الايمان والعبادة ٠٠ يضاف الى ذلك أن الفقهاء كانوا ينظرون بعين الريبة الى العلوم الطبيعية ٠ والجمهور على هذا الرأى أيضا »(٣٥٦) ٠ ويستطرد الدكتور الاهوانى فى قوله : « ومن الذين هاجموا العلوم الطبيعية هجوما عنيفا ، وصرفوا الناس عن دراستها الغزالى للعلة التى ذكرناها ، قال : « الطبيعيات بعضها مخالف للشرع والدين والحق ، فهو جهل وليس بعلم حتى يورد فى أقسام العلوم ٠ وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء ، وأما علومهم فى الطبيعيات فلا حاجة اليها ٠ فاذن الكلام كان من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية ، حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة ، وانما حدث ذلك بحدوث البدع »(٣٥٧) ٠

أما الشيعة فقد كان لهم موقف آخر من العلوم الطبيعية ، ودراستها وبحثها فقد اعتبروا أن الخوض فى هذه العلوم من الأمور اللازمة التى تؤدى الى قوة الايمان بالله سبحانه وقدرته ٠ ولهذا كان لهم فضل كبير فى العلوم الطبيعية بكل فروعها حتى ليعدوا من المؤسسين لها وواضعى قواعدها ، كما دعوا تلاميذهم الى الاشتغال بها ، لاثراء الثقافة الاسلامية والفكر الانسانى على السواء ٠

ويبدو أن أول من دعا الى دراسة العلوم الكونية من المسلمين ، الامام على بن أبى طالب ، وفى كلامه لتلميذه كميل حين ذكر حجج الله فى الأرض دليل على ذلك ، فقال : « هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون »(٣٥٨) ومن كلامه فى الكون : « ٠٠٠ ثم زينها بزينة

---

(٣٥٦) أحمد فؤاد الاهوانى : **التربية فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٥٥ ٠

(٣٥٧) المصدر السابق : ص ١٥٥ ٠ وأيضا الغزالى : **المنقذ من الضلال** ـ مرجع سابق ـ ص ١١٦ ـ ١١٧ ٠

(٣٥٨) ابن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٣٥٥ ٠

الكواكب ، وضياء الثواقب ، وأجرى فيها سراجا مستطيرا ، وقمرا منيرا ، فى فلك دائر ، وسقف سائر ، ورقيم مائر ، ثم فتق ما بين السموات العلا ٠٠ » الى آخر كلامه(٣٥٩) ٠

وقد سار أئمة الشيعة على نهج الامام على بن أبى طالب فى دراسة العلوم الكونية والطبيعية ، منهم الامام جعفر الصادق ٠ وفى ذلك يقول أبو زهرة : « ٠٠٠ ان الامام جعفر (رض) كان له علم بالكونيات ، وعنى بدراستها ، فقد كان عنده من القوى العقلية والنفسية والفراغ ما يجعله يتجه الى طلب المعرفة من أى نوع كانت المعرفة ، وعندنا الكثير من الأدلة المقربة التى تدل على أنه كان له علم بالكونيات ، وقد طلب ذلك ليتخذ منه ذريعة لبيان وحدانية اللـه تعالى »(٣٦٠) ولذلك عكف الصادق على دراسة الكون ، وما اشتمل عليه ، وحث تلاميذه أن يسلكوا مسلكه فى هذه الدراسة ، حتى تخرج من مدرسته جابر بن حيان واضع علم الكيمياء ٠ وقد ذكر ابن خلكان ذلك ، فقد قال : « أبو عبد اللـه جعفر الصادق ٠٠٠ أحد الأئمة الاثنى عشر ، على مذهب الامامية ٠٠ ولقب بالصادق لصدقه فى مقالته ، وفضله أشهر من أن يذكر ، وله كلام فى صنعة الكيمياء والزجر والفأل ، وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفى الطرسوسى قد ألف كتابا يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق وهى خمسمائة رسالة »(٣٦١) ٠

يقول السيد أمير على : « ولا نزاع فى أن الكيمياء « بوصفها علما » من اختراع المسلمين ويعد أبو موسى جابر بن حيان أبا الكيمياء الحديثة بحق ، ويعداسمه عنوانا على عصر جديد فى علم الكيمياء يقارع فى الأهمية اسم « برستلى » و « لافوازييه »(٣٦٢) ٠ ويعرفه الأوربيون باسم "Geber" وقد ألف جابر كتبا كثيرة فى الكيمياء والمعادن والأحجار

---

(٣٥٩) محمد عبده : **نهج البلاغة** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ١٨ ٠
المائر : المتحرك ٠
(٣٦٠) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ــ مرجع سابق ــ ص ٣٠ ٠
(٣٦١) ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ــ مرجع سابق ــ جـ ١ ــ ص ٢٩١٠
(٣٦٢) السيد أمير على : **روح الاسلام** ــ مرجع سابق ــ جـ ٢ ــ ص ٢٧١ ٠

انتفع بها الأوربيون(٣٦٣) ٠ كما ترجمت منها طائفة كبيرة الى اللاتينية وأفاد منها الأوربيون فوائد كبرى مما كان له أكبر الأثر فى نهضة الأبحاث الكيميائية بديارهم ، وهو ، دون نزاع ، المؤسس الأول لعلم الكيمياء عند العرب ٠ كما يقول الدكتور شوقى ضيف(٣٦٤) ٠ وفى ذلك يقول الرحالة : « ٠٠ حتى قام جابر بن حيان ٠٠ وهو تلميذ جعفر الصادق (رض) فكتب سفرا جليلا فى علل المعادن ودون الكيمياء فى سبعين رسالة ربطها بأصول العلم ونبذ من مذاهب المتقدمين ما لم يؤيده التحقيق فى مجرياته ، وقد قسم هذه الصناعة الى قسمين منها القوة النفسية وهى السيمياء ، ومنها القوة العلمية وهى الكيمياء ٠٠ وقد وضع القواعد على منهاج لم يشركه فيها أحد ولا قدر على مثله حكماء اليونان أنفسهم ، ولذلك نسب اليه هذا العلم وصار علم الكيمياء يسمى بعلم جابر »(٣٦٥) ٠

وقد تتلمذ جابر على يد الامام جعفر الصادق فى الاعتقاد وأصول الايمان ، واقتباسه منه جميع العلوم الانسانية والكونية ، وقد تضافرت أقوال المؤرخين أيضا كما يقول أبو زهرة ـ على أنه تحدث اليه فى طبائع الأشياء وخواص المعادن ، ومزج الأشياء بعضها ببعض(٣٦٦) ٠ وفى ذلك يقول السيد محمد باقر الصدر : « ولم يكن لجابر هذا أستاذ غير الامام الصادق عليه السلام وقد كرر جابر ذكر اسم أستاذه فى أكثر كتبه وبتعابير مختلفة ٠ ويقول الأستاذ « هوليارد » فى بحثه عن جابر بن حيان : « ان جابرا هو تلميذ جعفر الصادق وصديقه ، وقد وجد فى امامه الفذ سندا ومعينا وراشدا أمينا وموجها لا يستغنى عنه ٠ وقد سعى جابر لأن يحرر الكيمياء بارشاد أستاذه من أساطير الأولين التى علقت بها من الاسكندرية ، فنجح فى هذا السبيل الى حد بعيد » ـ حتى قال عنه الاستاذ « برتلو » فى كتابه الذى نشره بباريس عن الكيمياء عند العرب قال ما نصه : ان

---

(٣٦٣) شوقى ضيف : **تاريخ الأدب العربى ـ العصر العباسى الأول** ـ مرجع سابق ص ٣٥٢ ٠

(٣٦٤) المصدر السابق : ص ١١٦ ـ ١١٧ ٠

(٣٦٥) جميل نخلة المدور : **حضارة الاسلام فى دار السلام** ـ مرجع سابق ـ ص ١٩٧ ٠

(٣٦٦) محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الاسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٩٦ ٠

اســـم جابر ينزل فى تاريخ الكيميـــاء منزلـة اســـم أرســـطو فى تاريخ المنطق »(٣٦٧) ٠

وهكذا سجل المسلمون انتصارات واســعة فى دراســـة العلوم الطبيعية وعلى رأسهم علماء الشيعة ، وابتكروا فيها فكرة التجربة العلمية ، وقد دون اخوان الصفاء الشيعية تسعة عشر فصلا فى الدراسات الكيمياوية من مجموع فصول رسائلهم ، وكان الفضل فى ذلك لجابر ، يقـول الأستاذ ساريف : « وأول باحث عظيم فى علم الكيمياء ، هو جابر بن حيان (٧٦٦م) ، وقد أصبحت كتبه عند ظهورها فى القمة ، وصارت بعد القرن الرابع عشر أهم مصادر هـذه الدراسات وأكثرها فى التأثير وقيادة التفكير العلمى فى الشرق والغرب ، مما سـجل بحق اسـم جابر فى مقدمة من افادوا علم الكيمياء وطوروه من الناحيتين النظرية والعلمية »(٣٦٨) ٠ ولهـذا يقـول كويلر يونج : « وفى ميدان العلوم الطبيعية ظهرت جهـود الاسـلام فى الطبيعة والكيمياء ، والمعروف أن مؤسس هـذا العلم هو جابر بن حيان الكوفى ٠٠ »(٣٦٩) ٠

هـذا وقـد قسم جابر العلوم الى دينية ودنيوية : فالدينيـة عنده تنقسم الى شرعية وعقلية ، والشرعية منها ظاهرة وباطنة ، والعقلية تنقسم الى علوم معان وعلوم حرف ، وعلوم الحرف تنقسم الى علوم طبيعيـة وروحانية ٠٠ أما علوم المعانى فهى فلسفية والهية ، وبذلك تكون العلوم الدينية فى رأيه أسبق فى الذكر من العلوم الدنيوية ، وان زمن الانتفاع هنا هو الأساس فى التفرقة بين العلوم الدينية والدنيوية(٣٧٠) ٠

---

(٣٦٧) محمد باقر الصـدر : **جعفر الصـــادق** ـ دائرة المعـارف الشيعية ـ مرجع سابق ج ٢ ـ ص ٧٥ ٠

(٣٦٨) M.M. Saarif : **الفكر الاسلامى منابعه وآثاره** ـ ترجمة الدكتور أحمد شـلبى ـ ط ٦ ـ القاهرة ـ النهضـة المصرية ـ ١٩٧٨ ـ ص ١٣٧ ٠

(٣٦٩) كويلريونج : **أثر الاسـلام الثقافى فى المسيحية** ـ الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة ـ بحوث اسلامية ـ جمع محمد خلف اللـه ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ١٩٦٢ ـ ص ٢٤٨ ٠

(٣٧٠) عبد اللطيف محمد العبد : **دراسات فى الفلسفة الاسلامية** ـ القـاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٩ ـ ص ١٩٢ ٠

وقد اشتغل الشيعة بهـذه العلوم فى فترة مبكرة من الاسلام ، فقد نقل عباس محمود العقاد عن ابن بابويه القمى أحد علماء الشيعة قوله : « وهـذه الروايةرواها ابن بابويه الصدوق فى الخصال عن جابر بطريقين بينهما اختلاف يسـير ، ورواها الحافظ القمى عن جابر فى تفسـير قوله تعالى : « انى رأيت أحد عشر كوكبا ٠٠ » ثم سـمى تلك النجوم بتغير يسـير ٠٠ يقول العقاد : « ٠٠ ولا نحرص على روايته الا لأن الصـواب والخطأ فى هـــذه التأويلات يدلان معـا على موقف القـرآن الكريم عند المسلمين فلا حرج عندهم فى دراسة النظريات العلمية ، ولا مانع فى دينهم يمنعهم أن يتقبلوها كأنها مطابقة لآيات التنزيل »(٣٧١) ٠ وهـذا يتفق مع رأى الشيعة ٠

وننتهى من هذا الى أن مؤرخى المسلمين يتفقون على حقيقتين كما يقول أبو زهرة : الأولى اشتغال جابر بالكيمياء والطبيعة ، والثانية صلته بالامام الصادق ، وانه كان تلميذه ومتشيعا لآل البيت(٣٧٢) ٠ ويقول أيضـا : « يذكر العلماء أن الصادق (رض) تكلم فى كثير من العلوم ، ولم يكن كلامه مقصورا على علوم الاسلام وما يتصل بها ، بل تصـدى للكلام فى الطب وعلوم الطبيعة وكتب اخواننا الامامية كتبا فى طبه ، وفى علومه وليس عندنا ما نرد به كلامهم ، ولا يسوغ لنا أن نتصدى لرد هـذا »(٣٧٣) ٠ كما أن هشام بن الحكم تلميذ جعفر الصادق له نظريات خاصـة فى علم الطبيعة وطبقـات الأرض ، حيث ذهب الى القول بأن اللـه خلق الأرض من طبائع مختلفة يمسك بعضها بعضـا ، فاذا ضعفت طبيعة منها غلبت الأخرى فكانت الزلزلة ، وان ضعفت أشد من ذلك كان الخسف(٣٧٤) ٠ كما له نظريات أخرى فى تكوين المطر(٣٧٥) ٠ وهكذا أثرى الشيعة الثقافة الاسلامية بهـذه العلوم ٠

---

(٣٧١) عباس محمود العقاد : **التفكير فريضـة اسـلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٥٨ ـ ٥٩ ٠

(٣٧٢) محمد أبو زهرة : **الامام الصادق** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٧ ٠

(٣٧٣) المصدر السابق : ص ٢٤٦ ٠

(٣٧٤) الأشعرى : **مقالات الاسـلاميين** ـ مرجع سـابق ـ ج ١ ـ ص ١٣٤ ٠ وأيضا البغدادى : **الفرق بين الفرق** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٨ ٠

(٣٧٥) الأشعرى : المصدر السابق : ص ١٣٤ ٠

٢٣ ـ المنهج العلمى التجريبى :

من الواضح أن المنهج طريق يسلكه العقل وفق قواعد عامة ترشده وتقوده الى الحقيقة ٠ كما أن المنهج العلمى ، هو حصيلة التأمل الدقيق ، والعقل المبدع الذى يحدد القواعد ، ويميز الصحيح من الفاسد ، ويخلص الى القوانين ، وان الفيلسوف المنهجى ، هو الذى يتجاوز حدود التخصص المعين ، ويستقرىء المناهج المختلفة للعلوم ، محاولا الاتجاه نحو التعميم ، حتى يقدم صورة واضحة للمناهج التى يسلكها العقل الانسانى للكشف عن الحقيقة فى العلوم(٣٧٦) ٠ « فالمنهج اذن هو : طريق البحث عن الحقيقة فى أى علم من العلوم أو فى أى نطاق من نطاقات المعرفة الانسانية »(٣٧٧)٠

واذا فهمنا المنهج بهذا الشكل ، يتضح أنه لم يكن لليونان وحدهم مناهج ساروا عليها ، بل كان لمن قبلهم من أمم الشرق أيضا ـ وقد وصلت الى بحوث عميقة فى العلم التجريبى والعلم الرياضى ـ مناهج ومواقف نحو البحث العلمى ، « ولم تضع أمة من الأمم أو مفكرو وعلماء أمة من الأمم قبل العرب المنهج التجريبى أو الاستقرائى كمنهج »(٣٧٨) ٠

ثم ان منهج البحث هو المعبر عن روح الحضارة لأمة من الأمم ، ومدى أصالتها فحيث توجد حضارة ، يوجد منهج ، فالمنهج المعبر عن روح الحضارة اليونانية هو المنهج العقلى القياسى ، وقد احتقر أرسطو التجربة والتجريب ، حيث أعلن « النظر للسادة ، والتجربة للعبيد » والمنهج المعبر عن روح الحضارة الأوربية هو المنهج التجريبى ٠ ولن نستقصى هنا تاريخ الحضارات المختلفة ، لكى نتبين منهج كل حضارة وانما نحاول أن نعرض لمنهج الحضارة الاسلامية ، والمنهج الذى وضعه أصحابها ، وهو المنهج المعبر عن روحها الحقيقية ، والذى صبغ حضارتها وثقافتها معا(٣٧٩) ٠

---

(٣٧٦) عبد اللطيف محمد العبد : **دراسات فى الفلسفة الاسلامية** ـ مرجع سابق ص ١٩١ ٠

(٣٧٧) على سامى النشار : **نشأة الفكر الفلسفى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٦ ٠

(٣٧٨) المصدر السابق : ص ٣٦ ٠

(٣٧٩) المصدر السابق : ص ٣٦ ٠

وان « من شروط قيام العلم أن تكون هناك طريقة تجمع شتات الوقائع المتفرقة المبعثرة لتفسر ما قد يوجد بينها من روابط أو علاقات تنظمها قوانين ثابتة وهذا هو المنهج التجريبي »(٣٨٠) ٠

ويبدو أن الشيعة من أقدم الفرق الاسلامية التى آمنت بالمنهج العلمى بقسميه النظرى والعملى ، كما ساهمت فى وضعه وتطوير نظرياته ، ولهذا بنى علماء الشيعة بعض العلوم على التجربة والاختبار(٣٨١) ٠ فالامام الصادق : « آمن بالتجربة والنظر العقلى والجدل طريقا الى الايمان ، وسلحته معرفته الواسعة العميقة بالعلوم فى الاستدلال والاقناع وجذب أصحاب العقول المبتكرة الى الدين »(٣٨٢) ٠

أما أول من استخدم المنهج العلمى فى مختلف العلوم بعد الامام الصادق ، فتلميذه جابر بن حيان ٠ يقول الدكتور زكى نجيب محمود : « ان مذهب جابر فى خطوات السير فى البحث العلمى ، خطوات تطابق ما يتفق عليه معظم المشتغلين بالمنهج العلمى اليوم ٠ وتتلخص فى ثلاث خطوات رئيسية : الأولى أن يستوحى العالم مشاهداته فرضا يفرضه ليفسر الظاهرة المراد تفسيرها ٠ والثانية أن يستنبط من هذا الفرض نتائج تترتب عليه من الوجهة النظرية الصرف ٠ والثالثة أن يعود بهذه النتائج الى الطبيعة ليرى هل تصدق أو لا تصدق على مشاهداته الجديدة ، فان صدقت تحول الفرض الى قانون علمى يركن الى صوابه فى التنبؤ بما عساه أن يحدث لو أن ظروفا بعينها توافرت ٠ ومنهاج جابر هذا لو فصل القول فيه قليلا لجاء من نتائج العصر الحديث »(٣٨٣) ٠

---

(٣٨٠) علاء الدين القزوينى : **المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم فى التربية والتعليم** ـ مرجع سابق ـ ص ٣٠١ ٠

(٣٨١) عبد الله نعمة : **فلاسفة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٦٢ ـ ٦٣ ٠

(٣٨٢) عبد الرحمن الشرقاوى : **شخصيات اسلامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٤١ ٠

(٣٨٣) جلال مظهر : **الحضارة الاسلامية أساس التقدم العلمى الحديث** ـ القاهرة ـ مطبعة مخيمر ـ ١٩٦٩ ـ ص ٧٢ ٠

أما المنهج التجريبى ، فيرجع أصله فى الثقافة الاسلامية الى الشيعة أيضا . يقول الأستاذ جلال مظهر : « والحق أن جابر بن حيان عبقرية نسيج وحدها ، وهو للشرق مفخرة ، بل انه من مفاخر الانسانية كلها ، ويكفيه فخرا أن يكون النبى الذى بشر بالمنهج التجريبى ، فالتدريب الذى يحدثنا عنه جابر هو ما نسميه اليوم تجربة يقول جابر « فمن كان دربا متمرنا حاذقا ، كان عالما حقا ، ومن لم يكن دربا لم يكن عالما ، وحسبك بالدربة فى جميع الصنائع أن الصانع الدرب يحذق وغير الدرب يعطل »(٣٨٤) .

ولجابر شهرة كبيرة عند الأغرنج بما نقلوه من كتبه ، فى بدء يقظتهم العلمية . قال برتلو : « لجابر فى الكيمياء ما لأرسطو طاليس قبله فى المنطق ، وهو أول من استخرج حامض الكبريتيك وسماه زيت الزاج ، وأول من اكتشف الصودا الكاوية ، وأول من استحضر ماء الذهب ، وينسب اليه استحضار مركبات أخرى مثل كربونات البوتاسيوم وكربونات الصوديوم .. وقال لوبون : تتألف من كتب جابر موسوعة علمية تحتوى على خلاصة ما وصل اليه علم الكيمياء ، عند العرب فى عصره .. »(٣٨٥) . « فان طرق التحسين فى عمليات التبخر والترشيح والتصعيد والتذويب والتقطير والتبلور ترتبط كلها باسم « جابر » وكذلك ينسب اليه أنه وصف عمليتى التكليس والتحويل وصفا علميا ، وأنه جهز مواد كيماوية كثيرة منها سلفيد الزئبق ، أوكسيد الزرنيخ ، الماء الملكى ، الزاج النقى ... وقد ظلت الأعمال التى تحمل اسمه كبيرة التأثير فى هذا العلم فى أوربا وآسيا من القرن الرابع عشر الى الثامن عشر »(٣٨٦) .

وكان لجابر معمل فى بغداد يجرى فيه تجاربه وبحوثه ، وله بحوث قيمة فى التكليس وفى ارجاع المعدن الى أصله بالأوكسجين ، وفى تحسين

---

(٣٨٤) المصدر السابق : ص ٧١ ـ ٧٢ .
(٣٨٥) خير الدين الزركلى : **الاعلام** ـ مرجع سابق ـ ج ٢ ـ ص ٩١ .
وأيضا أحمد الحوفى : **تيارات ثقافية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٢ .
(٣٨٦) كويلريونج : **أثر الاسلام الثقافى فى المسيحية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٨ .

طرق التبخير والتصعيد والصهر والتبلور(٣٨٧) · وقد زود الامام الصادق تلميذه بكل ما يحتاجه من أدوات للقيام بتجاربه(٣٨٨) · « وقد ترجم عددا من كتبه الكثير الى اللغـة اللاتينية فدل هـــذا على دوام نفوذه العلمى مدة طويلة فى أوربا »(٣٨٩) ·

وكان جابر أول من حضر الحوامض ، لذلك كان أبا الكيمياء ، اذ لا يمكن أن يتصور علم الكيمياء بغير حوامض ، ولم يكن يعرف قبله حامض أقوى من الخل المركز كما كان أول من وصف طريقة تحضير حامض النتريك فى كتابه صندوق الحكمة ، كذلك حضر الحامض الليمونى ، وكان يعرف ان اضافة ملح النشادر وهو كلوريد الأمونيا الى حامض النتريك انمـا يكون المـاء الملكى ، وهو محلول يذيب الذهب ، وهـذه حقيقة لها أهمية تعدينية كبرى وبذلك أوجد جابر فعلا الحل للمشكلة الكيماوية الكبرى فى الحصول على الذهب على شكل سائل(٣٩٠) ·

وقد استخدم جابر بن حيان فى تجاربه ، قياس الغائب على الشاهد ، فى مجال أبحاثه الكيمياوية ، وهو بهـذا يلتقى مع المنهج التجريبى الحديث فى فكرة الاحتمال ، اذ أنه لا يجوز الحكم على ما لم يشاهد الا على سبيل الاحتمال(٣٩١) · ولهـذا استطاع جابر أن ينجح فى العبور من الكيمياء السحرية الخرافية الى الكيمياء العلمية التجريبية ، ودعا الى الاعتماد على الملاحظة والتجربة(٣٩٢) ·

فالمنهج التجريبى اذن نشأن على يد الشيعة·وكان أولهم جابر بن حيان تلميذ الامام الصادق ، وبالرغم من أنه « أحـد العباقرة الذين اشـتغلوا

---

(٣٨٧) أحمد الحوفى : **تيارات ثقافية** ــ مرجع سابق ــ ص ٢٥٢ ·
وأنظر ابن النديم : **الفهرست** ــ مرجع سابق ــ ص ٥١٣ ــ ٥١٤ ·
(٣٨٨) عبد الرحمن الشرقاوى : **شخصيات اسلامية** ــ مرجع سابق ــ ص ٤١ ·
(٣٨٩) أحمد الحوفى : **تيارات ثقافية** ــ مرجع سابق ــ ص ٢٥٢ ·
(٣٩٠) جلال مظهر : **الحضارة الاسلامية** ــ مرجع سابق ــ ص ٧٢ ·
(٣٩١) عبد اللطيف محمد العبد : **دراسات فى الفلسفة الاسلامية** ــ مرجع سابق ص ٢٠٠ ·
(٣٩٢) عبده فراج : **معـالم الفكر الفلسفى فى الاسـلام** ــ مرجع سابق ــ ص ٨٠ ·

بالفلسفة والمنطق والطب والرصد والرياضيات والكيمياء ، والميكانيك ، والفلك وسواها من المعرفة الانسانية ، الا أنه طغت عليه شهرته بالكيمياء ، وعرف بها ، وبأنه امام هـذا الفن من غير منازع »(٣٩٣) ٠٠ « ثم جاء من بعـده الكندى المتوفى سـنة ٢٦٠ فقد قسم علوم الفلسـفة الى ثلاثة : « العلم الرياضى ، والعلم الطبيعى ، وعلم الربوبيـة ، وهو أعلاها فى الطبع ٠ ثم يأتى من بعده أبو نصر الفارابى المتوفى ٣٣٩ هـ فى مقـدمة احصاء العلوم ، ومن بعـده ابن سينا فانه يبدأ التصنيف ببيان ما هية الحكمة المنضمة لنوعين من المعرفة النظرية والعلمية »(٣٩٤) ٠

وكل هؤلاء من مفكرى الشـيعة وفلاسـفتهم(٣٩٥) ٠ وقد توفى جابر بن حيان سنة ١٦٠ هـ وكان له أول تصنيف عربى واسلامى فى هــذا العلم(٣٩٦) ٠ وهكذا أثرى الشيعة الفكر والثقافة فى العالم الاسـلامى بهـذا المنهج العلمى والتجريبى ٠

٢٤ ـ الدراسات الفلسفية عند الشيعة :

أما الدراسات الفلسفية ، فانها كانت فى طليعة المسائل التى اشتغل بها الشيعة ٠ « ومن أفواه الشيعة تلقى أساطين الفلسفة كلامهم فى العقل والنفس وفى مذهب الأفلاطونية الحديثـة ، ومذهب أفلوطين منهـا على التخصيص »(٣٩٧) ٠ وأول من وضع الأصول الفلسفية فى الاسـلام ،

---

(٣٩٣) عبد الله نعمة : **فلاسفة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ١٨٥ ٠

(٣٩٤) عبد اللطيف محمد العبد : **دراسات فى الفلسفة الاسلامية** ـ مرجع سابق ص ١٩٣ ـ ١٩٤ ٠

(٣٩٥) عبد الله نعمة : **فلاسفة الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ص ٣١ ٠ وأيضا عبد اللـه فياض : **تاريخ التربية عند الامامية** ـ مرجع سـابق ـ ص ٢٢٠ ٠ وأيضا أغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ٣٧٧ ٠ و جـ ٧ ـ ص ١٢ ٠ وأيضا السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ مرجع سابق ص ٩١ ـ ٩٢ ٠ وأنظر الدراسات الفلسفية عند الشيعة من هـذا الفصل ٠

(٣٩٦) عبد اللطيف محمد العبد : **منـاهج البحث العلمى** ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٧٩ ـ ص ٣١ ٠

(٣٩٧) عباس محمـود العقـاد : **التفكير فريضة اسلامية** ـ مرجـع سـابق ـ ص ٤٠ ٠

وتكلم فى قضاياها المختلفة ، قبل عصر الترجمة والاختلاط ، هو على ابن أبى طالب ، ولهـذا جاءت الفلسفة عند الشيعة فلسفة اسلامية بحتة ، واذا كان فيها بعض القضايا المذكورة من فلاسفة غير اسلاميين ، انما هى لأجل المقارنة والمناظرة • أو أنها ترجمة لبعض كتب الفلاسفة ، كما هو موجود مثلا فى بعض كتب أبى نصر الفارابى • يقول السيد حسن الصدر : « ان بعض العلماء تسرع فى تفكير الفارابى ، حيث وجد فى كتبه ما يدل على قدم العالم وانكار المعاد وأمثال ذلك ، ولم يلتفت ان هـــذا كله ترجمـة بالعربى لكتب بعض الفلاسفة ، لا أنه كتاب عقيدة لأبى نصر الفارابى ، أو ليس فى رسالة النصوص المنسوبة اليه خلاف هذه الكلمات •• »(٣٩٨)• ولهذا يقول العقاد : « والذى اتفق عليه جلة الثقات ان فلسفة الفـارابى فلسفة اسلامية لا غبار عليها ، فلم ير فيها جمهرة المسلمين المعنيين بالبحث الفكرى حرجا ولا موضع ريبة ، ولا نخالها تغضب متدينا بالاسلام أو بغيره من الأديان •• »(٣٩٩) •

ومهما يكن من أمر ، فالامام على يعتبر أول من تكلم فى الفلسفة من المسلمين • يقول الدكتور زكى نجيب محمود : « فلنقرأ للامام على هـذه العبارات لنرى كيف صبغت الأحكام الفلسفية العامة فى لفظ أخاذ : « من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق » ، « كفى بالمرء جهلا الا يعرف قدره » ، « لسان الصـدق خير من المـال الموروث »(٤٠٠) • وفى عباراته أيضـا : « ان الله تعالى خلق العرش اظهارا لقدرته لا مكانا لذاته » ، وقال أيضا : « قد كان ولا مكان ، وهو الآن على ما كان »(٤٠١) • ومن آرائه فى الفلسفة قوله : « كائن لا عن حدث ، موجود لا عن عدم • مع كل شيىء لا بمقارنة • أنشأ الخلق انشـاء ، وابتدأه ابتـداء ، بلا روية أجالهـا ، ولا تجـربة

---

(٣٩٨) السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ــ مرجع سـابق ــ ص ٣٨٥ •

(٣٩٩) عباس محمود العقـاد : **التفكير فريضة اسلامية** ــ مرجـع سـابق ــ ص ٤٧ ــ ٤٨ •

(٤٠٠) زكى نجيب محمود : **المعقول واللامعقول** ــ مرجع سابق ــ ص ٥٥ •

(٤٠١) البغدادى : **الفرق بين الفرق** ــ مرجع سابق ــ ص ٣٣٣ •

استفادها ٠٠ عالما بها قبل ابتدائها ، محيطا بحدودها وانتهائها٠٠»(٤٠٢)٠
الى غير ذلك من كلامه فى الفلسفة ٠ ولهـذا يقـول الدكتور زكى نجيب محمود : « وماذا نقـول فى موقف امتزج فيه أدب وفلسـفة وفروسـية وسياسة ٠٠٠ والأديب هنا يصوغ العبارة بحكمة الفيلسوف ، والفيلسوف هنا ينتزع الحكمة ببديهيته ٠٠ فهو الأديب الذى جادت عبارته ان شئت وهو الفيلسوف الذى نفذت بصيرته ان شئت »(٤٠٣) ٠ « فاذا حاولنا أن نصنف هـذه الأقوال تحت رؤوس عامة تجمعها ، وجدناها تدور - على الأغلب - حول موضوعات رئيسية ثلاثة ، هى نفسها الموضوعات الرئيسية التى ترد اليها محاولات الفلاسفة قديمها وحديثها على السواء ، الا وهى : اللـه ، والعالم ، والانسان ، واذن فالرجل فيلسـوف بمادته وان خالف الفلاسـفة »(٤٠٤) ٠

وهكذا وضع الامام على الأصـول العـامة للفلسفة الاسـلامية ٠ يقول أحـد المؤرخين الفرنسيين : « لولا اغتيال على ، لكان من المحتمل أن يشهد العالم الاسلامى تحقيق التعاليم النبوية ، وذلك بالتوفق بين العقل والشرع ووضع المبادىء الأولى للفلسفة الحقه موضع التنفيذ »(٤٠٥) ٠ ويرى السيد أمير على : أن أول من تكلم بالفلسـفة الاسـلامية هو الامام على بن أبى طالب(٤٠٦) ٠ ولهـذا لم تكن الحكمة والبحث فى الأمـور الالهية من فن أحـد من العرب ، وأول من خاض فيها من العرب على عليه السلام(٤٠٧) ٠ ثم نمت هـذه الأصول على أيدى أبنائه وشيعته أمثـال محمد بن الحنفية وأبنائه ، وعلى بن الحسين ، وولده محمد الباقر وحفيده جعفر الصادق الذى استقرت الفلسفة الاسلامية فى عهده ، حتى كان هو

---

(٤٠٢) محمـد عبـده : **شرح نهـج البـلاغة** - مرجـع سـابق - جـ ١ - ص ١٦ ٠
(٤٠٣ ، ٤٠٤) زكى نجيب محمود : **المعقول واللامعقول** - مرجـع سـابق - ص ٢٩ - ٣٠ ٠
(٤٠٥) السـيد أمير على : **روح الاسـلام** - مرجـع سـابق - جـ ٢ - ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ٠
(٤٠٦) المصـدر السـابق : ص ٣٠٥ ٠
(٤٠٧) ابن أبى الحديد : **شرح نهج البلاغة** - مرجع سابق - جـ ١ - ص ٦ ٠ وأيضـا أحمـد محمود صبحى : **نظرية الامـامة** - مرجع سابق - ص ٢٦٨ ٠

الأصل فى انتشار الفلسفة الاسلامية • ولهذا كانت مدرسة الباقر والصادق من الأسباب التى أدت الى ظهور الاتجاهات الفلسفية بين العرب(٤٠٨) • وعلى هذا فان نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ، انما كان فى المدينة ومن البيت العلوى(٤٠٩) • ولهذا نشأ الفكر الفلسفى فى الاسلام على أيدى الشيعة وأئمتهم • وفى ذلك يقول الدكتور ابراهيم مدكور : « ففى حين أن الشيعة يتقبلون بقبول حسن كثيرا من الآراء الفلسفية ، نرى أهل السنة يقفون من هذه الآراء موقف الحذر والحيطة (٤١٠) • ويقول أحمد أمين : « ولذلك كانت الفلسفة ألصق بالتشيع منها بالتسنن »(٤١١) • والى مثل هذا الرأى ذهب « كارادى فو » من أن التشيع متسم بأنه فكر حر طليق(٤١٢) • ومن هنا نجد أن أول نقد ظهر فى الاسلام لفلسفة أرسطاليس كان من مفكرى الشيعة • يقول الدكتور النشار : « بل اننا نرى لهشام بن الحكم ، هذا المتكلم الشيعى الأول وفى زمن مبكر ، كتابا فى نقد أرسطاليس »(٤١٣) •

وقد انتجت هذه الدراسات الفلسفية أكبر فلاسفة المسلمين من الشيعة ، يقول عبد الله نعمة : « وهنا تبرز شخصية الفكر الشيعى بوضوح وجلاء ، أكثر من أى موضوع آخر ، ويكفى دلالة على هذا أن ألمع الشخصيات الفلسفية والرجالات الفكرية كانوا من الشيعة ، وعرفوا بميولهم الشيعية فى آرائهم ونظرياتهم • ومن هؤلاء هشام بن الحكم ،

---

(٤٠٨) السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ٢ ـ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ •

(٤٠٩) على سامى النشار : **نشأة الفكر الفسفى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ صـ ٢٢٩ •

(٤١٠) ابراهيم مدكور : **فى الفسفة الاسلامية** ـ منهج وتطبيقه ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ ـ جـ ١ ـ ص ١٠٩ •

(٤١١) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٩٠ •

(٤١٢) جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة فى الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٥ •

(٤١٣) على سامى النشار : **نشأة الفكر الفلسفى** ـ مرجع سابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠٨ • وأيضا ابن النديم : **الفهرست** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٦٤ •

وجابر بن حيان ، وأبو يوسف الكندى ، وبنو نوبخت ٠٠ والفارابى ، وأبو زيد البلخى ، وأبو بكر الرازى ، وابن سينا ٠٠ وابن مسكويه ، والبيرونى ٠٠٠٠ »(٤١٤) « والفارابى أستاذ ابن سينا بالاطلاع والقدوة ٠٠ ورعى أقوال الشيعة الامامية فى شروط الامامة ٠٠ وكان اخوان الصفاء يدينون بمذهب فى الامامة كهذا المذهب ويؤلفون الرسائل مع هذا فى المنطق وفى علوم الرياضة والفلك وما اليها من علومهم العقلية »(٤١٥) ٠

يقول الدكتور أحمد صبحى : « لا يختلف ابن سينا عن الفارابى فيما خلعه على رئيس المدينة من صفات الهية ، ولا يختلف الاثنان فى رأيهما فى حاكم المدينة عن رأى الشيعة فى الامام »(٤١٦) ٠ مع أن « النزعة الشيعية فى التفكير السياسى عند الفارابى لا تحتاج الى سرد مطول للأدلة ، لأنها واردة بكل وضوح فى مختلف النصوص »(٤١٧) ٠

ولم يقتصر الشيعة على الدراسات الفلسفية فقط ، وانما قاموا بدرسها وتدريسها ، يقول الدكتور عبد الله فياض : « ويقوم بروز معلمين كفاة فى حقول العلوم غير الشرعية بين الامامية دليلا على اهتمامهم بالغاية الدنيوية من التعليم ٠٠ وفى حقل الفلسفة برز بينهم ، الكندى ، وابن سينا ، والفارابى »(٤١٨) ٠

وصفوة القول ، أن الفكر الشيعى حقق تقدما رائعا خلال الفترة الواقعة بين القرن الأول والخامس الهجرى ، وكيف تلقى الفكر والثقافة الاسلامية ما دونه الباحثون من الشيعة فى مختلف العلوم ، وكيف طوروها وزادوا عليها ؟ كما ظهر لنا ما ابتكره الشيعة من أبحاث علمية وفلسفية —

---

(٤١٤) عبد الله نعمة : **فلاسفة الشيعة** — مرجع سابق — ص ٣١ ٠
(٤١٥) عباس محمود العقاد : **التفكير فريضة اسلامية** — مرجع سابق — ص ٤٠ ٠
(٤١٦) أحمد محمود صبحى : **نظرية الامامة** — مرجع سابق — ص ٤٩٣ ٠
(٤١٧) عبد المجيد مزيان : **حدود الخيال السياسى عند الفارابى** — دراسات فلسفية مرجع سابق — ص ١١٦ ٠

بالاضافة الى تأسيسهم لعلوم الاسلام ، وأخيرا شاهدنا هـذا النتـاج يقدمه الشيعة زادا ناضجا لمفكرى الاسلام بصورة خاصة ، وللعالم على وجه العموم ، فكان هـذا الزاد أساسا شيدت عليه النهضة الأوربية ٠

يقول ساريف : « ولكن الفكر الاسلامى انحدر بعد القرن الثـالث عشر ، فكان فى خلال الفترة من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ضعيفا هزيلا ٠٠ وذلك لأن المبالغة التى أدخلها الغزالى فى الشرق الاسلامى وابن رشد فى الغرب الاسلامى على الفلسفة الاسلامية ، فأما الأول فقـد اتجه بالفلسفة الاسلامية الى الجانب الروحانى حتى انماعت فى سحب التصوف ، وأما الثانى فاتجه اتجاها مضـادا لاتجاه الغـزالى فانحدر بهـا الى هوة المـادة ٠٠ »(٤١٩) ٠

على أن الفكر الاسـلامى لم يمت عند الشيعة ، بل اسـتمر هـذا النشاط أكثر فأكثر على أيدى مفكريهم من الفلاسفة ، أمثال الخاجة نصير الدين الطوسى ، والعلامة الحلى ، وعلى بن ميثم البحرانى ، وصدر الدين الشيرازى الملقب بصدر المتألهين صاحب كتاب الأسفار فى الفلسفة وغير هؤلاء من فلاسـفة الشيعة ٠ يقول ابن كثير فى تاريخه : « بعـد أن أخذ التتار بغـداد ، عمل الخواجا نصير ـ الدين ـ الطوسى الرصد ، وعمل دار حكمة فيها فلاسفة لكل واحد فى اليوم ثلاثة دراهم ، ودار طب فيها للحكيم درهمـان وصرف لأهل دار الحـديث لكل محـدث نصف درهم فى اليوم ، ومن ثم فشا الاشتغال بالعلوم الفلسفية وظهر »(٤٢٠) ٠ ولهـذا كانت الفلسفة من خواص الشيعة كما يراه أحمد أمين ، « وحتى فى العصور الأخيرة كانت فارس أكثر الأقطار عناية بدراسة الفلسفة الاسـلامية ونشر كتبها »(٤٢١) ٠ وهكذا ازدهرت ونمت الدراسـات الفلسفية على أيدى الشيعة ٠ حتى الوقت الحاضر ٠

---

(٤١٨) عبد اللـه فياض : **تاريخ التربيـة عند الامامية** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٢٠ ٠ وأيضا أغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصـانيف الشيعة** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ٣٧٧ ـ ٣٣ ـ ٣٨٩ ٠ و ج ٧ ـ ص١٢ ٠

(٤١٩) ساريف : **الفكر الاسلامى** ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠٣ ٠

(٤٢٠) عبد الحليم محمود : **الاسـلام والعقل** ـ القـاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠ ـ ص ٧٩ ٠

(٤٢١) أحمد أمين : **ظهر الاسلام** ـ مرجع سابق ـ ج ١ ـ ص ١٩٠ ٠

خاتمـــــة

تناولت هـذه الرسالة الفكر التربوى عند الشـيعة منذ نشـأتهم حتى نهاية القرن الخامس للهجرة ٠ ولمـا كان الفكر التربوى لأى فيلسوف أو جماعة من الفلاسفة والمفكرين ، يتأثر بالظروف السياسية والإجتمـاعية والثقافية ، فمن الممكن القول بأن الشيعة قد عاشوا فى مجتمعهم ، ولاحظوا فيه من صور الفساد والانحراف الذى منى بهـا ، ولهـذا حاول الأئمـة وشيعتهم أن يجدوا حلا يخلصهم من هـذه الانحرافات التى دفعتهم الى رفض الكثير من الأمور والأوضاع التي عاشوا بينها ، محاولين اصلاحها أو تعديلها وارجاعها الى الصورة التى كانت عليها فى حياة النبى (ص) ولأجل ذلك اتخذ الشيعة مختلف الوسائل لتحقيق هـذا الهدف ٠

وقد تعرضت هـذه الرسالة أيضا الى النشأة الأولى للشيعة ، حيث ذهب البحث الى أن التشيع هو الاطروحة التى بذرها الرســـول (ص) لاستمرار المسيرة الاسلامية ، وان الأئمة من أهل البيت هم الممثلون لهـذه الأطروحة بحيث أوجبت تلازما وارتباطا بين الاسـلام ، وبين الأئمـــة بمقتضى أحاديث رويت عن النبى (ص) ، ولهـذا يعتقد الشيعة أن الأئمة من أهل البيت محيطون بالعلوم الالهية ، تعليمـا عن النبى (ص) ، وان النبى كلفهم بتبليغ تلك العلوم ، وان مسـئوليتهم هى تعـليم النـاس أدى بالبعض الآخر الى الخروج واعلان الثورات ٠

ونتيجة الضغوط التى تعرض لها الأئمة وشيعتهم من قبل الحكام السياسيين فى الفترة موضوع البحث ، وما قـام به الأئمـة من محـاولة التغيير واصلاح المجتمع ، واتخاذهم العلم وسيلة لهـذا التغيير ، واتساع قاعدتهم الشعبية ، كل ذلك أدى الى اضطهادهم واختفاء بعضهم ، كمـا أدى بالبعض الآخر الى الخروج واعلان الثورات ٠

ومما لا شك فيه أن الشيعة وأئمتهم كانوا من أوائل الذين اشتغلوا

بالفلسفة وعلم الكلام ، وكونوا لهم نسقا خاصا عن الكون والانسان والحياة ، وصاغوا آراءهم العقائدية صياغة فلسفية متمشية مع القرآن والسنة النبوية وما أخذوه عن أئمتهم ، وهذا النسق لم يكن معروفا من قبل ، فأرادوا له الذيوع والانتشار بين المسلمين ، ومن هنا استحدثوا طرقا خاصة لاذاعته • كما أنهم كانوا من أوائل المعبرين عن المذهب العقلى فى الاسلام ، وهذا المذهب لا يخضع للتقليد ، وانما يدعو الى التحديد باستمرار ، ولهذا كانت آراؤهم نابعة من فكر حر وعن أصالة ذاتية ، جعلتهم يبتكرون ويؤصلون علوما لم تكن معروفة ولا متداولة من قبل ، وعلى هذا يظهر أن التجديد فى الآراء والأفكار كان شائعا بين صفوف الشيعة وأئمتهم •

وقد حاول البحث أن يرسم المعالم العامة للنسق الفكرى الفلسفى لديهم ، والذى يبرز فيه أساسا موقفهم من الأصول العامة للعقيدة الاسلامية وصياغتها صياغة فلسفية ، وأخذهم منها ما يوافق الشرع وحكومة العقل •

رأى الشيعة أن الله سبحانه واحد لا شريك له أوجد العالم من العدم وأبدعه بعد أن لم يكن ، وان صفاته عين ذاته ، وانه عادل لا يجور فى حكمه ، وبالتالى ينعكس عدله سبحانه على أفعال العباد ، ولهذا رأوا أن الانسان مخير وليس مسيرا أى أنه هو حر الارادة فى تصرفاته الاختيارية • فهو يثاب ويعاقب عليها • وانه مكون من مادة وروح ، وان وظيفة الأنبياء والأئمة هى تهذيب الروح واشباع المادة ، وقد امتدت هذه الوظيفة الى ولاية الفقيه ، حيث يقوم بمهمة التعليم وتهذيب النفوس بعد الامام • فالفقيه ليس حاكما عند الشيعة فحسب ، بل يقوم بالمهمة التعليمية والتربوية أيضا ، وهذه الصفة للحاكم من خواص الشيعة •

وقد اهتم الشيعة وأئمتهم بالعلم والحض على طلبه وتعليمه وتعلمه ، وجعله فريضة على كل مسلم تبعا لتعاليم الاسلام ، كما ربطوا العلم بالعمل ، ولهذا تعددت عندهم مراكز العلم حتى شملت كل مكان وجدوا فيه لأنهم يرون أن تعليم الآخرين علوم آل البيت فرض واجب عليهم ، ولهذا نشطوا نشاطا ملحوظا فى نشر العلم وتعليمه وبذله لمن طلبه من دون أجر عليه ، لأنه عندهم من الوسائل التى تقربهم الى الله

سبحانه به • وقد اتخذوا من المساجد ومنازل العلماء والأمراء ، ودور العلم والمكتبات أماكن خاصة لتعليم العلم ، ولعبت منازل العلماء عند الشيعة دورا مهما فى التعليم ، نظرا لعدم توفر الحرية الفكرية لهم فى المساجد العامة ، ومع ذلك كانت هناك مساجد خاصة بهم يعلمون بها علوم أهل البيت •

ومن المطالب التربوية التى توصل اليها البحث والتى تعكس معالم فلسفتهم التربوية ما يلى :

- ان طبيعة الانسان صفحة بيضاء قابلة لكل ما ينقش عليها من علوم ومعارف ، وان الطفل يكتسب معارفه من البيئة التى يعيش فيها ، وذلك عن طريق حواسه ، ثم يتدرج فى التعليم عن طريق هذه الحواس الى تحصيل المعارف العقلية الضرورية والكسبية •

- ان وسائل اكتساب المعارف الانسانية هى الحواس والعقل بالاضافة لما ورد به الشرع وأقوال الأئمة • ولهذا فالتعليم عندهم يبدأ من الحواس •

- طلب العلم فريضة ، فبالعلم يعرف الله ويعبد ، وانه يقربه الى الله سبحانه ، وان تعلم العلم مقرون بالعمل ، كما ان العالم عليه أن يعلم غيره • وطلب العلم مستمر طوال حياة الانسان ما دام مكلفا •

- تعظيم العلم والعلماء ، وملازمة المتعلم للمعلم ، وطاعته واحترامه ، لأنه الأب الروحى له •

- التدرج فى التعليم ، والابتداء بالعلوم الدينية ، وأن لا يترك فنا من الفنون الا وأخذ منه •

- العطف على المتعلمين ورعايتهم وانزالهم منزلة الولد ، والاهتمام بتعليمهم لأنه حق من الحقوق الدينية والاجتماعية •

وعلى الرغم من أن النظام التربوى عند الشيعة فرع من نظام تربوى اسلامى عام ، فان له ميزاته التى تميزه عن غيره من فروع التربية الاسلامية الأخرى ، فالشيعة رغم اعتقادهم ان القرآن الموجود بين أيدينا هو كتاب

المسلمين كافة بما فيهم فرقتهم ، وان السنة تفسر وتكمل القرآن ، يرون أن غيرهم من المسلمين لم ينقلوا المصدرين المذكورين من منابعهما الحقيقية ٠ ويعتقد الشيعة ان حملة الشريعة الاسلامية الذين أناط بهم النبى (ص) توضيحها بأمر من ربه هم الأئمة المعصومون ٠ وترتب على ذلك الاعتقاد ان تفاسير القرآن والسنة الموجودة عند المسلمين من غير الامامية عرضة للخطأ والاضافة والنقص ، لأن نقلتهـا كانوا غير معصـومين ٠ ونتج عن هـذا الاختلاف فى الاعتقاد بين الشـيعة وغـيرهم من المسلمين نتـائج تربوية وتعليمية ذات شأن ٠ فالرحلة فى طلب العلم ، خاصة فى عصر الأئمة ، اتخذت عند الشيعة طابعا يميزها عن الرحلة عند غيرهم من المسلمين ، فهى عند الشيعة تحقق غرضا دينيا اماميا فى طابعه ، بالاضافة الى الغرض العلمى ٠ فالطالب الامامى يرحل للقاء الامام ليأخـذ الحديث من مصـدره الذى لا شك فى قوله ، فى حين أن الطالب غير الامامى يرحل لتلقى الحديث من أناس ليسوا معصومين حسب اعتقاد الشيعة ٠

هذه خلاصة تمثل طرفا من فلسفة التربية عند الشيعة ، والتى لم تنفصل فى مجالها التطبيقى فى تربية الانسان ٠

مقترحات ببحوث أخرى قادمة :

وأخيرا فانى لا أظن بهذه الرسالة قـد أتيت على كل آراء الشـيعة التربوية فى الفترة موضوع البحث ، وربمـا فاتنى الكثير منها ، وهـذه الدراسة لا تمثل كل النظام التربوى لديهم ، بل تمثل جزءا من آرائهم فى التربية ، وهنـاك دراسـات كثيرة يجب الكشف عنها وتقـديمها للدرس والبحث ، لعلها تكشف عن أصالة الفـكر التربوى فى الاسـلام وطرافته وجـدته ٠ ومن هـذه الدراسـات :

١ ـ دراسة لأئمة الشيعة كل على حـدة ، واسـتقراء آرائهم الفلسفية والتربوية فى مجـالى النظـر والتطبيق ، لكى تكتمل حلقة هـذه الدراسة التربوية من تراثنا الاسلامى ٠ خصوصا وأن الأئمة من أهل البيت قـد مارسوا الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية ، وكان لهم تلاميذ ومريدون لازموهم وتتلمذوا عليهم ونشروا علومهم تعليما وتعلما.

٢ ـ دراسة علماء وشيوخ الشيعة الذين قاموا بعملية التعليم ، من حيث حياتهم الاجتماعية والظروف التى عاشوا فيهـا والآراء الفلسفية والتربوية التى نادوا بها ، ومدى أثرهم فى الفكر والثقافة الاسلامية ، أمثال هشام بن الحكم ، والشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، والشيخ الطوسى ، والعلامة الحلى وغير هؤلاء من علماء وشيوخ الشيعة ٠

٣ ـ دراسة المراكز العلمية لدى الشيعة ، كل مركز مستقل عن الآخر ، والكشف عن مدى تأثير هـذه المراكز على الفكر والتطبيق التربوى فى العالم الاسلامى ففى هذه الدراسة اثراء لثقافتنا الاسلامية ٠

٤ ـ دراسة المنهج النظرى والمنهج العلمى التجريبى عند جابر بن حيان ، ومدى صلته بالامام جعفر الصادق ، بالاضافة الى أهم الآراء التربوية التى أدلى بها ومقارنتها بمناهج مفكرى الاسلام ٠

٥ ـ تعتبر جامعة النجف من أكبر وأعظم جامعات العالم الاسلامى ، وقـد تخرج منها آلاف العلماء أثروا الفكر والثقافة الاسـلامية بمختلف العلوم والفنون منذ نشأتها حتى اليوم ٠ ولهـذا فالباحث يضـع هـذه الجامعة أمام الباحثين لدراستها دراسة موضوعية ، لعلنـا نضيف الى ثقافتنا ثقافة جديدة لمـا أوتيت هذه الجامعة من ضروب العرفان خصوصا وقـد أنتجت كثيرا من المفكرين ٠ ولعل أهم مفكر جـدير بالانتباه ـ السيد محمد باقر الصدر ـ فدراسة حياته وآرائه الفلسـفية والفـكرية والتربوية لهـا أثر كبـير فى اثراء الـفكر التربوى الاسـلامى ٠

وكل ما أرجوه ، هو أن أكون قـد وفقت فى هـذه الدراسة ، وفيمـا قـدمته من آراء وأفكار فلسفية وتربوية للشيعة ، واللـه ولى التوفيق ، والحمـد للـه رب العـالمين ، والصـلاة والسـلام على محمـد وعلى آلـه وأصحابه ٠

المـراجع العربيـة

١ ـ **القرآن الـكريم** ٠

٢ ـ ابراهيم مدكور : **فى الفلسفة الاسلامية ـ منهج وتطبيقه** ـ ط ٣ ـ القـاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ ٠

٣ ـ ابن الاثير « أبو الحسن على بن أبى الكرم » : **الكامل فى التاريخ** ط ٣ ـ بيروت ـ دار الكتاب العربى ـ ١٩٨٠ ٠

٤ ـ ابن النديم : **الفهرست** ـ القاهرة ـ مطبعة الاستقامة ـ بدون تاريخ ٠

٥ ـ ابن حجر العسقلانى : **الاصابة فى تمييز الصحابة** ـ القاهرة ـ دار نهضـة مصـــر ـ ١٩٧١ ٠

٦ ـ ابن خلدون : **المقـدمة** ـ مطبعة مصطفى محمد بمصر ـ بدون تاريخ ٠

٧ ـ ابن خلكان «أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى الكرم» : **وفيات الأعيان وأنبـاء أبنـاء الزمان** ـ تحقيق محمـد محيى الدين عبد الحميد ـ ط ١ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٤٨ ٠

٨ ـ ابن منظـور : **لسـان العـرب** ٠

٩ ـ أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الانبارى : **نزهـة الألباء فى طبقات الأدباء** ـ تحقيق محمـد أبو الفضـل ابراهيم ـ القـاهرة ـ دار نهضة مصر ـ بدون تاريخ ٠

١٠ ـ أبو الحسن الأشـعرى على بن اسـماعيل : **مقالات الاسـلاميين واختلاف** المصـلين تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ـ ط ٢ ـ القـاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٦٩ ٠

١١ ـ أبو الحسن بن موسى النوبختى : **فرق الشيعة** ـ ط ٣ ـ النجف ـ ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م ٠

١٢ ـ أبو الحسن على بن الحسين بن على المســعودى : **مروج الذهب**

ومعادن الجوهر ـ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ـ ط ٣ ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ ·

١٣ ـ أبو الحسين ورام بن أبى الفوارس الأشترى : **تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** المعروف بمجموعة ورام ـ ط ٣ ـ المطبعة الحيدرية فى النجف الأشرف ـ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م ·

١٤ ـ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستانى : **الملل والنحل** تحقيق محمد سيد كيلانى ـ مطبعة مصطفى البابى بمصر ـ ١٩٦١ ·

١٥ ـ أبو المظفر الاسفراييني : **التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين** ـ مكتبة الخانجى بمصر ـ ١٩٥٥ ·

١٦ ـ أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى : **تاريخ بغداد** ـ المدينة ـ المكتبة السلفية ـ بدون تاريخ ·

١٧ ـ أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبرى : **الرياض النضرة فى مناقب العشرة** ط ١ ـ محل السادات محمد أمين الخانجى بالأستانة ومصر ـ بدون تاريخ ·

١٨ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : **جامع البيان عن تأويل القرآن** ط ٢ ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ـ بدون تاريخ ·

١٩ ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : **تاريخ الطبرى** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٢ ·

٢٠ ـ أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى : **الخصال** ـ بيروت دار التعارف ـ ١٣٨٩ هـ ·

٢١ ـ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكلينى : **أصول الكافى** ـ ايران مطبعة حيدرى ـ بدون تاريخ ·

٢٢ ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالى : **المنقذ من الضلال** ـ تحقيق عبد الحليم محمود ـ القاهرة ـ مطبعة حسان ـ بدون تاريخ ·

٢٣ ـ أبو حيان التوحيدى : **الامتاع والمؤانسة** ـ بيروت ـ مكتبة الحياة ـ بدون تاريخ ·

٢٤ ـ أبو عبد اللـه محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى : **ميزان الاعتدال فى نقـد الرجال** ـ تحقيق على محمد البجاوى ـ ط ١ ـ دار احياء الكتب العربية ـ ١٩٦٣ .

٢٥ ـ أبو عثمـان عمرو بن بحر الجاحظ : **البيـان والتبيين** ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ ط ٤ ـ مكتبة الخانجى بمصر ـ ١٩٧٥.

٢٦ ـ أبو محمـد الحسن بن على بن الحسـين بن شـعبة الحـرانى : **تحف العقـول عن آل الرسـول** ـ النجف الأشرف ـ المطبعـة الحيدرية ـ ١٣٨٥ .

٢٧ ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : **الامامة والسياسة** ـ ط ٣ ـ مطبعة مصطفى البابى بمصر ـ ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٣ م .

٢٨ ـ أبو محمد عبد اللـه بن مسلم بن قتيبة : **الشـعر والشـعراء** ـ تحقيق أحمد محمد شاكر ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ دار التراث العربى ـ ١٩٧٧ .

٢٩ ـ أبو محمد عبد اللـه بن مسلم بن قتيبة : **عيون الأخبار** ـ القاهرة ـ دار الكتب ١٩٢٨ .

٣٠ ـ أبو محمد على بن حزم الأندلسى : **الفصل فى الملل والأهواء والنحل** بغـداد ـ مكتبة مثنى ـ بدون تاريخ .

٣١ ـ أحمد أمين : **فجر الاسـلام** ـ ط ٢ ـ القـاهرة ـ دار الشـباب للطباعة ـ ١٩٧٨ .

٣٢ ـ أحمد أمين : **ضحى الاسـلام** ـ ط ٩ ـ القـاهرة ـ النهضـة المصرية ـ ١٩٧٨ .

٣٣ ـ أحمد أمين : **ظهر الاسـلام** ـ ط ٤ ـ القـاهرة ـ النهضـة المصرية ـ ١٩٦٦ .

٣٤ ـ أحمد أمين : **يوم الاسلام** ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٢ .

٣٥ ـ أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب : **تاريخ اليعقوبى** ـ ط ٤ ـ النجف ـ المطبعة الحيدرية ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ .

٣٦ ـ أحمد بن حجر الهيتمى المكى : **الصواعق المحرقة فى الرد على أهل**

البدع والزندقة ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م ٠

٣٧ ـ أحمد بن عبد اللـه القلقشندى : **مآثر الإناقة فى معالم الخلافة** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٢.

٣٨ ـ أحمد بن يحيى البلاذرى : **أنساب الاشراف** ـ تحقيق الدكتور محمد حميد اللـه ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٥٩ ٠

٣٩ ـ أحمد بهجت : **اللـه فى العقيدة الاسلامية** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ المختار الاسلامى ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ٠

٤٠ ـ أحمد شلبى : **التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية** ـ ط ٥ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ٠

٤١ ـ أحمد شلبى : **التربيـة الاسـلامية** ـ ط ٦ ـ القـاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ٠

٤٢ ـ أحمد شلبى : **تاريخ المناهج الاسـلامية** ـ القـاهرة ـ النهضـة المصرية ـ ١٩٧٨ ٠

٤٣ ـ أحمد عبد الرحمن عبد اللطيف الجاحد : **الاتجاه الاسلامى عند بعض مفكرى التربية فى مصر وأثره فى التطبيق التربوى من ١٨٠٥ ـ ١٩٥٢** ـ رسالة دكتوراه غـير منشورة ، كلية التربية ـ جامعـة المنوفيـة ـ ١٩٨٣ ٠

٤٤ ـ أحمد فؤاد الأهوانى : **التربيـة فى الاسـلام** ـ القـاهرة ـ دار المعارف ـ بدون تاريخ ٠

٤٥ ـ أحمد كمال زكى : **الحياة الأدبيـة فى البصرة الى نهـاية القـرن الثالث الهجرى** ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧١ ٠

٤٦ ـ أحمد مجاهد مصباح : **تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى** ـ ط ٢ ـ دار الطباعة المحمدية بالأزهر ـ ١٩٧٨ ٠

٤٧ ـ أحمد محمد الحوفى : **أبو حيان التوحيدى** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ مطبعة نهضة مصر ـ بدون تاريخ ٠

٤٨ ـ أحمد محمد الحوفى : **أدب السياسة فى العصر الأموى** ـ ط ٥ ـ القاهرة دار نهضة مصر ـ ١٩٧٩ ٠

٤٩ ـ أحمد محمد الحوفى : **تيارات ثقافية بين العرب والفرس** ـ ط ٣ ـ القاهرة دار نهضة مصر ـ ١٩٧٨ ·

٥٠ ـ أحمد محمود صبحى : **فى علم الكلام ـ المعتزلة ، الأشاعرة** ـ الاسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية ـ ١٩٧٨ ·

٥١ ـ أحمد محمود صبحى : **نظرية الامامة لدى الشيعة الأثنى عشرية** ـ القاهرة دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٩ ·

٥٢ ـ آدم متز : **الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى** ـ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٧ ·

٥٣ ـ آغابزرك الطهرانى : **الذريعة الى تصانيف الشيعة** ـ ط ٢ ـ طهران ـ ١٩٦٨ ·

٥٤ ـ السيد الشريف الرضى : **حقائق التأويل فى متشابه التنزيل** ـ ترجمة عبد الحسين العلى ـ دار المهاجر ـ بيروت ـ بدون تاريخ ·

٥٥ ـ السيد أمير على : **روح الاسلام** ـ ترجمة أمين محمود الشريف ـ المطبعة النموذجية بالجماميز ـ ١٩٦٣ ·

٥٦ ـ السيد حسن الصدر : **الشيعة وفنون الاسلام** ـ صيدا ـ مطبعة العرفان ـ ١٣٣١ هـ ·

٥٧ ـ السيد حسن الصدر : **تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام** ـ شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة ـ بدون تاريخ ·

٥٨ ـ السيد على نقي الحيدرى : **أصول الاستنباط** ـ ط ٢ ـ بغداد ـ مطبعة الرابطة ـ ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٥٩ م ·

٥٩ ـ السيد محمد الحسينى الشيرازى : **شرح منظومة السبزوارى** ـ قم ـ ايران ـ مطبعة مهر ـ بدون تاريخ ·

٦٠ ـ السيد محمد العيناثى : **آداب النفس** ـ طهران ـ المكتبة المرتضوية ـ ١٣٨٠ هـ ·

٦١ ـ السيد مرتضى العسكرى : **عبد الله بن سبأ** ـ ط ٤ ـ بيروت ـ مطبعة دار الكتب ١٩٧٣ ·

٦٢ ـ الشيخ جمال الدين القاسمى الدمشقى : **تاريخ الجهمية والمعتزلة** ـ ط ١ ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ٠

٦٣ ـ الشيخ علاء الدين المتقى الهندى : **كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال** ـ ط ٢ ـ حيدر آباد ـ مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ـ ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م ٠

٦٤ ـ الشيخ مرعى الأمين الأنطاكى : **لماذا اخترت مذهب الشيعة** ـ ط ٣ ـ حلب مؤسسة العرفان ـ بدون تاريخ ٠

٦٥ ـ القاضى النعمان بن محمد : **اختلاف أصول المذاهب** ـ تحقيق مصطفى غالب ـ بيروت ـ دار الأندلس ـ ١٩٧٣ ٠

٦٦ ـ ألكسيس كاريل : **الانسان ذلك المجهول** ـ ترجمة شفيق أسعد فريد ـ بيروت ـ مؤسسة المعارف ـ ١٩٧٧ ٠

٦٧ ـ **أمالى الصادق** : تحقيق محمد الخليلى ـ النجف الأشرف ـ مطبعة النعمان ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م ٠

٦٨ ـ أمير محمد الكاظمى القزوينى : **رد على رد السقيفة** ـ صيدا ـ مطبعة العرفان ـ بدون تاريخ ٠

٦٩ ـ أمير محمد الكاظمى القزوينى : **مع النشاشيبى فى كتابه الاسلام الصحيح** مطابع اليقظة ـ بدون تاريخ ٠

٧٠ ـ أمير محمد الموسوى القزوينى : **أصول المعارف** ـ ط ١ ـ صيدا ـ مطبعة العرفان ـ بدون تاريخ ٠

٧١ ـ اميل فهمى حنا : **المذاهب والآراء التربوية** ـ دار العلم للطباعة ـ ١٩٧٧ ٠

٧٢ ـ باقر شريف القرشى : **النظام التربوى فى الاسلام** ـ بيروت ـ دار التعارف ـ ١٩٧٩ ٠

٧٣ ـ برتراندرسل : **تاريخ الفلسفة الغربية** ـ الفلسفة الحديثة ـ ترجمة محمد فتحى الشنيطى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٧ ٠

٧٤ ـ بول وودرنج : **نحو فلسفة التربية** ـ ترجمة سعد مرسى أحمد ،

فكرى حسن ريان ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٦٦ .

٧٥ ـ تقى الدين أحمد بن على المقريزى : **الخطط** ـ طبعة بولاق ـ ١٢٧٠هـ.

٧٦ ـ توفيق الطويل : **أسس الفلسفة** ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٥٨ .

٧٧ ـ جرجى زيدان : **تاريخ التمدن الاسلامى** ـ دار الهلال ـ ١٩٥٨ .

٧٨ ـ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة : **ماضى النجف وحاضرها** ـ ط ٢ ـ مطبعة الآداب ـ ١٩٥٨ .

٧٩ ـ جلال الدين السيوطى : **تاريخ الخلفاء** ـ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط ٣ ـ القاهرة ـ مطبعة المدنى ـ ١٩٦٤ .

٨٠ ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى : **الدر المنثور فى التفسير بالمأثور** ـ الكاظمية ـ دار الكتب العراقية ـ بدون تاريخ.

٨١ ـ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : **بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ مطبعة عيسى البابى الحلبى ـ ١٩٦٥ .

٨٢ ـ جلال مظهر : **الحضارة الاسلامية أساس التقدم العلمى الحديث** ـ القاهرة مطبعة مخيمر ـ ١٩٦٩ .

٨٣ ـ جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى : **انباه الرواة على أنباء النحاه** ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ ط ١ ـ القاهرة ـ دار الكتب المصرية ـ ١٩٥٠ .

٨٤ ـ جمال الدين أبو منصور الشهيد الثانى : **معالم الدين وملاذ المجتهدين** ـ طهران ـ المكتبة العلمية الاسلامية ـ ١٣٧٨ هـ .

٨٥ ـ جمال الدين الحسن بن يوسف بن على بن المطهر العلامة الحلى : **كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد** ـ ط ١ ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمى ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

٨٦ ـ جميل نخله المدور : **حضارة الاسلام فى دار السلام** ـ القاهرة ـ المطبعة الأميرية ببولاق ـ ١٩٣٥ .

٨٧ ـ جورج ـ ف ـ نيلر : **مقدمة الى فلسفة التربية** ـ ترجمة نظمى لوقا ـ القاهرة ـ الأنجلو مصرية ـ ١٩٧٧ ·

٨٨ ـ جوستاف جرونيباوم : **الحضارة الاسلامية** ـ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مكتبة مصر ـ بدون تاريخ ·

٨٩ ـ جولد تسيهر : **العقيدة والشريعة فى الاسلام** ـ ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون ـ القاهرة ـ دار الكاتب المصرى ـ ١٩٤٦ ·

٩٠ ـ جون ديوى : **الديمقراطية والتربية** ـ ترجمة نظمى لوقا ـ الأنجلو مصرية ـ ١٩٧٨ ·

٩١ ـ حاجي خليفة : **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ـ بغداد ـ مكتبة المثنى ـ ١٩٤١ ·

٩٢ ـ حامد عبد السلام زهران : **علم نفس النمو** ـ ط ٤ ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٧ ·

٩٣ ـ حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافى والاجتماعي** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٤٨ ·

٩٤ ـ حسن ابراهيم حسن : **تاريخ الدولة الفاطمية** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٥٨ ·

٩٥ ـ حسن عباس حسن : **الصياغة المنطقية للفكر السياسى الاسلامى** ـ رسالة دكتوراه غير مطبوعة ـ جامعة القاهرة ـ قسم العلوم السياسية ١٩٨٠ ·

٩٦ ـ حسن عبد العال : **التربية الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى** ـ رسالة ماجستير مطبوعة ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٨ ·

٩٧ ـ حسن عيسى الحكيم : **الشيخ الطوسى أبو جعفر محمد بن الحسن** ـ رسالة ماجستير مطبوعة فى التاريخ الاسلامى ـ جامعة بغداد ـ النجف الأشرف ـ مطبعة الآداب ـ ١٩٧٥ ·

٩٨ ـ حسون ملارجي الدلفى : **فضائل آل الرسول فى المعقول والمنقول** ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمى ـ ١٩٧٣ ·

٩٩ ـ حسين أحمد البراقى النجفى : **تاريخ الكوفة** ـ النجف ـ المكتبة المرتضوية ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م ·

١٠٠ ـ حميد الدين أحمد بن عبد اللـه الكرمانى : **الأقوال الذهبيـة فى الطب النفسانى** ـ تحقيق عبد اللطيف العبد ـ القـاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ·

١٠١ ـ خوليان ريبيرا : **التربية الاسلامية فى الأندلس** ـ ترجمـة الطاهر أحمد مكى ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ ·

١٠٢ ـ خير الدين الزركلى : **الاعلام** ـ ط ٣ ـ بيروت ـ ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م ·

١٠٣ ـ دائرة المعارف الاسلامية الشيعية : **بيروت** ـ دار التعـارف ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م ·

١٠٤ ـ دوايت م· دونلدسن : **عقيدة الشيعة** ـ تعريب ع ـ م ـ مصر ـ مطبعة السعادة ـ ١٩٤٦ ·

١٠٥ ـ رشدى محمد عرسان عليان : **العقل عند الشيعة** ـ رسالة دكتوراه مطبوعه ـ جامعة الأزهر ـ كلية الشريعة والقانون ـ بغـداد ـ مطبعة دار السلام ـ ١٩٧٣ ·

١٠٦ ـ رضى الدين أبو نصر الحسن بن الفضـل الطبرسى : **مـكارم الأخلاق** ـ ط ٦ ـ بيروت ـ ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢ ·

١٠٧ ـ روث م ـ بيرد : **جان بياجيه وسيكولوجية نمو الأطفال** ـ ترجمة فيولا فارس الببلاوى ـ الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٧ ·

١٠٨ ـ روكس بن زائد العـزيزى : **الامـام على** ـ النجف ـ مطبعـة النعمان ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ·

١٠٩ ـ زكريا ابراهيم : **المشـكلة الخلقية** ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ دار مصر للطباعة ـ ١٩٨٠ ·

١١٠ ـ زكى نجيب محمود : **المعقول واللامعقول فى تراثنا الفكرى** ـ ط ٢ ـ بيروت دار الشروق ـ ١٩٧٨ ·

١١١ ـ زكى نجيب محمود : **نظرية المعرفة** ـ مطبعة وزارة الارشـــاد القومى ـ ١٩٥٦ ·

١١٢ ـ ساريف : **الفكر الاسلامى منابعه وآثاره** ـ ترجمة أحمد شلبى ـ ط ٦ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٨ ·

١١٣ ـ سامي نصر لطف : **الحرية المسئولة فى الفكر الفلسفى الاسلامى** ـ مكتبة الحرية الحديثة ـ ١٩٧٧ ٠

١١٤ ـ سبط بن الجوزى يوسف بن فرغلى بن عبد اللـــه البغـدادى : **تذكرة الخواص** ـ طهران ـ مكتبة نينوى الحديثة ـ بدون تاريخ ٠

١١٥ ـ سعد مرسى أحمد : **تطور الفكر التربوى** ـ ط ٣ ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٥ ٠

١١٦ ـ سعيد اسماعيل على : **العلاقة بين الفلسفة والتربية من منظور الاعتزال** دراسات فلسفية ـ تصـدير ابراهيم مدكور ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٦ ٠

١١٧ ـ سعيد اسماعيل على : **النزعة العقلية فى الفكر التربوى العربى** ـ الثقافة العربية ـ تصدر عن المنظمة العربية للتربيـة والثقافة والعلوم ـ العدد الخامس ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ ٠

١١٨ ـ سعيد اسماعيل على : **أوضاع المربين العرب** ـ دار الثقافة ـ ١٩٧٩ ٠

١١٩ ـ سعيد اسماعيل على : **ديمقراطية التربية الاسلامية** ـ القـاهرة ـ دار الثقافة ١٩٧٤ ٠

١٢٠ ـ سعيد اسماعيل على : **فلسفة التربية الاسلامية** ـ دراســات فى فلسفة التربية ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٨١ ٠

١٢١ ـ سعيد اسماعيل على : **معاهد التعليم الاسلامى** ـ القاهرة ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ ١٩٧٨ ٠

١٢٢ ـ سعيد اسماعيل علي : **مكانة العمل فى الفكر التربوى** ـ الكتاب السنوى فى التربية وعلم النفس ـ المجلد السادس ـ القـاهرة ـ دار الثقافة ١٩٧٩ ٠

١٢٣ ـ سعيد اسماعيل على : **نشأة التربية الاسلامية** ـ القاهرة ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٨ ٠

١٢٤ ـ سليم بن قيس الكوفى الهلالى العامرى : **كتاب الأصل** ـ بيروت ـ منشورات دار الفنون للطباعة والنشر ـ ١٩٨٠ م ـ ١٤٠٠ هـ ٠

١٢٥ ـ سنية قراعة : **تاريخ الأزهر فى ألف عام** ـ القاهرة ـ مكتبة الصحافة الدولى ١٩٦٨ ٠

١٢٦ ـ سيد ابراهيم الجيار : **دراسات فى تاريخ الفكر التربوى** ـ القاهرة ـ دار غريب ١٩٧٧ ٠

١٢٧ ـ سيد أحمد عثمان : **التعليم عند برهان الاسلام الزرنوجى** ـ الأنجلو مصرية ١٩٧٨ ٠

١٢٨ ـ سيف الدين الآمدى : **غاية المرام فى علم الكلام** ـ تحقيق محمد عبد اللطيف ـ القاهرة ـ مطابع الأهرام التجارية ـ ١٩٧١ ٠

١٢٩ ـ شوقى ضيف : **التطور والتجديد فى الشعر الأموى** ـ ط ٥ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٣ ٠

١٣٠ ـ شوقى ضيف : **المدارس النحوية** ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٨ ٠

١٣١ ـ شوقى ضيف : **تاريخ الأدب العربى ـ العصر العباسى الأول** ـ ط ٧ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٨ ٠

١٣٢ ـ شيخ سليمان البلخى القندوزى : **ينابيع المودة** ـ ط ٢ ـ صيدا ـ مطبعة العرفان ـ بدون تاريخ ٠

١٣٣ ـ صبحى الصالح : **معالم الشريعة الاسلامية** ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٧٥ ٠

١٣٤ ـ طاش كبرى زاده : **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** ـ مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد دكن الهند ـ ١٣٢٨ هـ ٠

١٣٥ ـ طه حسين : **الفتنة الكبرى ـ عثمان** ـ ط ٦ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٦ ٠

١٣٦ ـ طه حسين : **الفتنة الكبرى** ـ على وبنوه ـ ط ٩ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٨ ٠

١٣٧ ـ عباس القمى : **الكنى والألقاب** ـ النجف ـ المطبعة الحيدرية ـ ١٩٥٦ ٠

١٣٨ ـ عباس محمود العقاد : **التفكير فريضة اسلامية** ـ ط ٦ ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ بدون تاريخ ٠

١٣٩ ـ عبد الحسين شرف الدين : **المراجعات** ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمى ـ بدون تاريخ ٠

١٤٠ ـ عبد الحكيم بلبع : **أدب المعتزلة الى نهاية القرن الرابع الهجرى** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ دار نهضة مصر ـ ١٩٦٩ ٠

١٤١ ـ عبد الحليم محمود : **الاسلام والعقل** ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠ ٠

١٤٢ ـ عبد الرحمن الشرقاوى : **شخصيات اسلامية** ـ أئمة الفقه التسعة ـ بيروت ـ دار اقرأ ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ٠

١٤٣ ـ عبد الرحمن جلال الدين السيوطى : **المزهر** ـ مطبعة عيسى البابى بمصر ـ بدون تاريخ ٠

١٤٤ ـ عبد الصاحب الحسينى العاملى : **الأخلاق عند الرسول وأصحابه** ـ بيروت مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ـ ١٩٦٩ ٠

١٤٥ ـ عبد الصاحب المظفر : **الأخلاق فى حديث واحد** ـ النجف الأشرف ـ العراق ـ مطبعة النعمان ـ ١٩٧٦ ٠

١٤٦ ـ عبد الغنى عبود : **فى التربية الاسلامية** ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ ٠

١٤٧ ـ عبد الفتاح اسماعيل شلبى : **أبو على الفارسى** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ القاهرة ـ مطبعة نهضة مصر ـ ١٣٧٧ هـ ٠

١٤٨ ـ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى : **الفرق بين الفرق** ـ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ـ القاهرة ـ مطبعة المدنى ـ بدون تاريخ ٠

١٤٩ ـ عبد الكريم الخطيب : **القضاء والقدر بين الفلسفة والدين** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ الفكر العربى ـ ١٩٧٩ ٠

١٥٠ ـ عبد اللطيف محمد العبد : **دراسات فى الفلسفة الاسلامية** ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ٠

١٥١ ـ عبد اللطيف محمد العبد : **مناهج البحث العلمى** ـ النهضة المصرية ـ ١٩٧٩ .

١٥٢ ـ عبد الله شبر : **حق اليقين فى معرفة أصول الدين** ـ ط ٢ ـ النجف ـ المطبعة الحيدرية ـ ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٦ م .

١٥٣ ـ عبد الله عبد الدائم : **التربية عبر التاريخ** ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٧٣ .

١٥٤ ـ عبد الله فياض : **تاريخ التربية عند الامامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدى الصادق والطوسى** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ بغداد ـ مطبعة أسعد ـ ١٩٧٢ .

١٥٥ ـ عبد الله نعمة : **فلاسفة الشيعة ـ حياتهم وآراؤهم** ـ بيروت ـ دار مكتبة الحياة ـ بدون تاريخ .

١٥٦ ـ عبد الهادى الفضلى : **دليل النجف الأشرف** ـ مطبعة الآداب فى النجف ـ بدون تاريخ .

١٥٧ ـ عبده فراج : **معالم الفكر الفلسفى فى العصور الوسطى** ـ ط ١ ـ القاهرة ـ الأنجلو مصرية ـ ١٩٦٩ .

١٥٨ ـ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم النيسابورى : **شواهد التنزيل لقواعد التفصيل** ـ ط ١ ـ بيروت مؤسسة الاعلمى ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٤ م .

١٥٩ ـ عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد **شرح نهج البلاغة** ـ مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر ـ بدون تاريخ .

١٦٠ ـ عز الدين اسماعيل : **المصادر الأدبية واللغوية فى التراث العربى** ـ بيروت ـ دار النهضة العربية ـ ١٩٧٦ .

١٦١ ـ عز الدين اسماعيل : **فى الشعر العباسى ـ الرؤية والفن** ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠ .

١٦٢ ـ علاء الدين أمير محمد القزوينى : **المعتزلة فلسفتهم وآراؤهم فى التربية والتعليم** ـ رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ كلية التربية ـ عين شمس أصول التربية ـ ١٩٨١ .

١٦٣ ـ على ابراهيم حسن : **التاريخ الاسلامى العام** ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ بدون تاريخ ٠

١٦٤ ـ على القاضى : **أضواء على التربية فى الاسلام** ـ القاهرة ـ دار الطباعة الحديثة ـ ١٩٧٩ ٠

١٦٥ ـ على بن أبى طالب : **الصحيفة العلوية المباركة** ـ ط ٣ ـ بيروت ـ التعارف للمطبوعات ـ بدون تاريخ ٠

١٦٦ ـ على بن على بن محمد الحنفى : **مختصر شرح العقيدة الطحاوية** ـ دار عمر بن الخطاب بالاسكندرية ـ بدون تاريخ ٠

١٦٧ ـ على حسنى الخربوطلى : **تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٥٩ ٠

١٦٨ ـ على خليل أبو العينين : **فلسفة التربية فى القرآن** ـ رسالة ماجستير مطبوعة ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٨٠ ٠

١٦٩ ـ على سامى النشار : **نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام** ـ ط ٧ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٧ ٠

١٧٠ ـ على محمد الحسين الأديب : **منهج التربية عند الامام على** ـ المطبعة الحيدرية فى النجف الأشرف ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م ٠

١٧١ ـ غانم سعيد العبيدى : **التعليم الأهلى فى العراق ـ تطوره ، ومشكلاته** ـ بغداد ـ مطبعة الجمهورية ـ ١٩٧٠ ٠

١٧٢ ـ فؤاد زكريا : **آراء نقدية فى مشكلات الفكر والثقافة** ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٥ ٠

١٧٣ ـ فيصل بدير عون : **علم الكلام ومدارسه** ـ مكتبة الحرية الحديثة ـ عين شمس ـ ١٩٨٢ ٠

١٧٤ ـ كارل بركلمان : **تاريخ الأدب العربى** ـ ترجمة عبد الحليم النجار ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٩ ٠

١٧٥ ـ كمال الدين هيثم بن على بن ميثم البحرانى : **شرح نهج البلاغة** ـ طهران ـ مؤسسة النصر ـ ١٣٧٨ هـ ٠

١٧٦ ـ كويلر يونج : **أثر الاسلام الثقافى فى المسيحية** ـ الثقافة

الاسـلامية والحيـاة المعاصرة ـ بحوث اسـلامية ـ **جمع محمد** خلف اللـه ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٦٢ ٠

١٧٧ ـ لجنة التأليف فى دار التوحيد : **الامام البـاقر** ـ الكويت ـ دار التوحيد ـ ١٩٨٢ ٠

١٧٨ ـ لويس معلوف : المنجد ٠

١٧٩ ـ مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى ابن الأثير : **النهاية فى غريب الحديث والأثر** ـ تحقيق طاهر أحمد الزاوى ، محمود محمد الطناحى ـ بيروت ـ دار احياء التراث العربى ـ بدون تاريخ ٠

١٨٠ ـ مجد الدين الفيروز أباذى : **القاموس المحيـط** ٠

١٨١ ـ محمد أبو الفيض ابراهيم : **مقدمة كتاب أمالى الشريف المرتضى** علىّ بن الحسين الموسوى العلوى ـ دار احياء الكتب العربية ـ ١٩٥٤ ٠

١٨٢ ـ محمد أبو زهرة : **أبو حنيفة ـ حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه** ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ ٠

١٨٣ ـ محمد أبو زهرة : **الامام الصادق ـ حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه** ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى ـ بدون تاريخ ٠

١٨٤ ـ محمد أبو زهرة : **الامام زيد ـ حياته وعصره ـ آراؤه وفقهـه** ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٤ ٠

١٨٥ ـ محمد أبو زهرة : **مالك ـ حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه** ـ ط ٢ ـ القاهرة ـ الأنجلو مصرية ـ ١٩٥٢ ٠

١٨٦ ـ محمد أبو زهرة : **تاريخ المذاهب الاسلامية ـ القاهرة** ـ دار الفكر العربى ـ بدون تاريخ ٠

١٨٧ ـ محمد أبو زهرة : **محاضرات فى أصول الفقه الجعفرى** ـ القاهرة ـ معهد الدراسات العربية ـ ١٩٥٥ ٠

١٨٨ ـ محمد الصادقى : **على والحاكمون** ـ بيروت ـ مؤسسـة الاعلمى للمطبوعات ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٩ م ٠

١٨٩ ـ محمد الهادى عفيفى : **الأصـول الثقافية للتربيـة** ـ القاهرة ـ الأنجلو مصرية ١٩٧٨ ٠

١٩٠ ـ محمد الهادى عفيفى : **الأصول الفلسفية للتربيـة** ـ القـاهرة ـ الأنجلو مصرية ـ ١٩٧٨ ٠

١٩١ ـ محمد باقر الصدر : **الصحيفة السجادية** ـ دار التبليغ الاسلامية ـ بدون تاريخ ٠

١٩٢ ـ محمد باقر الصدر : **المدرسة الاسلامية** ـ ط ٣ ـ بيروت ـ دار الزهراء للطباعة والنشر ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ٠

١٩٣ ـ محمد باقر الصدر : **المعالم الجديدة للأصول** ـ النجف ـ مطبعة النعمان ـ ١٣٨٥ هـ ٠

١٩٤ ـ محمد باقر الصدر : **بحث حول الولاية** ـ ط ٢ ـ دار التعـارف ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ٠

١٩٥ ـ محمد باقر الصدر : **خلافة الانسـان وشـهادة الأنبياء** ـ قم ـ ايران ـ مطبعة الخيام ـ ١٣٩٩ هـ ٠

١٩٦ ـ محمد باقر الصدر : **فلسفتنا** ـ ط ٣ ـ بيروت ـ دار الفكر ـ ١٩٧٠ .

١٩٧ ـ محمد باقر الصدر : **لمحة تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الاسلامية** ـ ط ٢ ـ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ ١٩٧٩ م ١٣٩٩ هـ ٠

١٩٨ ـ محمد باقر الصدر : **منابع القدرة فى الدولة الاسلامية** ـ مجلة صوت الأمة ـ العدد الرابع ـ السنة الاولى ـ رجب ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ـ وزارة الارشاد فى جمهورية ايران الاسلامية ٠

١٩٩ ـ محمد باقر الصدر : **موجز فى أصـول الدين** ـ مطـابع صـوت الخليج ـ بدون تاريخ ٠

٢٠٠ ـ محمد باقر المجلسى : **بحار الأنوار** ـ طهران ـ شركة طبع بحار الأنوار ـ ١٣٧٦ هـ ٠

٢٠١ ـ محمد بحر العلوم : **موسوعة العتبات المقدسـة** ـ قسم النجف ـ مقالة بعنوان : الدراسـة وتاريخها فى النجف ـ بيروت ـ دار الكتب ـ ١٩٦٥ ٠

٢٠٢ ـ محمد تقى الحكيم : **الأصول العامة للفقه المقارن** ـ بيروت ـ دار الأندلس ـ ١٩٦٣ ٠

٢٠٣ ـ محمد تقى فلسفى : **الطفل بين الوراثة والتربيـة** ـ ترجمه عن الفارسية فاضل الحسينى الميلانى ـ ط ٢ ـ مطبعة الآداب فى النجف الأشرف ـ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م ٠

٢٠٤ ـ محمد جعفر شمس الدين : **دراسـات فى العقيدة الإسـلامية** ـ بيروت ـ دار التعارف ـ ١٩٧٩ ٠

٢٠٥ ـ محمد جواد فضل اللـه : **الامام الرضا تاريخ ودراسة** ـ بيروت ـ دار الزهراء ١٩٧٣ ٠

٢٠٦ ـ محمد جواد فضل اللـه : **حجر بن عدى الكندى** ـ بيروت ـ دار التراث الاسلامى ١٩٧٤ ٠

٢٠٧ ـ محمد جواد مغنية : **دول الشيعة فى التاريخ** ـ ط ٢ ـ النجف ـ مطابع النعمان ـ ١٩٦٥ ٠

٢٠٨ ـ محمد جواد مغنية : **فى ظلال الصحيفة السجادية** ـ بيروت ـ دار التعارف ـ ١٩٧٩ ٠

٢٠٩ ـ محمد جواد مغنية : **معالم الفلسفة الاسلامية** ـ ط ٢ ـ بيروت ـ دار القلم ١٩٧٣ ٠

٢١٠ ـ محمد حسن المظفر : **دلائل الصدق** ـ المطبعة الحيدرية فى النجف ـ ١٩٧٩ ٠

٢١١ ـ محمد حسين الزين : **الشيعة فى التاريخ** ـ ط ٢ ـ بيروت ـ دار الآثار ـ ١٩٧٩ ٠

٢١٢ ـ محمد حسين الطالقانى : **مفتاح الجنان فى الأدعية والزيارات والأذكار** ـ النجف الأشرف ـ مكتبة دار المعارف ـ ١٣٨٩ هـ ٠

٢١٣ ـ محمد حسين الطباطبائى : **القرآن فى الاسلام** ـ تعريف أحمد الحسينى ـ بيروت ـ دار الزهراء ـ ١٩٧٣ ٠

٢١٤ ـ محمد حسين آل كاشف الغطا ء: **أصل الشيعة وأصولها** ـ بيروت ـ مؤسسة الاعلمى للمطبوعات ـ بدون تاريخ ٠

٢١٥ ـ محمد حسين آل كاشف الغطاء : **التثبت قبل الحكم** ـ دعوة التقريب من خلال رسالة الاسلام ـ جمع محمد محمد المدنى ـ القاهرة دار التحرير ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م ٠

٢١٦ ـ محمد حسين فضل الله : **خطوات على طريق الاسلام** ـ ط ٢ ـ بيروت ـ دار التعارف ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ٠

٢١٧ ـ محمد حسين هيكل : **حياة محمد** ـ القاهرة ـ ط ٦ ـ دار المعارف ـ ١٩٨١ ٠

٢١٨ ـ محمد رضا المظفر : **عقائد الامامية** ـ بدون معلومات ٠

٢١٩ ـ محمد عاطف العراقى : **ثورة العقل فى الفلسفة العربية** ـ ط ٤ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٧٨ ٠

٢٢٠ ـ محمد عبد الحميد عيسى : **تاريخ التعليم فى الاندلس** ـ رسالة دكتوراه مطبوعة ـ القاهرة ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٨٢ ٠

٢٢١ ـ محمد عبد المنعم خفاجي : **اعلام الأدب فى عصر بنى أمية** ـ دار العهـد الجـديد للطباعة ـ ١٩٥٤ ٠

٢٢٢ ـ محمـد عبـده : **شرح نهـج البـلاغة** ـ بيروت ـ دار المعـرفة ـ بدون تاريخ ٠

٢٢٣ ـ محمـد عطية الابراشي : **التربية الاسلامية وفلاسفتها** ـ ط ٣ ـ مطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر ـ ١٩٧٥ ٠

٢٢٤ ـ محمد على أبو ريان : **تاريخ الفكر الفلسـفى فى الاسـلام** ـ الاسكندرية ـ دار الجامعات المصرية ـ ١٩٧٤ ٠

٢٢٥ ـ محمد عمارة : **الاسـلام وفلسفة الحكم** ـ ط ٢ ـ بيروت ـ المؤسسة العربيـة ـ ١٩٧٩ ٠

٢٢٦ ـ محمد عمارة : **المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية** ـ ط ١ ـ بيروت ـ المؤسسة العربية ـ ١٩٧٢ ٠

٢٢٧ ـ محمد فوزى العنتيل : **التربية عند العرب مظاهرها واتجاهاتها** ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٧٧ ٠

٢٢٨ ـ محمد قطب : **منهج التربيـة الاسـلامية** ـ ط ٤ ـ بيروت ـ دار الشروق ـ ١٩٨٠ ٠

٢٢٩ ـ محمد كامل الفقى : **الأزهر واثره فى النهضة الأدبية الحديثة** ـ القاهرة ـ المطبعة المنيرية ـ ١٩٥٦ ٠

٢٣٠ ـ محمد لطفى جمعة : **تاريخ فلاسفة الاسلام** ـ بدون معلومات ٠

٢٣١ ـ محمد مهدى الأصفى : **مقـدمة كتاب اللمعـة الدمشـقية** لمحمد ابن جمال الدين العاملى ـ ط ١ ـ منشـورات جامعة النجف ـ ١٣٨٦ هـ ٠

٢٣٢ ـ محمد مهدى النراقى : **جامع السعادات** ـ ط ٤ ـ العراق ـ مطبعة الآداب فى النجف الأشرف ـ ١٩٦٧ ٠

٢٣٣ ـ محمد نبيل نوفل : **ابو حامد الغزالى ، فلسفته وآراؤه فى التربية والتعليم** رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ تربية عين شمس ـ قسم أصول التربية ـ ١٩٦٧ ٠

٢٣٤ ـ محمود أبو رية : **أضواء على السنة المحمدية** ـ القـاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٠ ٠

٢٣٥ ـ محمود حب اللـه : **موقف الاسلام من المعرفة** ـ الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة ـ بحوث ودراسات اسـلامية ـ جمع وتقـديم محمد خلف اللـه ـ القاهرة ـ النهضة المصرية ـ ١٩٦٢ ٠

٢٣٦ ـ محمود شكرى الألوسى : **مختصر التحفة الاثنى عشرية** ـ استانبول ـ مكتبة ايشيق ـ ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م .

٢٣٧ ـ مصطفى عبد القادر : **مفهوم العمل وتطبيقاته التربوية فى التعليم الثانوى العام في المجتمع المصرى المعاصر** ـ رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ كلية التربية ـ عين شمس ـ أصول التربية ـ ١٩٧٩ .

٢٣٨ ـ نادية جمال الدين : **فلسفة التربية عند اخوان الصفا** ـ رسالة ماجستير غير مطبوعة ـ تربية عين شمس ـ قسم أصول التربية ـ ١٩٧٣ .

٢٣٩ ـ نافع الخفاجي : **فى رحاب الامام زين العابدين** ـ بغداد ـ دار الأنوار ١٩٧٨ .

٢٤٠ ـ نور الله الحسينى المرعشى التسترى : **احقاق الحق وازهاق الباطل** ـ طهران ـ المطبعة الاسلامية ـ ١٣٧٧ هـ .

٢٤١ ـ هاشم معروف الحسنى : **الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة** ـ ط ١ ـ بيروت ـ دار القلم ـ ١٩٧٨ .

٢٤٢ ـ هاشم معروف الحسنى : **سيرة الأئمة الاثنى عشر** ـ بيروت ـ دار التعارف للمطبوعات ـ ١٣٩٧ ـ ١٩٧٧ م .

٢٤٣ ـ ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى : **معجم الادباء** ـ الطبعة الأخيرة ـ مطبعة المأمون ـ بدون تاريخ .

٢٤٤ ـ ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى : **معجم البلدان** ـ بيروت دار صادر ـ ١٩٥٧ .

٢٤٥ ـ يوسف خليف : **حياة الشعر فى الكوفة الى نهاية القرن الثانى للهجرة** ـ القاهرة ـ دار الكتاب العربى ـ ١٩٦٨ .

٢٤٦ ـ يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة اليونانية** ـ القاهرة ـ مطابع الدجوى ـ ١٩٧٦ .

المراجـــع الاجنبيــة

247 — Gibb and Kramers. **"Shorter Encyclopaedia of Islam."** (Leiden, 1953).

248 — Gustave E. Von Grunebaum, **"Medival Islam."** (Chicago, The University of Chicago press), 1953.

249 — James H. Tujts. **"Ethics" in Twenteeth century philosophy** (Dagobert and Drunes (ed.); New York: Philosophy Library, Inc. 1943.

250 — Kennedy F. Roche, **Rousseau stoic and Romantic,** London Methuen Co. Ltd. 1974.

251 — Mafizullah, Kabir : **"The Buwayhid dynasty of Baghdad"** Calcutta, 1964).

252 — Ramyont. I. **"The principles of Education,"** Longmans, green and Co. London 1922.

253 — R.L. Akcher : **Roussau on Education,** (London, Arnold, Co. 1928.

254 — Wellhausen : **"The Arab Kingdom and its Fall"** translated from German by Margaret weir. M.A. (Calcutta 1971).

255 — William, Muir, **"The Caliphatt its rise decline and Fall,"** (Beirut, 1963).

المحتــويـات

- نشأة التشيع والقول بالنص والوصية
- الأصول الإجتماعية والفلسفية
- فلسفة التربية من منظور الشيعة
- مناهج وطرق التعليم
- أهم المراكز العلمية عند الشيعة
- مؤسسات التعليم عند الشيعة
- أثر آراء وجـهـود الشيـعـة على الفكر والثقافة فى العالم الإسلامى

دار الثقافة للطباعة والنشر
٢ شارع العباسية - القاهرة
☎ ٥٩١٦٠٧٦